أعلام المسلمين

٩٢



المفكر الإسلامي والعالم العالمي

وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقا

١٢٨٦ - ١٨٦٩م - ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م

تأليف

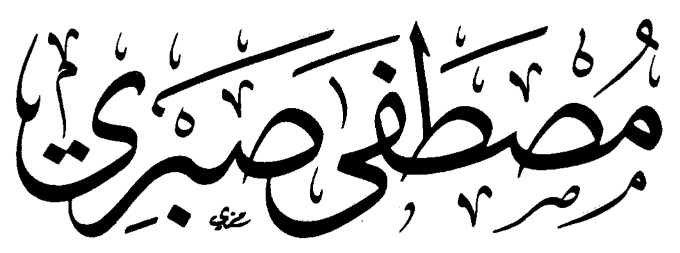
الدكتور مفرح بن سليمان القوسي





أعلام المسلمين

٩٢

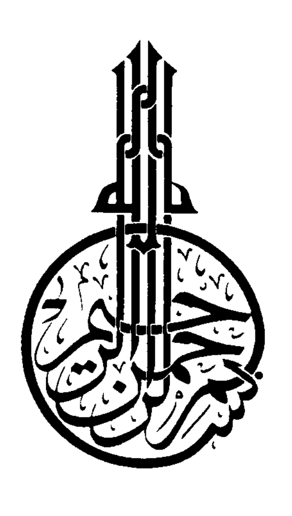


المُفَكِّرُ الإسلاميُّ والعالِمُ العالميُّ
وَشَيْخُ الإسلامِ في الدَّوْلَةِ العُثْمانيَّةِ سابقًا

١٢٨٦ - ١٨٦٩م = ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م

تأليف
الدكتور مفرِّح بن سليمان القوسي

دار القلم
دمشق



مُصْطَفَى صَبْرِي

المُفَكِّرُ الإِسْلَامِيُّ وَالعَالِمُ العَالَمِيُّ

وَشَيْخُ الإِسْلَامِ فِي الدَّوْلَةِ العُثْمَانِيَّةِ سَابِقًا

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

تطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١



● «مصطفى صبري عالم الدنيا، العالم العالمي».

الإمام الأكبر السيد محمد الخضر حسين

● «العلامة الجليل، والحكيم البعيد النظر، شيخ الإسلام السابق مصطفى صبري أفندي، أشهر من أن نعرّفه على صفحات (الفتح) ولا سيما لقرّاء (الفتح) الذين تمتعوا بثمرات قلمه البليغ مرات متعددة، فرأوا فيها الغَيرة العظيمة على الإسلام، واعتبار جامعته فوق كل جامعة غيرها، وإنكار كل رابطة تنافيها».

الكاتب الإسلامي الكبير محب الدين الخطيب

● «تعارفت بفضيلة الشيخ مصطفى صبري رحمه الله، فوجدته بحراً زاخراً في علمه، عظيماً في خُلُقه، كما لمست فيه التواضع، ولين الجانب، وحسن المباحثة، والتفاهم والإتقان في الحديث، والحذر والتقوى في القول والفتوى، وقوة الحجة والدليل، والحرص على اتّباع الحقّ، وكان رحمه الله عالماً عاملاً، ومرشداً كاملاً، عمل بعلمه هو أولاً، وقام بالإرشاد ثانياً، فكان حقاً من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر».

الشيخ مبشر الطرازي

● «كانت مهمة الشيخ مصطفى صبري الأولى هي مقاومة دعوات الإلحاد الهدّامة، وردّ الناس إلى التمسّك بالشريعة، والإيمان بالكتاب كلِّه دون تفريق بين دقيق وجليل».

الدكتور الناقد محمد محمد حسين

المقـــدّمَة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فقد كان العالم الإسلامي في بداية العصر الحديث يعيشُ ـ بوجه عام ـ حالةً مزريةً من البعدِ عن الإسلام، ومن التخلّف والركودِ والتقصير في الأخذِ بأسباب التقدّم والرقيّ الماديّ، وفي الأخذِ بأسباب القوّة والمنعة.

وقد أسهمَ في ترسيخ هذا الوضع المؤامراتُ التي كانت تُحاك ضدّ الإسلام والعالم الإسلامي من قِبَلِ الأعداء، وما أنتجته تلك المؤامرات من القضاء على الدولة العثمانية قضاءً مبرماً، وإلغاء الخلافة الإسلامية تماماً، وإقامة جمهوريةٍ علمانيةٍ لا دينيـةٍ على طـراز الدول الأوروبيـة الحديثـة مقامَها[1]..

وقد أدّى ذلك إلى انهيـار الكثير من المثقّفين والمفكريـن المسـلمين

---

(١) هذا من حيث الظاهر، وهي في الواقع تكنّ العداوة والبغضاء للإسـلام، ولكل ما يمتّ إليه من قريب أو بعيد.

الذين فقدوا الاعتزازَ بدينهم، وتخلّوا عن شرف التمسك بشريعته وأحكامه ـ تحت تأثير ضربات الغزو الفكري، وضغوط الحضارة الغربية الحديثة الفائضة بالروح الجديدة، والطاقات المادية، والثورة الصناعية، حيث وقفوا موقفَ المستسلم للحضارة الغربيـة المقلّـد لها، المؤمن بكل فلسـفاتها الماديـة، ونظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والمقتفي أثرَ مناهجها الفكرية الدخيلة.

بل إنّ بعضَهم استمدَّ تصوراته للكون والإنسان والحياة من التصوّرات الغربية المحضة، وعمل على إخضاع الإسلام للمفاهيم الغربية الوافدة التي تجافيـه نصاً وروحاً، وحاولَ تطبيقَ النظم الغربية برمتها على المجتمعـات الإسلامية، مع أنَّ تلك النظم نشأتْ واختمرتْ في بيئة تختلفُ كلَّ الاختلاف عن بيئتها.

ولكنّ من سنن الله في الكون أن جعلَ الغلبة للحقّ على الباطل، وأنْ جعلَ الحقّ لا يظهَرُ بنفسِه، بل لابدّ أن يقومَ به ويحتضنـه رجالٌ يتميّـزون بمعرفته، والاعتصام به، والثبوت عليه، وبذل كلّ ما في الوسع والطاقةِ للذود عنه، فقد قيّضَ الله سبحانه وتعالى لهذا الدين من يقوم به، ويذودُ عنه، وقيّضَ لهذه الأمة من يدفعُ عنها كيد الكائدين، وأمدّهم بتوفيقه وعنايته وإرشاده.

حيث قام العديد من حملة العلم والفكر في هذا العصر بالدفاع عن حمى العقيدةِ، والذبّ عن حياض الدين، والتصدي ـ بكل قوة ـ للتيارات الفكرية الغازية، والثقافات الدخيلة، ورفضوا أن يتنازلوا عن شيء من دينهم مهما كانت النتائج التي سيتحمّلونها من جرّاء مقاومتهم وصمودهم.

وأحسبُ أنّ الشيخ مصطفى صبري منهم في موضوع هذه الدراسة بالذات ولا أزكي على الله أحداً.

أما الدافع إلى البحث فهو ـ إضافة إلى ما تقدم ـ ما كان لديّ من رغبةٍ أكيدةٍ في دراسة الفكر الإسلامي المعاصر ـ ولو في جانب من جوانبه ـ عن طريق دراسةِ شخصيةٍ من شخصياته البارزة، التي تستحقّ أن تنالَ من الباحثين من العناية بها والاهتمام بدراسة حياتها وتراثها مثلما قدّمت للأمة الإسلامية من تضحيات وخدمات جليلة، فأعملتُ الفكرَ، وأجلتُ النظرَ، ألتمسُ مفكراً إسلامياً معاصراً، لم يسبق أن تناوله أحدٌ بالدراسة، كي أجعلَه موضوعاً لأطروحتي في الماجستير، فهداني الله عزَّ وجلَّ إلى هذا المفكر المسلم الشيخ مصطفى صبري، الذي خلتِ المكتبةُ الإسلامية من الدراسات الجادة عنه، وقد جعلتُه مادةً لدراستي لأسباب؛ أبرزها:

١ ـ **تعدد جوانب شخصيته**، فهو أحدُ **الدعاة إلى العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ**، وإلى نبذ التقليد في العقلية الدينية، وهو **مفكّرٌ إسلامي بارز**، له جهودٌ رائدةٌ في مواجهة التيارات الفكرية الغازية، وله العديد من الآثار الفكرية القيّمة، باللغتين العربية والتركية، وهو أيضاً **سياسيٌّ بارعٌ** له خبرةٌ طويلةٌ في النواحي السياسية، وهو أيضاً **صحفي إسلامي** متمرّسٌ، له باعٌ طويل، ونشاطٌ كبير في المجال الصحفي.

٢ ـ **أنه من أبرز العلماء المجاهدين، والدعاة المخلصين**، الذين سخّروا أقلامَهم وأفكارَهم لخدمة الإسلام عقيدةً وشريعةً دونَ هوادةٍ، متحملاً في ذلك الأذى والهجرة عن الوطن.

٣ ـ أنه اهتم بالمشكلات والقضايا الرئيسة المثارة في العالم الإسلامي في عصره، وناقشها بفهمٍ عميق، وتناولها بعنايةٍ فائقةٍ، وقدّم لها الحلولَ الناجعةَ، ووضعَ يده على مكامنِ الداء بفكرٍ ومنطقٍ قويين، استعصيا على كثيرين من معاصريه كُتّاباً ومفكرين.

٤ ـ أنّه أسهم بشكل كبيـر في تصحيح الوقـائع والحقائق التاريخيـة المتعلقة بالدولة العثمانية، ولاسيما في أواخر عهدِها، ثم سقوطها، وما تلى ذلك من أحداثٍ. تلك الوقائعُ والحقائقُ التي أصابها الكثيرُ من التشويش والتزوير.

٥ ـ عدم العناية بالشيخ من قِبل الباحثين، حيث لم تظهر ـ فيما أعلمُ ـ أي دراسة متكاملة عن شخصيته، أو عن أي جانبٍ من جوانبِ فكره، عدا ما قام به الدكتور محمد محمد حسين ـ رحمه الله ـ في كتابه (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر)، حيث قدّم تعريفاً موجزاً بالشيخ وبكتبه العربية المطبوعة فقط، وعدا الدراسة التي قام بها ـ مؤخراً ـ الدكتور مصطفى حلمي لأحدِ كتب الشيخ، وهو كتاب (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة)، حيث عرّف بالكتاب وأهميته في التاريخ الإسلامي المعاصر، كما عرّف بالشيخ تعريفاً موجزاً ـ نقلاً عن الدكتور محمد محمد حسين في كتابه المذكور آنفاً ـ وببعض مواقفه العلمية وآرائه السياسية.

ولقد واجهتني ـ في سبيل إعداد هذه الدراسة ـ صعوبات كثيرة منها:

١ ـ قلة المصادر والمراجع، وندرة المادة العلمية المتعلقة بالفصلين الثاني والثالث، وذلك لعدم وجودِ سيرةٍ مكتوبةٍ عن حياة الشيخ مصطفى صبري، موضوع البحث.

٢ ـ كثرة آثار الشيخ الفكرية وتعدّدها ـ كما سيتّضحُ للقارئ فيما بعد ـ وكونها لم تجمع في مكانٍ واحدٍ، بل كانت مبعثرةً ومشتتةً، مما تطلّبَ بذلَ الجهودِ الكبيرة لمعرفتها وجمعها، ثم تصنيفها ودراستها وتعريف كلٍّ منها.

٣ ـ أنَّ الشيخ عاش في فترةٍ حرجةٍ جداً من التاريخ، اتصفت بالانقلاب الكامل على الحياة الماضية في ظلّ الدولة العثمانية، وبدايةِ حياةٍ جديدة ـ في ظلِّ الجمهورية التركية الحديثة ـ مملوءة بالأحداث، مشحونة بالقلائل والاضطرابات، واصطباغ الكتابة عن حقائق تلك الفترة ووقائعها بالتحريف والدسّ والتزوير من قبل المغرضين، مما تطلّب القراءات الواسعة، وبذل الكثير من الجهد في التحري والتدقيق.

منهج البحث:

اعتمدت في إعداد البحث على كتب التاريخ والسياسة التي عُنيت بتاريخ الدولة العثمانية، ولاسيّما في مرحلة إسقاطها، وإعلان الجمهورية التركية، وعلى كتب التراجم والموسوعات ودوائر المعارف التركية والعربية، وعلى العديد من المقالات المنشورة في الصحف والمجلاَّت. واستنبطتُ سيرةَ الشيخ الذاتية وكلّ ما يتعلّق بحياته ومصادر ثقافته وآثاره مما كتبه هو بنفسه في بعض كتبه ومقالاته، وأمّا ما لم أجده في هذا ولا ذاك، فقد اعتمدتُ فيه على المقابلات الشخصية التي أجريتها مع مَن لهم علاقة به، وهي مثبتةٌ في الملاحق في آخر الكتاب.

كما أحصيتُ آثاره المطبوعة والمخطوطة بما فيها أبحاثه ومقالاته وأشعاره العربية والتركية، ودرستُها جميعاً ثم صنَّفتها ورتَّبتها، وعرَّفت كلاً

منها تعريفاً شاملاً، ذلك أنَّ جمعَ تلك الآثار ودراستها وتعريفها يساعِدُ بشكلٍ كبيرٍ على سَبْرِ غورِ جوانبِ شخصيَّته ومعرفة اتجاهه الفكري.

وقد رأيتُ أنَّه من المفيد إثر الفراغ من هذه الدراسة أن أضيفَ ملحقاً يشتمِلُ على نماذج من فتاوى الشيخ الشرعية، وذلك بحكم أنَّه كان فقيهاً، وله اشتغالٌ بالمسائل الفقهية الشرعية، ورأيتُ أيضاً أن أضيفَ ملحقاً آخر يتضمَّن بعضَ ما وجدتُ من وثائق وأوراق مهمة، لها علاقةٌ وثيقةٌ بحياة الشيخ وتكوينِه وإنتاجِه الفكري.

أمَّا بالنسبةِ للنقول والإحالات في الهوامش فهي على النحو التالي:

أ ـ إذا تصرَّفتُ في النصِّ المنقولِ تصرُّفاً يسيراً أوردتُه بين قوسي تنصيصٍ، وأشرتُ في الهامش إلى أنَّ النقلَ كان بتصرّفٍ يسيرٍ، وإذا تصرَّفتُ فيه تصرّفاً كثيراً ذكرتُ في الهامش كلمةَ (انظر)، أما إذا لم أتصرَّف فيه مطلقاً بأنْ كان نقلاً حرفيّاً أوردتُه بين قوسي تنصيصٍ، واكتفيتُ بالإشارةِ إلى المرجع دونَ كلمةِ (انظر).

ب ـ إذا استبدلتُ بكلمةٍ أو بكلمتين في النصِّ المنقول نقلاً حرفياً، وضعتُ ذلك بين حاصرتين، ويكونُ الاستبدالُ ـ في الغالب ـ بسبب ركاكةٍ في اللفظ، أو خطأ في الأسلوب، أو في النحو.

جـ ـ إذا اقتبستُ من المرجع فكرةً ما، أو استفدتُ منه معلومةً، أو أحلتُ إلى مرجعٍ فأكثر توسع في بحثِ الموضوع الذي كنتُ أتحدَّثُ فيه ذكرتُ في الهوامش كلمةَ (راجع).

د ـ إذا أغفلتُ ذكر الصفحة بعدَ الإحالةِ إلى مرجع سابق، فهذا يعني أنَّ

النقلَ الثاني كان من الصفحة نفسِها التي أُخِذَ منها النقل الأول.

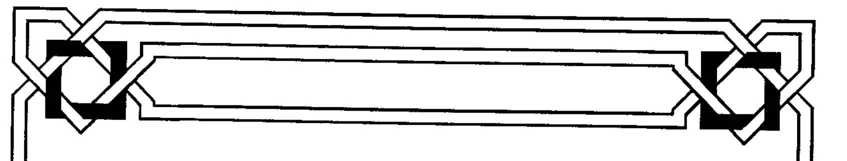
هذا ولا أدّعي أنني وفّيتُ هذا البحثَ حقّه لما يعروني - وأنا الإنسان - من جوانب النقص، ولكن حسبي أني اجتهدتُ فيه على قدر استطاعتي، وأنّ الحقَّ والصواب هو مطلبي، فإن وُفِّقْتُ إليه فما توفيقي إلا بالله سبحانه، فله الحمدُ والثناءُ على توفيقه، وإن أخطأتُ أو قصَّرتُ فمن نفسي ومن الشيطان، وأرجو أن يكونَ صِدْقُ النيّة في طلبِ الحقِّ والصوابِ شفيعاً لي في عفو ربّي وغفرانه.

وفي الختام أتقدّم بالشكر الجزيل للأستاذ محمد علي دولة صاحب دار القلم بدمشق لعنايته بطباعة هذا الكتاب ونشره، وأسأله سبحانه أن يرزقنا الإخلاصَ في القولِ والعمل، وأن يعفو عن التقصير والزلل.

وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

الرياض ٢٦/ ٥/ ١٤٢٤هـ

الدكتور مفرّح بن سليمان القوسي

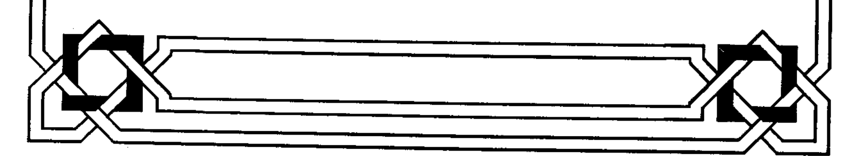


الفصل الأول

لمحة موجزة

عن الحياة السياسية والاجتماعية
في عصر شيخ الإسلام مصطفى صبري

- التمهيد .
- المرحلة الأولى : المشروطية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني .
- المرحلة الثانية : حكم الاتحاديين .
- المرحلة الثالثة : إلغاء الخلافة وإعلان الجمهورية .



الفَصْلُ الأوَّل

لمحة موجزة
عن الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة
في عَصْرِ شَيخِ الإسْلَامِ مُصْطَفى صَبْري

تمهيد

لقد ظهر الشيخ مصطفى صبري في مرحلةٍ حرجةٍ هي من أخطرِ مراحل الدولة العثمانية، تلك هي مرحلة إعلان الحياة الدستورية، ثم إلغاء الخلافة الإسلامية وقيام الجمهورية، وما استتبعها من إجراءاتٍ علمانيةٍ، عملت على القضاءِ على الإسلام، ومحاولةِ نزع جذوره من أعماق الأمة التركية.

وهذه الفترةُ التي ظهر فيها الشيخ كانت مملوءةً بالقلاقل، مشحونةً بالاضطرابات السياسية والاجتماعية، التي أخذت تنخرُ في جسم الدولة العثمانية.

وسوف أتناولُ ـ إن شاء الله ـ في هذا الفصل أهمّ التطورات والأحداث التي مرّت بها الدولةُ في آخر أيامها، وكان لها أثرٌ بارز في العالم الإسلامي عامة، وفي المجتمع التركي بوجهٍ خاص، وذلك محاولة مني لإيضاح الإطار العام لتلك الفترة التي ولد فيها الشيخ ونشأ وترعرع.

لقد عاصر مصطفى صبري ثلاثَ مراحل متغيرة في حياة المجتمع التركي: فقد عاصر المشروطية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ثم حكم الاتحاديين أصحاب حزب الاتحاد والترقي، ثم العهد الجمهوري بكل متغيراته الاجتماعية والفكرية.

وسأحاول ـ في إطار هذا التصنيف ـ أن أعطي لمحةً موجزةً عن كلِّ مرحلة من هذه المراحل الثلاث[1]:

---

(١) تقسيمُ تلك الفترة إلى مراحل ثلاث لا يعني بالضرورة أنَّ كلَّ مرحلةٍ من تلك المراحل لم تبدأ إلا بعدَ نهاية المرحلة التي قبلها، بل هو مأخوذٌ من ناحيةِ ظهورِ سماتٍ وعلاماتٍ تميّزُ أحداث كل مرحلةٍ عن أحداث المرحلة الأخرى.

المرحلة الأولى

المشروطية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

المشروطية هي الحكومة الدستورية، والمقصودُ هنا التحدّثُ في هذه المرحلة عن الأحداث والملابسات التي حصلت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، باعتبار أنّ الحياةَ الدستورية إنما بـدأتْ في عهدِه سـنة (١٢٩٣هـ = ١٨٧٦م).

ومن المعلـوم أنّ الحياة الدستوريـة تمتدُّ جـذورُها إلى فتـرة إعـلان التنظيمات، بـاعتبارها الخطـوةَ الأولى مـن خطـواتِ الإصلاح في الدولـة العثمانية، ولكي نُلمَّ بأطراف الموضوع لابدّ أن نُعطيَ القارئَ الكريم فكرةً مختصرةً عن الدولة العثمانية، ومدى علاقتها بالإسلام، والدورَ الكبيرَ الذي قامت به تجاه أطماع الدول الغربية المستعمِرة، ثم نُعرّجُ بالكلام على بداية ما يسمى (عهد التنظيمات) لكي نَرصدَ بداياتِ إدخـالِ الدسـتور إلى الدولـة العثمانية، فنقول وبالله التوفيق:

لقد شاد سلاطين الدولة العثمانية، وهم من أسرة آل عثمان ـ التي كانت أكبر عائلة إسلامية عرفها التاريخ ـ الدولة العثمانية، ودافعوا عن الإسلامِ دفاعاً قوياً، وزادوا في رقعته، وفي عدد معتنقيه[1]. وقد كانت منذ بدء قيامها وحتى

---

(١) انظر: محمد مصطفى صفوت ـ الجمهورية الحديثة، ص١٤٣.

سقوطها دولةً متفرّغةً لتأييد سلطة الإسلام وعقيدته، متأهبة للدفاع عنهما، وظلّت متماسكةً، تدفعُ عن العالم الإسلامي عاديةَ الاستعمارِ الغربي مئاتِ السنين، حتى في الوقت الذي بدأت أعراضُ المرضِ والوهنِ تدبُّ فيها، فقد منعت أوروبة وخاصةً بريطانية وفرنسة وروسية القيصرية من التهام العالم العربي، ومنعتْ جُـزرَ البحر الأبيض المتوسط من السقوط في أيدي هـذه الدول[1].

يقول الأستاذ محمد فريد بك المحامي (١٨٦٨ = ١٩١٩م) في وصفه للدولة العثمانية: «قامت الدولة العليّةُ بحياطةِ هذا الدين، وحماية الشرقيين، ودعـت إلى الخيـرِ، وأمرت بالمعروف، ونهت عن المنكـر، فكانت مـن المفلحين، ثم وقفت في طريق أوروبة حاجزاً منيعاً، وسوراً حصيناً، وحالت دونَ أطماعِها، وألزمتها بكفّ غاراتها بأنواعها، ثم اهتمّت بالإصلاح، وسعتْ في تأييدِ النظام، فصار لها بين الدول المقامُ الأول، والرأي الراجح، والقول النافذ، فكانت لا يضاهيها دولةٌ من الدول؛ بما أحرزته من الأملاك الواسعة في قارات أوروبة وآسية وإفريقية»[2].

وفي نهاية القرن الثامن عشر الميلادي كانت الدولة العثمانية قد بدأت في الانحدار والتقهقر أمامَ هجماتِ الدول الغربية المستعمِرَة، وبدأت الخسائرُ والهزائمُ تتوالى عليها من كلّ جانب، حتى بلغَ بها الوَهَنُ والضعفُ مبلغاً

---

(١) انظر: عبد الكريم مشهداني ـ العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركية، ص٣٣، ٣٥.

(٢) تاريخ الدولة العليّة العثمانية، ص٢١.

شديداً، ولا سيّما في مجالاتِ العلمِ والمعرفةِ، حيثُ تعثّرت الحياةُ الثقافية، فلم تعرف أي إضافاتٍ جديدةٍ في ميادين الفكر والثقافة. في حين أنّ أوروبة قد أثبتت تفوّقَها في مختلف الميادين الفكرية والصناعية والزراعية، وكانت ترتقي يوماً بعد يوم في الفنون الحربية، والنظم الإدارية، مما جعلَ الدولة العثمانية في ذلك الوقت تفكِّرُ في إيجاد طريقةٍ ناجحةٍ تتمكَّنُ بها من اللحاق بالدول الغربية في الرقي والتقدم، كي تستطيعَ الوقوفَ في وجهها، وصدّ هجماتها المتوالية، فرأت أنَّ الطريقَ السليم هو العمل على إصلاح الدولة في مرافقها الداخلية.

وقد تولّى أمرَ السلطنة في تلك الفترة السلطان سليم الثالث (١٧٦٢ ـ ١٨٠٨م) الذي كان متوثّباً للإصلاح، فعمِلَ على إصلاح أمور الدولة الداخلية ولاسيّما العسكرية والبحرية، وتسليحها بالأسلحة الحديثة، لكنّ طائفة الانكشارية[1] بطشت به، والإصلاحُ ما يزالُ في مهده.

---

(١) الانكشاريةُ: اسمٌ يُطلق على فرق المشاة النظاميين، التي كوَّنها التركُ العثمانيون في القرن الرابع عشر الميلادي، وأصبحتْ أكبرَ قوّةٍ عندهم مكَّنتهم من الفتوحات الواسعة، التي قاموا بها في ذلك القرن وفي القرون التالية.
وقد اتَّبعوا من أول أمرهم الطريقةَ الصوفية، التي أسّسها الحاج (بكتاش) وتسمّى (البكتاشية). وأصبحت لهم سلطةٌ كبيرةٌ في الدولة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وانتشر فيهم الضعف والفوضى والفساد، واستشرى خطرهم في البلاد، فاعتدوا على الأهالي بالسلب والنهب، واعتدوا على السلاطين والصدور العظام والوزراء بالعزل والقتل. وأصبحوا عالةً على الدولة، بعد أن كانوا من عوامل تقدّمها، قضى عليهم السلطان محمود الثاني=

ثم اتسعت حركةُ الإصلاحِ في الدولة في بداية القرن التاسع عشر في عهد السلطان محمود الثاني (١٧٨٥ ـ ١٨٣٩م) الذي عمدَ إلى الإصلاح[١] من الوجهة الإدارية والعسكرية، وقضى على الانكشارية العقبةِ الكأداءِ في طريق الإصلاح المنشود، وشرعَ في تكوين جيشٍ جديدٍ على الطراز الأوروبي الحديث، وأخذ يبعثُ بمنشورات الإصلاحِ إلى الولاةِ والحكّام، ولكنّه توفي قبل أن ينهي شيئاً من فروعِ الإصلاح إلا تنظيمَ الجند تنظيماً غيرَ تامٍّ[٢].

ولمّا تولى السلطان عبد المجيد الأول (١٨٢٢ ـ ١٨٦١م) السلطنةَ سار على خِطّة والده السلطان محمود الثاني في الإصلاحات الداخلية، حيث استهلّ عهدَه بإصدار أول دستورٍ للبلاد، نُشرت فيه مراسيمُ التنظيمات المعروفة بـ(خط كلخانة) في ٢٦ شعبان (١٢٥٥هـ) = ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٨٣٩م) الذي سُميت نصوصُه (التنظيمات الخيرية)، حدّدَ فيها طرقَ الإصلاح الجديدة، وبيَّن قواعدَها، وفي مقدمتها الحرية الشخصية، والحرية الفكرية، وتسوية غير المسلمين بالمسلمين، «لكنْ شغلتُه عن إتمامِ هذه الإصلاحات (الحربُ

= في مذبحةٍ كبيرةٍ جرت في الآستانة في (ذي القعدة ١٢٤٠هـ=يونيو ١٨٢٦م). انظر كلاً من: (دائرة المعارف الإسلامية): ٣/ ٧٦ وما بعدها؛ و(الموسوعة العربية الميسّرة): ١/ ٢٤٩.

(١) كان لمصطفى رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا دورٌ كبيرٌ في انتشار حركة الإصلاح في الدولة العثمانية.

(٢) انظر كلاً من: د. عبد العزيز نوار ـ الشعوب الإسلامية، ص١٨٠؛ ومحمد فريد بك ـ تاريخ الدولة العليّة العثمانية، ص٧٠١.

الروسيةُ) التي قامت بسبب اختلاف فرنسة وروسية على حمايةِ الأماكن المقدسة بـ[القدس] ودُعيت بحرب القِرْم»[١].

ولمّا انتهت الحربُ أصدر خطاً آخر في جمادى الآخرة (١٢٧٢هـ) = شباط (فبراير) (١٨٥٦م)، وقد عُرف بخط (همايون) وهو تأكيدٌ لما جاء في خط (كلخانة) مع إضافاتٍ جديدةٍ تتعلّقُ بحقوق النصارى والتنظيمات الإدارية الجديدة.

ولما تولّى السلطان عبد العزيز (١٨٣٠ ـ ١٨٧٦م) السلطنة قام أيضاً بإصلاحاتٍ داخلية منها: سن قانون الأراضي سنة (١٢٧٤هـ) وقانون الجزاء سنة (١٢٧٤هـ) وقانون الطابو سنة (١٢٧٥هـ) ومنها وضع (مجلة الأحكام العدلية الشرعية) في محرم (١٢٨٦هـ) = أيار (مايو) (١٨٦٧م) من قِبَل لجنة تألّفت من أعاظمِ الأساتذة العثمانيين الشرعيين[٢].

وقد حاول مدحت باشا[٣] إقناع السلطان عبد العزيز بوضع دستور

---

(١) محمد فريد بك ـ تاريخ الدولة العليّة العثمانية، ص٤٨٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٧٠٢.

(٣) أحمد مدحت باشا: من أعضاء جمعية (تركية الفتاة) البارزين، ولد في إستانبول سنة (١٨٢٢م)، تقلّد عدةَ مناصب في أنحاء الدولة العثمانية، ولمّا تولّى السلطان عبد الحميد الثاني السلطةَ عيّنه صدراً أعظم، ثم ما لبثَ أن عزلَه في (٥ شباط (فبراير) ١٨٧٧م)، ثم نفيَ إلى الطائف، ومات بها في ظروفٍ غامضة. انظر: د. عبد العزيز الشناوي ـ الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها: ١/ ١١٠ ـ ١١١.

للدولة مشتق من النظم الغربية، وألحَّ عليه في ذلك، فما كان من السلطان إلا أن أصدر أوامرَه بعزله من الوزارة وإبعاده، لكنّه ما لبثَ أن عادَ إلى الآستانة، وعمل على خلعِ السلطان[1]، ثم دبَّر بعدَ ذلك اغتياله في قصره.

ثم عمل على تولية السلطان مراد الخامس (١٨٤٠ ـ ١٩٠٤م) عرشَ السلطنة، ثم خلعه أيضاً باستصدار فتوى من شيخ الإسلام بذريعة اضطرابه العقلي.

السلطان عبد الحميد الثاني:

ثم تولّى الخلافةَ السلطانُ عبدُ الحميد الثاني[2] في ١١ شعبان (١٢٩٣هـ) = ٣١ آب (أغسطس) (١٨٧٦م) وتبوَّأ عرشَ السلطنة والبلادُ يومئذٍ على أسوأ حالٍ، حيثُ كانت في منتهى السوء والاضطراب، سواءٌ في ذلك الأوضاع الداخلية والخارجية.

---

(١) انظر: د. علي حسون ـ تاريخ الدولة العثمانية، ص١٦٤.

(٢) عبد الحميد بن عبد المجيد الأول: السلطان الرابع والثلاثون من السلاطين العثمانيين، ولد يوم الأربعاء ١٦ شعبان ١٢٥٨هـ = ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٨٤٢م، تعلَّم اللغتين العربية والفارسية، ودرس كثيراً من الكتب على أيدي أساتذة متخصصين، قدَّم خدمات جليلة للدولة العثمانية في مختلف المجالات، ويعتبَرُ أعظم سلطان في عصر انحطاط الدولة. تُوفّي في ٢٧ ربيع الثاني ١٣٣٦هـ = ١٠ شباط (فبراير) ١٩١٨م إثر نزيف داخلي عن عمر يناهز الثامنة والسبعين. انظر: مقدمة كتاب (السلطان عبد الحميد الثاني ـ مذكراتي السياسية)، ص١١ وما بعدها.

أما الأوضاع الخارجية: فقد اتفقت الدول الغربية على الإجهاز على الدولة التي أسموها (الرجل المريض)، ومن ثَمّ تقاسمِ أجزائها، هذا بالإضافة إلى تمرّدِ البوسنة والهرسك، الذين هزموا الجيش العثماني، وحاصروه في الجبل الأسود، وإعلان الصرب[1] الحربَ على الدولة بقوات منظمة وخطرة، وانفجار الحرب الروسية الفظيعة التي قامت سنة (١٢٩٤هـ ـ ١٨٧٧م)، وضغط دول الغرب النصرانية على الدولة لإعلان الدستور، وتحقيق الإصلاحات في البلاد، بالإضافة على قيام الثورات في بلغارية بتحريضٍ ومساعدةٍ من روسية والنمسة.

وأما الأوضاع الداخلية: فقد أفلست خزينةُ الدولةِ، وتراكمت الديونُ عليها، حيث بلغت الديونُ ما يقربُ من ثلاث مئة مليون ليرة، كما ظهر التعصّبُ القومي والدعوات القومية، والجمعيات ذات الأهداف السياسية، بإيحاء من الدول الغربية المعادية، ولا سيما إنكلترة.

وكانت أهم مراكز هذه الجمعيات في بيروت وإستانبول، وقد كان **للنصرانية** دورٌ كبيرٌ في إذكاء تلك الجمعيات التي أنشئت في بيروت، والتي كان من مؤسسيها بطرس البستاني (١٨١٩ ـ ١٨٨٣م) وناصيف اليازجي (١٨٠٠ ـ ١٨٧١م).

وأما الجمعيات التي أنشئت في إستانبول فقد ضمّت مختلفَ العناصر

---

(١) البوسنة والهرسك والجبل الأسود والصرب: هذه المناطق كانت تابعة للدولة العثمانية، ثم صارت ضمن الجمهوريات اليوغسلافية، ثم استقلّت أخيراً.

والفئات، وكان لليهود فيها دورٌ كبير، خاصّةً يهود الدُّوْنَمة[1]، ومن أشهر هذه الجمعيات (جمعية تركية الفتاة) التي أُسست في باريس، وكان لها فروع في برلين وسالونيك وإستانبول، وكانت برئاسة أحمد رضا بك[2]، الذي فُتن

---

(١) الدُّوْنَمة: كلمة تركية تعني المرتدّ، الزنديق، الكاذب فيما يزعم اعتقاده، وهي عَلَم على جماعة من اليهود هاجرت من الأندلس بعد زوال حكم المسلمين فيها، واستقرّت في ربوع الدولة العثمانية، تنعم بالحياة الآمنة المطمئنة، وهم أتباع اليهودي (ساباتاي زفي) المسيح المزيّف، الذي ظهر في الدولة العثمانية في منتصف القرن السابع عشر، وادَّعى أنّه المسيح المنتظر، الذي سيأخذ بيد اليهود، ويؤسس لهم دولةً في فلسطين، ومنها يسودون العالم، اعتنقَ كثيرٌ منهم الإسلام ظاهراً منذ عام (١٦٨٣م) وأخفوا يهوديّتهم، واتّخذوا لهم أسماءً إسلاميةً، وقد وجّهوا اهتمامهم إلى ناحيتين للوصول إلى أهدافهم:
أ ـ السيطرة على أجهزة الإعلام.
ب ـ احتلال المناصب المهمة في الأجهزة الحكومية.
انظر كلاًّ من: محمد صفوت السقا وسعدي أبو حبيب ـ الماسونية، ص١٥٧؛ ود. محمد عمر ـ يهود الدونمة، ص٧ ـ ٨.

(٢) من الأعضاء البارزين في جمعية تركية الفتاة، ولد في إستانبول سنة (١٨٥٩م) وتلقّى علومه في (غالطه سراي)، وفي سنة (١٨٨٩م) سافر إلى باريس، وأقام فيها، وتأثّر كثيراً بالآراء الفلسفية لـ(بيير لافيت) و(أوغست كونت)، أصدر بالتعاون مع خليل غانم جريدة نصف شهرية باللغتين التركية والفرنسية باسم (مشورت)، وكان أول رئيس لأول مجلس نيابي في الدولة بعد أن أعيد العمل بالدستور سنة (١٩٠٨م). انظر كلاًّ من: د. عبد العزيز الشناوي ـ الدولة العثمانية: ٣/ ١٥٨٩؛ وساطع الحصري ـ البلاد العربية والدولة العثمانية، ص١٠٥ ـ ١٠٦.

بأوروبة وبأفكارِ الثورة الفرنسية، وقد كانت هذه الجمعيـاتُ تُدار بأيـدي الماسونية العالمية.

ومن الأمـور السـيئة في الأوضـاع الداخلية أيضاً: وجودُ رجالٍ كان لهم دورٌ خطيرٌ في الدولة، قد فُتنوا بأوروبة وبأفكارها، وكانوا بعيدين عن معرفة الإسلام، ويتّهمون الخلفاء بالحكم المطلق، ويطالبون بوضع دستور للدولة على نمط الدول الأوروبية النصرانية[1]، ويرفضون العمل بالشريعة الإسلامية.

«ولم يقتصر عملُ الدول الغربية تجاه الدولة العثمانية على التآمر عليها، والحروب معها، واقتطاع أجزاء منها، ومحاولة إنهائها فحسب... بل كانوا يعملون جادين في الجبهة الداخلية لتقويضِ الدولة من الداخل كذلك»[2].

ويتّضحُ لنا ذلك جلياً عند مطالعة مذكرات السلطان عبد الحميد التي قال فيها: «وكما استغل الإنكليز غفلةَ أعضاء تركية الفتاة عن طريق المحافل الماسونية؛ بدأَ الألمانُ يفعلون هذا مع الفريق الآخر منهم، وعن طريق المحافل الماسونية أيضاً. وبهذا الشكل سيطر الألمانُ على تشكيل تركية الفتاة في سالونيك[3]، وسيطر الإنكليز على تشكيل تركية الفتاة في مناستر[4]، كان

(١) أمثال مدحت باشا وغيره.

(٢) مصطفى محمد ـ الحركة الإسلامية الحديثة في تركية، ص٤٩.

(٣) سالونيك: مدينة رومية قديمة جداً، تقع جنوب بلاد مقدونية على بحر الأرخبيل، كانت تُسمَّى (ترما)، ثم أُطلق عليها اسم (تسالونيك)، ثم حُرِّف إلى (سالونيك) أو (سلانيك). انظر: محمد فريد بك ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٣٣.

(٤) مناستر: بلدة يوغسلافية، تسمى اليوم (بيتولا) Bitola وتقع بالقرب من =

الإنكليز يثيرون عليَّ اتحاديي مناستر، ويثير الألمان عليَّ اتحاديي سالونيك كانوا يعملون على قيام انقلاب للاستيلاء على الدولة من الداخل...»[1].

وفي وسط هذه التيّارات والأمواج المتلاطمة تقلّد السلطان عبد الحميد الحكم، وكان عليه أن يسيرَ بالدولة إلى شاطئ النجاة والأمان، دون أن يعرّضها للخطر. وقد أدرك ـ رحمه الله ـ بما أنعمَ الله عليه من ذكاءٍ وفطرةٍ أهدافَ الأعداء وأطماعهم، فتحمّل المسؤولية بكلِّ قوة وحكمة، وبدأ في العمل بكل أناةٍ ورويةٍ وفق السياسة الآتية:

أولاً: حاول كسب بعض المناوئين له، واستمالتهم إلى صفه بكُلِّ ما يستطيع.

ثانياً: دعا جميعَ مسلمي العالم في آسية الوسطى وفي الهند والصين وأواسط إفريقية وغيرها إلى **الوحدة الإسلامية**، والانضواء تحت لواء الجامعة الإسلامية، ونشر شعاره المعروف (**يا مسلمي العالم اتحدوا**)، وأنشأَ مدرسةً للدعاة، سرعان ما انبثَّ خريجوها في أطراف العالم الإسلامي كله الذي لقي منه السلطان كلَّ القبول والتعاطف والتأييد لتلك الدعوة، لكن قوى الغرب قامت لمناهضة تلك الدعوة ومهاجمتها[2].

= الحدود اليونانية الألبانية. انظر: المرجع السابق نفسه.

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد ـ ترجمة محمد حرب، ص٦٩.

(٢) كان أقوى من هاجم الدعوة إلى الجامعة الإسلامية اللورد كرومر، أحد دهاقنة الاستعمار الإنكليزي، الذي حمل على فكرة الجامعة الإسلامية، ودعا الدول الأوروبية في تحريض سافر إلى التجمّع للوقوف في وجه هذه الدعوة. =

ثالثاً: قرّب إليه الكثير من رجال العلم والسياسة المسلمين، واستمع إلى نصائحهم وتوجيهاتهم.

رابعاً: عمل على تنظيم المحاكم، والعمل في (مجلة الأحكام العدلية) وفق الشريعة الإسلامية[1].

خامساً: قام ببعض الإصلاحات مثل القضاء على معظم الإقطاعات الكبيرة المنتشرة في كثير من أجزاء الدولة، والعمل على القضاء على الرشوة وفساد الإدارة[2].

سادساً: عامل الأقليات والأجناس غير التركية معاملة خاصة، كي تضعفَ فكرة العصبية، وغضّ طرفه عن بعض إساءاتهم، مثل الرعب الذي نشرته عصابات الأرمن، ومثل محاولة الأرمن مع اليهود اغتياله أثناء خروجه لصلاة الجمعة، وذلك لكي لا يتركَ أي ثغرةٍ تنفذ منها الدول النصرانية للتدخُّل في شؤون الدولة[3].

= وهاجمها هانوتو المستشرق الفرنسي، وقالوا عنها: إنَّها بؤرة التعصّب الديني، وإنّه ليس القصدُ منها إلاّ تحدّي الدول الغربية المسيحية. انظر: عبد الكريم مشهداني ـ العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركية، ص١٤١.

(١) انظر: محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي: ٨/ ١٨٦ العهد العثماني.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٨٦ ـ ١٨٧.

سابعاً: عمل على سياسة الإيقاع بين القوى العالمية آنذاك، لكي تشتبك فيما بينها، وتسلم الدولة من شرورها، ولهذا حبس الأسطول العثماني في الخليج، ولم يخرجه حتى للتدريب.

ثامناً: اهتم بتدريب الجيش وتقوية مركز الخلافة.

تاسعاً: حرص على إتمام مشروع خط السكة الحديدية، التي تربط بين دمشق والمدينة المنورة، لِمَا كان يراه من أنّ هذا المشروع فيه تقويةٌ للرابطة بين المسلمين، تلك الرابطة التي تمثّلُ صخرةً صلبةً تتحطَّمُ عليها كل الخيانات والخدع الإنكليزية، على حد تعبير السلطان نفسه[1].

السلطان عبد الحميد واليهود:

لمّا عقد اليهودُ مؤتمرهم الصهيوني الأول في (بال) بسويسرة عام (١٣١٥هـ ـ ١٨٩٧م) برئاسة هرتزل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤م) رئيس الجمعية الصهيونية، اتفقوا على تأسيس وطن قومي لهم يكونُ مقراً لأبناء عقيدتهم، وأصرَّ هرتزل على أن تكونَ فلسطين هي الوطن القومي لهم، فنشأت فكرة الصهيونية، وقد اتصل هرتزل بالسلطان عبد الحميد مراراً ليسمحَ لليهود بالانتقال إلى فلسطين، ولكنَّ السلطان كان يرفضُ، ثم قام هرتزل بتوسيطِ كثيرٍ من أصدقائه الأجانب، الذين كانت لهم صلةٌ بالسلطان، أو ببعض أصحاب

---

(١) راجع مذكّرات السلطان عبد الحميد، ص٨، ولقد تم إنجاز هذا المشروع بسرعة على الرغم من مناهضة أوروبة له.

النفوذ في الدولة، كما قام بتوسيط بعض الزعماء العثمانيين لكنّه لم يفلح[1]، وأخيراً زار السلطانَ عبدَ الحميد بصحبةِ الحاخام (موسى ليفي)[2] و(عمانيول قرة صو)[3] رئيس الجالية اليهودية في سالونيك، وبعد مقدمات مفعمة بالرياء والخداع أفصحوا عن مطالبهم، وقدّموا له الإغراءات المتمثلة في إقراض الخزينة العثمانية أموالاً طائلة، مع تقديم هديةٍ خاصة للسلطان مقدارُها خمسة ملايين ليرة ذهبية، وتحالف سياسي يُوقفون بموجبه حملات الدعاية السيئة التي ذاعت ضده في صحف أوروبة وأمريكة. ولكن السلطان رفض ذلك بشدة، وطردهم من مجلسه، وأصدر أمراً بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين.

عندئذ أدركت القوى المعادية ولاسيما الصهيونية العالمية أنهم أمام

---

(١) انظر: محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي: ٨/ ٢٠٠ ـ ٢٠١ العهد العثماني.

(٢) موسى ليفي: ولد سنة (١٢٤١هـ ـ ١٨٢٦م)، حمل لقب (حاخام باشي)، وهو اللقب الرسمي لكبير حاخامي اليهود في الدولة العثمانية فيما بين عامي (١٨٧٤ ـ ١٩٠٨م)، مات سنة (١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م). انظر: أنيس صايغ ـ يوميات هرتزل، ص٥١٨.

(٣) عمانيول قره صو: يهودي إسباني الأصل، من أوائل المشتركين في جمعية (تركية الفتاة) عمل في المجلس النيابي العثماني نائباً عن سالونيك مرةً، وعن الآستانة مرّتين، لعب دوراً مهمّاً في احتلال إيطالية لليبية نظير مبلغ من المال دفعته له إيطالية، واضطرّ نتيجة لخيانته الدولةَ العثمانية أن يهرب إلى إيطالية، ويحصل على حق المواطنة الإيطالية، واستقرّ في (تريستا) حتى مات عام (١٩٣٤م). انظر: محمد حرب عبد الحميد ـ مقدمة مذكرات عبد الحميد، ص٦ ـ ٧.

خصم قـوي وعنيد، وأنه ليس من السهولة بمكان استمالتـه إلى صفها، ولا إغراؤه بالمال، وأنه ما دام على عرش الخلافة فإنّه لا يمكنُ للصهيونية العالمية أن تحقق أطماعها في فلسطين، ولن يمكن للدول الأوروبية أن تحقق أطماعها أيضاً في تقسيم الدولة العثمانية، والسيطرة على أملاكها، وإقامة دويلات لليهـود والأرمن واليونـان، لذا قرروا الإطاحـة به، وإبعاده عن الحكم، «فاستعانوا بالقوى الشريرة التي نذرت نفسها لتمزيق ديار الإسلام، وأهمها الماسونية، والدونمة، والجمعيات السرية (الاتحاد والترقي) وحركة القومية العربية، والدعوة للقومية التركية (الطورانية). ولعب يهود الدونمة دوراً رئيساً في إشعال نار الفتن ضد السلطان»[١].

وكان من وراء الجميع وكالة المخابرات المركزية البريطانية التي كانت تُمسك الخيوط جميعها[٢].

السلطان عبد الحميد والدستور:

كان مدحت باشا الذي يُسمّى (أبا الأحرار) يسعى دائماً إلى إعلان الدستور في الدولة، وقد انتهى هو وحزبُه الحر من إعداد القانون الأساسي، وترتيب نظام مجلس (المبعوثان)[٣] أثناء مدة حكم السلطان مراد الوجيزة، وأخذ وعداً من السلطان عبد الحميد قبل تولّيه عرشَ الخلافة بإعلان الدستور

---

(١) عبد الله التل ـ الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، ص٨٤ ـ ٨٥.
(٢) د. علي حسون ـ تاريخ الدولة العثمانية، ص١٩٧م.
(٣) راجع: الهامش رقم (١)، ص(٩٦ ـ ٩٧) من هذا الكتاب.

ومنح القانون الأساسي[1]. ولمّا تولّى السلطان عرش الخلافة أصدر إرادته السنية بتعيينه صدراً أعظم في ٤ من ذي الحجة (١٢٩٣هـ) = ٢١ كانون الأول (ديسمبر) (١٨٧٦م) بدلاً من محمد رشيد باشا، الذي استعفى من هذا المنصب بسبب تقدم سنه، ووهن قواه عن مزاولة أعماله. وبعد تعيينه بأربعة أيام صدر إليه (مرسوم سلطاني) مرفق معه القانون الأساسي للدولة مشتمل على مئة وتسع عشرة مادة، يأمره بنشر هذا القانون في جميع أنحاء الدولة، ومباشرةِ العمل بأحكامه من يوم نشره، وأُعلن القانون الأساسي بالآستانة، وقُرئَ في مجمع حافل يوم ٧ ذي الحجة (١٢٩٣هـ) ـ ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) (١٨٧٦م)[2].

وما لبثَ السلطان عبد الحميد أن عزلـه من منصبـه في ٢١ المحـرم (١٢٩٤هـ) = ٥شباط (فبراير) (١٨٧٧م)، حيث تبيَّن له أنّه كان يؤيد جمعية (تركية الفتاة) ويعمل لنشر أفكارها، وأنّه كان على صلة بالإنكليز. هذا بالإضافة إلى أنه كان يسعى لعزله، وإعادة أخيه مراد إلى السلطة بعدما أُشيع أنّه

---

(١) انظر: محمد فريد بك ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٧٠٢ ـ ٧٠٣.

(٢) كان أهم ما جاء فيه: أنَّه ضَمِنَ لجميع رعايا الدولة الحريةَ والمساواةَ أمام القانون، وأباحَ حريةَ التعليم مع جعله إجبارياً على جميع العثمانيين، وأعطى الحرية للمطبوعات، وبيَّن اختصاصات مجلسي (المبعوثان) و(الأعيان) وكيفيةِ الانتخاب، وقرّر أنَّ جميعَ الرعايا يُطلق عليهم اسم (عثماني)، وأنَّ الدين الرسمي للدولة هو دين الإسلام، واللغة الرسمية اللغة التركية، وأنَّ الدولةَ جسمٌ واحدٌ لا يمكن تفريقه أو تجزئته، كما بيَّن كيفية نظام الولايات وحدود المأمورين. انظر: المرجع السابق، ص٥٩٠ ـ ٥٩١.

قد عُوفي، وأيضاً كان ينادي بفصل الدين عن الدولة.

وأُسندت الصدارة العظمى إلى أدهم باشا[١]. «واستمر اجتماع مجلس النواب العثماني إلى أن قرر السلطان بالاتحاد مع جميع أعيان الدولة وجوب إرجاء اجتماعه لأجلٍ غير محدد، لعدم ملاءمة الظروف لوجوده، وأُعلن ذلك رسمياً يوم ١٢ صفر (١٢٩٥هـ) = ١٤ فبراير (١٨٧٨م)»[٢].

وعَطّلَ السلطان الدستور بعد أن تبيّن له أن أنصاره[٣] ممن يعادي الشريعة الإسلامية، وبعد أن تيقَّن أيضاً أن غاية الدول الغربية من مطالبتها الدولة بإعلان الدستور ليست هي العدالة والمساواة كما تزعم، بل غايتها القضاء على الخلافة والسلطنة وإنهاكها وتفريق شملها.

«وظل القانون الأساسي ـ تحت هذه الظروف ـ معلقاً والحياة الدستورية معطلةً مدّةً تزيد على ثلاثين عاماً حتى سنة (١٩٠٨م)، نشطت خلالها الجمعيات السرية المناهضة للسلطان خارج البلاد وعلى صفحات الصحف الأجنبية، التي تدخل البلاد سراً عن طريق مكاتب البريد والقنصليات والإرساليات الأجنبية العاملة في سالونيك وغيرها من المدن القريبة من الدول الغربية، وكانت جميعها تطالب بضرورة الإصلاح»[٤].

---

(١) انظر: محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي: ٨/ ١٨٨ العهد العثماني.

(٢) محمد فريد بك ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٦٤٧.

(٣) أي الدستور.

(٤) جميل المعلوف ـ تركية الجديدة، ص١٢٨.

وقد نجحت جمعية (الاتحاد والترقي) بوسائلها المختلفة في إلهاب عواطف الجماهير، واستغلال الظروف لصالحها، حتى أمكنها ضمَّ الجيش الثالث كله إلى صفوفها في ليلة ٢٤ جمادى الآخرة (١٣٢٦هـ) = ٢٣ تموز (يوليو) (١٩٠٨م)، وعندئذٍ أرسلت إلى السلطان عبد الحميد تطالبه بإعلان الدستور في ظرف أربع وعشرين ساعة، وإلا تحركَ الجيشان الثاني والثالث لاحتلال العاصمة.

وهنا اضطر السلطان إلى إصدار الدستور في الموعد المحدد، وتمت الانتخابات، ثم افتُتِحَ البرلمان في ذي القعدة (١٣٢٦هـ) = كانون الأول (ديسمبر) (١٩٠٨م)[١].

ثم تواكبت أحداثٌ كثيرةٌ أخرى؛ أدَّت إلى قيام انقلاب في ٢٣ ربيع الأول (١٣٢٧هـ) = ١٣ نيسان (إبريل) (١٩٠٩م) في عاصمة الخلافة، حصل فيه اضطراب كبير، وقُتِلَ فيه بعض عساكر جمعية (الاتحاد والترقي)، عُرِفَ الحادث في التاريخ باسم (حادث ٣١ مارت).

وعلى إثرِ هذا الانقلاب زحفَ الجيش المرابط في سالونيك إلى الآستانة بقيادة محمود شوكت باشا (١٨٥٨ ـ ١٩١٣م) وانضم إليه كثيرٌ من المتطوعين، معظمهم من اليهود والبلغار ـ الذين كوّنوا فرقةً كاملةً، انضمت إلى الجيش ـ ودخلوا الآستانة عاصمة الخلافة، وأحاطوا بقصر السلطان،

---

(١) انظر: أحمد السعيد سليمان ـ التيارات القومية والدينية في تركية المعاصرة، ص٣٣ ـ ٣٤.

واتفقوا على خلعه، ثم شكلت جمعية الاتحاد والترقي لجنةً رباعيةً ـ يندى لها الجبين ـ لإبلاغ السلطان بقرارِ الخلع، كان أعضاؤهـا من اليهود واليونـان والأرمن، وعلى رأسهم **عمانويل قره صو** الماسوني المشهور، وقد دخلوا على السطان عبد الحميد وأبلغوه بقرار الخلع.

«وكان قرار الخلع قـد عُـرِضَ على شـيخ الإسـلام[1] (في الدولـة) لتصديقه، حتى يأخذ صفته القانونية، وقد صَدَّقَ الشيخ عليه وهو مُحاط بحراب البنادق»[2].

وهكذا خُلِعَ السلطان عبد الحميد بعد أن حكمَ الدولة العثمانية أكثر من ثلاث وثلاثين سنة، استطاعَ خلالها أن يُؤَخّر سـقوط الدولـة ثلث قـرن من الزمان، وقد قَدَّمَ خلال هذه المدة تضحيات كبيرة للأمة الإسلامية، وخدمات جليلة للدولة العثمانية في شتّى المجالات: الثقافية والتعليميـة والصحيـة والزراعية والصناعية والإصلاحات العسكرية ووسائل الاتصال.



---

(١) هو الشيخ ضياء الدين أفندي.

(٢) د. آلماوتلين ـ عبد الحميد ظل الله على الأرض ترجمة: راسم رشدي، ص٢٠٠.

المرحلة الثانية

حكم الاتحاديين

الاتحاديون هم أعضاء جمعية (الاتحاد والترقي) الذين تولوا السلطة في الدولة العثمانية بعد إعلان الدستور الثاني عام (١٩٠٨م).

وجمعية (الاتحاد والترقي) هي امتدادٌ لجمعية (تركية الفتاة)؛ لذا فإن المؤرِّخين يطلقون اسم (تركية الفتاة) على بدايات الحركة، خاصة حينما كان معظم نشاطها في أوروبة، ولما انتقل نشاطها إلى داخل البلاد، وانضم إليها العسكريون خاصةً، صار يُطلق عليها اسم (الاتحاد والترقي).

ويُرجع بعض الباحثين بداية ظهور تلك الجمعية إلى عهد السلطان عبد العزيز، حيث قامت في عهده جماعة صغيرة من الذين يُسمون (الأحرار)، وذلك بوحي وتأثيرٍ من الآراء والأفكار الغربية، وأنشؤوا لهم في عام (١٢٨١هـ = ١٨٦٤م) مجلةً في لندن باسم (حُرِّيَتْ)، ثم ما لبثوا أن انضم إليهم بعض الشخصيات المرموقة أمثال: نامق كمال[١]، وضياء

---

(١) نامق كمال: أديب تركي شهير، وُلد سنة (١٨٤٠م) في (رودستو)، درس اللغة العربية والفارسية والفرنسية، وأُعجب في شبابه بالزعيم والمفكّر التركي (إبراهيم شيناسي) وانضمَّ إلى رئاسة تحرير مجلته (تصوير أفكار)، وفي سنة (١٨٦٥م) أصبحَ مسؤولاً عن تحرير المجلة، واشتهر أديباً وصحفياً سياسياً، له مؤلّفات عديدة، منها: (المنثور والمنظوم) و(الأوراق المبعثرة)، توفي عام=

باشا[1]، ومصطفى فاضل باشا[2]، وغيرهم[3].

وفي سنة (١٣٠٦هـ = ١٨٨٩م) كَوَّنَ جماعةٌ من طلبة المدرسة الطبية العسكرية الإمبراطورية في الآستانة منظمةً ثوريةً هدفُها الواضحُ عزل السلطان عبد الحميد.

إنَّ تكوين هذه الجماعة الذي يُحدِّد البداية الحقيقية لحركة (تركية الفتاة)

= (١٨٨٨م) في جزيرة (خيوس). انظر كلاً من: أبو الحسن الندوي ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص٤٨؛ والموسوعة العربية الميسرة: ١٨١٨/٢.

(١) ضياء باشا: من روّاد الأدب التركي الحديث، وُلد سنة (١٨٢٥م)، ونَظم الشعرَ باللغتين التركية والفارسية، انتقل إلى أوروبة سنة (١٨٦٩م)، وأصدر فيها مع عبد الله جودت جريدتي (المخبر) و(الحرية)، ومن آثاره الأدبية: كتاب (خرابات)، ورسالة (رؤيا)، و(ظفر نامه). توفي في (أضنة) في شهر آذار (مارس) (١٨٨٠م). انظر: حسين مجيب المصري ـ تاريخ الأدب التركي، ص٣٩٥ـ٤٠٤.

(٢) مصطفى فاضل بن إبراهيم باشا: حفيد محمد علي باشا والي مصر، وُلد في القاهرة سنة (١٨٢٨م)، تقلَّدَ عدة وزارات ومأموريات عليا في الدولة العثمانية، فَقَدَ حقَّه في الخديوية بسبب تغيّر النظام في وراثة عرش مصر، فأقامَ في باريس عام (١٨٦٧م)، وقَدَّمَ الدعم المادي والمعنوي لأعضاء جمعية (تركية الفتاة) هناك. توفي في إستانبول عام (١٨٧٥م).

Ebuzziya Tevfik - Yeni Osmanlilar Tarihi, S789.

(٣) انظر: د. أرنست أ. رامزور ـ تركية الفتاة، ص٣٩ـ٤٠.

ضد السلطان عبد الحميد كان وراءه رجل ألباني اسمه (إبراهيم تيمو)[1]، كان قد قضى في المدرسة الطبية العسكرية بضع سنوات طالباً، استطاع خلالها أن يتعرّفَ عدداً من الطلاب الذين يأتلف فكرهم مع فكره.

وفي شهر رجب (١٣٠٦هـ)= آذار (مارس) (١٨٨٩م) تباحث تيمو مع ثلاثة من هؤلاء الطلاب وهم: إسحاق سكوتي[2]، ومحمد رشيد الشركسي، وعبد الله جودت[3]، واقترحَ عليهم أن يكوّنوا جمعيةً وطنيةً سريةً، وقد أصبح

---

(١) إبراهيم بن مراد تيمو: ولد في آذار (مارس) (١٨٦٥م) في بلدة (ستروغا) قرب حدود يوغسلافية (سابقاً) مع ألبانية، من أب ألباني الأصل، تلقّى تعليمه الأوّلي في بلدته، ثم انتقل إلى إستانبول، والتحق بالمدرسة الطبية العسكرية عام (١٨٨٦م)، ولمّا تخرَّج فيها بعد سنتين التحق بالكلية الطبية العسكرية، وتخرّج فيها طبيباً للعيون عام (١٨٩٣م)، هرب إلى رومانية عام (١٨٩٥م)، وأصدر فيها مجلة (صدى الملة)، ولمَّا أُعلن الدستورُ العثمانيُّ عام (١٩٠٨م) عاد إلى إستانبول، وأسّس فيها (الحزب العثماني الديمقراطي)، مات في (مجيدية) برومانية في آب (أغسطس) (١٩٤٥م). انظر: د. حسن كلشي ـ الوجه الآخر للاتحاد والترقّي، ص٢٠ ـ ٥٣.

(٢) إسحاق سكوتي: كردي، ثوري، ومن المؤسّسين لجمعية (تركية الفتاة)، قبضت عليه الحكومة العثمانية سنة (١٨٩٥م)، ونفته إلى جزيرة (رودس)، ولكنّه استطاع أن يهرب منها، ويفر إلى باريس، أنشأ مع عبد الله جودت صحيفة جديدة لتركية الفتاة في جنيف سمّياها (عثمانلي)، عُيِّن طبيباً عسكرياً في السفارة العثمانية في رومة سنة (١٩٠٠م)، وبعدها بسنتين توفي في (سان ريمو). انظر: د. أرنست أ. رامزور ـ تركية الفتاة، ص٥٨، ٨٢، ٨٣.

(٣) عبد الله جودت: ولد في (عربكير) قرب ديار بكر عام (١٨٦٩م)، تخرَّج في=

هؤلاء الأربعة نواة منظمة سرعان ما جذبت إليها طلاباً آخرين. وبعد أمد قصير انضم إليهم شرف الدين مغمومي، وشفيق الكريتلي، وجودت عثمان، وكريم سيباطي، وصبري المكلي، وناظم السالونيكي[١]، وغيرهم[٢].

وكان تنظيم الجمعية على طراز جمعية (الكاربوناري) الإيطالية، التي تكوّنَت في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، من حيث طريقة معرفة الأعضاء بعضهم بعضاً، وذلك باستعمال الأرقام الكسرية، وتَتكوَّن هذه الأرقام من ترقيم كلّ خلية جديدة في المنظمة بإعطاء رقم لكل عضو في تلك الجماعة، فكان رقم الخلية أو الفرع هو المقام، ورقم العضو البسط[٣].

= المدرسة الطبية العسكرية، ثم أُبعد إلى (ليبية) عام (١٨٩٢م) بسبب أنشطته السريّة، وفي عام (١٨٩٧م) هرب إلى أوروبة، وأصدر من (جنيف) مجلته المشهورة (اجتهاد)، تبنّى مبادئ إلحادية ومادية معادية للإسلام، مات في ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٣٢م).

Behcet Necatigil - Edebiyatimizda Isimler Sozlugu,s 10.

(١) ناظم السالونيكي: رجل سياسة، وُلد بسالونيك سنة (١٨٧٠م)، درس الطبّ في الدولة العثمانية، ثم أكمل دراسته بفرنسة، عُيِّن أميناً عاماً لجمعية (الاتحاد والترقّي) سنة (١٩١١م)، وعمل وزيراً للمعارف عام (١٩١٨م)، أُعدِمَ عام (١٩٢٦م) بأزمير بعد ظهور علاقته بمؤامرة ضد أتاتورك. انظر: محمد حرب ـ مذكرات السلطان عبد الحميد، ص١٤٠.

(٢) انظر: د. أرنست أ. رامزور ـ تركية الفتاة، ص٤٩ ـ ٥٠.

(٣) ولتوضيح ذلك نقول: إنَّ العضو الخامس في الخلية السابعة كان يدخل في قائمة الجمعية برقم (٥/ ٧)، وكان رقم إبراهيم تيمو منشئ الحركة (١/ ١). انظر: المرجع السابق، ص٥٠.

ثم انتشرت هذه الحركة في المدرسة الطبية بسرعة، وامتدت إلى المدارس العالية الحكومية الأخرى في الآستانة كالكلية العسكرية، ومدرسة البيطرة، والكلية الملكية، ثم انضمّ إليها بعض الشخصيات البارزة ذات النفوذ.

وفي سنة (١٨٩٤ ـ ١٨٩٥م) أخذ أعضاء هذه الحركة يهربون إلى أوروبة حيث تَركَّز معظمهم في باريس.

وفي سنة (١٨٨٩م) انضم إلى الجمعية في باريس أحمد رضا الذي قُدِّرَ له فيما بعد أن يصبحَ أشهرَ رجال تركية الفتاة في أوروبة، وأصدر صحيفة في باريس باسم (مشورت)، أصبحت فيما بعد الصحيفة الرسمية لجمعية الاتحاد والترقي[1].

وهكذا استمرت تلك الجمعية ـ عبر السنين ـ في توسيع نطاقها، وزيادة تحركاتها ونشاطها، إلى أن استطاعت ـ كما سبق ـ أن تُعلنَ الدستور، وتخلع السلطان عبد الحميد من عرشه، وعندئذٍ بدأت في تحقيق أغراضها ومطامعها.

ولقد كانت القوى العالمية المعادية للإسلام والمسلمين وراء هذه الجمعية، تدعمها بكل ما تستطيع، يقول السلطان عبد الحميد في (مذكراته): «لابدّ للتاريخ يوماً أن يفصِحَ عن ماهية الذين سموا أنفسهم (الأتراك الشبان) أو (تركية الفتاة) وعن ماسونيتهم، استطعتُ أن أعرف من تحقيقاتي أنّهم كلهم تقريباً من الماسون، وأنّهم منتسبون إلى المحفل الماسوني الإنكليزي، وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل، ولابـدّ للتاريخ أن يفصحَ عن هذه

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٥٣ ـ ٥٦.

المعونات، وهل كانت معونات إنسانية أم سياسية»[١].

ولم يكن في عهد السلطان عبد الحميد إلا محفل ماسوني واحد للأجانب، أمَّا في عهد الاتحاديين فقد أرادت الماسونية أن تنتفع من إطلاق الحريات، فأُنشئت المحافل الماسونية في أنحاء الدولة، وقام الدكتور **اليهودي جاك سهامي** باقتباس مبادئ محفل المشرق الأعظم الفرنسي ومبادئ المحفل الأكبر الإنكليزي، وكَتَبَ أُسسَ الماسونية باللغة التركية، وأعقبها بكتاباتٍ كثيرة عن الماسونية[٢].

وكانت جمعية الاتحاد والترقي تعقد اجتماعاتها في بيوت اليهود المنتمين إلى الجمعيات الماسونية الإيطالية، إذْ إنَّ جنسياتهم الإيطالية تحميهم بحكم المعاهدات والامتيازات الأجنبية من الخضوع لأوامر القبض التي يُصدرها السلطان، ومن تفتيش البوليس لمنازلهم، أو محاكمتهم أمام محاكم الدولة، لأن لهم محاكمهم القنصلية الخاصة. ومن ثَمَّ دأب أعضاء الاتحاد والترقي على الاحتماء بحصانة هؤلاء اليهود، فكانوا يجتمعون في بيوتهم آمنين من كل خطر، وكانوا يتلقون الإعانات المالية الوافرة من مختلف الجهات، ويتّصلون اتصالاً منظماً باللاجئين السياسيين خارج البلاد[٣].

لقد كانت الأدمغة الحقيقية التي لعبت الدور الأكبر في ترسيخ وتقوية

---

(١) مذكّرات السلطان عبد الحميد، ص٤٩.
(٢) انظر: الجنرال جواد رفعت أتلخان ـ أسرار الماسونية، ص٦٠.
(٣) انظر: أرمسترونج ـ الذئب الأغبر، ص٢٩.

(تركية الفتاة) أدمغة يهودية، وقد جاءت مساعداتها المالية من (يهود الدونمة) الأغنياء، ومن يهود سالونيك، ومن الرأسماليين العالميين في فيينة وبرلين وباريس ولندن[1].

خطة الاتحاديين في الحكم والإدارة:

تولّى الاتحاديون زمامَ الحكم في الدولة العثمانية بعد إعلان الدستور الثاني عام(١٩٠٨م)، ولكنهم في بادئ الأمر لم يتسلّموا الحكمَ مباشرة بالرغم من أكثريتهم البرلمانية، فلم يشتركوا في وزارة كامل باشا[2] ـ التي تألّفت بعد إعلان الدستور ـ إلا بوزيرٍ واحدٍ، وذلك ليظهروا بمظهر السلطة غير المسؤولة، ولكي يُديروا الأمور بالخفاء، مع إلقاء مسؤولية الأخطاء على غيرهم، وقد حرصوا على وضع السلطان والصدر الأعظم تحت الرقابة الشديدة.

وكانت لجنتهم المركزية في سالونيك هي المسيطرة على الأمور، مع التزامها بالصفة السرية، وكان أعضاءُ اللجنة المركزية المعروفون لدى الناس يجتمعون يومياً بأعضاء الحكومة، ويُمْلُون عليهم إرادة الجمعية، وكانت

---

(١) انظر: د. أرنست أ. رامزور ـ تركية الفتاة، ص٢٠٠.

(٢) كامل باشا القبرصي: وُلد سنة (١٨٣٢م) ـ وقيل: (١٨٢٦م) ـ في مدينة (لَفْقُوشَة) بقبرص، انتقل إلى مصر سنة (١٨٤٧م)، ودرس في المدرسة العسكرية بها، وفي سنة (١٨٥١م) انتقل إلى الآستانة، ثم عُيِّن مديراً للأوقاف بقبرص، ثم وزيراً للأوقاف، ثم تولّى رئاسة الوزارة في الدولة العثمانية أيام تمرُّد البلغاريين، توفي سنة (١٣٣١هـ = ١٩١٣م) بقبرص. انظر: زكي مجاهد ـ الأعلام الشرقية: ١/ ٩٨ ـ ٩٩.

أنديتهم في الأقاليم تسيرُ على هذا النهج نفسه، إذ تُمْلِي إرادتها على الولاة والموظفين في الولايات والأقضية، ويتدخَّلُ أفرادُها في شؤون الإدارة، ويطلبون إقالة الموظفين الذين لا يرغبون فيهم، وإلا استصدروا الأوامر بواسطة لجنتهم المركزية بعزل كل من يعترض إرادتهم[1].

وكان مؤتمرهم العام - الذي عُقِدَ سنة (١٩٠٨م) بعد الدستور - قد صَوَّتَ على انتخاب أول لجنة مركزية مؤلفة من ثمانية أشخاص من بينهم: **أحمد رضا بك، وأنور بك، وطلعت بك، ومدحت شكري بك**، وهذه اللجنة هي التي تُقرر الخطةَ التي يجبُ السيرُ عليها، وتعمل على تنفيذها، إما بالاتصال بالصدر الأعظم والوزراء، وإما بالإيعاز إلى حزبها البرلماني في المجلس الذي كان يَنوب عن الجمعية في رئاسته شخصيةٌ مرموقة من المبعوثين الاتحاديين[2].

ولما مضى أكثر من ستة أشهر على تكوين وزارة كامل باشا رأى الاتحاديون أنّ كامل باشا بشخصيته القوية وبعزمه على إصلاح الإدارة والقضاء على المفاسد قد تزايدَ نفوذُه بتجمّع العناصر غير التركية حوله، فتوجّسوا منه خيفةً، فعملوا على الإطاحة به وبوزارته، مما جعل الفئات المعتدلة من الشعب التي كانت تُؤَيّدُ وزارته بالإضافة إلى العناصر غير التركية من ألبان وإغريق وأرمن تقوم بمعارضتهم، وبشن هجوم قوي ضدهم، وانضم إليهم

---

(١) انظر: توفيق علي برو - العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، ص١١٧ - ١١٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١١٨.

المتدينون من الترك بصفة خاصة، الذين أنشؤوا لأنفسهم جمعية باسم (اتحاد محمدي)[1] حيث كون هؤلاء مع المعارضين السابقين جبهة معارضة لحكم الاتحاديين، وزاد في النقمة العامة عليهم قيامهم باغتيال بعض الصحفيين المعارضين لهم[2]، مما أدى في النهاية إلى قيام ثورة كبيرة ضدهم في عاصمة الخلافة، حدث فيها اضطراب كبير، وقُتل أناس كثيرون في ١٣ نيسان (أبريل) (١٩٠٩م) المعروف بيوم ٣١ مارت ـ كما سبق الحديث عنه ـ لكنّ الاتحاديين سرعان ما اجتمعوا، ونَظّموا صفوفهم، وأعادوا حكم البلاد إلى أيديهم.

لقد تعاقب على مقام الخلافة في الدولة العثمانية أثناء حكم الاتحاديين الذي استمرّ عشر سنوات ثلاثةُ سلاطين[3]: السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢م - ١٩١٨م)، ومحمد رشاد (الخامس) (١٨٤٤م ـ ١٩١٨م)، ومحمد وحيد الدين (السادس) (١٨٦١م ـ ١٩٢٦م) لم يكن لهم من السلطة

---

(١) (اتحاد محمدي): جمعية دينية تكوَّنت في الآستانة، وأُعلن تكوينها في ١٤ ربيع الأول (١٣٢٧هـ) = ٥ نيسان إبريل (١٩٠٩م) بعد اجتماع ديني حاشد في جامع (أياصوفية)، وكان في مقدّمته الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، وقد أُنشئت هذه الجمعية لمجابهة الجمعيات والمنظّمات الماسونية في الدولة خصوصاً جمعية (الاتحاد والترقي). انظر: علي محيي الدين القره داغي ـ مقدمة كتاب (الإنسان والإيمان) لبديع الزمان سعيد النورسي، ص٣٢.

(٢) أمثال: حسين فهمي، وأحمد حميم.

(٣) تسعة أشهر وخمسة أيام من خلافة عبد الحميد الثاني، وطوال مدة خلافة محمد رشاد، التي استمرَّت زهاء تسع سنوات، وبضعة أشهر من خلافة محمد وحيد الدين.

في عهد الاتحاديين إلا الاسمَ فقط، حيثُ سيطرَ الاتحاديون على كلّ الأمور، وتلاعبوا بالمجلس النيابي، وبالانتخابات، وبالقانون أيضاً، ذلك أنهم قاموا بتعديل مواد دستور (١٨٧٦م)، فقد أجروا هذا التعديل قُبيل الانقلاب المضاد لهم وبعده، وصُودق عليه من قِبَلِ السلطان محمد رشاد في ١٢ شعبان (١٣٢٧هـ) = ٢٨ آب (أغسطس) (١٩٠٩م).

ويمكن لنا أن نحدّدَ سياستهم التي ساروا عليها في حكمهم للبلاد بما يلي:

١ ـ الاستبداد:

لقد كان هناك ثلاثة قواد بارزين في جمعية (الاتحاد والترقي) تحكّموا في مصير الدولة، وهم: طلعت باشا[1]، وأنور باشا[2]، وجمال

(١) محمد طلعت باشا: وُلد بأدرنة عام (١٨٧٤م)، درس القانون بسالونيك مدةً من الزمن، تقلّد مناصبَ عديدة بالدولة العثمانية، وقَدَّم خدمات كبيرة لجمعية (تركية الفتاة). ولما انهزمت الدولة في الحرب العظمى سنة (١٩١٨م) هرب إلى ألمانية حيث قُتل هناك في ١٥ آذار (مارس) (١٩٢١م). انظر: د. علي حسون ـ تاريخ الدولة العثمانية، ص١٩٢.

(٢) أنور بن أحمد باشا: وُلد بالآستانة عام (١٢٩٩هـ= ١٨٨١م)، تخرَّج في الكلية الحربية بالآستانة برتبة (رئيس)، وعُيِّنَ في الفيلق الثالث بسالونيك، ثم عُيِّن في أركان الفيلق الثالث عشر بمناستر، وانضمَّ هناك إلى جمعية الاتحاد والترقّي، تقلّد عدة مناصب عسكرية، وحكم البلاد مع طلعت وجمال، حتى انهزام الدولة بالحرب العظمى، حيث فرَّ خارجَ البلاد، وتنقَّل بين ألمانية =

باشا[1]، وكانت شعارات جمعيتهم (الاتحاد والترقي) (الحرية ـ والعدالة والمساواة)، ولكنهم خدعوا الأمة بهذه الشعارات، حيث قضوا على الحرية باسم الحرية، وعلى العدالة باسم العدالة، وعلى المساواة باسم المساواة، ودأبوا على الاستبداد في الرأي والحكم، فلم يقبلوا مشاركة من أحد ولا مشورة، وقاموا بالاغتيالات السياسية للمعارضين لهم، وأوقفوا الجرائد المناوئة لهم، وتلاعبوا بالانتخابات لصالحهم، واستخدموا فيها كلَّ ألوان الضغط والحيل والإكراه، ولم يستندوا فيها على القوة المشروعة غير المسلحة (الانتخاب)، التي تَستند إليها الأحزابُ السياسية عادةً، بل كان منبعُ القوة لحزبهم عبارة عن الجيش، الذي كان في عهدهم بمنزلة الآلة وقوة الظهر لسياستهم[2].

= وموسكو وبرلين، قتله الروس في (سمرقند) عام (١٩٢٢م). انظر: محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي: ٨/ ٢٠٠ العهد العثماني.

(١) أحمد جمال باشا: وُلد سنة (١٢٩٠هـ = ١٨٧٣م)، تخرَّج في المدرسة العسكرية بالآستانة، تقلَّد عدة مناصب عسكرية بالدولة، وصار يترقَّى فيها إلى أن عُيِّنَ وزيراً للبحرية العثمانية، وقائداً للجيش الرابع في بلاد الشام، واتخذ من دمشق مقرّاً لقيادته، ولما انهزمت الدولةُ في الحرب العظمى هرب مع بقية الزعماء الاتحاديين خارجَ البلاد، وتنقَّلَ بين ألمانية وسويسرة وروسية وأفغانستان، قتله الأرمن في (تفليس) عاصمة جورجية في ٢٥ ذي القعدة (١٣٤٠هـ) = ١٩ تموز (يوليو) (١٩٢٢م). انظر: زكي مجاهد: الأعلام الشرقية: ١/ ٥٠ ـ ٥١.

(٢) انظر: مصطفى صبري ـ النكير على منكري النعمة، ص١١٨.

ولما ظهر (حزب الحرية والائتلاف)[1] الذي ضمَّ كلَّ المعارضين لحزب (الاتحاد والترقي)، وفاز عليه في الانتخابات بأغلبية صوت واحد، سارع الاتحاديون إلى حلّ البرلمان، وقبل أن يَحُلّوه مهدوا الطريق لذلك بأن قاموا بتعديل المادة (٣٥) من القانون الأساسي تعديلاً آخر غير التعديل الذي قاموا به في أول حكمهم[2].

ويُصَوِّر لنا حقيقةَ ما كان يجري في عهد الاتحاديين، الذي كان يُسمى

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا الحزب وعن أعضائه وتاريخ تأسيسه في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٢) تنصّ هذه المادة في القانون الأساسي الأصلي الذي وُضِعَ عام (١٨٧٦م) على إعطاء السلطان الحقّ في حل (مجلس المبعوثان) أو إقالة (مجلس الوزراء) في حالة خلافهما على أمر ما، وإصرار الوزراء على وجهة نظرهم بعد رفضها من قِبَل المجلس.
ثم عَدَّلوا هذه المادة في أول حكمهم بأن قيّدوا حقّ السلطان في حل (مجلس المبعوثان) برأي أعضاء (مجلس الأعيان)، كما حدَّدوا بدقّة شروط حلّ المجلس. غير أنَّ الاتحاديين لمّا رأوا أنَّ مقاليدَ الأمور ستؤول إلى الحزب المعارض لهم (حزب الحرية والائتلاف) ـ وهذا في غير صالحهم ـ اتّفقوا على حل المجلس، ولكنَّ المادة (٣٥) من القانون لا تعطيهم الحق في ذلك، فقاموا بتعديلها مرةً أخرى، وذلك بإعادتها إلى نصّها السابق، حتى يختصروا الطريق لأنفسِهم، وقد عارضهم خصومُهم في ذلك معارضةً شديدةً، ولكنَّهم استطاعوا أن يقوموا بذلك بالقوة. انظر: توفيق علي برو ـ العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، ص٣٧٢ ـ ٣٧٣.

(عهد الحرية) بعضُ المعاصرين لهم، ممن شهدوا الأحداثَ بأنفسهم أمثال: الجنرال جواد رفعت أتلخان[1]، ومصطفى طوران. فيقول أتلخان: «في الواقع إن جمعية الاتحاد والترقي، التي خلعت السلطان عبد الحميد عن عرشه هي التي أقامت الاستبداد بعد ذلك، وشهدت البلادُ من المآسي ما لم تشهده خلال ثلاث وثلاثين سنة من حكم السلطان... ولفظ مواطنون مخلصون كثيرون أنفاسَهم الأخيرة على أعوادِ المشانق، التي نُصِبَتْ في مختلف أنحاء البلاد...»[2].

ويقول طوران مبيِّناً ما جرى للأمة بعد إعلان الاتحاديين للحرية: «لقد رأت أجيالنا فيما بعدُ أيَّ شيء هذه الحرية، عاشت مصائب ونكبات خُنِقَ فيها البشر كالكلاب على أعواد المشانق، وطُعِنَ الأبطال بالحراب في صدورهم، وشهدت الأرضُ - التي أقسمَ جيشُها على تحقيق الحرية - حمامات الدم والإبادة الجماعية، كلُّ ذلك كان في عهد الحرية»[3].

---

(١) جواد رفعت أتلخان: وُلد بالآستانة عام (١٨٩٢م)، وتخرَّج ضابطاً في الكلية الحربية عام (١٩١٢م)، ورُقِّي إلى رتبة (جنرال) عام (١٩٢٠م)، كان شجاعاً متمسّكاً بإسلامه، معتزّاً به، عُيِّن مديراً لمكتب (الاستخبارات العسكرية) في القيادة العامة للجيش الرابع العثماني بسورية، فعمل على كشف شبكات التجسّس الصهيونية، وأشرف بنفسه على كشف أوكار اليهود، ومحاكمة جواسيسهم وقتلهم، أسس عدة صحف منها: (الثورة الوطنية) و(المستقبل الجديد)، ومن مؤلّفاته: (أسرار الماسونية) و(الجاسوسية اليهودية في فلسطين). انظر: عبدالله التل-الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، ص١٠٧.

(٢) أسرار الماسونية، ص٥٨.

(٣) أسرار الانقلاب العثماني، ص٥٥.

٢ ـ الدعوة إلى الجامعة الطورانية:

لقد اختلفت اتجاهات القادة الاتحاديين الثلاثة في بادئ الأمر، **فطلعت باشا** كانت آراؤه تميل إلى فكرة الجامعة العثمانية، **وأنور باشا** كان يميل إلى فكرة الجامعة الإسلامية، أما **جمال باشا** فكان من المتحمسين لفكرة القومية التركية (الطورانية).

ولكن الفكرة الأخيرة هي التي غلبت، ولذا فقد ساروا عليها في سياستهم، فَتَبَنَّوا الدعوةَ إلى القومية التركية، وقد حمل لواء هذه الدعوة: ضياء كوك ألب[1]، ويوسف آقشورا[2]، وآغا أوغلي

---

(١) ضياء كوك ألب: ولد في (دياربكر) عام (١٢٩٣هـ = ١٨٧٦م)، تأثَّر في شبابه ببعض الملاحدة واليهود، انتقل إلى الآستانة عام (١٣١٥هـ = ١٨٩٦م)، وانتُخب عضواً في جمعية (الاتحاد والترقّي) السرية، وفي عام (١٣٤٠هـ = ١٩٢٢م) انتُخب نائباً عن (دياربكر) في البرلمان التركي، دعا بكل قوة إلى سلخ تركية عن ماضيها القريب، وتكوينها تكويناً قومياً خالصاً، مات في ٢٦ شهر ربيع الأول (١٣٤٣هـ)= ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) (١٩٢٤م).
انظر: أبو الحسن الندوي ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص٤١ وما بعدها.

(٢) يوسف آقشورا: من دعاة القومية الطورانية، وُلد عام (١٨٧٦م) في قازان (تركستان الشرقية)، تخرَّج في المدرسة الحربية بإستانبول عام (١٨٩٦م)، أصدر عدة مجلات قومية، وانتُخب نائباً عن إستانبول في المجلس الوطني بأنقرة عام (١٩٢٣م)، ورئيساً للمجمع التاريخي التركي عام (١٩٣١م)، توفي عام (١٩٣٣م).

Feroz Ahmad - Ittihad Ve Terakki. S272 - 273.

أحمد[١]، وجلال نوري، وحمد الله صبحي[٢]، والشاعر القومي محمد أمين[٣] وغيرهم، حيث زعم هؤلاء: «أنَّ التركَ هم من أقدم أمم البسيطة، وأعرقها مجداً، وأسبقها إلى الحضارة، وأنهم هم والجنس المغولي واحد بالأصل، ويلزم أن يعودوا واحداً، ويُسمون ذلك بالجامعة الطورانية.

ولم يقتصروا فيها على الترك الذين هم في سيبيرية وتركستان الروس وتركستان الصين وفارس والقفقاس والأناضول والروملي، بل كان مبدؤهم مد هذه الرابطة إلى المغول في الصين، وإلى المجر والفنلنديين في أوروبة، وكل ما يقال: إنه ينتمي إلى أصل طوراني، وهم يقولون: إنّهم أتراك أولاً

---

(١) أوغلي أحمد: وُلد في (تفليس) عام (١٨٦٩م)، وتلقَّى تعليمه في أذربيجان وفي فرنسة، تعرَّف في باريس على أحمد رضا، وانتسب إلى جمعية (الاتحاد والترقي)، أصدر سنة (١٩١١م) مجلة (تورك يوردي) بالاشتراك مع يوسف آقشورا، عَمِلَ على نشر القومية التركية في أنحاء الدولة العثمانية، توفي عام (١٩٣٩م). انظر: المرجع السابق، ص٢٧٢.

(٢) حمد الله صبحي: وُلد في (إستانبول) عام (١٨٨٥م)، انتُخب عضواً في البرلمان، ووزيراً للمعارف عام (١٩٢٠م)، وعُيِّن سفيراً للجمهورية التركية في (بوخارست) عام (١٩٣١م)، تبنَّى القومية الطورانية، واشتهر بخطبه السياسية وكتاباته الأدبية. توفي في ١٠حزيران (يونيو) (١٩٦٦م). انظر: المرجع السابق، ص٢٩٦.

(٣) محمد أمين: شاعر وأديب تركي، ولد سنة (١٨٩٦م)، عمل على تقوية الشعور القومي لدى الأتراك، توفي سنة (١٩٤٤م). انظر: عبد الكريم مشهداني ـ العلمانية، ص٣٨٦.

ومسلمون ثانياً»[١].

وقد اتجه الاتحاديون بسياستهم إلى تغذية هذه الفكرة التي ظهرت على شكل تيارات قوية مؤثرة، فأُلفت الجمعيات والنوادي، وأُصدرت الجرائد والمجلات، ونُظِمت القصائد، وأُلقِيَت الخطب. فأسس ضياء كوك ألب جمعيتين في سالونيك هما: (يني لسان) أي اللسان الجديد، و(يني حياة) أي الحياة الجديدة، ومجلتين أسبوعيتين هما: (كنج قلملر) أي الأقلام الفتية و(يني فلسفة) أي الفلسفة الجديدة.

كما أسهم أتراك روسية النازحون إلى إستانبول في نشر هذه القومية، حيث أسسوا في كانون الأول (ديسمبر) (١٩١١م) مجلة (تورك يورتي) أي الوطن التركي، ثم أسسوا جمعيةً بهذا الاسم، وسرعان ما اتحد التيـاران، وأصبحا يعملان لغايةٍ واحدةٍ، وهي الدعوة إلى الجامعة الطورانية[٢].

وأصبحت لفظة (طوران) من أكثر الألفاظ مثاليةً وإجلالاً، وأضحت تُستعمل للتعبير عن أسمى معاني القومية التركية، وقد عَبَّرَ ضياء كوك ألب عن ذلك بهذه الكلمات: «إنَّ موطنَ الأتراك ليس تركية ولا تركستان، إنه أرض طورانِ العظيمة الخالدة».

كما أن ضياء كوك ألب كان يتغنى بطورانيته في قصيدة له قال فيها: «إن

---

(١) شكيب أرسلان ـ حاضر العالم الإسلامي: ١/ ١٥٨ ـ ١٥٩.
(٢) انظر: توفيق علي برو ـ العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، ص٥٨٢.

تسألني عن قومي فإنّ أمتي قائمة منذ خمسة آلاف سنة.

وإن تسألني عن نسبي وأرومتي فنسبي للترك.

إذا قطعتنا الحراب فليس لنا غنى عن وحدتنا.

جئنا كلنا من صلب واحد.

إذا اعتورت الخطوبُ دولتي فأنا لا أنسى قوميتي.

يا بن الترك! لا تقل: أنا، أنت، هو.

كل هذه إنْ هي إلا كلماتٌ زائلةٌ، ويجب أن تضمحلَّ وتتلاشى أمامَ اسم طوران الكبير»[1].

كما أعطت (خالدة أديب)[2] هذا الاسمَ عنواناً لأحد مؤلفاتها الأدبية

---

(١) توفيق علي برو ـ العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، ص٥٨٣ بتصرف يسير.

(٢) خالدة أديب: أديبة وكاتبة تركية تنتمي إلى (يهود الدونمة)، ولدت عام (١٨٨٤م)، وتخرَّجت في (الكلية الأمريكية) في الآستانة عام (١٩٠١م)، عملت أستاذةً للآداب الغربية بجامعة إستانبول عام (١٩١٨ ـ ١٩١٩م)، وتعاونت مع الاتحاديين، واحتلّت مكاناً بارزاً في عهدهم، عُيِّنت وزيرةً للمعارف في عهد الكماليين، دعت إلى الطورانية، وإلى تحرير المرأة، ونبذ الحجاب، لها روايات كثيرة، منها: (طوران الجديدة)، و(قميص من نار)، ماتت سنة (١٩٦٤م). انظر: كلاًّ من: الموسوعة العربية الميسرة: ١/ ٧٤٩؛ ود. محمد عمر ـ يهود الدونمة، ص٤٤ ـ ٤٥.

الشهيرة، وكانت هناك زاوية أدبية في جريدة (طنين) تحمل اسم (مذكرات طوراني).

وقال الشاعر التركي محمد أمين:

«أنا تركي...

ديني سامٍ، جنسي عظيم.

قلبي مملوء بالنار»[1].

وقد غلا كثيرٌ منهم حتى قالوا: نحن أتراك، فكعبتنا طوران. وتغنّوا بمدح جنكيز خان (١١٦٧م - ١٢٢٧م)، وأُعجبوا بفتوحات المغول، كما نَظموا الأناشيد في وصف الوقائع الجنكيزية، وطالبوا بتصفية اللغة التركية الحاضرة من الألفاظ العربية والفارسية، والاعتياض عنها بألفاظ تركية مهملة[2].

٣ - المركزية في الحكم:

اتبع الاتحاديون سياسةَ المركزية في الحكم، ذلك أنّهم عملوا على دمج وصهر جميع الأقليات والولايات غير التركية التابعة للدولة في بوتقة الإمبراطورية، وجعلوا حكم هذه الولايات وجميع ما يتعلق بشؤونها الداخلية والخارجية في أيديهم، ولم يُتيحوا لأهلِها أيَّ فرصةٍ للمشاركة في الحكم، بل على العكس قاموا يشددون من قبضةِ الحكم المركزي الاستبدادي، وفرضوا

---

(١) د. علي حسون - تاريخ الدولة العثمانية، ص٢١٥ - ٢١٦.

(٢) انظر: شكيب أرسلان - حاضر العالم الإسلامي: ١/ ١٥٩.

سياسة التتريك، مع أن وضع الدولة التي كانت تضمُّ مختلفَ الأجناس الذين تختلف لغاتُهم وأديانُهم وأفكارُهم لايسمحُ بنظام الحكم المركزي، ولكنّهم أصروا على سياستهم، وركنوا إلى العنف والشدة، بالإضافة إلى التعصب للقومية الطورانية، مما أدى إلى ظهور نتائج عكسية ـ تخدِمُ مصالحَ الأعداء ـ من مختلف العناصر غير التركية، ولا سيما العرب، الذين تسلَّطَ عليهم الاتحاديون، وذهبت صحفُهم ومنابرهم تهاجمهم، وتسخر منهم، حتى إنّ أحد وزرائهم من يهود الدونمة (جاويد بك)[1] سماهم (الجنس الأسود)، وعملوا على التضييق عليهم، ومطاردتهم، وتفريقهم في الأقاصي البعيدة[2].

وهذا العسف في معاملة العرب أدى ـ بطبيعة الحال ـ إلى ظهور رد فعل عنيف من قِبَلِهم تَمثَّل في:

أ ـ **إحياء القومية العربية**، التي كانت تُذْكِيها الدول الأوروبية النصرانية بالإضافة إلى نصارى العرب.

ب ـ **إنشاء الجمعيات المختلفة التي عارضت الاتحاديين**، ووقفت في

---

(١) جاويد بك: من يهود الدونمة، ومن أقطاب الاقتصاد، ومن الأعضاء البارزين في جمعية (تركية الفتاة) ولد سنة (١٨٧٥م) بسالونيك، وانتُخب نائباً عنها في البرلمان العثماني سنة (١٩٠٨م)، اشترك في محاولة اغتيال مصطفى كمال، فَشُنِقَ في ٢٦ آب (أغسطس) ١٩٢٦م. انظر: د. عبد العزيز الشناوي ـ الدولة العثمانية: ٣/ ١٤٢١ ـ ١٤٢٢.

(٢) انظر: عبد الكريم مشهداني ـ العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركية، ص١٨٨.

وجوههم وطالبت ـ عموماً ـ بالمحافظة على حقوقهم وبالمساواة مع الأتراك، كما طالبت بالنظام غير المركزي في الحكم، الذي يُتيحُ لهم استقلالاً ذاتياً، وقسطاً وافراً من الحكم الداخلي، مع الارتباط بالدولة خارجياً وعسكرياً ومالياً[1]. «كجمعية (الإخاء العربي العثماني) (١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م)، والجمعية (القحطانية) (١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م)، و(المنتدى الأدبي) (١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م)، وجمعية (الجامعة العربية) (١٣٢٨هـ = ١٩١٠م)، وجمعية (العربية الفتاة) (١٣٢٩هـ = ١٩١١م)، وحزب (اللامركزية العثماني) (١٣٣٠هـ = ١٩١٢م)، و(جمعية العهد) (١٣٣١هـ = ١٩١٣م)»[2].

موقف الاتحاديين من الإسلام:

اتّسم موقفُ الاتحاديين من الدين بطابع عدائي، فقد حاربوا تيار الجامعة الإسلامية، وعملوا على تنفيذ رغبات الماسون في القضاء على الوحدة الإسلامية، وحادوا بالدولة عن الصراط المستقيم، ومنهج الشرع القويم، وقاموا ـ خلسةً ـ ببعض الحملات على الدين.

منها: ما وقع أثناء الحرب العالمية من **نقلهم رابطة المحاكم الشرعية من المشيخة الإسلامية إلى الوزارة العدلية**، فكانت تلك الواقعة صولةً سريةً على الدين.

---

(١) وكانت بعض هذه الجمعيات متطرّفة، وطالبت بانفصال العرب عن الدولة العثمانية. انظر (بيان إلى العرب) للأمير شكيب أرسلان، ط. استانبول ١٩١٣م.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٠م ـ ١٩١.

ومنها: **حملاتهم الاعتراضية على كثير من الأحكام الشرعية**، ومطاعنهم المنتشرة على صفحات الصحف والكتب بما يَهْتِكُ حرمة الإسلام[١]؛ وذلك مثل كتاب (قوم جديد) الذي جعلوا فيه لدينهم أركاناً لا صلاةَ فيها ولا صومَ ولا حج[٢]...

ومنها: **اضطهاد علماء الدين**، والبطش بهم وإدخالهم السجون[٣].

وقد جَرَت عادة الاتحاديين على شنّ الغارة على الطائفة المسلمة المعممة[٤] عند كل ثورة أو حادثة سياسية، حتى إنّ الجيش المُجَهَّز المُنْسَاق من سالونيك عند دخوله الآستانة - كما ذكرنا سابقاً - عمم القبضَ على كل من لقي في شوارعها من العلماء ومتعلميهم، وسَمّتهم الطائفة المعممة[٥].

وقد سَرَتْ في عهد الاتحاديين الدعوة إلى **سفور المرأة ونزع الحجاب**، وحَمَلَ لواءها (يهودُ الدونمة) الذين كانوا على اتصال وثيق بالجهات العليا في حكومة (الاتحاد والترقي).

فقد دعا هؤلاء إلى نزع الحجاب وإلى الاختلاط، وتَولَّت أجهزة الدعاية

---

(١) انظر: مصطفى صبري - النكير على منكري النعمة، ص١٤.
(٢) انظر: عبد الكريم مشهداني - العلمانية، ص٢٠٢.
(٣) انظر: حسان علي حلاق - موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ص٣٢١.
(٤) أي: علماء الدين الإسلامي وطلابهم.
(٥) انظر: مصطفى صبري - النكير على منكري النعمة، ص١٤٣ - ١٤٤.

التي كانوا يمتلكونها إصدارَ الكتب والرسائل والمقالات لمهاجمة الحجاب، وأفاضوا في الكتابة عن مساوئه، وزعموا أنّه ليس من الإسلام، وإنما انتقل من الروم إلى المسلمين، كما أخذوا يُروّجون للسفور، ويُكثرون من إقامة الندوات والمحاضرات العامة لكي يُتِيحُوا أكبرَ الفرصِ للاختلاط بين الشبان والشابات.

ولم يكتفوا بهذا بل هاجموا شعائر الإسلام، فقد شنت مجلة (اجتهاد) حملةً شعواء على الدين الإسلامي للنيل منه، ووصفته بأنه دين متخلّف عن ركب الحضارة والعصر[١].

الأضرار التي لحقت بالدولة في عهد الاتحاديين:

وقد لَحِقَ بالدولة ـ من جَرَّاء حكم الاتحاديين ـ مصاعبُ كثيرة، ومضار جسيمة، حيث قامت الحرب الطرابلسية مع إيطالية سنة (١٣٣٠هـ = ١٩١١م)، ثم شَنَّت دولُ البلقان الحربَ ضد الدولة سنة (١٣٣١هـ = ١٩١٢م)، وقد عُرِفَت بحروب البلقان، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى، التي قصمت ظهر الدولة سنة (١٣٣٣هـ = ١٩١٤م) حيث زَجَّ الاتحاديون بالدولة في أتون الحرب بجانب ألمانية والنمسة من غيرِ حاجةٍ ولا داعٍ إلى ذلك[٢]، ودخلت الدولة الحرب على الرغم من معارضة السلطان محمد رشاد

---

(١) انظر: د. محمد عمر ـ يهود الدونمة، ص٣٨ وما بعدها.

(٢) وهنا استغلّوا الوحدة الإسلامية التي كانت بين مسلمي العالم، فَتَمَسَّحوا بحركة الجامعة الإسلامية في الشهر الأول من دخول الدولة في الحرب، =

ومعارضة الكثير من الزعماء المسلمين من داخل البلاد العثمانية وخارجها، واستهجنوا هذا التصرّفَ كل الاستهجان.

لقد فرّطَ الاتحاديون أثناء حكمهم بكثير من أجزاء الدولة العثمانية التي كانت في عهد السلطان عبد الحميد تمتدّ من البصرة في العراق إلى سراي بوسنة، ومن اليمن والحجاز إلى طرابلس الغرب، مع ما لها من الجزر الكثيرة في بحر إيجه، فما انتهت هذه الحروب إلا وقد أضاعوا الولايات العثمانية في أوروبة كلها، حيث استقلّت بلغارية، واحتلت النمسة البوسنة والهرسك، وأخذت اليونانُ كريت، واحتلت إيطالية ليبية[1]

= فنادوا بالجامعة الإسلامية التي تبنَّاها من قَبْلُ السلطان عبد الحميد، واستصدروا ثلاث فتاوى من الخليفة ومن شيخ الإسلام ومن كبار علماء الدين، قالوا فيها: إنَّ الحربَ التي تخوضها الدولة إنَّما هي حرب دينية، تستهدف تحرير المسلمين المستعبَدين، والدفاع عن الإسلام وعن الدولة، وعن الأماكن المقدَّسة (مكة ـ والمدينة ـ والقدس). وإنَّ المشاركة في الحرب جهادٌ ديني، وفرضُ عينٍ على كل مسلم بالغ قادر، ووَزَّعوا النشرات، وأوفدوا البعثات إلى أرجاء العالم الإسلامي، ثمَّ لمَّا تراءى لهم النصر مع ألمانية ضد الحلفاء في سني الحرب الأولى أيقنوا بالنصر النهائي، انقلبوا فجأةً، ورفعوا النقاب عن وجوههم، واستأنفوا سياستهم الطورانية، ونشطوا في الدعوة إلى القومية التركية من جديد. انظر كلاً من: د. عبد العزيز الشناوي ـ الدولة العثمانية: ٣/ ١٢٢٦؛ ومحمد جميل بيهم ـ فلسفة التاريخ العثماني، ص١٩١.

(١) لقد فرَّط الاتحاديون بطرابلس الغرب (ليبية)، ذلك أنَّ حقي باشا الصدر الأعظم في حكومة الاتحاديين ـ الذي عُرِفَ بنزعته الإيطالية، وبِحُبِّه للمدنية=

وبعض جزر البحر المتوسط[1].

وانتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة تركية مع ألمانية والنمسة، وكانت لها نتائج وخيمة على الدولة العثمانية، حيث أهلكت الحرثَ والنسلَ، وأدَّتْ إلى ضياع البلاد والعباد، ودخول جيوش الحلفاء الآستانة، وسيطرتهم عليها وعلى المضائق، واحتلال اليونان الأقسام الغربية من الدولة، وسلخ الولايات العربية من الدولة، وتقسيمها إلى دويلات صغيرة سيطرت عليها دولُ الحلفاء.

= الإيطالية، وبكثرةِ تردّده على النوادي الإيطالية بالآستانة ـ تغافلَ كثيراً عن الخطوات التمهيدية التي كانت تقوم بها إيطالية من أجل احتلال ليبية، كما أنه أخفى عن مجلس الوزراء في الدولة التقاريرَ العديدة التي كان يرسلها إليه سفيرُ الدولة في إيطالية، يُنْذِره فيها بالخطر الذي كان يتوسّمه من إيطالية وتدابيرها الخفية، وأعمالها المريبة، التي كانت تقوم بها من أجل احتلال ليبية. انظر: توفيق علي برو ـ العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، ص٣٣٠ ـ ٣٣١.

ويقول الجنرال جواد رفعت أتلخان: «إنَّ طرابلس الغرب قد وقعت بين مخالب الإيطاليين بمؤامرة خبيثة دبَّرها الماسوني اليهودي (مترسالم) الحائز على الدرجة الثالثة والثلاثين في الماسونية، حيث ذهب إلى إيطالية، وقابل رئيس بلدية رومة اليهودي، ورسما الخطط اللازمة، ودفعت الخزينة الإيطالية الملايين من الليرات الذهبية إلى اليهودي (متر سالم) لقاءَ إقناعِه الدولةَ العثمانية بضرورة سحب الأسلحة والعتاد من طرابلس الغرب إلى إستانبول بحجة التعمير والإصلاح. انظر: أسرار الماسونية، ص٥٩.

(١) محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي: ٨/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ العهد العثماني.

وهكذا لم يكن حكمُ الاتحاديين فيما بين عامي (١٩٠٨م ـ ١٩١٨م) إلا تحوّلاً خطيراً كان مقدمةً للتطور الأشد خطورةً الذي تمَّ في عهد الجمهورية .

* * *

المرحلة الثالثة
إلغاء الخلافة وإعلان الجمهورية

تولّى السلطان محمد وحيد الدين عرشَ الخلافة سنة (١٣٣٧هـ = ١٩١٨م) وذلك بعد وفاة أخيه السلطان محمد رشاد، ولم تمضِ على ولايته العرش بضعة أشهر حتى أصبحت البلاد كلها نهباً للدول الغربية، وخرجت الدولةُ من الحرب العالمية الأولى، وقد فقدت كلَّ الأراضي التي كانت خارج شبه جزيرة الأناضول، ولم يبقَ لها خارج هذه الجزيرة إلا إستانبول، التي أُحتلَّت أيضاً، وحاصرها الأسطول الإنكليزي.

وقد ازدادت في هذه الأثناء ضراوةُ وشراسة الصليبيين ضد العالم الإسلامي، فمزّقوه شرّ ممزق، واقتسموه فيما بينهم، مما كان له أثره البالغ في نفوس المسلمين عامة[١].

وفي خِضَم هذه القلاقل والأحداث السياسية أراد السلطان محمد وحيد الدين بصفته خليفةَ المسلمين أن يُنقِذَ البلاد من هؤلاء المُحتلّين، فاستعانَ بمصطفى كمال[٢]، ووضع كلَّ ثقته فيه، حيث عَهِدَ إليه سرّاً بأن يقومَ بثورة في

---

(١) انظر: د. سمير رجب محمد ـ الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي، ص٩.

(٢) مصطفى كمال: ولد عام (١٢٩٨هـ= ١٨٨١م) في (سالونيك) من امرأة تسمى=

شرقي الأناضول، لكي يَتسنَّى لرجال السياسة أن يُحاوروا ويُناوروا أثناء عقد الصلح[١] ليأخذوا أكثرَ ما يمكن أخذُه من الأعداء.

ولكي يُغَطّي السلطان هذه الثورة عن عيون الأعداء عامة والإنكليز خاصة عَيَّنَ مصطفى كمال مفتشاً عاماً لجيوش الأناضول بصلاحيات واسعة، وزَوَّدهُ بمبلغ عشرين ألف ليرة عثمانية ذهبية.

ولكنَّ مصطفى كمال خان الأمانةَ، وغدر بالسلطان، وأخذ يُسَيِّر الأمور لحسابه الخاص[٢]. وأدركَ الحلفاءُ قصدَ السلطان من إرساله مصطفى كمال إلى شرقي الأناضول، فاحتجّوا إلى الوزارة القائمة في الآستانة، التي كانت

= (زبيدة)، وينسبه بعضهم إلى (علي رضا) أحد موظفي الدولة في سالونيك، تخرَّج في الكلية الحربية بالآستانة برتبة (رائد)، تقلَّد مناصب عسكرية عديدة بالدولة العثمانية، ترأس جمعية (وطن) السرية، وكان له نشاط ثوري، رُقّي إلى رتبة (باشا) في أوائل عام (١٩١٦م)، ألغى الخلافة الإسلامية، وأعلن الجمهورية التركية، وطرد آل عثمان خارج البلاد، أطلقَ على نفسه لقب (أتاتورك: أبي الترك) في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٣٤م)، مرض وتعفن جسمه بسبب إفراطه في شرب الخمر، مات سنة (١٩٣٨م). انظر كلاً من: الرجل الصنم، ص٣٦ وما بعدها؛ ومحمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي: ٨/ ٢٩٩ العهد العثماني.

(١) المقصود به مؤتمر الصلح الذي عُقِدَ في باريس مع قادة دول الحلفاء للتباحث حول مصير الدولة العثمانية، والذي أسفر عن معاهدة (سيفر) المشهورة التي سعت إلى القضاء على الدولة العثمانية.

(٢) انظر: محمد فريد بك ـ تاريخ الدولة العليّة العثمانية، ص٧٤٧ ـ ٧٤٨.

برئاسة الداماد[1] فريد باشا (١٨٥٣م ـ ١٩٢٣م)، كما احتجَّ ولاةُ الأناضول، وشَكَوا من تصرفات مصطفى كمال، والصلاحيات الواسعة التي كان يتمتع بها، فَدَعَتْهُ الوزارة إلى العودة لكنه لم يُجِب، ثم تكرر الاحتجاجُ من قيادة الاحتلال، وتمادت أصواتُ الشكايةِ من الولاة، وتكررت دعوتُه من قبل الوزارة، ولكنّه لم يُجِب، وهكذا استمرت الاحتجاجات والشكايات ضده، واستمر هو في عدم الإجابة، وأخيراً اضطرت الوزارة إلى إقالته، ورفض السلطان وحيد الدين التوقيعَ على قرار الإقالة ـ حيث لازالَ يثقُ به ـ حتى انقطع أمله تماماً من نزوله عند طلب الوزارة، حينئذٍ وَقَّعَ ـ مكرهاً ـ على القرار[2].

لكن مصطفى كمال لم يأبه لهذا القرار، بل استمرّ في عصيانه، وبتجميع الجيش والأهالي من حوله.

واشتعلت بلاد الأناضول بالحركة القومية بسرعة، وتمّ انتخابُه رئيساً لمؤتمر (أرضروم) الذي عُقِدَ في ٢٣ تموز (يوليو) (١٩١٩م)، ثم رئيساً لمؤتمر (سيواس) الذي عُقِدَ في ٤ أيلول (سبتمبر) (١٩١٩م) تظاهرَ فيهما بالولاء للسلطان، ولكنّ القلاقل التي كان الحلفاء يُثيرونها على السلطان لم تتوقف، وكانوا يعملون على أن يسطع نجمُ مصطفى كمال، وأن يَظهر للناسِ بصورةِ البطل المنقذ، وأن يكونَ مَحَطَّ آمالهم. وهذا ما حصل بالفعل، فقد تزعّمَ حربَ الاستقلال، وألهبَ عواطف الجماهير بخطبه الحماسية، وتَعلّقت به آمالُ كثيرٍ من الناس حتى خارج حدود تركية.

---

(١) داماد: كلمة فارسية يراد بها عادةً صهر السلطان.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٧٤٨ـ٧٤٩.

وتتابعتِ الأحداثُ بسرعةٍ فائقةٍ، فمن مؤتمرات قومية، إلى إدارة حرب محدودة ضد جيوش الاحتلال، إلى حرب سقارية وأزمير ضد اليونان، إلى جمعياتِ تناهِضُ الأعداء في كل مكان، إلى تأسيس المجلس الوطني الكبير في ٢٣ نيسان (إبريل) (١٩٢٠م)، واختيار مصطفى كمال رئيساً له، وتكوين حكومة في أنقرة من قِبَل هذا المجلس، واختيار عصمت إينونو[١] لمباحثات مؤتمر لندن سنة (١٩٢١م)، وعقد اتفاقية (قارص) مع روسية سنة (١٩٢٢م)، ثم الهجوم الكبير واكتساح العدو اليوناني، وإخراجه من أزمير، والتفاف كل قوى الشعب وطرقه الصوفية وعصاباته المسلحة كلها حول هذا القائد المنقذ[٢] كما يسميه محبوه[٣].

ثم تأسيس حزب الشعب الجمهوري في ١٨ من شهر ربيع الثاني (١٣٤١هـ) = ٧ كانون الأول (ديسمبر) (١٩٢٢م) بمبادئه الستة: **الجمهورية ـ**

---

(١) عصمت إينونو: هو سياسي وقائد تركي، ولد عام (١٣٠١هـ= ١٨٨٤م)، تولَّى رئاسة أركان حرب الجيش التركي عام (١٩٢٠م)، كما تولَّى رئاسة الوزارة التركية عدة مرات فيما بين عامي (١٩٢٥ ـ ١٩٣٧م)، وكان الساعدَ الأيمنَ لمصطفى كمال، سار على خُطاه لمَّا تولَّى رئاسة الجمهورية التركية عام (١٩٣٨م)، مات سنة (١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م). الموسوعة العربية الميسرة: ١/ ٢٩٢.

(٢) انظر: د. سمير رجب محمد ـ الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي، ص١١ ـ ١٢.

(٣) الأبطال الحقيقيون لحرب الاستقلال ذكرهم مؤلّف كتاب (الرجل الصنم) في الفصل الرابع منه، ص٢٠٩ وما بعدها.

القومية ـ الشعبية ـ إشراف الدولة (التأميم) ـ اللادينية ـ الثورية[1] .

وهكذا قَويَت شوكةُ مصطفى كمال، مما جعله يَتنكَّر للسلطان محمد وحيد الدين، ويطلب منه أن يتنازلَ عن الحكم، ويكتفي بالخلافة المجردة من السلطة، ويظل مقيماً في إستانبول، وتنتقل السلطةُ إلى المجلس الوطني الكبير في أنقرة، ولكن السلطان رفضَ طلبه، وتنازل عن العرش نهائياً عام (١٩٢٢م) ثم خلفه ابنُ عمه عبد المجيد الثاني (١٨٨٩م ـ ١٩٤٤م) الذي نُودي به خليفةً للمسلمين لا ملكاً في ٢٩ من شهر ربيع الأول (١٣٤١هـ) = ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٢٢م)، بعد موافقة المجلس الوطني الكبير على ذلك[2] .

وبعد ثلاثة أيام من توليه الخلافة افْتُتِح مؤتمر (لوزان)، وحضره وفدُ أنقرة فقط، وَوضعَ رئيسُ الوفد الإنكليزي (كرزون) أربعةَ شروط للاعتراف باستقلال تركية، وعَلّقَ نجاحَ المؤتمر على تحقيقها؛ وهي:

١ ـ إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاءً تاماً .

٢ ـ إعلان علمانية الدولة، وقطع كل صلة لها بالإسلام .

٣ ـ طرد الخليفة وجميع آل عثمان خارج الحدود، ومصادرة أموالهم وأملاكهم .

---

(١) انظر: أحمد السعيد سليمان ـ التيارات القومية والدينية في تركية المعاصرة، ص٦٠ .

(٢) انظر: محمد فريد بك ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٧٥٠ .

٤ ـ اختيار دستور مدني بدلاً من الدستور العثماني المستمد من الشريعة الإسلامية[1].

وقد قام الكماليون ـ مصطفى كمال وأتباعه ـ بتحقيق هذه الشروط بحذافيرها بل زادوا عليها غيرها.

إعلان الجمهورية:

تمّ إعلان الجمهورية التركية من قِبَل المجلس القومي الأعلى (المجلس النيابي) في الساعة الثامنة والنصف مساءً من يوم ٢٠ من شهر ربيع الأول (١٣٤٢هـ) ـ ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) (١٩٢٣م)، وتُمّ انتخاب مصطفى كمال رئيساً لها من قِبَل (١٥٨) نائباً، اشترك في التصويت، وفي اليوم التالي أُطلِقَت في سماء أنقرة وإستانبول وغيرها من المدن التركية (١٠١) طلقة مدفع ابتهاجاً بهذا الحدث[2].

إلغاء الخلافة الإسلامية:

كان مصطفى كمال يضمِرُ في نفسه الشرّ للخلافة، فقد بَيّت النيةَ لإلغائها

---

(١) انظر كلاً من: محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي ج٨ العهد العثماني، ص٢٣٣؛ ومذكرات الحاج أمين الحسيني ـ مجلة فلسطين عدد (١٤٧) جمادى الأولى (١٣٩٣هـ)، ص٧.

(٢) انظر: الرجل الصنم، ص٢٩٤ ـ ٢٩٥. وللاطلاع على مزيد من التفاصيل راجع كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية) لكارل بروكلمان، ص٦٩٥؛ و(كمال أتاتورك) لمحمد صبيح، ص١٣٠ وما بعدها.

منذ أن قويت شوكتُه في بلاد الأناضول، ولكنّه في ذلك الوقت كان يعرفُ تمامَ المعرفة أنّه لا يُمكنه القيام بذلك، لأنّ هذا الأمر من شأنه أن يَمسَّ الشعورَ الدينيَّ لدى المسلمين، ليس في تركية فحسب، بل في أنحاء العالم الإسلامي كله، لذا فقد مَهَّدَ لإلغاء الخلافة بأن اقترح على المجلس الوطني الفصل بين الخلافة والسلطة، وذلك بأن يكونَ الخليفةُ مُجرَّدَ رمزٍ دينيٍّ، ليس له من الأمر شيءٌ، وتكونَ السلطةُ بيد المجلس الوطني في أنقرة، ولكنّ أغلب النواب ثاروا على هذا الاقتراح، ولم يؤيده سوى ثمانين من أتباع مصطفى كمال ومؤيديه، وقد طالب مصطفى كمال المجلس بإقرار اقتراحه والعمل به، لكنّ المجلس أحال هذا الاقتراح إلى هيئةٍ مكوّنةٍ من لجان من التشكيلات الأساسية والشرعية والعدل، وقد رفضت اللجنةُ الشرعيةُ الأخذَ به، وقالت: «إنّ الخلافةَ والسلطةَ وحدةٌ لا يمكِنُ تجزئتها»[1].

لكن بالرغم من هذه المعارضات فقد صدر القرار بفصل الخلافة عن السلطة في ١٢ من شهر ربيع الأول (١٣٤١هـ) = ١ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٢٢م) تحت ضغط وتهديد مصطفى كمال لمعارضيه[2].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٥٩.

(٢) حيث صعد في المجلس على المنصّة، وصرخ في الحاضرين قائلاً: «إنَّ هذا أمرٌ محتّمٌ، إنَّ موضوعَ بحثنا ليس هو: هل ندعُ الحاكميةَ والسلطةَ للأمةِ أم لا؟ لأنَّ القضيةَ هي تسجيلُ أمرٍ واقعٍ، وهذا لابدَّ أن يكونَ، إنّني أرى أنّه من المستحسن أن يوافقَ المجتمعون هنا، وأعضاء المجلس، وكلُّ واحدٍ، على اعتبار أنَّ هذه قضية طبيعية، ولكن إذا حدث العكسُ، فإنَّ هذا الأمرَ سَيُنَفَّذُ أيضاً وفي إطار المجرى الطبيعي، ولكن من المحتمل أنَّ بعضَ الرؤوس =

واستمرّت الخلافةُ على هذا الوضع مجردةً من السلطة إلى عام (١٩٢٤م) حيثُ أَجهَزَ عليها مصطفى كمال تماماً في ٢٧ من شهر رجب (١٣٤٢هـ) = ٣ آذار (مارس) (١٩٢٤م)، حيث أصدر المجلس الوطني الكبير برئاسته القوانينَ المرقمة بـ(٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١) التي قررت مايلي:

- إلغاء الخلافة الإسلامية، وإخراج الخليفة مع جميع أفراد عائلته من البلاد.

- إلغاء وزارة الأوقاف ووزارة الشرعية.

- ربط جميع المؤسسات العلمية والدينية في تركية بوزارة المعارف، أي إلغاء المدارس الدينية[١].

وقد تمَّ إخراجُ السلطان عبد المجيد الثاني من البلاد، حيث جاءت سيارة إلى قصره في منتصف الليل بصحبة حامية من رجال البوليس والجيش، فحملوه في ثياب نومه، واقتادوه إلى خارج الحدود، وبعد يومين حُشِدَ جميعُ أمراء آل عثمان وأميراتهم ورحّلوا خارج البلاد[٢].

= سَتُقطعُ». انظر: الرجل الصنم، ص٢٥٩؛ وانظر: أرمسترونج - الذئب الأغبر، ص١٩٣.

(١) انظر: الرجل الصنم، ص٢٩٦.

(٢) انظر كلاً من: أرمسترونج - الذئب الأغبر، ص٢٠٠؛ ومصطفى محمد - الحركة الإسلامية الحديثة في تركية، ص٩٩.

تتابع الإجراءات العلمانية (اللادينية):

بعد إعلان الجمهورية، وإلغاء الخلافة الإسلامية، وَطَردْ الخليفة العثماني، استتبَّ الأمرُ لمصطفى كمال، وبَدَأ يُنَفِّذ سياسته الدكتاتورية (الاستبدادية)، التي استهدفت استئصال جذور الأمة التركية، وقطع كلِّ صلة لها بالإسلام، ثم تغريب الشعب التركي المسلم، وصبغ جميع أعماله بالصبغة اللادينية بطريق الإرهاب والبطش والقسوة البالغة.

ففي (٨ نيسان (إبريل) ١٩٢٤م) أصدر المجلسُ الوطنيُّ قانوناً بتشكيلات المحاكم، أُلغيت بموجبه المحاكم الشرعية، وعُهِدَ بمهام هذه المحاكم لمحاكم الصلح والمحاكم الأصلية (المركزية)[١].

واعْتُمِدَ العملُ بالقانون المدني السويسري وقانون العقوبات الإيطالي والقانون التجاري الألماني، وفي العام نفسه (١٩٢٤م) تكوَّنت لجنةٌ من رجال القانون لتتريك القانون المدني السويسري ولجنة أخرى لشرحه. وفي (١٧ شباط (فبراير) عام ١٩٢٦م) وافق المجلس الوطني على العمل بهذا القانون، وأُلغي ـ منذُ ذلك التاريخ ـ العمل بالشريعة الإسلامية حتى في قانون الأحوال الشخصية[٢].

وفي (حزيران (يونيو) ١٩٢٥م) حُرِّمت جميعُ الطرق الصوفية، وفي

---

(١) محمد عزة دروزة ـ تركية الحديثة، ص٧٠.

(٢) أحمد السعيد سليمان ـ التيارات القومية والدينية في تركية المعاصرة، ص٦٣.

أيلول (سبتمبر) أُغلِقَت زوايا الدراويش جميعاً[1]. وقضت الحكومة بقسوة وعنف على كل نقد ديني لتدابيرها.

وتَدَخَّل الكماليون في لباس المسلمين وزيهم، الذي اعتادوا عليه، ففرضوا عليهم التزيّي بزي الغربيين، سواء بالنسبة للرجال أو النساء، أمّا الرجال فقد حَرَّموا عليهم الزي الإسلامي، ولم يسمحوا به إلا لعلماء المسلمين، الذين أطلقوا عليهم اسم (رجال الدين)، ولا يُسمح لهم به إلا في داخل المساجد فقط، كما حَرَّموا عليهم لبس الطربوش، واستبدلوا به لبسَ القبعةِ الإفرنجية، حيث أصدر المجلس الوطني قانوناً في ١٠ جمادى الأولى (١٣٤٤هـ) = ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٢٥م) ونصّه: «إنَّ جميعَ أعضاء المجلس والموظفين والمستخدمين في جميع المؤسسات الرسمية والخصوصية مجبرون على اكتساء القبعة التي اكتستها الأمةُ، وقد أصبحتْ غطاءَ الرأسِ لجميع الشعب التركي، وعلى الحكومة منع كل غطاء رأس غيرها»[2].

ولقد أدّى فرضُ القبعةِ إلى حرب دموية راح ضحيتها المئات بل الآلاف من المسلمين الأتراك، قُطعت رقابُهم، عُلِّقوا على أعواد المشانق، لرفضهم لبس القبعة، والتزيّي بها، ممّا كانوا يرونه علامةً من علامات الكفر. لكنها فُرضت عليهم بالقوة، وأُبيدوا في محاكم الاستقلال التي أُقيمت في معظم أنحاء تركية.

---

(١) كارل بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٦٩٨.
(٢) محمد عزة دروزة ـ تركية الحديثة، ص٧٩.

وأما المرأة فقد فُرض عليها السفور ونزع الحجاب والتشبه بالنساء الغربيات في الاختلاط والتبذل والإباحية.

وتَدخّل الكماليون أيضاً في العلاقات الزوجية والعائلية، فَحرَّموا الطلاق وتعدد الزوجات، وجعلوا نصيبَ المرأة في الإرث مثل نصيب الرجل، وأطلقوا لها العنان باسم الحرية والمساواة.

وفي ٢٠ جمادى الأولى (١٣٤٧هـ) = ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٢٨م) أُعلن إلغاءُ الحروف العربية، واستُبدلت بها الأحرف اللاتينية، وأُنشئت المدارس في البلاد كلها لتعليم الناس ـ على اختلاف أعمارهم ـ الحروفَ الجديدة، والتي أصبحت وطنية في أقصر ما يمكن من الوقت، وفي أيلول (سبتمبر) حُذف من مناهج الكليات التعليمُ بالعربية والفارسية، وحُرِّم استعمالُ الحرف العربي لطبع المؤلفات التركية[١]، وأَخَذَ قانون تركية الحديثة يُعاقِبُ من يكتب بالحروف العربية بالسجن ثلاثة أشهر وغرامة مالية قدرها عشرة جنيهات[٢].

وفي ٢٠ شوال (١٣٤٦هـ) = ١٠ نيسان (إبريل) (١٩٢٨م) أُزيلت من الدستور المادة التي تنصّ على أنَّ الإسلام هو دينُ الدولةِ الرسمي، كما غُيِّر شكلُ اليمين الذي يحلفه أو يُقسمُ به رئيسُ الجمهورية وأعضاء الوزارة

---

(١) انظر: كارل بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٧٠٠.

(٢) انظر: مصطفى صبري ـ موقف العقل والعلم والعالم من ربّ العالمين: ٣٤٦/٤.

ومجلس النواب، فأصبح الحلف على تأدية الواجب بالشرف بدلاً من الحلف بالله[1]، كما تُرِكَ العمل بالتقويم الهجري، واستُبدل به التقويم الميلادي، كما مُنعَ الحج إلى بيت الله الحرام سنوات طويلة، وأصبحَ المسلمون لا يستطيعون الذهاب إلى الحجِّ إلا خفيةً.

كما مُنِعَ التعليم الديني، وأُلغيت كلية الإلهيات، ثم أُلغيت في عام (١٩٣٠م) جميعُ المدارس والمعاهد الدينية، التي كانت تخرِّج الأئمة والخطباء، وأخذ الكماليون يعملون على إبعادِ العلوم الإسلامية كلها، وتلقين النشء الجديد بأنها من أسباب ودواعي تأخر الشعب التركي وجموده[2].

كما أخذوا في تضييق الخناق على العلماء، ومطاردتهم واضطهادهم أبشعَ اضطهاد.

كما غَيّروا العطلة الرسمية الأسبوعية إلى يوم الأحد ـ تقليداً للغرب ـ بدلاً من يوم الجمعة، وفي عام (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م) حُوِّل الأذانُ إلى اللغة التركية، وجُعِلَت الصلاةُ وقراءةُ القرآنِ باللغة التركية أيضاً.

«وقَضَت الحكومة في قسوة وعنف على كلِّ نقدٍ ديني لتدابيرها، وفي سنة (١٩٣١ ـ ١٩٣٢م) ذهبتْ إلى أبعد من ذلك فحددت عددَ المساجد، ولم تسمح بغيرِ واحدٍ منها في كلِّ دائرةٍ من الأرض يَبلغُ محيطها خمسمئة متر. كذلك خُفّضَ عددُ الواعظين الذين تدفع الدولة أجورهم إلى ثلاث مئة واعظ،

---

(١) انظر: محمد عزة دروزة ـ تركية الحديثة، ص٢٠١.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص٧٢ ـ ٧٣.

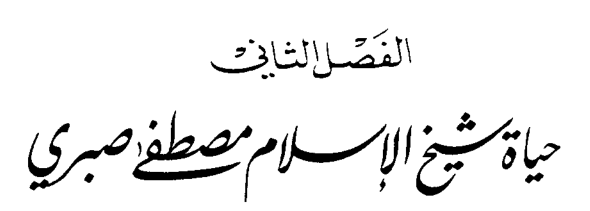
وأُوصِدَت أبوابُ جامعَين من أشهر جوامع إستانبول في (وجوه) المصلين، لِيُحوَّل أولهما - آيا صوفية - إلى متحف، وثانيهما - مسجد الفاتح - إلى مستودع»[1].

كانت هذه لمحة موجزة عن الحياة السياسية والاجتماعية في عصر الشيخ مصطفى صبري.

* * *

---

(١) كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٦٩٨.



- نسبه .
- مولده ونشأته .
- تعلمه .
- أسرته .
- نشاطه العلمي .
- نشاطه السياسي .
- تنقلاته وأسفاره .
- استقراره في مصر .
- مرضه ووفاته .

الفصل الثاني

حياة شيخ الإسلام مصطفى صبري

نسبه:

هو الشيخ مصطفى صبري التوقادي بن أحمد بن محمد القازابادي[1]، من أب وأم أناضوليين ذوي نسبٍ عريق في الترك، كما قال هو عن نفسه: «ولدتُ في سُرّةِ الأناضول ببلدة توقاد، وأبي وأمي وكذا أبواهما، وأبو أبويهما، وهكذا دواليك كلُّهم أناضوليون ذوو نسبٍ عريقٍ في الترك»[2].

مولده ونشأته:

ولد في مدينة (توقاد، أو توقات كما تلفظ الآن) من توابع ولاية سيواس في الأناضول، وذلك في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، من عام (١٢٨٦هـ) الموافق للحادي والعشرين من حزيران (يونيو) من عام (١٨٦٩م). وهذا ما ذكره بنفسه ثم قال: «ولي بيتانِ في ذلك أنشدتُهما مفتخراً

---

(١) انظر: مصطفى صبري ـ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين: ١/ ٧١. وننبّه هنا على أن اسم (مصطفى صبري) هو اسم الشيخ نفسه، وهو اسم مركب على عادة الأتراك، أما والده فاسمه أحمد كما هو مذكور أعلاه.

(٢) النكير على منكري النعمة، ص٩٨.

ومضمناً لمصراعٍ من قصيدة البوصيري (٦٠٨ ـ ٦٩٦هـ).

أَكَـرِمْ بِـهِ مَـولِـداً واسمـاً يُشَـرِّفُنـي بِمصطَفى اللهِ في الأَمْرينِ تَسْويتَي
فَلِـي المزيـدُ على مـا قَـاْلَ قائِلُـه فـإنَّ لـي ذِمَّـةً مِنـهُ بِتَسمِيَتـي»[1]

نشأ في بيتِ علمٍ وفضلٍ، وتَرَبَّى على تعاليم القرآن الكريم، حيث حفظه عن ظهر قلب وَجَوَّده ولم يتجاوز العاشرة من عمره، وكان والدُه رجلاً متديناً تقياً صالحاً، وكانت أعظمُ أمانيهِ أن يجتهدَ ابنُه في طلب العلم، ويصبحَ عالماً من علماء الدين، وكان في رغبتِه هذه أشدُّ شرهاً من المَنْهُومَين[2]، كما كان محبّاً للعلم والعلماء، ولذا كان دائماً يَجْمعُ علماءَ بلدته في بيتهِ، ويُكْرِمهم، ويُسلِّطهم على ابنه مصطفى صبري لكي يسألوه ويناقشوه فيما تعلّمه في الابتدائية من العلوم الإسلامية.

تعلمه:

لقد بَدت على الشيخ مُنْذُ صغر سنّه مخايل النبوغ والذكاء، وقد درس العلومَ الإسلامية ـ علوم القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وعلم القراءات، وعلم العقيدة، والتفسير، والفقه، وأصول الفقه، وغيرها ـ دراسةً مستفيضةً على أيدي كبار العلماء والفقهاء.

حيث درس الابتدائية في مسقط رأسه (توقاد)، وحفِظَ القرآن الكريم، ولما أتمّ دراسته على أيدي كبار أهل الفضل ببلدتهِ أمثال الشيخ (أحمد أفندي

---

(١) موقف العقل: ٤/ ٣٨٨ هامش.
(٢) انظر: المرجع السابق: ١/ ١.

زُولْبيه زاده)[1] أقنعَ والدته بأن تأذنَ له، وتستأذن والده بالسفر لأولِ مرة إلى مدينة (قيصرية)[2]، وبعد أن أَذِنَ له والدهُ سافرَ إليها، وكان في ريعان الصبا والشباب، وأخذ يَنْهلُ من مناهل العلم، حيث أصَّلَ دراسته الشرعية على يد الشيخ (محمد أمين الدُّورِيكي)[3].

ثم انتقل إلى الآستانة، حيث أتمَّ دراسته المترتبة لعلوم الشريعة لدى الأُستاذ العالم الفقيه الشيخ (أحمد عاصم الكومِلْجَنوي)[4] وكيل الدرس في

---

(١) أحمد أفندي زولبيه زاده: من كبار العلماء الأتراك، وأحد فقهاء مدينة (توقاد)، تتلمذ على الشيخ محمد أمين الدُّورِيكي، وحصل منه على الإجازة العلمية، كان يُدرِّسُ لتلاميذه كتاب (شرح الشمسية) للقطب الرازي، في علم المنطق.

(٢) من توابع ولاية (سيواس) بالأناضول، كانت آنذاك مركزاً من مراكز العلوم الإسلامية في الدولة العثمانية، وقد اشتهرت بكثرة علمائها، وكانت توازي في العلم والعلماء كلاًّ من (الآستانة) و(قونية).

(٣) محمد أمين الدوريكي: من كبار العلماء الأتراك، وأحد فقهاء مدينة (قيصرية)، اشتهر باسم داماد (أي صهر) الحاج طَرّون أفندي، وكان له اهتمامٌ بعلم العقائد والمنطق.

(٤) أحمد عاصم بن محمد الكوملجنوي: وكيل الدرس بالمشيخة الإسلامية ما يزيد على ربع قرن، ولد سنة (١٢٥٢هـ) في قرية (تَرزي ويران) في لواء (كوملجنة) تخرَّج في دار العلوم على يد العلاَّمة عبد الرحمن القرين آبادي، عُيِّن رئيساً للجنة امتحان العالمية، وتوفي في رجب سنة (١٣٢٩هـ ١٩١١م). انظر: زكي مجاهد ـ الأعلام الشرقية: ١/ ٧٩.

المشيخة الإسلامية[1].

ولقد فاق الشيخ مصطفى صبري أقرانه في الآستانة، وبَزَّهم بعلمهِ وسعة أفقه، وشدَّ انتباه مشايخِه بحدةِ ذكائه، وقوة حافظتـه، وعُمْـقِ تحصيلـه، خصوصاً شيخه أحمد عاصم الكوملْجَنوي، الذي زوّجه ابنتَه ـ بعد ما أجازه ـ من شدَّة إعجابه به.

أسرته:

بعدما تَزوَّج الشيخ (علوية هانم) كريمة أستاذه وشيخه أحمد عاصم الكوملْجَنَوي أنجبَ ـ رحمه الله ـ ثلاثةَ أولادٍ: ابناً وبنتين[2] وهم على الترتيب:

١ ـ **إبراهيم**: وهو أكبر أولاد الشيخ، وقد تأَثَّر بوالدهِ كثيراً، وشاركه في جهاده ومحنته وتنقلاته، واشتهرَ شاعراً وأديباً كبيراً، وعَمِلَ عدة سنوات أستاذاً في إحدى جامعات ليبية في (بنغازي)[3]، حصل على درجة الأستاذية في الأدب، ثم أصبح أستاذاً ورئيساً لقسم الآداب الشرقية بجامعة الإسكندرية، وظلّ يعمل بها إلى أن تـوفي ـ رحمه الله ـ في لندن يوم السـبت ١٧ شـوال (١٤٠٣هـ) الموافق ٢٨ تموز (يوليو) (١٩٨٣م)، ودُفِنَ في اليوم التالي في القسم الخاص بمدافن المسلمين في مقبرة (Woking). وأنجبَ أربعةَ أولادٍ: ابناً وثلاث بنات، وهم: محمد، وبُشْرى، وعُلْيا، وشَيْما.

---

(١) انظر: موقف العقل: ١/١ هامش.

(٢) انظر: الملحقين رقم (٢) و(٣) ص (٤٠٢ و٤٠٩).

(٣) انظر: Dr. Abdülkadir Altunsu - Oamanli Seyhülislamlari,s 258.

٢ ـ **صبيحة**: وهي ابنةُ الشيخ الكبرى، تَزوَّجت من أكبر خَطَّاط ونَقَّاش في مصر يُدْعى محمد علي، وهو الذي لا تزالُ نقوشُه وزخرفتُه موجودةً إلى الآن في التقاويم المصرية، وقد توفّي قبل الشيخ مصطفى صبري، وبعد عدة سنوات توفيت صبيحة هانم في القاهرة.

٣ ـ **نزاهت**: وهي ابنة الشيخ الصغرى، تَزوَّجت من رجل يُدْعى علي وصفي، ولما توفي، أقامت عند إحدى بناتها في ضاحية من ضواحي إستانبول، وتوفيت في صيف عام (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م)[١]، وصُلي عليها في جامع الفاتح بإستانبول[٢].

نشاطه العلمي:

كان الشيخُ مصطفى صبري محباً للعلم والعلماء، شغوفاً بمدارسة العلوم الإسلامية وتدريسها لطلاب العلم، وكانت له جهودٌ كبيرةٌ ونشاطٌ متعدد في كثير من المجالات العلمية في الدولة العثمانية، وهي ما يلي:

أولاً ـ عمله في حقل التدريس والتعليم:

بدأ الشيخ نشاطه العلمي بعد تحصيله العلوم الإسلامية في الآستانة، حيث دخل امتحان التخرج المسمى (رؤوس) للأستاذية عام (١٣٠٧هـ = ١٨٩٠م)[٣] فنجح فيه، ونال شهادة العالمية بدرجة (المتفوق جداً)، وشَرَع

---

(١) ولقد أجريتُ معها لقاءً قبل وفاتها بعدّة أشهر، راجع الملحق رقم (٢) ص ٤٠٢.

(٢) انظر: الملحق رقم (٤) ص ٤٢٢.

(٣) انظر كلاً من: =

في التدريس بدرجة مدرس عام في جامع السلطان محمد الفاتح[1] (١٤٢٨ ـ ١٤٨١م) فصارت له حلقةُ علمٍ وطلاب يدرسون عليه، وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره بعد.

واستمرّ في التدريس بهذا الصرح العلمي الكبير سنوات طويلة، أجاز خلالها خمسين طالباً من طلبة العلم الذين درسوا على يديه، من بينهم طالب يُدْعَى سعيد أفندي[2]، وطالب آخر اسمه الشيخ كامل ميراث[3]. وقد أُقيم لهم

= Rehber Ansiklopedisi, Cilt 12-Fasikül 22, S336.
Türk Ve Dünya Ünlüler Ansiklopedisi, Cilt 8,S4106.

(١) وكان هذا الجامع في عهد الدولة العثمانية آنذاك كالأزهر الشريف في مصر سابقاً أيام عزّه ومجده.

(٢) الشيخ سعيد أفندي: درس على الشيخ مصطفى صبري سنوات طويلة إلى أن أجازه، ثم عَمِلَ مفتياً لقضاء نيقصار إلى أن توفي عام (١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م). انظر: الملحق رقم (٤) ص٤٢٢.

(٣) كامل ميراث: عالم جليل، له جهودٌ علمية عديدة، منها أنَّه شَرَحَ (صحيح البخاري). ولد في (أفيون قره حصار)، وهي مدينةٌ في وسط الأناضول بين (أسكي شهر) و(قونية)، وفيها نشأ وتلقّى العلم، ثم انتقل إلى (الآستانة) لإتمام دراساته الشرعية، وفي ذلك يقول متحدِّثاً عن نفسه: «لما تخرّجتُ في بلدتي (أفيون قره حصار) انتقلتُ إلى (الآستانة) لمواصلة تعليمي فيها، ولمَّا وصلتُ هناك، أمضيتُ بضعةَ أيام، تنقَّلتُ خلالها بين حلقات العلم في جامع الفاتح، وجامع بايزيد، وجامع أياصوفية، وذلك بحثاً عن الأستاذ الأنسب لكي أتتلمذ على يديه، وفي اليوم السابع حضرتُ حلقةَ درسٍ في البلاغة في جامع الفاتح لشيخٍ فاضل شاب في الخامسة والعشرين من عمره تقريباً، =

احتفال كبير في جامع الفاتح سنة (١٣٢١هـ = ١٩٠٣م)، حضره كبار العلماء، كما حضره وفدٌ من قِبَلِ السلطان عبد الحميد الثاني نيابةً عنه، وقَدَّموا لهم الهدايا الثمينة باسم السلطان تكريماً وتشجيعاً لهم[١].

كما أجاز الشيخ محمد صبري عابدين[٢]، والعالم الفاضل الشيخ حاجي سليمان سامي أفندي بن إسماعيل اللوله برغوسي[٣].

وفي عام (١٣١٤هـ = ١٨٩٦م) مُنِحَ إمامةَ جامع (الآثارية) في بشكطاش[٤] مع التدريس به[٥]، ثم عُيِّن مدرساً للتفسير في مدرسة (الواعظين)، وانتُخِبَ من قِبَلْ مجلس المدرسين في كلية الإلـٰهيات بجامعة

= فاستمعتُ إليه، فإذا به يُدَرِّس كتاب (المُطَوَّل) في البلاغة للعلاَّمة سعد الدين التفتازاني، يشرحُ أبياتَ الكتاب ويُفسّرها تفسيراً رائعاً، سحرني وملك علي عقلي وفكري، فسألتُ من حولي عن هذا الشيخ فقيل لي: هو الشيخ مصطفى صبري التوقادي، فلازمتُه مدة عشر سنين أتلقّى منه العلمَ حتى نِلْتُ منه الإجازة العلمية». الملحق رقم (٥) ص٤٣٤.

(١) انظر: الملحق رقم (٤) ص٤٢٢.

(٢) الشيخ محمد صبري عابدين: من كبار علماء فلسطين، كان مراقباً على الشؤون الدينية بالمجلس الإسلامي الأعلى، وأحد المدرّسين في المسجد الأقصى بالقدس.

(٣) راجع: الملحق رقم (٧) ص (٤٦٥ و٤٦٦).

(٤) بشكطاش: حيّ من أحياء إستانبول.

(٥) انظر كلاًّ من:

Dr. Abdülkadir Altunsu - Osmanli Sehülislamlari. S 254.

Rehber Ansiklopedisi - Cilt 12 Fasikül 22, S336.

الآستانة (دار الفنون) مدرساً للتفسير أيضاً.

وبعد ذلك نُقِلَ إلى التدريس في مدرسة (المتخصصين)[(١)]، حيث دَرَّسَ فيها (صحيح الإمام مسلم) رحمه الله[(٢)]، وفي الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة (١٣٣٧هـ) الموافق للخامس والعشرين من شهر كانون الأول (ديسمبر) سنة (١٩١٨م) عُيِّنَ مدرساً للحديث الشريف في المدرسة (السليمانية)[(٣)].

ثانياً ـ اشتراكه في (دروس الحضور):

وفي عام (١٣١٦هـ = ١٨٩٨م) اختِيرَ ليكونَ عضواً من الأعضاء المخاطبين في دروس الحضور[(٤)]، التي كانت تُلْقى في حضرة السلطان عبد

---

(١) انظر: مجلة الهداية الإسلامية ـ الجزء الثامن من المجلد الرابع عدد محرم (١٣٥١هـ)، ص٣٣٤.

(٢) انظر: الملحق رقم (٣) ص٤٠٩.

(٣) انظر كلاً من:

Türk Ve Dünya Ünlüler: Ansiklopedisi, Cilt 8. S4106.
Dr. Abdülkadir Altunsu - Osamanli Seyhülislamlari,s 255.

(٤) دروس الحضور: دروس علمية كانت تُلقى بحضرة السلطان في شهر رمضان، وقد اعتاد السلاطين عقدها منذ عهد السلطان مصطفى الثالث، الذي استحدثها بالقانون سنة (١١٧٢هـ= ١٧٥٩م)، وجعلها دروساً تُعقد في شهر رمضان من كلّ سنة، ودخلت كمؤسسة في تشكيلات الدولة العثمانية، وقد تمّ الاصطلاح عليها بـ(دروس الحضور)، وكان مجلس تلك الدروس يتكوَّن من كبار العلماء الأفذاذ المتبحّرين في العلوم الإسلامية، وكان عددهم لا يقلّ عن=

الحميد، وكان الشيخ أصغر الأعضاء سناً في ذلك الوقت، وقد لفت انتباه السلطان بحدةِ ذكائه، وقوة إدراكه، ومجاراته العلماء الكبار، وبمقدرتِه العلمية[1]، فنالَ تقديره وإعجابه، وَعيَّنه قَيِّماً عاماً لمكتبته الخاصة الضخمة

= خمسة عشر عضواً، ويُختار واحدٌ منهم ليكون مقرّراً، وهو عادة يكون أكبرهم سنّاً، وأكثرهم علماً، وأطولهم باعاً في هذا المجال، أما البقية فيكونون مخاطبين، ويجلس السلطان على يمين المقرّر، والمخاطبين أمامه، وكانت هذه الدروس تُعقد في قصر السلطان، وكانوا يتدارسون علوم الدين الإسلامي من تفسير وحديث وفقه وأصول فقه... ويبدأ المقرّر في عرض المسائل الشرعية وتقريرها، وإذا انتهى بدأت المناقشة من جانب المخاطبين، أما السلطان فيكون مستمعاً إليهم، وإذا مرّوا بنقطة مهمة أو مسألة فقهية وأراد السلطان التوسع فيها فإنه يقوم بتكليف أحد العلماء الحضور للقيام ببحثها.

وقد انتهت هذه المجالس العلمية بعد إلغاء الخلافة الإسلامية وإعلان الجمهورية حسب القرار رقم(٣٤١) الصادر في ٢٦ من شهر رجب (١٣٤٢هـ) الموافق ٣ آذار (مارس) (١٩٢٤م).

انظر: Dr.Prof Ebül'ula Mardin- Hüzur Dersleri, Cilt 1,s5.

(١) وكان مما أثار إعجابَ السلطان عبد الحميد به، أنه في يوم من الأيام التي عُقِدَ فيها درس الحضور بحضرة السلطان تطرَّق المقررُ إلى مسألة (اليمين الغموس) وقد انتقل منها إلى مسألة أخرى، فرأى مصطفى صبري أنه لم يَفِها حقّها من البحث والدرس، كما أنَّ المخاطَبين لم يَتعمَّقوا في مدارستها، ورأى أنَّ هناك أموراً وتفصيلات أخرى في المسألة لم يتطرَّقوا إليها، ولكنّه خجل ـ لصغر سنه ـ أن يستدركَ عليهم، ولما انتهى هذا المجلس انصرف إلى بيته ليلاً، وأخذَ يبحثُ في تلك المسألة حتى بزوغ الفجر، وانتهى إلى تأليف رسالة في (اليمين الغموس)، ثم ذهب في اليوم التالي إلى قصر السلطان عبد الحميد، وسلّمها=

الغَنيَّة بالكتب والمخطوطات الكثيرة[١]، ونَال وساماً علمياً عثمانياً ومجيدياً من الدرجة الرابعة.

وفي الخامس عشر من شهر رمضان سنة (١٣١٧هـ) الموافق للسادس من كانون الثاني (يناير) سنة (١٩٠٠م) انضمَّ إلى سِلْك كُتَّاب السلطان، وتَولَّى العمل (مديراً للقلم الخاص) للسلطان عبد الحميد، ونَال خلالَ هذه الفترة ميدالية اللياقة الذهبية، ومُنِحَ أيضاً وساماً عثمانياً من الدرجة الرابعة، واستمرّ في عمله هذا بالإضافة إلى اشتراكه في دروس الحضور[٢] حتى عام (١٣٣٢هـ = ١٩١٣م)[٣].

وفي عام (١٣٢٣هـ = ١٩٠٥م) انضم عضواً إلى لجنة تدقيق المؤلفات الشرعية[٤].

= إلى كاتبه الخاص كي يسلّمها للسلطان، فاطّلع عليها السلطان، وأُعجبَ بها كثيراً. انظر: الملحق رقم (٤) ص٤٢٢.

(١) انظر: مجلة الهداية الإسلامية ـ الجزء الثامن من المجلد الرابع، عدد محرم (١٣٥١هـ)، ص٣٣٣. وقد انتقلت هذه المكتبة مؤخّراً إلى مكتبة (بايزيد) المجاورة لجامع (بايزيد) في إستانبول.

(٢) وقد استمرَّ في المشاركة في دروس الحضور ستة عشر عاماً.

(٣) انظر كلاً من:

Dr. Abdülkadir Altunsu - Osamanli Seyhülislamlari,s 254.

Rehber Ansiklopedisi - Cilt 12 Fasikül, 22, S336.

Sadik Albayrak - Son Devir Osmanli Ulewasi, Cilt 4, S251.

(٤) انظر كلاً من: مجلة الهداية الإسلامية ـ الجزء الثامن من المجلد الرابع، عدد محرم (١٣٥١هـ)، ص٣٣٤.

=Rahmi Serin- Tokatli Osmanli Seyâ   ül Islamari, s6 - 7.

ثالثاً ـ اشتراكه في الجمعية العلمية الإسلامية:

وفي الخامس عشر من شهر رجب عام (١٣٢٦هـ) الموافق للثاني عشر من شهر آب (أغسطس) عام (١٩٠٨م) اجتمع علماء الآستانة لتأسيس جمعية لهم باسم (الجمعية العلمية الإسلامية)[1] وكان عددهم مئة وثلاثة عشر عالماً، وفي الانتخاب السري الذي أَجْروه لمجلس إدارة الجمعية نال الشيخ مصطفى صبري مئة واثني عشر صوتاً، أي جميع أصوات العلماء الحاضرين ماعدا صوته هو، ولم يَنَلْ أحدٌ غيره مثل هذا الإجماع.

= وهو من ضمن الأبحاث المُقدَّمة إلى المؤتمر المُقام في معهد بحوث شيخ الإسلام (ابن كمال باشا) المنعقد في ٢ ـ ٦ تموز (يوليو) (١٩٨٦م) في مدينة (توقاد) بتركية.

(١) هذه الجمعية هي **أولاً**: جمعية علمية تتطلَّع إلى إنشاء المدارس الدينية وإحيائها في الدولة العثمانية، وإلى العمل على رفع مستوى تحصيل العلوم الإسلامية، وإلى إقرارها ضمن المناهج التعليمية في مختلف المدارس في الدولة العثمانية.
وهي **ثانياً**: جمعية دينية تسعى ـ عن طريق الجرائد والمجلاّت والندوات والمحاضرات والوعظ والنصح والإرشاد ـ إلى تقوية ارتباط المسلمين بدينهم، وتعليم فئات الشعب جميعاً الأحكام الإسلامية الضرورية لكل مسلم، وتوعيتهم وتبصيرهم بأمور دينهم، كما تعمل على بعث الهيئات العلمية إلى الأماكن المختلفة للدعوة إلى الإسلام، وللردّ على الأفكار المُغْرِضة التي تعمل على تشويه الدين الإسلامي، وطمس حقائقه الفكرية.
انظر: مجلة (بيان الحق) المجلد الأول، العدد الأول ٩ رمضان ١٣٢٦هـ، ص١٠ ـ ١١.

وأصدرت هذه الجمعية مجلةً علميةً إسلاميةً باللغة التركية، ناطقةً باسمها، هي مجلة (بيان الحق) التي كانت موضعَ الحرمةِ باعتدالها وتحقيقها، والتي ترأس الشيخ تحريرها سنين طويلة[1].

رابعاً ـ عضويته في دار الحكمة الإسلامية[2]:

---

(١) انظر: مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء الثامن من المجلد الرابع، عدد المحرم (١٣٥١هـ)، ص٣٣٤.

(٢) دار الحكمة الإسلامية: مؤسسة علمية إسلامية تابعة للمشيخة الإسلامية، وتُعتبر آنذاك أكبر مَجْمَع علمي في الدولة العثمانية، يضم كبار العلماء والمفكّرين، وكان من الأعضاء البارزين لهذه الدار: حسين عوني أفندي، والعالم المفسّر محمد حمدي، والشيخ بديع الزمان النورسي، ومحمد عاكف الشاعر المعروف، وأزميرلي إسماعيل حقي، وإبراهيم الحيدري (شيخ الإسلام)، والشيخ بدر الدين، والشيخ مصطفى توفيق، والشيخ جودت برقامي، وشوكتي أفندي. وتنقسمُ الدار ـ داخلياً ـ إلى ثلاثة أقسام: قسم الفقه، وقسم الكلام، وقسم الأخلاق. أما الوظائف والأعمال المنوطة بالدار فهي كثيرة، من أهمها:

١ ـ العمل على إبراز كل من:

أ ـ الأحكام والحوائج الإسلامية.

ب ـ الحقائق والمبادئ الإسلامية.

جـ ـ الفضائل والغايات الإسلامية.

وتحقيقها في جميع البلاد الإسلامية.

٢ ـ إصدار الفتاوى للمسائل الشرعية، وإصدار التوجيهات العلمية.

٣ ـ تدقيق المصاحف والمؤلّفات الشرعية. =

لمّا تأسست دارُ الحكمة الإسلامية يوم الإثنين ٤ من ذي القعدة (١٣٣٦هـ) الموافق ١٢ آب (أغسطس) (١٩١٨م)[١]، اختِيرَ مصطفى صبري

= ٤ ـ تحرّي وتدوين الأفكار الجارية، سواء في العلوم الإسلامية، أو العلوم التجريبية واختصاصاتها.
٥ ـ العناية بدراسة التاريخ الإسلامي، ولا سيّما في عصوره المتأخّرة.
٦ ـ الاتصال بالعلماء والمفتين والمدرّسين والأئمة والخطباء والوُعّاظ، داخل الآستانة وخارجها، للاستفادة منهم في تبادل الآراء والأفكار، وفي إصدار القرارات، وفي تأليف المؤلّفات النافعة والمفيدة.
٧ ـ العمل على تربية المسلمين على هدي الإسلام، وإظهار الفضائل والأخلاق الإسلامية وتعميمها، وتصفية وجدان الأمة، وذلك عن طريق تأليف الرسائل والكتيبات التي تحتوي على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحِكَم والأمثال والعِبَر والوقائع التاريخية والخُطَب والمواعظ والأشعار.
٨ ـ تأليف الكتب الميسّرة التي تحتوي على التعاليم والأحكام الإسلامية لتدريسها للطلاب في المدارس والمساجد في جميع أنحاء الدولة العثمانية.
٩ ـ تأليف الكتب التي تبحث في مدنية الإسلام وفلسفته الاجتماعية وأسباب الترقي والتدنّي.
١٠ ـ دعوة غير المسلمين في الدولة إلى اعتناق الدين الإسلامي.
وكانت آخر جلسة لأعضاء الدار في ١٥ ربيع الأول (١٣٤١هـ) الموافق ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ـ عام (١٩٢٢م)، وخَتمت الدار أعمالها نهائياً في ٢٨ ربيع الأول (١٣٤١هـ) الموافق ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٢٢م).
انظر: Sadik Al Bayrak - Son Devrin Islam Akademisi Darül Hikmetil Islamiye, S88 - 97.

(١) انظر: مصطفى زكي العاشور ـ بديع الزمان نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص٤٣.

ليكونَ عضواً من أعضائها، حيث قَدَّمَ شيخ الإسلام في ذلك الوقت الشيخ إبراهيم الحيدري[1] إلى السلطان محمد وحيد الدين توجيهاً علمياً بإمضائه يحتوي على قرار تعيينه عضواً في الدار بتاريخ ١٢ صفر عام (١٣٣٧هـ) = ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩١٨م)[2].

خامساً ـ توليه مشيخة الإسلام[3]:

---

(١) إبراهيم الحيدري: ولد سنة (١٢٨٢هـ= ١٨٦٥م) بمدينة (أربل) ونشأ بها، وتلقَّى العلم، ثم التحق بالوظائف الحكومية، وفي سنة (١٣٣٣هـ) عُيِّنَ عضواً في دار الحكمة الإسلامية، وبعد عام عُيِّن شيخاً للإسلام، توفي سنة (١٣٤٩هـ= ١٩٣١م). انظر: زكي مجاهد ـ الأعلام الشرقية: ١/ ٤٩.

(٢) انظر: (جريدة علمية) المجلد الثالث ـ عدد (٤١)، ص١١٩٧.

(٣) تأسَّست مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية في زمن السلطان محمد الفاتح، واكتسبت صفةً رسميةً بشكل نهائي في عهد السلطانين سليم وسليمان القانوني، وكان أول شيخ للإسلام في الدولة العثمانية بشكل رسمي هو (زنبيللي علي أفندي) المتوفَّى سنة (١٥٢٥م)، وكان أنبه العلماء وأعلمهم وأورعهم هو الذي يُولَّى مقام المشيخة الإسلامية احتفاظاً بمهابته العظيمة في القلوب، وتأثيره العميق في توجيه شؤون الأمة نحو الخير والصلاح، وكان يُشترطُ فيه أن يكونَ قد أمضى سنين طويلة في تلقّي العلوم الإسلامية، وأن يكون قد نال الإجازات العلمية من كبار العلماء، وأن يكون قد تولَّى مناصب ومهام دينية وعلمية عالية، وكان يُصْدِرُ فتاواه في المسائل الشرعية وفي الأمور التي تتعلَّق بالصالح العام، كما جرى العرف في الدولة العثمانية بأن يُستشار في جميع المسائل السياسية ذات الشأن الخطير، وكان من حقّه أن يُرشِّح للسلطان من يقتضي الأمرُ تعيينهم في مراتب القضاء. ومنذ بداية القرن التاسع=

= عشر أخذ مشايخ الإسلام يشتغلون بسياسة الدولة، ويُولون الأمور السياسية قسطاً كبيراً من اهتماماتهم. ولما شَرَعت الدولة العثمانية في الأخذ بالأساليب الحديثة؛ أنشئت بالتدريج مصلحة إدارية للمشيخة الإسلامية تضم (شيخ الإسلام) ومساعديه في أداء مهامه الكثيرة مثل: (الكَتَخْدَا): وهو المعتمد أو الوكيل، و(الكَخْيَا): وهو رئيس الموظفين، و(التَّلْخِيصجِي): وهو الذي يقوم بتلخيص المعروضات والشكاوى لشيخ الإسلام، و(المَكْتُوبجِي): وهو مَنْ يقوم بتحرير الرسائل والفتاوى، و(أمين الفتوى): وهو الذي يقوم بإعداد الفتاوى التي يطلبها الجمهور، ويتولى إصدارها. وقد أحكمت روابط هذا النظام الإداري في عهد (التنظيمات)، وجعل مقر المشيخة الإسلامية الرسمي في المكان الذي كان مخصَّصاً من قَبْل لـ(آغا الإنكشارية)، وأصبح يُطلق عليه (باب الفتوى)، وأصبحَتْ هذه المشيخة تتولّى إدارة وتصريف أمور جميع الهيئات التي قوامها الدين الإسلامي إلا إدارة الأوقاف، وأصبح (شيخ الإسلام) وزيراً في الوزارة يَبْقَى في منصبِه ما دامت الوزارة ـ التي هو عضوٌ فيها ـ باقية في الحكم، بل أصبح له السبق على سائر الوزراء بموجب القانون الأساسي المُعْلَن عام (١٨٧٦م) الذي ورد في أحكامه أنّ (شيخ الإسلام) والصدر الأعظم (رئيس الوزراء) يتم تعيينهما من قِبَلِ السلطان نفسه، أما سائر الوزراء فيتم تعيينهم من قِبَلِ الصدر الأعظم.

وقد أُلغيت المشيخة الإسلامية منذ تجريد الخلافة عن السلطة على يد الكماليين، ولقد تولّى هذا المقام السامي منذ إنشائه بشكل رسمي إلى إلغائه نحو مئة وواحد وثلاثين شيخاً من مشايخ الإسلام على اختلاف منازلهم، كان آخرهم شيخ الإسلام مدني محمد نوري أفندي. انظر كلاً من: دائرة المعارف الإسلامية ـ المجلد الثالث عشر، مادة (شيخ الإسلام)، ص٤٧٣ ـ ٤٧٩.

ثم تَرقّى الشيخ إلى أعلى المناصب العلمية الدينية في الدولة العثمانية، ألا وهو منصب (شيخ الإسلام)، وكان هذا تأكيداً لمستواه وقيمته العلمية، حيث تولّى هذا المنصب أربع مرات متتالية، وإن كانت لفتراتٍ قصيرة بلغت في مجموعها ثمانية أشهر وواحداً وعشرين يوماً. وكان تعيينه في المرة الأولى عندما وصل حزب (الحرية والائتلاف) إلى السلطة وتَسَلَّم دِفَّةَ الحكم، وعندما تكوّنت الحكومة الجديدة برئاسة الداماد فريد باشا الأولى، حيث صدرت إرادة السلطان محمد وحيد الدين بتعيينه شيخاً للإسلام وذلك يوم الثلاثاء غرة جمادى الآخرة سنة (١٣٣٧هـ) الموافق ٤ آذار (مارس) (١٩١٩م)، ولما سقطت وزارة الداماد فريد باشا استقال من منصبه مساء يوم الخميس ليلة الجمعة ١٤ ـ ١٥ شعبان (١٣٣٧هـ) الموافق ١٥ ـ ١٦ مايو (١٩١٩م)، وقد استمرت مشيختُه الأولى هذه شهرين وثلاثة عشر يوماً.

ولما كَوَّن الداماد فريد باشا وزارته الثانية عُيِّن الشيخ فيها شيخاً للإسلام للمرة الثانية، وذلك يوم الإثنين ١٨ شعبان سنة (١٣٣٧هـ) الموافق ١٩ أيار (مايو) (١٩١٩م)، ثم استقال مع الوزارة يوم الأحد ٢١ شوال سنة (١٣٣٧هـ) الموافق ٢٠ تموز (يوليو) (١٩١٩م). وهكذا استمرّت مشيختُه الثانية شهرين ويومين.

ولما كَوَّن الداماد فريد باشا وزارته الثالثة عُيِّن الشيخ أيضاً فيها شيخاً للإسلام للمرة الثالثة وذلك يوم الإثنين ٢٢ شوال سنة (١٣٣٧هـ) الموافق

Meydan Larousse - cilt 11S, 773.
Ismail Hami Danismend - Osmanli Tarihi Kronolojisi Cilt 5S, 165.

٢١ تموز (يوليو) (١٩١٩م)، ولمّا أُقيلت الوزارة استقال هو أيضاً مساء يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء ٥ ـ ٦ المحرم (١٣٣٨هـ) الموافق ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١ تشرين الأول (أكتوبر) (١٩١٩م)، وهكذا استمرّت مشيختُه الثالثة شهرين وأحد عشر يوماً، ولمَّا تكوَّنت وزارة الداماد فريد باشا الخامسة عُيِّن الشيخ فيها أيضاً شيخاً للإسلام ـ بعد انقطاع دام عشرة أشهر ـ للمرة الرابعة، وذلك يوم السبت ١٥ من ذي القعدة سنة (١٣٣٨هـ) الموافق ٣١ تموز (يوليو) (١٩٢٠م)، ثم استقال من منصبه يوم السبت ١١ المحرم سنة (١٣٣٩هـ) الموافق ٢٥ أيلول (سبتمبر) (١٩٢٠م) وذلك لما سارت الوزارة في سياستها الداخلية في اتجاه لم يوافق عليه. وهكذا استمرت مشيخته الرابعة شهراً واحداً وخمسة وعشرين يوماً فقط[١].

وكما أن منصب (شيخ الإسلام) يعدُّ مركزاً علمياً كبيراً مؤثراً، فهو أيضاً في الوقت نفسه يعدّ مركزاً سياسياً قوياً، له دور كبير في المشاركة في أمور الدولة السياسية وتوجيهها، ولذا فقد حاول مصطفى صبري ـ بحكم معرفته بما يدور حوله من أحداث سياسية، ومعرفته بالأخطار التي بَدأت تُهدد

---

(١) انظر: Islamil Hami DaniSmend-Osmanli Tarihi Kronolojist Cilt 4,S561-562.
ولقد تولَّى منصبَ المشيخة الإسلامية في الفترة ما بين استقالة الشيخ من ذلك المنصب في المرة الثالثة إلى توليته إياه في المرة الرابعة اثنان من مشايخ الإسلام؛ هما: الشيخ إبراهيم الحيدري ـ وهي المرة الثانية بالنسبة له ـ، والشيخ عبد الله درّي زاده صاحب الفتوى التي صدرت في عهد السلطان محمد وحيد الدين، والتي أعلنت بغيَ مصطفى كمال وخروجه على الإمام.

الإسلام وحاكميته في الدولة العثمانية ـ أن يستفيدَ من منصبه هذا في الدفاع ـ بكل ما أوتي من قوة ـ عن الإسلام وعن نظمه وأحكامه، وجَعْلِه قانون الدولة، وفي الكشف عن خُطَط القوى والمنظمات المعادية للإسلام وحيَلها، وفي تنبيه المسلمين وإطْلاعِهم على خُبْثِ نواياهم منذ وقت باكر.

كما أسهم بقوة في توجيه سياسة الدولة، وفي المناداة بتحكيم الشريعة الإسلامية، وإحلال كلام الله محل الحكم في المجتمع، وهذا هو مبدؤه الإسلامي الذي لم يحد عنه طوال حياته.

نشاطه السياسي:

لقد كان مصطفى صبري مهتماً بالسياسة حتى إنّه قضى ثلث قرن من عمره في حياة الكفاح والنضال السياسي، تَقَلَّد فيه عِدّةَ مناصب سياسية، أخذ على عاتقه فيها الدفاع عن دين الأمة وأخلاقها وآدابها وسائر شؤونها، وقد عانى خلال هذه الفترة ألوانَ الشدائدِ والمصائبِ من مطاردةٍ واعتقالٍ واعتداءٍ واغترابٍ عن الأهل والمال والوطن في سبيل عدم مغادرة المبادئ[1].

ولقد كانت السياسة تحتلُّ جزءاً كبيراً من تفكيره، حتى إنه كان يقول:

«اعلم أن الأمور منتهيةٌ إلى السياسة، ومنها يَستفيدُ كلُّ خير أو شر قوةَ الوجود في الخارج ابتداءً وبقاءً، وأنَّ المساعي المتعلّقة بمصلحة العامة إن تَجرَّدت عن السياسة تَذهبُ هباءً وهواءً، وكل نصيحةٍ لا تؤيدها السياسة فهي

---

(١) انظر: مصطفى صبري ـ موقف العقل: ١/ ٢.

بمنزلة تَضرّع العاجز، إن شاء المنصوحُ له يسمعه مع كون (المسألة) أهم من أن تكون مُعَلَّقة على نصفته أو سماحته، وإن شاء يَضحك من عجز الناصح، ورُبَّما عاقبه عليها إن لَج»[١].

ولذا كان يدعو علماء الدين إلى الاشتغال بالسياسة؛ وذلك لكي يُسْهِمُوا في توجيه أصحاب السلطة إلى الحكم بمقتضى الشرع الإسلامي، إذ يقول منكراً عليهم اعتزالهم السياسة، ومبيّناً الأضرار الناتجة عن ذلك الاعتزال: «الذين جَرَّدوا الدين في ديارنا عن السياسة كانوا هم وإخوانهم لا يرون الاشتغال بالسياسة لعلماء الدين؛ بحجةِ أنَّه لا ينبغي لهم، ويُنْقصُ من كرامتهم، ومُرادهم حَكْر السياسة وحَصْرُها لأنفسهم، ومخادعة العلماء بتنزيلهم منزلة العجزةِ، فيُقَبِّلون أيديهم، ويُخَيِّلُونَهم بذلك أنهم محترمون عندهم، ثم يَفعلون ما يشاؤون بدين الناس ودنياهم، مُحَرَّرين عن احتمال أن يَجِيءَ إليهم من العلماء أمرٌ بمعروف أو نهيٌ عن منكرٍ إلا ما يُعَدُّ من فضول اللسان، أو يكْمُن في القلب، وذلك أضعفُ الإيمان. فالعلماء المعتزلون عن السياسة كَأَنَّهُم تواطؤوا مع كلِّ الساسة صالحيهم وطالحيهم على أن يكونَ الأمرُ بأيديهم، ويكون لهم منهم رواتب الإنعام والاحترام كالخليفة المتنازلِ عن السلطة وعن كل نفوذ سياسي. . . »[٢].

ومن هذا يَتبيَّنُ لنا أنّه لم يكن للسياسةِ عنده إلا معنًى واحدٌ، وهو جَعْلُ الشريعة الإسلامية أساساً لإدارة الدولة، وجَعْل السياسةِ آلةً للدين، مستخدمةً

---

(١) النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة، هامش ص١٣٠ .

(٢) المرجع السابق، هامش ص١٣٠ ـ ١٣١ .

في تعزيزه وتنفيذه، لكونها أقوى الآلات الممثلة لقوة الحكومات.

هذا وأعماله السياسية في الدولة العثمانية تبرز فيما يأتي:

أولاً ـ عضويته في مجلس النواب العثماني:

بدأ مصطفى صبري نشاطه السياسي في الدولة العثمانية بعد إعلان الدستور الثاني عام (١٩٠٨م)، إذ انتخبه آنذاك أهالي بلدته (توقاد) لينوبَ عنهم في المجلس النيابي في البرلمان العثماني ويُسمى (مجلس المبعوثان)[١]

---

(١) أحد أجنحة الحياة البرلمانية التي تأسّست في الدولة العثمانية عام (١٨٧٦م)، يتم انتخاب أعضائه ـ من قبلِ المواطنين العثمانيين الذكور ـ في اقتراع سرّي بحيث يمثّل كلُّ عضوٍ خمسين ألف مواطن من الذكور ولمدة أربع سنوات، وقد تمَّ إقرار ذلك بدستور (١٨٧٦م)، وكان المجلس يتكوَّن من مئة وثلاثين عضواً، ثمانون منهم من المسلمين، وخمسون من غير المسلمين، وكان من حقِّ الأعضاء اقتراحُ القوانين ومناقشتها، وذلك بعد حصول الصدر الأعظم على موافقة السلطان مسبقاً، ويبدأ انعقاد المجلس في شهر كانون الأول (ديسمبر) بناءً على دعوة من السلطان ـ وينتهي في شهر آذار (مارس) من كلِّ عام. ولظروف سياسية انْفَضَّ هذا المجلس، وأُوقِفَت اجتماعاته في ١٣ فبراير (١٨٧٨م)، وظلَّ معطَّلاً لمدة ثلاثين سنة، ولما أُعلن الدستور الثاني عام (١٩٠٨م) أُعيد المجلس من جديد، وبدأ في ممارسة مهامه. وكانت جمعية (الاتحاد والترقي) هي صاحبة السيادة السياسية في تلك الفترة، وهي التي سَعَتْ إلى دعم المجلس ضد السلطان محمد رشاد، وسَعَتْ إلى تغيير مواد دستور (١٨٧٦م) حيث تعرَّض إلى تغييرات كثيرة خلال السنوات من أغسطس (١٩٠٩م) إلى (١٩١٤م) شملت مدة انعقاد المجلس، وبداية ونهاية الدورة =

وذلك يوم ٥ شوال سنة (١٣٢٦هـ) الموافق ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) (١٩٠٨م)[١]، ومنذ ذلك التاريخ وهو يقومُ بنشاطه السياسي جنباً إلى جنب مع

= البرلمانية وصلاحيات الوزراء والأعضاء، وكذلك حق إغلاق المجلس وافتتاحه، كما سَيْطَرت على الحكم والتشريع، فلم تسمح لهذا الدستور أن يرى النور، وقد حالت الأزمات الاقتصادية والحروب والتوترات السياسية دون ممارسة المجلس لصلاحياته الكاملة، كما حالت دون قيامه بدوره النيابي المطلوب حقاً، وكان انتخاب أعضاء المجلس الوطني التركي بأنقرة إيذاناً بإغلاق مجلس المبعوثان إلى الأبد.

انظر: Meydan Larousse - Cilt 8, S500.

(١) وقد صُدِّق في مضبطة المجلس في اليوم نفسه، ولكن بالتقويم الرومي ٣٠ تشرين الأول (١٣٢٤) رومية، كما صُدِّق فيها تاريخ تركه للمجلس وهو يوم ٥ كانون الثاني (١٣٢٧) رومية.

وهذا ما وجدتُه بنفسي في مبنى البرلمان التركي بأنقرة ضمن الأوراق المحفوظة هناك الخاصة بالشيخ. وبعد بضعة أشهر من تاريخ انتخابه عضواً في مجلس النواب العثماني قام بزيارة لبلده (توقاد) فاستقبله أهلها استقبالاً مناسباً، ثم قام فيهم خطيباً فألقى خطاباً طويلاً باللغة التركية استهلّه بتقديم شكره وامتنانه لهم على مشاعرهم الطيبة تجاهه، وعلى حسن ظنّهم به، حيث انتخبوه ليكون ممثلاً لهم في مجلس المبعوثان. وقال: إنّ صحته آنذاك كانت لا تسمح له بالسفر والتنقُّل، ولكنه ضحّى بصحّته في سبيل اشتياقه لرؤية بلده وأهلها ورغبته في التحدّث معهم. ثم تكلّم عن الحكومة الإسلامية، وأثبت أسبقيتها في تطبيق مبدأ الشورى في الحكم، كما أثبتَ فَضْلَها وتَفوّقها على أرقى الحكومات الأوروبية الحديثة، وتكلّم عن أهمية الحكم الدستوري ومزاياه العديدة وبيّن أثر الاتحاد والتضامن ـ بين عناصر أي دولة ما ـ في =

نشاطه العلمي، ففي الوقت الذي كان فيه نائباً عن بلده (توقاد) كان أيضاً يُتابع نشاطه العلمي مدرِّساً في جامع السلطان محمد الفاتح، وعضواً في الجمعية العلمية الإسلامية، ورئيساً لتحرير مجلتها (بيان الحق) كما مرّ معنا آنفاً.

وفي أثناء اشتراكه في مجلس المبعوثان كانت البلاد تُدار بأيدي رجال جمعية (الاتحاد والترقي)، وكانت تسيرُ في طريقها إلى الهاوية، وظروفها السيئة كانت تَزدادُ يوماً بعد يوم، وكانت الدولة العثمانية ـ التي ظلّتْ ستةَ قرونٍ تُمَثّل الإسلامَ وتُدافِعُ عنه ـ آخذةً في التداعي والسقوط.

ولذا فقد عَمِلَ كلَّ ما في وسعه لإنقاذ الأمة مما كان ينتظرها، وكافح سياسةَ الظلم والهدم والفسوق في مجلس النواب، وقد هداه الله سبحانه إلى التنبه إلى مكايد السياسيين المنحرفين والحاقدين على الدين، فكشف النقاب لأوّل مرة ـ أثناء نيابته في المجلس ـ عن **المؤامرة الصهيونية التي دُبِّرت للقضاء على كيان الدولة العثمانية**، ونُفِّذت قبل أكثر من نصف قرن بأيدي الاتحاديين، وحكومة حزبهم (الاتحاد والترقي) المنتمي أكثرهم إلى طائفة (الدونمة) اليهودية، وذلك بإلقاء الدولة في الحرب العالمية الأولى وتصفيتها في نهاية الحرب.

= تكوين حكومة قوية ناجحة، وشرح مدلول (التمدّن والمدنيّة) مبيّناً علاقته الوثيقة بالوحدة والاتّفاق بين عناصر الدولة المختلفة، وحثّ الأهالي على السعي لكل ما فيه خير الدولة العثمانية ورفعتها، وأكّد أنَّ ضعف اقتصاد الدولة في وقتها الراهن وتحطّم ثرواتها ينبغي ألاّ يكون مانعاً من السعي في تحقيق الطموحات والآمال المستقبلية. راجع: مجلّة (بيان الحق) في العدد (٤٣) الصادر في ٥ من شهر رمضان (١٣٢٧هـ)، ص٩٥٠ ـ ٩٥٢.

كما كَشَفَ النقاب عن تفريط الاتحاديين بطرابلس الغرب (ليبية) وتَرْكِها فريسة سهلة للإيطاليين، وعن العلاقة بينهم[1] وبين جمعية (البَنَّائِين الأحرار) الماسونية[2].

---

(١) أي: الاتحاديين.

(٢) حيث قال: «وهنا أذكر ما جرى في البرلمان العثماني عند بدء الحرب بيننا وبين الإيطاليين في (طرابلس الغرب)، وقد عُقِدَت جلسةٌ سريةٌ بطلبٍ من سعيد باشا ورئيس الوزارة الاتحادية يومئذٍ، وكان الغرضُ من المجلس استجلاب أصوات الثقة بتلك الوزارة من النواب، فاتّفق أن قرأ (محمود ناجي بك) نائب طرابلس الغرب وعيناه تدمعان رسالة أرسلها إليه أخوه، وقد كُتِبَتْ قبل بدء الحرب بعشرة أيام، يقول فيها: «يا أخي ماذا تصنعون؟ وماذا تصنع الحكومة؟ وقد جرَّدَتْ بلادنا من أدوات الدفاع، فسحبتْ المدافعَ الكبرى منها، ودَعَتْ الوالي وقائدَ الجيش إلى الآستانة، ولم تُقِمْ مقامهما غيرهما، وأنا أطالعُ وأتتبّعُ صحفَ الإيطاليين من زمان، فأراها اليوم تحثُّ [حكومتها] على احتلال طرابلس قائلةً: إنَّ هذا وقته، فيجب انتهاز الفرصة، وهذا مشروع جميع الأحزاب في إيطالية، لا يخالفهم إلا الفريقان وهم البنَّاؤون الأحرار، ويتّبعهم الاشتراكيون، وهم يقولون: لا يجدر بنا أن نصولَ على الأتراك حال كون [حكومتهم] في أيدي البنائين الأحرار، لأن ذلك يُضفي إلى تزعزع مراكزهم هناك».
هذا ما سمعته بأذني وأنا [يومئذ] نائب (توقاد) وسمعه معي من النوّاب أكثر من مئتين، فإن لم يَشهدوا به فسيشهدون يوم يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون». النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة، هامش ص١٦٧.

ولقد كان الإسلام هو شغله الشاغل، ولذا فقد كان حريصاً على إظهار حقائقه وأحكامه السمحة لأعضاء المجلس، ولا سيما غير المسلمين منهم.

ومن ذلك أنه ألقى في المجلس خطاباً طويلاً مشهوراً عن (مفهوم الحرية في الإسلام)[١]، وقد استمر في إلقائه على مدى ثلاثة أيام[٢]، وعلى مسمع من جميع النواب، الذين تعجبوا كثيراً من قُوَّته، حتى إنّ النواب النصارى تَعجَّبوا وقالوا: «ما كنا نعلم أنه كان يُوجَد تحت هذه العمامة هذا المقدار من العلم والعقلية الفذة»[٣].

ثانياً ـ مشاركته في تأسيس حزب (الحرية والائتلاف):

نظراً لكون منهج الشيخ السياسي على النقيض تماماً لمنهج الاتحاديين زعماء حزب (الاتحاد والترقي)، فقد انضمَّ إلى المناوئين لهم، والساخطين من النواب على سياستهم، سيما انتهاجهم المركزية في الحكم، كما اشترك مع هؤلاء المناوئين والساخطين في تأسيس حزب جديد، يقف في مواجهة حزب (الاتحاد والترقي)، وأطلقوا عليه اسم حزب (الحرية والائتلاف)[٤].

---

(١) وكان مما قاله: «إنَّ القوانين الشرعية أحسنُ وأفضلُ بكثيرٍ من القوانين الوضعية، حتى للغربيين أنفسهم». الملحق رقم (٣) ص٤٠٩.

(٢) كل يوم يُلقي منه جزءاً أثناء ساعاتِ انعقادِ ذلك المجلس.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) تكوَّن هذا الحزب ـ من قِبَلِ المخالفين لحزب الاتحاد والترقّي بما فيهم المبعوثين في المجلس النيابي العثماني، وعلى رأسهم العقيد صادق بك ـ في ١٧ من ذي القعدة عام (١٣٢٩هـ) = الموافق ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) =

= (١٩١١م). ومؤسّسوه الذين وقّعوا على رخصة تشكيل الحزب هم: إسماعيل حقي باشا (نائب أماسية)، والدكتور داغاواريان (نائب سيواس)، والشيخ مصطفى صبري (نائب توقاد)، والشيخ عبد الحميد الزهاوي (نائب حماة)، والمُشير فؤاد باشا (عضو أعيان)، والداماد فريد باشا، والفريق المتقاعد سليمان باشا، والأميرآلاي المتقاعد صادق بك، والدكتور رضا نور (نائب سينوب)، وطاهر خير الدين بك، وغيرهم من نوّاب الترك والألبان، وسرعان ما انضمّ إليه (الحزب الحر المعتدل) بكامل أعضائه، رغبة في الاتحاد وتوحيد كلمة المعارضة، كما انضمَّ إليه (حزب الأهالي) وذلك لتقارب برامج الأحزاب الثلاثة، كما انضمَّ إليه نواب آخرون من الإغريق والبلغار والأرمن والعرب، وكذلك كثير من الموظّفين والعسكريين المتقاعدين. وأوّل هيئة إدراية برلمانية لهذا الحزب تألّفت من: إسماعيل حقي باشا (رئيساً)، والشيخ مصطفى صبري، والدكتور داغاواريان (نائبي الرئيس)، وسعيد الحسيني، وزين العابدين، وداود يوسفاني (أعضاء)، ولم تمضِ إلاّ مدة قصيرة حتى صار الحزب يضمُّ الكثير من العناصر المختلفة، الذين تجمعهم فكرة مناوأة (جمعية الاتحاد والترقي) وتربطهم رابطة الآلام والآمال المشتركة، والإيمان بمبادئ عدم المركزية في الحكم، واعتقادها الراسخ بأنّها الأساس الأصلح والأقوى لحكم عناصر الدولة، وقد أكسبت هذه الروابط والمبادئ الحزبَ قوةً مكّنته من اكتساح الموقف بشكل متزايد، والحصول على النفوذ القوي داخل مجلس المبعوثان وخارجه. ثم تكاثرت فروعه في الأقاليم المختلفة، ولا سيما [في المدن] العربية: في دمشق، وبيروت، والبصرة، والموصل، وبغداد، وحمص، ونابلس، وطرابلس الشام، واللاذقية، وأنطاكية، وعالية، والأردن. وقد اعتمد الحزب على كثير=

وقد احتلَّ الشيخ موقعاً بارزاً في هذا الحزب، حيث اختِيرَ نائباً للرئيس، ونظراً لمقدرته الخطابية القوية[1] فقد كان لسانَ الحزب الناطق، واكتسبَ شهرةً واسعةً لترؤسه المعارضين لحزب (الاتحاد والترقي)، كما أخذ على

= من الصحف في ترويج أفكاره: منها الصحف التي كانت تابعة لحزب (الأحرار المعتدلين) مثل: جريدة (تأسيسات) و(تنظيمات)، ومنها الصحف التي أسسها الحزب لحسابه مثل: جريدة (تشكيلات) و(تقديرات) و(تأمينات) و(مريخ) و(إصلاحات) و(صحراء) و(أفهام)، ومنها الصحف الأخرى التي كانت تظاهِرُ الحزبَ وهي غير تابعة له مثل: (إقدام) و(يكي إقدام) و(اقتحام) و(يكي غزته) و(علمدار). وكان مشاهير محرري الجرائد بالحزب: الشيخ مصطفى صبري، ولطفي فكري بك، والفيلسوف رضا توفيق، والدكتور رضا نور، ورفيع جواد وغيرهم. انظر: توفيق علي برو ـ العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، ص٣٠١ـ٣٠٤.

(١) كانت مقدرته الخطابية موجودة عنده منذ الصغر، ويدل على ذلك: أنَّه لمَّا كان في أول شبابه وفي بداية تحصيله العلمي زار قضاء (نيقصار) التابع لمحافظة (توقاد)، وكانت زيارته له في شهر رمضان الكريم، وقد نزل ضيفاً عند قاضيٍ هذا البلد، وفي ليلة سبع وعشرين من رمضان دعاه القاضي إلى أن يَعِظ المصلّين في المسجد بعد صلاة التراويح والقيام، فقام يَعِظُ فيهم، فأُعجبوا بكلامه، وبخطبته البليغة، سيما وأنَّه لا يزال في أول شبابه، واستمرَّ في الخطبة واستغرق فيها، ولم يتنبَّه إلاَّ والقاضي يستوقفه، ويطلب منه الإذن قائلاً: يا بني هل تسمح للحاضرين أن ينصرفوا إلى بيوتهم لكي يتسحّروا، ثم يعودوا إلى المسجد مرةً أخرى فقد حان وقت السحور. انظر: الملحق رقم (٤) ص٤٢٢.

عاتقه الدعاية لحزبه (الحرية والائتلاف) ونَشْر مبادئه وأفكاره، فأخذ يكتبُ في الصحف والمجلات، كما أخذَ يَتنقَّل في البلاد لإلقاء الخطب القوية المُؤثِّرة[1]، وذلك لكسبِ ثقة الشعبِ بحزبه، ومن ثَمَّ كسبِ أصواتهم إلى صفوف ذلك الحزب، والفوز في الانتخابات على حزب (الاتحاد والترقي).

وهذا ما حصل فعلاً، فبعد اندلاع ثورة الألبان سنة (١٣٣٠هـ= ١٩١٢م) قُبيل حرب البلقان، حصلت أحداثٌ عديدة أَدَّت إلى سقوط حزب (الاتحاد والترقي) وانتقال مقاليد الحكم إلى حزب (الحرية والائتلاف)، وأخذت الوزارةُ التي أَلَّفهَا هذا الحزب تُعِدُّ العدةَ من أجل تطبيق مبدأ عدم المركزية في الحكم، وإعطاء غير الأتراك نوعاً من الحكم الذاتي، لكي يمكن الاحتفاظ بهم ثروة وقوة للدولة، بدلاً من إثارتهم ضدها، ورميهم في أحضان حركات مناوئة داخلية وخارجية، ودَعَتْ المجالس العمومية في الولايات إلى الاجتماع لبحث حاجات الولاية وتقديم تقارير عما تراه من إصلاحات.

---

(١) ومن ذلك أنَّه سافر إلى (قونية) ـ وكانت الدولةُ وقتئذٍ تتأهَّب للدخول في معركة انتخاب النواب من جديد ـ وهناك ألقى خطبةً في جامع السلطان علاء الدين، الذي كان وقتها يَغُصُّ بجماعة لا تقلُّ عن عشرة آلاف رجل من أهل (قونية)، وكان من بينهم والي البلدة (مُعَمَّر بك) أحد أعضاء حزب (الاتحاد والترقّي) وكان مرمى الخطبة حثّ الناس على الثبات في الاحتفاظ بحرية آرائهم ضد كل تغرير أو تضييق يفعله من يفعله لاجتناء الأصوات، وفي أثناء الخطبة فاجأه الوالي باعتراضٍ حاول فيه إثارة جماعة المسجد عليه، ولكن الثورة انعكست على الوالي نفسه، وتَعِبَ الشيخ في إنقاذه من مهاجمتهم. انظر: مصطفى صبري ـ موقف العقل: ٤/ ٣٤٠.

لكن زعماء الاتحاد والترقي أقْدموا على توجيه ضربةٍ قويةٍ ناجحةٍ ضد حكومة حزب (الحرية والائتلاف) أعادت إليهم زمامَ الحكم مرةً أخرى، وأَبطلوا وزارةَ ذلك الحزب، وكذلك الخطوات التي خطتها في سبيل عدم المركزية[1]، ثم عَطَّلُوا مجلس النواب، وقَبضوا على المعارضين لهم، ولكن مصطفى صبري استطاع أن ينجو منهم بنفسه، حيث التجأَ إلى مصر عام (١٣٣١هـ = ١٩١٣م)، وهناك عارض قرار زملائه العرب في المجلس وفي الحزب، الذين عقدوا مؤتمراً لهم في القاهرة لإعلان فصل البلاد العربية عن الدولة العثمانية، منبهاً إياهم إلى مدى ما في هذا الفصل من أخطارٍ على مستقبل تلك البلاد، كما دعاهم إلى ضمِّ معاول صفوفهم إلى صف إخوانهم الترك لإسقاط حكومة (الاتحاد والترقي) بدلاً من القيام بمحاولة هدم الدولة[2].

ثم تأسَّسَ هذا الحزب مرة أخرى في ١٢ من شهر ربيع الثاني عام (١٣٣٧هـ) الموافق ١٤ كانون الثاني (يناير) عام (١٩١٩م) وظهر على الساحة السياسية في الدولة العثمانية[3]، ووصل إلى السلطة في جمادى الآخرة عام

---

(١) انظر كلاً من: د. أرنست أ. رامزور ـ تركية الفتاة، مقدمة الترجمة العربية للدكتور نقولا زيادة، ص٢٢؛ وساطع الحصري ـ البلاد العربية والدولة العثمانية، ص١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) انظر: الملحق رقم (١) ص٣٩٥؛ وانظر: شكيب أرسلان، بيان إلى العرب.

(٣) وكان الشيخ من أعضائه المؤسّسين الذين كان منهم: المشير نوري باشا، وزكي باشا، وسيد عبد القادر أفندي (عضو في مجلس الأعيان)، ووصفي =

(١٣٣٧هـ) الموافق لشهر آذار (مارس) عام (١٩١٩م) وألَّفَ عدة وزارات برئاسة الداماد فريد باشا، وكان مصطفى صبري عضواً فيها بصفته شيخاً للإسلام في الدولة العثمانية ـ كما مرَّ معنا سابقاً[١].

ثالثاً ـ عضويته في مجلس الأعيان العثماني[٢]:

= أفندي (نائب كارة)، وسليمان باشا (عسكري متقاعد)، وعلي كمال بك (ناظر الداخلية)، ورضا توفيق بك (عضو في مجلس الأعيان)، وحسيب بك (سفير الدولة العثمانية في طهران سابقاً) ورفيق خالد بك (مدير عام البرق والبريد سابقاً). انظر: Tarik Zafer Tunaya - Türkiye'de Siyasal Partiler Cilt 2. S264.

(١) ويذكر بعض الباحثين أنَّ مصطفى صبري سعى بعد ذلك إلى تكوين حزب جديد هو حزب: (الحرية والائتلاف المعتدل) وذلك في شهر رمضان عام (١٣٣٨هـ) الموافق لشهر حزيران (يونيو) (١٩٢٠م). راجع كلاً من: المرجع السابق، ص٣١٩؛ ومحمد حرب ـ مقال (تراجم إسلامية في الفكر والحركة في تركية المعاصرة) مجلة (المجتمع) الكويتية، العدد (٤٧٨) الصادر في ١٤ جمادى الآخرة (١٤٠٠هـ) ـ ٢٩ نيسان (إبريل) (١٩٨٠م)، ص٢٠.

(٢) مجلس الأعيان: هو إحدى الهيئتين اللتين استُحْدِثَتا بناءً على القانون الأساسي العثماني الصادر في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٨٧٦م)، ولقد تمَّ افتتاحُ أول مجلس للأعيان في التاسع عشر من آذار (مارس) سنة (١٨٧٧م) من قِبَل السلطان عبد الحميد الثاني بحضور أعضائه الذين كان عددهم آنذاك (٢٧) عضواً برئاسة ثروت باشا، ويتم تعيين أعضاء هذا المجلس من قِبَل السلطان، وتستمرُّ العضويةُ فيه مدى الحياة، ويُشترط في الأعضاء ألاّ يتجاوز عددهم ثلث أعضاء مجلس المبعوثان، وقد عُطِّل المجلس، وأُوقِفَت=

وفي شهر المحرم سنة (١٣٣٨هـ) الموافق لشهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة (١٩١٩م) صدرت إرادةُ الخليفة محمد وحيد الدين بتعيينه عضواً مدى الحياة في مجلس الأعيان العثماني؛ وذلك بعد إقالةِ وزارة الداماد فريد باشا الثالثة[1].

وكان يُشترط فيمن يُعيَّن عضواً في هذا المجلس أن يكون قد تَخطَّى سن الأربعين، وأن يكونَ قد اشتهر بخدماته الجليلة للدولة في مختلف شؤونها،

= اجتماعاته في الثالث عشر من شباط (فبراير) عام (١٨٧٨م)، وظلَّ معطَّلاً حتى إعلان الدستور الثاني، حيث شُكِّلَ مرةً ثانيةً في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٠٨م)، وعُيِّن له أعضاء جدد، وطبقاً لأحكام الدستور التي تغيَّرت عام (١٩٠٨م) فإنَّ مجلس الأعيان كان يجتمع كل سنة في شهر كانون الأول (ديسمبر) بدون دعوة، ويُفتحُ بالإرادة السلطانية، وبعد دورةٍ تستمرُّ أربعةَ أشهر يُغلقُ بإرادة سلطانية أيضاً، ولا يُمكنُ اجتماعه ما لم يجتمع مجلس المبعوثان، إلا في الحالات الاستثنائية فإنَّه يمكن اجتماعُه بناءً على تكليف من السلطان أو رغبة الأغلبية المطلقة من الأعضاء. ويتمّ في مجلس الأعيان الاطّلاع على القوانين المقدَّمة، والميزانية مادة مادة، وتدقيقها ودراستها دراسة وافية. وقد حافظ المجلسُ على أعضائه وعلى كيانه حتى ٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٢م، ولما تكوَّن المجلس الوطني التركي في أنقرة لم يعترف بأي صورة من صور هذا المجلس فَتَفرَّقَ من تلقاء نفسه. انظر: Inönü Ansiklopedisi- Cilt 4, S355 - 356.

(١) انظر كلاً من: Dr. Prof Ebül'ula Mardin- Huzür Dersleri Cilt2 - 3, S351.
ibnülemin Mahmud Kemal inal--Son Asir Türk. Sairleri cüZ; 9, S2183.
والملحق رقم (١).

وأن يحوزَ على ثقة السلطان وإعجابه، وذلك برجاحةِ عقله، وحسن تدبيره، وبأعماله المُشرِّفة، وسمعته الحسنة.

وكانت تُفتتح جلسات هذا المجلس ـ وكذلك مجلس المبعوثان ـ وتُختتم بتلاوة آيات من القرآن الكريم، وذلك بناءً على اقتراح من الشيخ مصطفى صبري اقترحه على الحكومة منذ إعلان الدستور الثاني عام (١٩٠٨م)، وقد استمرَّ العمل به إلى أن أُلغي نظام هذين المجلسين[١].

رابعاً ـ توليه منصب الصدارة العظمى[٢] بالنيابة:

لما تَولَّى الشيخ المشيخة الإسلامية للمرة الثانية في ١٨ شعبان (١٣٣٧هـ) الموافق ١٩ أيار (مايو) (١٩١٩م) في وزارة الداماد فريد باشا الثانية ـ كما ذكرنا سابقاً ـ سافر الداماد إلى أوروبة لحضور مؤتمر الصلح المنعقد في باريس في شهر رمضان سنة (١٣٣٧هـ) الموافق لشهر حزيران (يونيو) سنة (١٩١٩م)، وحينئذٍ أصدر أمره في اليوم السادس من شهر رمضان سنة (١٣٣٧هـ) الموافق للخامس من حزيران (يونيو) سنة (١٩١٩م) بتولية الشيخ الصدارة العظمى نيابةً عنه مدةَ غيابه، فكان ـ رحمه الله ـ يَرْأَسُ مجلسَ الوزراء الذي كان يَضم أكثر من عشرين وزيراً، منهم من تَولَّوا الصدارة العظمى سابقاً[٣]، ومنهم أيضاً من تَولَّى مشيخةَ الإسلام سابقاً[٤]. وكان يَخْتِم اجتماعات هذا المجلس

---

(١) انظر كلاًّ من: Sadik Albayrak- Son Devir Osmanli Ulewasi: 4,251. والملحق رقم (٤).

(٢) المقصود بالصدارة العظمى: رئاسة مجلس الوزراء.

(٣) انظر: مصطفى صبري ـ موقف العقل: ١/ ٤٧٣.

(٤) انظر مجلة الهداية الإسلامية ـ مرجع سبق ذكره، ص٣٣٤.

بقراءته حزباً من القرآن الكريم، حيث كان حافظاً له ومجوداً[1].

خامساً ـ توليه رئاسة مجلس شورى الدولة[2]:

ولما تَولَّى مشيخة الإسلام للمرة الرابعة في ١٥ ذي القعدة (١٣٣٨هـ) الموافق ٣١ تموز (يوليو) (١٩٢٠م)، وذلك في وزارة الداماد فريد باشا الخامسة ـ كما ذكرنا سابقاً ـ اختيرَ ليكونَ رئيساً لمجلس شورى الدولة[3].

---

(١) انظر: Sadik Albayrak-- Yurüyenler Ve Sürüneler, S27.

(٢) تم تكوين هذا المجلس بعد إلغاء (مجلس الولاة) سنة ١٨٦٧م، وهو يتكوَّن من عدّة هيئات تشمل: التنظيم، والمالية، والملكية، والمعارف، ودوائر المنافع العامة، وهيئة اختلاف المرجع، والهيئة العمومية، والاستئناف، والتمييز، والمحاكم الابتدائية، وهيئة الاتّهام. وأما مهام هذا المجلس المُوكَلَةُ إليه فقد كان في بداية عهده محكمةً لموظفي الدولة، ثم بدأ يُدقِّق ويُفتّش ويُنظِّم كل الأمور المتعلّقة بشؤون الموظّفين والتقاعد وإنشاءات الدولة وترميماتها وامتيازات المعادن بكل أنواعها، ودراسة النظم والقوانين والتعليمات والتصديق عليها، وإقامة الجمعيات والنظر في الدعاوى المرفوعة بين الدولة والشعب، وبين المحاكم الإدارية بعضها مع بعض، وتدقيق ودراسة القرارات المختلفة المتعلّقة بالدعاوى كافة، أي أنه كان يقوم بأعمال محكمة الاستئناف ومنظمات القضاء الأعلى والمراجع الإدارية العليا. وظلَّ هذا المجلسُ يُمارسُ نشاطه حتى نهاية الدولة العثمانية، وقد أُعيدَ تنظيمُه بعد إعلان الجمهورية وتكوَّن بقانون خاص.

انظر: Midhat Seroglu- Resimli Osmanli Tarihi Ansilklopedisi, S305.

(٣) انظر كلاً من: (مرجع سبق ذكره) Dr.Abdülkadir Altunsu. S.256 Türk Ve Dünya ünlüleri Ansiklopedisi - Cilt; 8,S 4106.

وتذكر مجلة الهداية الإسلامية ـ في عدد المحرم (١٣٥١هـ) في الجزء الثامن=

سادساً ـ مقاومته الاتحاديين والكماليين[1]:

لقد شَـهِدَ مصطفى صبري الأحداث والاضطرابات التي حصلت في الدولة العثمانية، وعايش المأساة التي مَرَّتْ بها الدولة منذ بدايتها، وأَدْرَكَ أبعادها إدراكاً تاماً، وقَدَّرَ عواقبها الوخيمة ليس على تركية فحسب بل على الأمة الإسلامية قاطبةً، لذا فقد نَهضَ مشمّراً عن ساعد الجد، يَعْمل ويُجاهد لإنقاذ الدولة مما كان ينتظرها، ويُقاوم ويُناضل بقلمه ولسانه عن الإسلام وعن مفهومه في الحكم والحياة، ويبذل جهوداً جبارةً لإيقاظ الأمة الإسلامية من غفلتها، وتنبيهها إلى ما يُحاك حولها من مؤامرات الاتحاديين والكماليين للحيلولةِ دون تنفيذ رغباتهم ونواياهم السيئة، التي كانت تَقِف خلفها مختلفُ القوى المعادية للإسلام ولأمة الترك المسلمة، ويَحْصرُ كلَّ عزمه وإرادتـه لمقاومتهم سواء أكانت مقاومة عملية أم فكريـة نظريـة، ويَتصدَّى لجميع المفكرين والمسؤولين في الدولة الذين أنجبتهم حركة التنظيمات العثمانية، ومن ثَمَّ حركة (تركية الفتاة) و(الاتحاد والترقي) الذين كانوا يرون في الإسلام عقبةً كؤوداً ضد التطور وضد السير في ركب الحضارة، ويُضَحِّي بكل شيء في سبيل التصريح بكلمة الحق، ويَجْهر بكل آرائه وأفكاره الإسلامية، ويدعو إلى

= من المجلد الرابع، ص٣٣٤ أنَّ مصطفى صبري كان يَرأس مجلس شورى الدولة بالوكالة (أي: بالنيابة).

(١) الاتحاديون: هم أعضاء جمعية (الاتحاد والترقي) وعلى رأسهم أنور باشا، وجمال باشا، وطلعت باشا، وكل من ناصرهم وسايرهم.
والكماليون: هم مصطفى كمال أتاتورك وأتباعه الداعون بدعوته.

تطبيقها عملياً في كل فرصة وفي كل حين. ولذا فقد اضطهد واعتُقِلَ وشُرِّد هو وأهله، ولاقى الأَمَرَّين من حُكَّام تركية الجدد اللادينيين[1].

أ ـ مقاومته الاتحاديين:

لقد أتاحت له عضويتُه في مجلس (المبعوثان) فرصةً كبيرةً لمعارضة الاتحاديين داخل المجلس النيابي العثماني وخارجه، فقد انضمَّ إلى المناوئين لهم، وشاركهم في تأسيس حزب (الحرية والائتلاف) ليقفَ في مواجهة حزب الاتحاديين (الاتحاد والترقي)، كما تَرأَسَ المعارضينَ لهم من أتراك وعرب وأرمن وغيرهم؛ فأخذَ يُعارض سياستهم، ويُنَدِّدُ بحكمهم، ويُهاجم التدابير والإجراءات التي قاموا بها أثناء حكمهم، كما أخذَ يُلقي الخطبَ القويةَ في كلِّ مكانٍ من أجلِ تحذير الناسِ من مَغبَّةِ أعمالهم وتصرفاتهم، وشَنَّ معارضةً شديدةً ضِدَّهم في مقالاته وتعليقاته في الصحف والمجلات ولا سيما مجلة (بيان الحق) التي كان يَرْأس تحريرها.

---

(1) ويدلّ على ذلك ما قاله في مقدمة كتابه (موقف العقل) مخاطباً روحَ أبيه وهو يتخيَّلها كأنّها أمامه في عبارةٍ جامعةٍ لترجمةِ حياته الملأى بالكفاح والجهاد، حيث قال: «. . . ولكنّك لو رأيتني وأنا أكافحُ سياسةَ الظلمِ والهدمِ والفسوقِ والمروقِ في مجلس النواب، وفي الصحف والمجلات، قبل عهد المشيخة والنيابة وبعدهما، وأدافع عن دين الأمة وأخلاقها وآدابها وسائر مُشَخِّصاتِها، وأقضي ثلثَ قرنٍ في حياة الكفاح، معانياً من خلاله ألوانَ الشدائدِ والمصائبِ، ومغادراً المال والوطن مرتين في سبيل عدم مغادرة المبادئ، مع اعتقال فيما وقع بين الهجرتين، غير محسٍّ يوماً بالندامة على ما ضحَّيتُ به في هذه السبيل من حظوظ الدنيا ومرافقها ـ لأوليتني إعجابك ورضاك. موقف العقل: ١/ ٢.

لقد كانت درَايتُه العلمية وذكاؤه وشهرته الواسعة بين الشعب تُرْعِبُ الاتحاديين وتُزْعجهم، ولذا فقد استخدموا كل الوسائل المتاحة لهم ضِدَّه، ولكنّه لم يَنْهزِمْ أمامَ محاولاتهم، ولم يتقهقر، بل ظَلَّ صامداً، وأخذ يُهرَعُ من مدرسةٍ إلى مدرسةٍ، وعلى ظَهْرِه جُبَّتُه، وعلى رأسه عمامتُه، ويطوف على دوائر الحكومة محذّراً ومنذراً[1].

وانتقد الشيخ استبدادَ الاتحاديين في حكمهم البلاد، ونادى بإحياء مبدأ الشورى الإسلامي، كما انتقدَ إصرارهم على اتِّباع المركزية في الحكم، وعارض سياستهم الرامية إلى إحياء النعرات القومية، والدعوة إلى الجامعة الطورانية، وانتقد فكرة القومية، وبَيّنَ مضارّها، والنتائج السيئة المترتبة عليها، كما انتقدَ دعاة الطورانية ولا سيما (ضياء كوك ألب) حيث سخر من شعره الذي أخذ أتباعُه يَتغَنَّون به، ويَعُدّونه كتابهم المقدس، وتصدَّى لدعاة الوقيعة بين العرب والترك، وكان في كلِّ ذلك متمسكاً بهدي الإسلام، وبالإيمان بمبادئ الدعوة إلى الجامعة الإسلامية، يُؤَيِّد من يُؤَيِّدها ويعارض من يعارضها، سواء في داخل تركية أم في خارجها.

ولقد عارض الشيخ الاتحاديين في مجلس النواب على قيامهم بتغيير القوانين والتلاعب بها، وعلى قيامهم بتعيين نواب في المجلس النيابي العثماني عن بلادٍ لا يعرفُهم أهلُها، ولا يَرْتَضُونَهم نواباً عنها، وكان يرى أنَّ رأسَ الخطيئةِ أن تَعُدَّ الحكومة نفسَها حرةً في سن أي قانون شاءت، وكان يدعو إلى إيجاد

---

(١) انظر: Sadik Albayrak --Yürüyenler Ve Sürüneler, S21.

قوانين أساسية لا يَتخَطَّاها مُنَظِّمُو القوانين، ولا يسوغُ لهم تبديلها، وتلك القوانين الأساسية أكملُها ما كان سماوياً، لأنه ثابت لا يتغير.

وقد ألقى خطبةً طويلةً في المجلس النيابي العثماني استغرقت يومين[١] نَقَدَ فيها مشروع الاتحاديين الساعي إلى تعديل المادة الخامسة والثلاثين من الدستور[٢]؛ ذلك المشروع الذي قصدوا منه استعمال تلك المادة كقوة لصالحهم يستطيعون بها حَل البرلمان متى أرادوا[٣].

ولقد تَصدَّى لحملاتهم التي كانوا يَشنّونها على الدين، ومن ذلك قيامهم بنقل رابطة المحاكم الشرعية من المشيخة الإسلامية إلى وزارةِ العَدْلِية التي كانت ـ كما يراها الشيخ ـ صَولةً سرية على الدين، وكان من أول من عمل بجدٍّ وإخلاصٍ لإعادة تلك المحاكم إلى محلها الطبيعي، وذلك بعد فرار الزعماء الاتحاديين من البلاد بعد هزيمةِ الدولةِ في الحرب الكبرى[٤].

---

(١) يظهر ـ والله أعلم ـ أنَّ هذه الخطبة غير ذلك الخطاب الذي ألقاه في المجلس النيابي أيضاً، وتكلَّم فيه عن مفهوم الحرية في الإسلام، والذي استمرَّ في إلقائه ثلاثة أيام.

(٢) وكان مما قاله في هذه الخطبة: «هل الإنسان يخضعُ للقانون أم القانون يخضعُ للإنسان؟ وهل يجب أن لا يكون فوق أناس يضعون القوانين للناس قوانين يتقيّدونْ بها عند وضع القوانين إن كان من المُسلَّم به افتقار الإنسان إلى قوانين لا يَتعدَّى حدودها في أفعاله؟ ألم يكن واضع القانون من البشر بشراً مفتقراً إلى وقفه عند حدّه؟». موقف العقل: ٤/ ٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٣) راجع: الحاشية رقم (٣) ص(٤٨) من هذا الكتاب.

(٤) راجع: مصطفى صبري ـ النكير على منكري النعمة، هامش ص١٤.

وينقمُ الشيخُ على الاتحاديين بسبب السنَّة السيئة التي سَنُّوْها في الدولة، وهي إدخالهم الجيش وإقْحَامه في السياسة، وتَحَكُّمه في مصير الدولة، ويرى أنَّ هذا التصرف ذو خطرٍ كبيرٍ، ولذا أَطْلَق عليه اسم الطامة الكبرى والبَلِيَّة التي لا يُقاس عليها بَلِيَّة[1].

ولقد أمْلَتْ عليه غَيْرتُه الإسلامية ـ وهو يرى الدولة والخلافة الإسلامية تتداعى ـ أن يَبْذلَ كلَّ ما في وُسْعِه لاستنفار كل أفراد الأمة للنهوض والتَصدِّي لجميع المُغْرِضِينَ، الذين يَوَدُّون القضاء على الإسلام وعلى الدولة العثمانية، فنراهُ يخاطب مدرسي المعاهد الدينية قائلاً: «**لما كانت بعضُ العلوم والفنون قد ظَهَرتْ حديثاً، فإنَّ على الذين يقومون بواجب تدريس الشريعة أو تحصيلها أن يكونوا على بيّنةٍ من متطلبات العصر، ويضعوا برامج إصلاحية لمدارسهم وعلاوات تناسبُ العصر. فأنتم مهما كسبتم لشرفكم أو حَيْثِيَّتِكُم أو مَسْلَكِكُم فإنَّ ذلك مَرَدُّه إلى الإحساس الطَيِّب الذي تَسْتَلْهِمُونه من الدين الإسلامي**... ولذلك فإنَّ مَطْمَحْ القلبِ هو أنه بجانبِ عدم تَفْرِيطكم ـ ولو بمقدارِ ذرةٍ واحدةٍ ـ في المتوارث في مدارسكم، **عليكم أن تكتسبوا من العلوم والفنون الحديثة التي استحدثها العصر الحاضر** ما يُمكِّنكم من الرد كلامياً أو كتابياً على كلِّ ما يُثارُ ضِدَّكم من الطوائف الأخرى»[2].

ويخاطبُ أمته الإسلامية قائلاً: «أيتها الأمة! كَفَى سباتاً فاستيقظي. إنَّ سلطنةَ أسرةٍ عريقةٍ قد امتدَّتْ ست مئة سنة عَبْرَ ماضٍ طويل مُفْعَمٍ بالشوكة

---

(١) راجع: المرجع السابق، هامش ص١١٨.

(٢) Sadik Al Bayrak- Yürüyenler Ve Sürünenler, S22.

والشرف والرِّفْعَة أصبحت لعبةً في أيدي البعض، فـانهضي أيتها الأمـة، وحاسبي هؤلاء الذين يَودُّون المساسَ بشرفكِ، وعزة نفسك.

أيتها الأمة التركية المسكينـة! إلى متى يَظَلُّـون يَلْعَبُـون بـكِ كدميـة حقيرة... فهاهم يطالبونكِ بالاتحاد مع الشيوعيين أعدائِكِ الأزليين... ويَدْفَعَونكِ إلى الحرب مع الألمان، فهاهم كلَّ يوم يَدْفعونكِ في كلِّ اتجاه، فهل أنتِ حقاً لعبةٌ أو دميةٌ؟!! وهل أنتِ سَتَظلِّينَ إلى الأبد مخدوعةً بهؤلاء المحتالين، وتَظَلِّين آلةً في أيديهم مُتَحَمِّلةً مَذلَّتهم ورذائِلَهم؟!»[1].

ويخاطبُ الجيشَ قائلاً: «أيها الجيش المُرْتَبط بالاتحـاد والترقـي ومُعَسْكراته، ويا أيها الضُّبَّاط الذين لا شك في أنّكم تُشَكِّلُونَ الجزءَ الأعظم من ذلك الجيش، أنتم المُكلَّفون بحمايةِ شرف وعظمة الأمة والدولة.. فكيف تَخْضَعون لعشرةٍ أو خمسة عشر لا ديني.. لقد ضَحَّيتُم بالوطن في سبيل هؤلاء الخائنين، لقد أخافوا بكم الأحرار مُحِبِّي الوطن، الذين لا يَدَّخِرُون وُسْعاً في سبيل رفعته، وأَخْرسوا بكم كلمةَ الحق... وبكم قَتَلوا أصوات الحق.. فهل دَجَّجَتْكم أُمَّتُكم بالسلاح لهذا الغرض؟! فأنتم الذين قلتم ذاتَ يومٍ: «نحنُ حُماةُ الوطنِ فهل تَحَوَّلْتم إلى موانعَ للخيرِ عن هذا الوطن؟! هل أصبحتم آلةً للشر والظلم؟!»[2].

ويخاطبُ بقيةَ الشعب المحايدين، ويُنْكِر عليهم مَوْقِفَهم السلبي،

---

(١) المرجع السابق، ص٢٤ ـ ٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤ ـ ٢٥.

ووقوفهم مَكْتُوفي الأيدي قائلاً: «أيُّها المحايدون الذين تُخالفون الاتحاديين، وتَعدُّون أفعالَهم مجافيةً للخُلقِ والوقار، إن كان في عروقكم دمٌ يَنْبِضُ، وفي أمعائِكم لقمة من خيرِ هذا الوطن، فَهبُّوا لتطهيره من ضلالات الاتحاد والترقي وخِسَّتِه. . . فليس هناك أمةٌ في التاريخ قد سلَّمت نفسَها للفناء بهذه الدرجة التي أنتم عليها، وهي على علمٍ ووعيٍ كامل بما يُراد بها، فإن كانت هناك رابطةٌ تربطكم بوطنكم فكيف تَتَحمَّلون ضيمَ من يُمزِّقونه إرْباً إرْباً. . . وإن كان لديكم حبٌّ لدينكم فعليكم أن تُمْسِكوا بتلابيب هؤلاء الذين يُهينون دينكم ويَودُّون إزالة اسم (خادم الحرمين الشريفين) و(رافع علم الدين المبين)[1] ليضعوا مكانه أنور. . وجمال. . وطلعت، وما شابهها من الأسماء الأخرى، هـؤلاء الذين يَطْعَنون في الوحدةِ الإسلامية، ويَسْخَرون من ديننا وأمتنا وإنسانيتنا، مثل هؤلاء كيف لا تُمسكون برقابهم وتُزْهِقُون أرواحهم»[2].

ولذا لم يَدَعْه الاتحاديون يَنْعَم بالأمنِ والراحة، فما إن حلُّوا البرلمان حتى قَبَضوا على معظم المعارضين لهم، وَسَعوا للقبضِ عليه، ولكنه استطاعَ أن يَفِرَّ منهم[3]، وتَنَقَّلَ في بلادٍ عديدة، ثم استقرَّ في (بوخارست) برومانية

---

(١) هذان لقبان كانا يُطلقان على السلاطين في الدولة العثمانية.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢٥.

(٣) كان مصطفى صبري في تلك الفترة يسكن في منزلٍ في شارع (جَارشِمْبه) بحي الفاتح، وكان بجوار منزله ورشةُ نجارةٍ لنجار يُدعى الحاج أحمد أفندي، وكان لمنزل الشيخ نافذة تُطِلُّ على تلك الورشة مباشرة، وذات مساءٍ، وفي ساعةٍ متأخرة من الليل، قامت قوات الأمن الاتحادية بمحاصرة منزل الشيخ من أجل القبضِ عليه، فأحسَّتْ بهم ابنةُ الشيخ الكبرى (صبيحة هانم) =

أثناء الحرب العالمية الأولى، وحين احتلت الجيوش الألمانية والتركية (بوخارست) قَبَضَ عليه الاتحاديون، وأدْخَلُوه السجن، وبعد أن مَكَثَ فيه ستةَ أشهر قَرَّرت السلطات التركية إحضاره من رومانية إلى الآستانة[١]. فأُحْضِرَ، ثم نُفِيَ إلى مدينة (بِيلَّه جِكْ) في الأناضول حيث أقامَ فيها إقامةً جبريةً بقرارٍ من حكومة (الاتحاد والترقي) أثناء الحرب العالمية الأولى، ولما أُلْغِيَ قرارُ الإقامةِ بانتهاء الحرب عاد إلى العاصمة الآستانة[٢].

ب ـ مقاومته الكماليين:

لم يَثْنِ ذلك الاعتقالُ مصطفى صبري عن المُضي قُدماً في طريق الجهاد والنضال، الذي أصبحَ من مبادئه التي لا يُمكن أن يَتَخلّى عنها بأيِّ حالٍ من الأحوال، بل استمرَّ في مقاومة مصطفى كمال وأتباعه.

= فأصابتها الدهشة، ثم أيقظت والدها الشيخ وأخبرته بالأمر، فاحتار لا يدري ماذا يفعل، وأخيراً هداه الله إلى تلك النافذة، فخرج منها، ونزل على سطح الورشة، ثم نزل منه إلى داخل الورشة بمساعدة الصبي الذي كان يعمل فيها، وقضى فيها بقية تلك الليلة، ثم استطاع بعد ذلك أن يُغَيِّر من قِيافَتِهِ، وأن يَختفي لبضعة أيام في منزلِ أحد الروم في حي (فنار)، وذلك بمساعدة من الحاج أحمد أفندي، ثم استطاع بعد ذلك أن يُسافر خارجَ البلاد على ظهر إحدى السفن.

انظر: Dr. Abdülkadir- Altunsu- Osmanli Sehülislamlari, S,255.

والملحق رقم (٥) ص٤٣٤.

(١) انظر: الملحق رقم (٥) ص٤٣٤.

(٢) انظر: الملاحق رقم (١) و(٣) و(٤) ص (٣٩٥، ٤٠٩، ٤٢٢).

وقد كانت مقاومته لمصطفى كمال منذُ وقتٍ باكر، حيث كان على معرفةٍ به وبأخلاقه وعلاقاته واتصالاته[1] منذُ أن كان ضابطاً في الجيش.

وأول موقف تَصدَّى فيه الشيخ لمصطفى كمال حين تَولَّى الشيخ الصدارة العظمى نيابةً عن الداماد فريد باشا ـ كما ذكرنا سابقاً ـ حيث كانت جيوش الحلفاء قد دخلت الآستانة عاصمةَ الخلافة، فَعهِدَ السلطانُ محمد وحيد الدين إلى مصطفى كمال ـ سراً ـ بأن يقومَ بثورةٍ في شرقي الأناضول، وعَيَّنَهُ مفتشاً عاماً لجيوش الأناضول، ومَنَحهُ الصلاحيات الواسعة، وزَوَّده بالأموال الطائلة[2]. فما إنْ عَلِمَ الشيخُ بالأمر حتى ثارت ثائِرتُه، وانْفَعلَ أشدَّ الانفعال، وبذل كل ما في وُسعه من أجل منع مصطفى كمال من الذهاب إلى بلاد الأناضول، وعَمِلَ جاهداً لإقناع السلطان بالعدول عن رأيه، وأخذَ يُحَذِّره من مصطفى كمال، ويَتَوسَّلُ إليه بأن لا يُرسِلَه، بل يُرسِل ضابطاً غيره يقوم بتلك المهمة.

ولكنَّ ثقةَ السلطان المُفْرِطَة بمصطفى كمال جَعَلَتْ جهود الشيخ تذهبُ سدًى حيث لم يجد منه[3] أذناً صاغية.

وغادر مصطفى كمال الآستانة إلى شرقي الأناضول في ١٦ شعبان

---

(١) ومن مصادر الشيخ في معرفته علاقات مصطفى كمال واتصالاته، الأمير آلاي (العقيد المتقاعد صادق صبري بك) الذي كانت له عيون تتجوّل في الليل في أنحاء الآستانة، وكان يُخبر الشيخ بكلّ ما يطَّلع عليه. انظر: الملحق رقم (٥).

(٢) كما مرَّ معنا في الفصل الأول، ص٦٢ ـ ٦٦.

(٣) أي: من السلطان محمد وحيد الدين.

(١٣٣٧هـ) الموافق ١٧ أيار (مايو) (١٩١٩م)، وجَمَعَ فلول الجيش حوله، ولكن قادة الحلفاء عَلِمُوا بالأمر، فاحْتَجّوا على الوزارة القائمة في الآستانة التي كانت برئاسة مصطفى صبري بالنيابة، كما كثرت الشكايات ضد مصطفى كمال من قِبَلِ الولاة في الأناضول، فَدعاهُ الشيخ بلسان وزير الحربية إلى العودة إلى الآستانة، فلم يُجبْ، فتكرر الاحتجاج من قيادة الاحتلال، وتمادت أصوات الشكاية من الولاة، وتكررت دعوة الشيخ له بالعودة إلى العاصمة فلم يَستجب أيضاً، فأخذت قيادةُ الاحتلال تُهدِّدُ بإعلان الحرب، وعندئذٍ قَرَّرت الوزارة إقالته من منصبِه، وعَرَضَ الشيخ القرارَ على السلطان محمد وحيد الدين، فلم يوافق عليه، وأوصى بالاكتفاء بالاستمرار في دعوته إلى العاصمة.

وفعل الشيخ ما أراد السلطان، ولكنّ مصطفى كمال تمادى في العصيان، حتى قررت الوزارة قرارها الأخير يوم ١٠ شوال (١٣٣٧هـ) الموافق ٨ تموز (يوليو) (١٩١٩م) بإقالته، فذهب الشيخُ إلى السلطان، ومَكَثَ عنده في قصره من أول المساء إلى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل يَرْجوه الموافقة على قرار الإقالة، ولكنّ السلطان كان يُماطِلُه طمعاً في استجابة مصطفى كمال إلى دعوة رئيس الديوان الذي كان يتكلّم معه تلغرافياً باسم السلطان في غرفةٍ متصلةٍ بمجلسه، ولمّا انقطع الأمل من إجابته اضطرَّ السلطان مكرهاً إلى قبول قرار الوزارة بإقالته، ولكنّه ظَلَّ يَثِقُ به، حيث لم يُصْدِر ضِدَّهُ أيَّ أمرٍ بعد إقالته، بل قام بإقالة الوزارة التي طلبت إقالته ـ وكان الشيخ من أعضائها، وفي رئاستها حين الطلب ـ وأتى بوزارتين ملائمتين لحركاته في الأناضول[١].

---

(١) راجع: موقف العقل: ١/ ٤٦٨، ٤٧٢، ٤٧٣.

ولكنّ الشيخ لم ييأس، بل أخذ يَخْطُب في الناس، ويُحَذِّرهم من الانسياق وراء مصطفى كمال، الذي بَدأ صِيتُه يَظْهر في بلاد الأناضول، ومن ذلك أنه ألقى خطبةً قويةً في اجتماعٍ حاشدٍ في ميدان السلطان أحمد الثالث (١٦٧٣م ـ ١٧٣٦م) بالآستانة في ٣ من شهر رمضان (١٣٣٨هـ) الموافق ٢١ أيار (مايو) (١٩٢٠م) وكان مما قاله فيها: «أيها الإخوة! إنّه طبقاً لما قاله أحد الشعراء العرب الكبار: إن المعصومين دائماً يَتَحَمَّلون وزر ووبال ما ارتكبه الحمقى في جَرِّ أمتهم إلى المهالك، فإنَّ أمتنا ودولتنا أيضاً تَتَحَمَّل سفاهات وسخافات هؤلاء الحمقى الذين يَجُرُّونَها إلى أوخم العواقب»[١]، ثم عَدَّدَ الهزائم المُخزِية التي لَحِقَتْ بالمسلمين، والألاعيب التي يقوم بها الغرب تجاه الأمة الإسلامية، وأَخْبَرَ أنه يبحث مع الكثير من العلماء المسلمين الجادين عن طريقٍ لخلاصِ الدولة وإنقاذ البلاد بشكل لن يستطيعَ مصطفى كمال ولا أية قوة أخرى تَظهر في الميدان مجاراتهم فيه، ثم يُنهي خطبته قائلاً: «إننا نَدْفِنُ جمراتٍ مُتَّقِدَة داخل قلوبنا من جَرَّاء سَحْقِ حقوقنا تحت الأحذية، وإننا نكتفي في النهاية بالتوجه إلى القادر القيوم الحق المتعال»[٢].

ويذهب الشيخ في مقاومته للكماليين ومخاصمتهم إلى عدم التغاير بينهم وبين الاتحاديين، ويرى أنّهم حزبٌ واحد، وأنّ الخلاف بينهم ليس خلافاً على المبادئ، ولكنّه خلافٌ شخصي، مبعثه التنافس على الزعامة، وأنهم عبارة عن شرذمة مختلفي العروق والأجناس، اتفقوا على اختلاس

(١) Sadik Al Bayrak - Yürüyenler Ve Sürünenler, S26.

(٢) المرجع السابق نفسه.

سلطة الدولة العثمانية، وحَصْرِها وحَكْرِها فيهم، بقصد المنافع الذاتية، حتى ولو كان ذلك باضمحلال الدولة، وخراب بلادها، وضياع نفوس أمتها، ويقول عنهم: «إنّهم تَسَمَّوا إلى نهاية الحرب الكبرى باسم الاتحاد والترقي، وانساقوا خلفَ أشخاص مثل (طلعت) و(أنور) و(جمال) وبعد الهدنة[1] جمعوا شَمْلَهم المُشَتَّتَ في حاشية مصطفى كمال، فتَسمّوا بـ(القوى الملّية) و(الكماليين) و(جمعية مدافعة الحقوق) و(حزب الخلق) وتناسوا اسم الاتحاد وتناكروه، وهم هم بأعيانهم، ولم يَدَّعِ أحدٌ من الفريقينِ شيئاً من التغاير والتنافر بينهما، بل هما بأجمعهما حصراً كل جهدهما في معارضة المخالفين لهما المنسوبين إلى حزب (الحرية والائتلاف) ومخاصمتهم أشد الخصومة. وكلاهما متفقٌ على نَزْع السلطة من السلاطين، ومنحها للأعداء تحت ستارة منحها للأمة، وكلاهما جمهوريٌّ، وكلاهما لا دينيٌّ، يتراءى للناس تارةً بوجهٍ طوراني متعصب الجنسية، وتارةً بِتَقَحُّماتِ البلشفية، وتارةً كالمجاهد في سبيل الله، وكلاهما مفرِّطٌ في دعوة الحرية بلفظِه، وقاتلها بفعلِه، وكلاهما خائضٌ في غمرات الظلم والبغي، وإن عَيَّرا خصومهما بسياسة الشدَّة والتدمير، والحال أنَّ عهدَهما هو الذي امتلأ بهما وفاض، ويعلم الله وكل أحد في تركية أنَّ غيرهما لم يأتِ بعشر من معشار ما أتيا به من الشدَّة والتعَسُّفِ، فالحاصل أنَّ الكماليين ليسوا بأغيار الاتحاديين، وأنَّ الثورة الكمالية مُرَتَّبةٌ

---

(١) يقصد الشيخ هدنة (مودروس) التي وقَّعتها الدولة العثمانية مع قادة الحلفاء وفي مقدّمتهم الإنكليز في ٢٤ المحرم سنة (١٣٣٧هـ) الموافق ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) سنة (١٩١٨م).

ومُدَبَّرةٌ لإحياء مبادئ الاتحاديين، بل لإحياء أشخاصهم، الذين ماتوا عندما أماتوا الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، فإن كان هناك فرقٌ بين الاتحاديين والكماليين فهو من حيثُ إنَّ الكماليين أَخْبَثُ وأَشْنَعُ من الاتحاديين، وبَلِيَّة على الدولة والأمة أشدُّ منهم، فالاتحاديون كانوا ظالمين وسَفَّاكين للدماء المحقونة، والكماليون أَظْلمُ وأَسْفك، والاتحاديون مُستَبِدُّون مُتَغلِّبون على آراء الأمة في عهد حريتهم، والكماليون أشدُّ استبداداً وتضييقاً على الأمة، والاتحاديون غَصَبوا الوزارة، والكماليون تَرقَّوا إلى غصب السلطنة، والاتحاديون لا دينيون غير مجاهرين، والكماليون مجاهرون في الإلحاد، فهم أضرُّ منهم بديننا ودنيانا[١].

ويَتَصدَّى الشيخ للكماليين فيكشِفُ عن فساد دينهم، ويُنَبِّه المسلمين على خطرهم على الإسلام، حتى لا يظنوا بهم خيراً فيقتدوا بهم، وحتى لا يتورطوا في إعانتهم وتشجيعهم على مبدئهم غير الديني من حيث لا يشعرون، وكان ذلك في تلك الفترة التي كان العالم الإسلامي لا يزالُ فيها مغترّاً بمصطفى كمال، على ظنٍّ أنّه البطل المنقذ الغيور على الإسلام وعلى الأمة الإسلامية.

وأخَذَ الشيخُ يُقَدِّمُ نماذجَ مما كتبه بعضُ الكماليين للدلالة على فساد دينهم، واستخفافهم بالقرآن الكريم والتعاليم الإسلامية ومجاهرتهم بِنَبْذِها واستبعادها.

---

(١) انظر: النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة، ص١١١ ـ ١٢٢، في الهامش.

من ذلك ما صرحت به جريدة (طنين)[1] في عددها الصادر في ١٥ نوفمبر (١٩٢٣م) من أنَّ أحد مقاصد الانقلاب الكمالي تأسيسُ دولةٍ عصريةٍ لا دينية [2](Laigue) وما صرح به مندوب الحكومة الكمالية في مؤتمر (لوزان) من أنَّ حكومة الأتراك اليوم حكومة لا دينية[3]، وأيضاً ما كتبه أحمد آغايف[4] في جريدة (أقشام)[5] في مقالةٍ نَدَّد فيها بالقرآن الكريم، وهَزأَ وتَهكَّم بالتعاليم الإسلامية، وادَّعَى أنها من التعاليم التي لا يُمكن تطبيقها في سنة (١٩٢٤م)[6] وأيضاً ما قاله فالح رفقي[7] من أنَّ الجمهورية التركية ليست بجمهورية إسلامية[8].

---

(١) طنين: من الجرائد التركية التي كانت آنذاك تصدر في الآستانة.

(٢) انظر: المرجع السابق، هامش ص٢٦.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٣٥.

(٤) أحمد آغايف: من أكبر كُتَّاب الجمهورية الأنقروية وسياسيِّيها، اشتهر في زمن الاتحاديين بخدمة المبادئ اللادينية، ولذا قرَّبه مصطفى كمال، وأعطاه في حكومته منزلة كبيرة. انظر: المرجع السابق، ص٧٢ ـ ٧٣.

(٥) أقشام (المساء): من الجرائد التركية التي كانت آنذاك تصدر في الآستانة.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص٧٢.

(٧) فالح رفقي بك: أحد أعضاء جمعية (الاتحاد والترقي)، قدَّم خدمات كبيرة للاتحاديين خاصة جمال باشا، ولما أُسِّسَ المجلس الوطني في أنقرة برئاسة مصطفى كمال، أصبح نائباً فيه عن مدينة (بولي) ورأس تحرير جريدة (أقشام) التركية، وكتب فيها مقالات كثيرة لتأييد الحكومة الكمالية ونصرتها. انظر: المرجع السابق، ص٦٧، ١١٢، ١١٥.

(٨) انظر: المرجع السابق، ص٦٧ ـ ٦٨.

هذا بالإضافة إلى مشروعهم الناهي عن تعدد الزوجات، والناهي عن زواج الأبناء والبنات الذي تَقِلُّ أعمارهم عن سبع عشرة أو ثماني عشرة سنة[1]. وتأسُّفهم على ما اعتادَ عليه الأتراك منذ عصور من إقامة أسماء العرب كعثمان، ومحمد، وعمر، وفاطمة، وعائشة، مقام أسمائهم التركية كتيمور، وجنكيز، وآلب، وبيسكوم، وإيلخان[2]. وتَعَصُّبهم لجنسهم وطورانيتهم إلى حد العداوة للإسلام ومهاجمته باعتباره ديناً عربياً، وإحياؤهم لعقائد الترك الوثنية السابقة على إسلامهم، كالوثن التركي القديم (بوزقورت) أو (الذئب الأغبر) الذي صَوَّروه على طوابع البريد، ووضعوا له الأناشيد، وألزموا الجيشَ أن يصطف لإنشادها عند غروب كلِّ يوم، كأنهم يُحِلّون تحية الذئب محلَّ الصلاة مبالغةً منهم في إقامة الشعور القومي مقام الشعور الإسلامي[3].

ولما ظهر الكماليون للناس بوجههم السافر؛ وقاموا بإلغاء الخلافة الإسلامية إلغاءً تاماً، وإلغاء الوزارة والمحاكم الشرعيتين والمدارس الدينية والأوقاف؛ ازدادت مقاومةُ الشيخ لهم، سيما وأنّه ما زال يُوجد هناك بعض المسلمين الذين يُؤَمِّلُون منهم الخير، ويُؤَوِّلُون أعمالهم وجميعَ تصرفاتهم تأويلاً يَتَّفِق مع الإسلام وأحكامه؛ فقام الشيخُ يَرُدُّ عليهم، ويُبَيِّن غلطهم وإمعانهم في الانسياق وراء الكماليين من دون تفكير وتمحيص لأعمالهم، التي أصبحت لا تخفى على أحد؛ كما أخذَ يكتبُ عن الكماليين موضحاً

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) انظر: المرجع السابق، هامش ص٧١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٦٨ ـ ٧٠، ١٥٩.

خروجهم على الإسلام، واعتمادهم على الغرب في كلِّ شؤونهم؛ مستشهداً بتصريحاتهم التي نشروها آنذاك في الجرائد التركية.

من ذلك ما كتبته جريدة (إيلري)[1] في عددها الصادر في ٢٨ شباط (فبراير) (١٩٢٤م) تقول فيه: «إنَّا عازمون على أن ندوسَ بأقدامنا وإقدامنا وننسف كل الموانع والحوائل في طريقنا التي تذهب بنا من الشرق الذي ودَّعناه إلى الغرب الذي يَمّمناه، حتى إنَّ التغَرّب لا يقتصر على شؤوننا الرسمية وقوانيننا، بل ستكون أدمغتنا وعقليتنا أيضاً غربية بحتة، ولا حاجة لنا بعد الآن إلى مقام الخلافة والوزارة الشرعية والمحاكم الشرعية والأوقاف والمدارس الدينية، إنَّا نُودّع كلَّ هذه الأشياء البالية التي تَمنعُنا من الرقي والتعالي»[2]، وقالت في مقالٍ آخر: «إنَّا لا نقتبس قانوننا في حقوق الأسرة من الفقه القديم، بل من احتياجاتنا القومية، وإنّ قانون الجمهورية لن يبيحَ تعدد الزوجات»[3]. وقالت أيضاً في مقالٍ ثالث: «إنّ كبير الذنب للحروف العربية، لأنها هي التي أخَّرتنا وجعلتنا وراء الأمم في العلم والتَّعلم، فيجب علينا أن نكتب بحروف لاتينية»[4]. وقالت أيضاً في مقالٍ رابع: «إن المجلس الوطني عند مفاوضة قانون التشكيلات الأساسية رَفَضَ المادة القائلة بأن دين الدولة الإسلام»[5].

---

(١) إيلري: جريدة تركية، وهي لسان حال حكومة أنقرة الكمالية.
(٢) المرجع السابق، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.
(٣) المرجع السابق نفسه.
(٤) المرجع السابق، ص٢٠٣.
(٥) المرجع السابق، ص٢٠٥.

ومن ذلك أيضاً قول آغا أوغلي أحمد[١]: «إنَّا عزمنا على أن نأخذَ كل ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في رِئاتِهم والنجاسات التي في أمعائهم»[٢].

ويكشف الشيخ ـ بكل جرأة ـ عن علاقة الكماليين باليهود، ويستدل على ذلك بعدة أمور:

منها: أنّ (قره صو)[٣] الاتحادي اليهودي الشهير هو الذي أَبْلَغَ السلطان عبد الحميد قرارَ خَلْعِه، مما يدل على أنَّ لليهود إصبعاً في إسقاطه، وإبعاده عن عرش الخلافة[٤].

ومنها: اتصال مصطفى كمال بالمحافل الماسونية في الآستانة، وكثرة تَرَدُّدِه عليها، وذلك قبل انتقاله إلى بلاد شرقي الأناضول بأمرٍ من السلطان محمد وحيد الدين.

ومنها: أنَّ أول وفد دخل الآستانة من الكماليين[٥] نزل في (محفل الشرق) الماسوني[٦].

---

(١) تقدمت ترجمته، ص٥١.
(٢) مصطفى صبري ـ موقف العقل: ١/ ٣٦٩.
(٣) تقدّمت ترجمته، ص٣١.
(٤) انظر: المرجع السابق: ١/ ٢٢ هامش. وكان ذلك في عهد الاتحاديين، وقد علمتَ مما سبق أنَّ الشيخ يرى عدم الغيرية بينهم وبين الكماليين.
(٥) وهو الوفد الذي كان برئاسة القائد التركي رأفت باشا.
(٦) انظر: النكير على منكري النعمة، هامش ص١٦٨.

ومنها قوله: «ولن تَجِدَ ملةً أو قوماً في خارج بلادنا وداخله دامت مودةُ الاتحاديين والكماليين معهم إلا اليهود بأصليّهم وعودتيهم. . . ولهذا لم يَسْلَمْ من اعتدائهم في تركية ما بين ألبانها وعربها وأكرادها وأرمنها وأروامها وشراكسها وأتراكها إلا اليهود»[1].

ويكشفُ الشيخ أيضاً عن تواطؤ الكماليين مع الإنكليز[2]، ويستدل عليه

---

(١) المرجع السابق، ص١٦٦.

(٢) لقد نصحَ بعضُ علماء الدين (مصطفى صبري) بإخفاء ما يدينُ بهِ من بغضاء للكماليين لئلا يُلحقوا به الأذى، ولكنَّ الشيخ أصرَّ على موقفه من الجهر بمخاصمة الكماليين، وقال: «ما دروا أنّي لو أسكتني مثل ذلك السبب عن الحق، فلماذا وقعَ هذا الاغتراب من أوطاننا، والاضطراب في حياتنا ومعيشتنا؟ وكيف يجوزُ لنا إهدارُ الشدائد التي مَضَتْ علينا في هذه السبيل بما نرضاه من وضع سلاحنا في آخر الأمر والعمر لأسبابٍ اقتحمنا ما هو أعظم منها وأكثر؟ وهل وظائفُ العلماء والعقلاء مماشاة الجُهَّال في مذاهبهم وعقائدهم أو إرشادهم إلى ما لا يهتدون [إليه] بأنفسهم؟ ويا للأسف! إنْ كان يأتيني الأذى من المسلمين عندما أجاهرُ بالسَّعْي لدفع الأذى عن الدين، إذن فالحياةُ ذميمة والداء عياء، حيث إنَّ الطبيبَ يَتْبَعُ سَقِيْمَهُ، ولا يَبْلُغُ من الدين الإسلامي أعداؤه القديمة الظاهرة ما يَبْلُغ منه أعداؤه السرية الجديدة وأصدقاؤه الحقمى أو الجبناء» المرجع السابق، ص٩ ـ ١٠.

ويعتذر من شدته في نقد الكماليين ومخاصمتهم، فيذكر أنَّ شدتَه تلك راجعةٌ إلى غيرته على الإسلام، فقلبه يَحْتَرِق على ضياع الإسلام بأيدي الذين يُحْسَبُون من بعيد أنهم حماةُ مجده، وقلبُه يحترقُ أيضاً على إهمال أهل الديانة ما يجب عليهم في حراسة دينهم من تسلُّطِ أولئك الأعداء وتوانيهم عن نصرة الحق إزاء=

بكثير من الشواهد التي منها:

نجاح عصمت إينونو[١] في مؤتمر (لوزان)، وتسليم الإنكليز له مع أنّه لم يهزمهم في ميدان القتال[٢].

ومنها: رَدُّ مستشار وزارة الخارجية البريطانية على بعض النواب الذين اعترضوا على تسليم إنكلترة بشروط تركية في مؤتمر (لوزان)، واعتبروه هزيمةً سياسيةً لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنكليز تجاه الأتراك بقوله: «عليكَ بوزن المسألة من حيث الفرق بين دولتي الترك القديمة والجديدة»[٣].

ومنها أيضاً: تشدد الإنكليز في معاملة السلطان محمد وحيد الدين حتى أعجزوه، وتشددهم في التضييق على الوزارات المنحازة إلى السلطان ضد مصطفى كمال، ثم تساهلهم بعد ذلك مع مصطفى كمال، ومع الوزارات المنحازة إليه[٤].

ولهذا وقف الشيخ أمام انتصار الكماليين على اليونان، وإخراجهم من أزمير[٥] موقفَ المُتَأَمِّل والمُتَفكِّر، واستطاع بحكم معرفته بمصطفى كمال،

= تفاني اللادينيين في نصرةِ باطلهم. راجع: المرجع السابق، هامش، ص١٥٢.

(١) تقدمت ترجمته ص٦٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، هامش ص١٧٤ ـ ١٧٥.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) انظر: المرجع السابق، هامش ص١٧٨.

(٥) أزمير: مدينة تقع غربي تركية، وميناء على خليج أزمير بشمال شرقي بحر إيجه.

وبحكم معرفته أيضاً بما يدور حوله من أحداثٍ راقبها وشارك فيها أن يربط الأسباب بالمسببات، وأن يكشفَ عن حقيقة ما حصل في فتح أزمير، مما يؤكد صلةَ مصطفى كمال بالإنكليز.

فقد نادى الشيخ مراراً بأنّ احتلال اليونان لأزمير قد تمّ بقرارٍ بُلِّغَ للدولة العثمانية من باريس باسم اللجنة العُلْيا المُؤلَّفة من رؤساء الحكومات الإنكليزية والفرنسية والإيطالية واليونانية، الذين حَذَّروا الدولةَ من مقاومة اليونان، معتبرين تلك المقاومة نقضاً للهدنة، وإعلاناً للحرب مرة أخرى. وهنا ساوم مصطفى كمال الإنكليز على خلافةِ الإسلام، ومُقَوِّمات تركية الإسلامية من الدين والأخلاق والآداب بثمنٍ بخس، هو احتفاظ تركية باستقلالها بعد تَجَرُّدِها من مزاياها، بأن تتنازلَ عن الخلافة وعن البلاد الإسلامية التي كانت تحت حكمها، وتَتَجرَّد عن هويتها الممتازة بين الأمم الأخرى.

ثم قام الأتراك المسلمون الأناضوليون ـ الذين أثارهم مصطفى كمال على اليونان مُقَنَّعاً بقناع الحماسة الإسلامية والغَيْرة على الإسلام ـ بمحاربة اليونان لاسترداد أزمير، ولما تَمَّ لهم النصرُ بخذلان إنكلترة وبقية دول الحلفاء لحليفتهم اليونان، اضْطُرَّت اليونان إلى الانسحاب من أزمير، وَتَبِعَهُ انسحاب الإنكليز مع زملائهم الحلفاء ـ بطوعهم واختيارهم ـ من إستانبول التي كانوا قد احتلوها وأحاطوها بأساطيلهم، وتنازلوا عن أزمير، لكي يُظْهِرُوا مصطفى كمال أمام العالم الإسلامي بصورة البطل المسلم المنتصر[1] الذي استطاع أن

---

(١) يقول الشيخ معلّلاً سرَّ هذا الانتصار: «حتى تَعْظُمَ فتنتُه في أبصار المسلمين وبصائرهم، والرجل لا تَجِد الإنكليز مثله ولو جَدَّت في طلبه، من حيث إنّه=

يَطردَ اليونان من أزمير، وأن يُخرجَ جيوشَ الحلفاء من البلاد التركية، فيكتسبَ بذلك قوةً وسُمعةً يستطيعُ بها تحقيق مآربه السيئة.

وهذا ما حصل بالفعل، ولم يَشُقَّ على الإنكليز خذلان حليفتها اليونان، ومساعدة عدوتها الترك في سبيل المنافع التي سوف تَكْتَسِبُها من تلك المناورة السياسية[1].

ويدلل الشيخُ على ما سبق بقوله: «إنَّ أولَ مانحي مصطفى كمال رتبةَ (البطل) هم الأوروبيون، وكان المسلمون تَبَعاً لهم في ذلك، وقد بَلَغَ عدد ما أُلِّف في أوروبة بشأنه أكثر من ستمئة كتاب، فيستنتِجُ العقلُ من هذا أنّه رجلٌ حاول الأوروبيون أن يجعلوا منه بطلاً أكثر من أنه بطل في الحقيقة، وماذا فعل حتى استحقَّ لقبَ البطولة عندهم؟ فإن كان هذا اللقبُ مكافأةً له على إخراجه اليونان من أزمير، فكيف يُكافئ الحليفُ عدوَّ حليفه ويَهْتِفُ له؟ ولماذا لم يَهْتِفُوا لقاهر اليونان في الحرب العالمية الثانية، بل خَفُّوا إلى محاربته إنقاذاً لحليفتهم اليونان؟ إذاً فقد كان سرُّ استحقاقه لقب (البطولة) قيامَه بإلغاء الخلافة الإسلامية، والقضاء على الدولة العثمانية، وإقامة جمهورية معادية للدين مقامها»[2].

= يَهْدِمُ من ماديات الإسلام ومن أدبياته ـ ولا سيما أدبياته ـ في يومٍ ما لا تهدم الإنكليز نفسُها في عام، فلما ثَبَتَتْ كفايتُه وقدرتُه من هذه الجهات فوق كفايته وقدرته في طرد اليونان من الأناضول استَخْلَفَتْهُ لنفسِها، وانسحبت من بلادنا». المرجع السابق، هامش ١٧٩.

(١) راجع: موقف العقل: ١/ ٤٧٥ ـ ٤٨٠.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٤/ ٢٨٤ هامش.

ونظراً لكون الشيخ متيقظاً لِحِيَل الكماليين، عارفاً بنواياهم منذ بداية الأمر، فقد دافع عن الخلافة الإسلامية دفاعاً قوياً، وتَصدَّى لهم عندما حاولوا إلغاءها، وأَنْكَر عليهم تجريدَ الخلافة عن السلطة، ونادى بأعلى صوته جميعَ المسلمين للوقوف في وجوههم، ومَنْعهم من العبث بالخلافة التي ظَلَّت قائمةً طوال تاريخ الإسلام، وأَخَذَ يُنَبِّه على مقاصد الكماليين من الفصل بين الخلافة والسلطة، حيث يقول: «إنَّ ما يرمي إليه الكماليون من فصل السلطة عن الخلافة هو التَملُّص من ربقةِ الشرع الإسلامي»[1].

ويقول: «إنَّ ما ابتدعه الكماليون من تجريد الخلافة من السلطة، وإيقاع الفرقة بينهما أمرٌ يرجع إلى ارتداد الحكومة التركية وانتزاعها من لباسها الديني»[2].

ويقول: «ليس مرمى الكماليين فيما فعلوه سوى غرضين:

أحدهما: **نَشْل السلطة من آل عثمان**، ونقلها إلى مصطفى كمال.

والغرض الثاني: **إلغاء الخلافة**، وإبطالها على التدرج، رَوْماً لإخراج حكومتهم من أن تكونَ حكومةً إسلاميةً»[3].

---

(١) انظر: النكير على منكري النعمة، ص١١.
(٢) المرجع السابق نفسه.
(٣) المرجع السابق، ص١٢ بتصرف يسير. وقد جاءت جميعُ الأحداثِ بعد ذلك والقرارات التي أصدرها مصطفى كمال ابتداءً من شهر آذار (مارس) عام (١٩٢٤م) مؤيّدةً لصدق حَدْسِه.

ويقول أيضاً: إن فصل الخلافة عن السلطة عبارةٌ عن فصل الدين عن الدنيا، وإن الكماليين بفعلهم هذا يُقَلِّدُون ما حصل في الانقلاب الفرنسي، القاضي بتفريق الحكومة عن الكنيسة[1].

وَرَدَّ الشيخ على أنصار الكماليين الذين خاضوا في مسألة الخلافة، وأثاروا حولها الشبهات من أجل تضليل الناس، وتَغطيةِ أفعال الكماليين المضادة للدين، والبحث عن أيِّ طريقٍ لتوفيق تلك الأفعال بالشرع، أو تطبيقها على مثال سبق في ماضي الإسلام[2].

كما بَيَّنَ ما يُؤدي إليه الفصلُ بين الخلافة والسلطة، حيث قال: «إنَّ تجريدَ الخلافة عن السلطة يُؤدي إلى الاستهانة بالدين بواسطة الاستهانة بالخلافة»[3].

وقال: «إنَّ تجريدَ كل من الخلافة والحكومة عن الأخرى أفسدها جميعاً.

أما **الخلافةُ**: فلأنها في اللغةِ: عبارةٌ عن النيابة، وفي العرف: بمعنى **النيابةِ عن حكومة رسولِ الله ﷺ في أمته، فإذا جُرِّدَتْ** عن الحكومة؛ أي عَمَّا

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٣٣.

(٢) أمثال: عبد الغني سني بك، وخليل خلقي نائب مدينة (سِعْرِد، أوسِيرت)، وإلياس سامي نائب مدينة (مُوش)، والدكتور حسين هِمَّت، ومحمود عزمي وغيرهم.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٥ ـ ١٦.

تكونُ النيابةُ فيه، تَذْهَب الخلافة والنيابة في الفضاء، ولا يبقى (لهما معنًى).

وأما فساد الحكومةِ: فلأنها عند كونها مقترنةً بالخلافةِ كانت حكومةً مقيدةً بالديانة الإسلامية، وعند افتراقها عنها تصيرُ غيرَ مقيدة بها البتة»[1].

وقد عارض الشيخ الإجراءات العلمانية التي قام بها الكماليون ونَقَدَها بشدَّة، وحلل الدوافع الكامنة خلفها، ومن ذلك قوله عن لبس القبعة الإفرنجية: «إنَّ القبعةَ التي هي زي النصارى الإفرنج لَبِسَها الكماليون، وفرضوها بالقوة على الأمة التركية، وليس القصدُ من اختيارهم لها التقرُّبُ إلى الديانة النصرانية أو إلى غيرها من الديانات، وإنَّما المقصودُ هو الابتعاد عن المسلمين وعن الإسلام، الذي سبَّبَ تأخرهم ـ على ما يعتقدون ـ واستجلبَ عداوة الدول المسيحية عليهم»[2].

وقوله: «إنَّ باعث الكماليين على ترجيح لبس القبعة على سائر الأزياء هو أنّ المسلمين ولا سيما الأتراك العثمانيين يَنْظُرون إلى لبس القبعة الإفرنجية على أنه علامةٌ من علامات المروق من الدين، والابتعاد عن المسلمين، ولا يوجد زي في الدنيا يعادِلُها في إغضابهم، ولذا فرضها الكماليون عليهم، وشنقوا كلَّ من رفضَ لبسها، إلى درجة أن يقفَ البوليس بباب المسجد،

---

(١) المرجع السابق، ص٢٤ ـ ٢٥.
(٢) انظر: (فتنة القبعة الجديدة ومغزاها الجديد) مقال للشيخ منشور في مجلة (الفتح) عدد (٥٨٤) الصادر يوم الخميس ١١ من ذي القعدة (١٣٥٦هـ)، ص١١.

ويسوق إلى القسم من يخرج منه وعلى رأسه عمامةٌ أو طربوشٌ»[1].

ومن ذلك قوله عن إلغاء المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية: «وقد كان تجريدُ الدولةِ عن دينها وخلافتها ومحاكمِها الشرعية ومعاهِدها الدينية استجلاباً لمرضاة الدول الكبيرة الغالبة في الحرب العالمية الأولى»[2].

ومن ذلك أيضاً قولُه عن نَبْذ الحروف العربية والكتابة بالحروف اللاتينية: «إنَّ الكماليين أرادوا ـ كما صَرَّحوا به ـ من الكتابةِ بالحروف اللاتينية التخلُّصَ من العرب ومن الحروف العربية، وهم يقصدون من ذلك التخلّص من دين الإسلام الذي جاء إليهم عن طريق العرب المسلمين»[3].

ويُبَيِّن الشيخ الأضرار والآثار السيئة الناتجة عن ترك الكتابة بالحروف العربية فيقول: «إنَّ تغيير الحروف العربية سوف يؤدي إلى أن يَنْشأ النشء منقطعَ الصلةِ بتاريخ الإسلام وتاريخ الترك المسلمين ومعارفهم، لكون الكتب المؤلفة في ذلك الصدد مكتوبة بالحروف العربية، التي سيكونُ الترك الأحداث بعيدين عن قراءتها، وسوف يُؤدِّي أيضاً إلى قطع صلة الترك الثقافية بالأمم الكاتبة بالحروف العربية»[4].

---

(١) انظر: المرجع السابق نفسه.
(٢) موقف العقل: ١/ ٨٢.
(٣) انظر: (الحروف الجديدة) مقال للشيخ، منشور في مجلة (الفتح) عدد (١٢١) الصادر في ٢٥ جمادى الأولى (١٣٤٧هـ)، ترجمة محب الدين الخطيب، ص٢.
(٤) انظر: موقف العقل: ١/ ٤٧٩، و٤/ ٣٤٦.

ولقد بَلَغَت شدّةُ خصومة الشيخ للكماليين إلى حد أنّه كان يرى أن جميعَ أعمالهم وإجراءاتهم العلمانية هي بمثابة فتح حصن الدين من الداخل، وبمثابة هدم الإسلام من أساسه. لذا فقد عَدَّه الكماليون عدواً لدوداً لهم، ووقفوا له بالمرصاد، وآذوه في نفسه وفي أهله وماله، وحرصوا على القبض عليه وشنقه ـ كما فعلوا مع غيره ـ ولكنّ الله سبحانه أنجاه منهم، واستطاع أن يهربَ خارج البلاد مع جميع أفراد أسرته على ظهر إحدى البواخر، وأثناء ذلك استطاع الكماليون أن يُمْسِكوا بين المَرْفأ والباخرة الجرم الذي كان يَحْمِلُ رحال الشيخ وعائلته، وفيه كل ما يحتاجون إليه من الثياب والأثاث، فاضطروا إلى البقاء في الدرجة الثالثة من الباخرة بلا أدوات تقيهم برد الشتاء، وكان بين العائلة نساء وأطفال ومرضى[1]. ولَمَّا استطاع الشيخ أن يُفْلِت منهم قاموا بالاستيلاء على نسخ كتابه (ديني مجددلر) أي المجددون الدينيون، التي كانت موضوعةً في الصناديق لدى مطبعة الأوقاف بالآستانة، والتي يَبْلغ عددها تسع مئة وخمسين نسخة، وغصبوها، وصادروها، ومنعوها عن الانتشار[2].

وقطعوا معاشه الذي كان يُجْرى له بصفته مدرساً عَامَّاً بجامع الفاتح، حيث أصدرت المديرية العامة للتدريس قرارها رقم (٩٥ ـ ٣٣٨) والصادر في ٣٠ جمادى الآخرة (١٣٤٢هـ) الموافق ٦ شباط (فبراير) (١٩٢٤م) ونصه

---

(١) راجع: النكير على منكري النعمة، هامش ص١٨٠.

(٢) راجع: المرجع السابق، هامش، ص١٩٦.

ما يلي: «بناءً على تأسيس الحكومة القومية في إستانبول، وبناءً على فراره[1] خارج حدود الوطن القومية، واعتماداً على تدقيقات الهيئة التدريسية، وطِبْقاً للقرار رقم (٧٨) الصادر في ٨ يناير (١٩٢٤م)، فقد تَقَرَّرَ قطعُ معاشه اعتباراً من أول كانون الثاني (يناير) وتوزيعه على معاشات السادة المدرسين في الدرس العام»[2]. وأسقطوا عنه الجنسية التركية، كما أوردوا اسمه هو وابنه إبراهيم ضمن قائمة الأشخاص غير المرغوب فيهم، الذين أصدرت الحكومة الكمالية في ٢٨ شوال (١٣٤٢هـ) الموافق ١ حزيران (يونيو) (١٩٢٤م) قراراً بِنَفْيِهم خارجَ البلاد، وَمَنْعِهم من دخولها، وكان عددهم مئة وخمسين شخصاً، كان الشيخ التاسع بينهم في الترتيب، أمّا ابنه فيحتل الرقم ١١٣[3].

تنقلاته وأسفاره:

خرج مصطفى صبري من وطنه تركية ـ مهاجراً إلى الله ورسوله ﷺ، وفَاراً بدينه ـ مرتين في حياته، الأولى كانت في عهد الاتحاديين، والثانية كانت في عهد الكماليين، وتَنَقَّل بين بلادٍ عديدةٍ، واجه خلالَها مصاعب جَمَّة.

أما خروجه في المرة الأولى فقد كان حينما استفحلَ نفوذُ الاتحاديين، وحاولوا القبضَ عليه بعد تعطيلهم مجلسَ النواب، حيث هاجموا منزله ليلاً،

---

(١) الضمير هنا يعود إلى الشيخ مصطفى صبري.

(٢) Sadik AlBayrak- Yürüyenler Ve Sürüneler. S30-31.

(٣) انظر كلاً من:

Dr. Abdülkadir Altunsu - Osmanli Seyhu lislamlari. S258.

Türk Ve Dünye Ünlüleri Ansiklopedisi, Cilt 8. S,4106

ولكنه استطاع أن يَفرَّ منهم[1] على ظهر إحدى البواخر سنة (١٣٣١هـ = ١٩١٣م)، والتجأ إلى مصر، وأقام فيها مدةً، ثم سافر منها إلى البوسنة والهرسك اللتين كانتا آنذاك تحت حكم النمسة، ثم انتقل إلى باريس في فرنسة، وأقام فيها فترة من الزمن[2] ثم انتقل منها إلى رومانية، وأقام في بوخارست[3].

ولَمَّا احتلت ألمانية وحلفاؤها رومانية أثناء الحرب العالمية الأولى دخلت الجيوشُ الألمانية والتركيةُ بوخارست، فقبض الاتحاديون على الشيخ، وأدخلوه السجن هناك، ثم أتوا به إلى تركية، ونفوه إلى مدينة (بِيلَّه جِكْ) في الأناضول ـ كما ذكرنا سابقاً ـ وأقام فيها إقامةً جبريةً إلى أن انتهت الحرب بهزيمة تركية، وفرار الزعماء الاتحاديين خارجَ البلاد سنة (١٣٣٦هـ = ١٩١٨م)، فعاد إلى نشاطه العلمي والسياسي بالآستانة[4].

وفي شهر ربيع الأول سنة (١٣٤١هـ) تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٢٢م)

---

(١) ارجع إلى ما جاء في ص١١٥ ـ ١١٦ من هذا الفصل.

(٢) وقد أشار الشيخ عَرَضاً إلى إقامته في باريس في كتابه (قولي في المرأة)، ص٧٠، وذلك عند مناقشته أنصار التبرّج والسفور.

(٣) وقد أشار الشيخ عَرَضاً إلى إقامته في تلك المدينة في كتابه (النكير على منكري النعمة)، ص١٧٢، وذلك عند مناقشته أنصار الكماليين في مسألة استرداد أزمير من اليونانيين.

(٤) انظر كلاً من: د. محمد محمد حسين ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: ٢/ ٣٤٥؛ والملحق رقم (٣) ص٤٠٩.

خرج من وطنه تركية خروجاً نهائياً، وذلك لما استولى الكماليون على الآستانة، وحاولوا القبض عليه، ففَرَّ منهم يُرافقه جميعُ أفراد أسرته على ظهر إحدى البواخر التي أقلَّتْهُم من الآستانة إلى ميناء الإسكندرية بمصر.

وقد مَرَّ الشيخ خلال هجرته الأخيرة هذه بمواقف صعبة ومحنٍ شديدة:

١ ـ منها أنه عانى طوال هجرته من الفاقة إلى درجة العدم، مما اضطره إلى بَيْعِ كتبه للحصول على ثمن تذكرة سفره مع أسرته بالباخرة، ولم يستطع إلاَّ الركوبَ في الدرجةِ الثالثة[١].

٢ ـ ومنها قيام اليهود والإنكليز والقنصليات التركية في بعض البلاد التي أقام فيها الشيخ ـ ولا سيما مصر ـ بمضايقته، وتشجيعهم بعضَ العناصر من أجل إلحاق الأذى به، وإثارة عامة الشعب ضده.

٣ ـ ومنها أنه بمُجَرَّدِ وصوله إلى الإسكندرية فُوجِئ بالمقابلةِ السيئةِ، والعداء السافر من قِبَلِ المصريين، وذلك لعلمهم بمناوأته لمصطفى كمال، وبغضه له، وقد كانوا آنذاك متأثرين بذلك التيار القوي المُتَحَمِّسِ لمصطفى كمال، والمُنْخدِعِ به، بوصفه القائد المسلم المُظَفَّر، الذي بعثه الله لإقالة عثرة الخلافة، ولإحياء مجد الإسلام والذود عنه.

ولذا فقد ابتهجوا لانتصارِهِ المصطنع على اليونان، وأكبروه، وهتفوا له، وأذاقوا الشيخ وأهله الأمَرَّين، حيث شتموهم وأهانوهم في شوارع القاهرة

---

(١) راجع: النكير على منكري النعمة، ص١٨٣.

والإسكندرية، وصاحوا في وجوههم، ورموهم بالكساحة والطماطم الفاسد، واستهزأت بعضُ الصحف المصرية بالشيخ، حيث كتبت تقول: «إنّه فَقَدَ في طريق السفر من الآستانة أَلْفَيْ جنيه مصري» مع أنه كان يُعاني من شدة الفاقة إلى حد اضطراره إلى بيع كتبه من أجل الحصول على ثمن تذكرة السفر كما ذكرنا آنفاً.

كما أخذت الخطابات والبرقيات تَنْهالُ عليه من أنحاء مصر تَحْمِلُ له في طياتها السَبَّ والإهانة، وتَصِفُه بالعداوةِ للإسلام والمروق من الدين، وتُطالبه بالرحيلِ العاجلِ من مصر[١].

وأيضاً قامت بعض الصحف المصرية تَشنُّ ضِدَّه هجوماً قوياً، وتُمْطِرُهُ وابلاً من الشماتات والشتائم، وتَتَّهِمُهُ بأقذع التُّهَم، أقساها على نفسه تُهْمَةُ خيانة الدينِ وبيعِ الوطنِ للإنكليز.

وبينما كان الشيخ في مصر يُكابِدُ شَدَائد الغُرْبَة والأمراض، التي لا تَبْرح على مرّ الشهور، وبينما هو في شُغْلٍ شاغلٍ في نفسه وأهله من متاعب السفر وشدائد الترحال، أخذ نَفَرٌ من الصحافيين المصريين يُضايقونه وأهله، فلم يَبْرحوا أبواب منازلهم، ولا مَمَارّ طُرُقِهم، حرصاً على أن يستنطقوهم عن رأيهم في الانقلاب الكمالي، وفي مسألة الخلافة المفصولة عن السلطة والحكومة، ولكنَّ الشيخ كَفَّ عن التحدُّثِ معهم، وقال: «لأني رأيتُ القولَ

---

(١) راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٧٩ ـ ٤٨٠.

في أكثر بلاد الإسلام قد تساقَطَ من ألسنِ الصدقِ إلى أكفِّ التصفيقِ، وَجُعِلَ الحلُّ والعقدُ ما بين ظلومٍ وجهولٍ:

إذَا قُلْـتُ المُحَـالَ رَفعْـتُ صَـوْتِـي وإنْ قُلْتُ اليَقينَ أطَلْتُ هَمْسِي»[1]

ولَمَّا أَلَحّوا عليه في ذلك رأى أن يُفْصِحَ بما يراه حقاً في المسألة، وقال مُبيِّناً ما يتوقّعه من المصريين حينما يَطَّلِعُون على تصريحاته: «وإن كان أقوى ظني أنَّ أكثرَ الناس لا يقبلونه، ولكن لكي يكونَ ذخيرةً لي في الآخرة، وحجةً عليهم آخذُهم بها هناك، وإن كان لساني قاصراً في العربية، فَلْيَعْذرني كرامُ القرّاءِ على أنَّ لَحن اللسانِ ليسَ كلحنِ القلب»[2].

ثم كتبَ مقالاً قوياً، تكلّم فيه عن حكم تجريد الخلافة عن السلطة، وبَيّنَ مقصدَ الكماليين من ذلك التجريد، «(ونَبَّه) المصريين على ما يُضْمِره هؤلاء للإسلام وشريعته وأهله، وما ينطوون عليه من خُبْثِ النية وفساد الدين، وأنَّ الخلافةَ التي ابتدعوها مُجَرَّدةً عن السلطة ليست من الإسلام في شيء، وأن فصل الدين عن الدولة ليسَ إلا وسيلةً للتخلُّص من سلطانه، والتحرر من شريعته وقيوده، وتجاوز حدوده»[3].

وانتقد الذين هتفوا لمصطفى كمال وصَفَّقوا ـ باسم الديانة ـ للانقلاب

---

(١) النكير على منكري النعمة، هامش ص١٩٩.
(٢) انظر: المرجع السابق نفسه.
(٣) د. محمد محمد حسين ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: ٢/ ٣٣.

الذي قـام بـه في الأناضول، ثم نَشَـرَ ذلك المقال في جريدتي (المقطـم) و(الأهرام)[1]. وعندئذٍ ثارت عليه ثائرة المصريين، «(وظنوا أنه) مدفوعٌ في مهاجمته للكماليين ببغضهِ لهم بعد أن ألجؤوه وألجؤوا الخليفةَ إلى الفرار، فهاجموه هجوماً عنيفاً تجاوزَ في كثيرٍ من الأحيان كلَّ حدود الأدب»[2].

من ذلك ما كتبه أحد علماء الأزهر[3] قائلاً: «منذ أيـام نشـر شـيخ الإسلام السابق مقالاً ضافياً في صحف مصر حاول به الدفاع عن نفسه إزاء اتهامه بالخيـانة لدينه ووطنـه، والنيل من قومه، الذين جاهدوا في الله حق جهاده[4]، والتنديد بمن يمالئونهم من المسلمين، وخاصة المصريين، الذين وقفوا على جَلِيَّة الأمر، فلم يُكرموا مثواه، وضَنّوا بوطنهم أن يكون مباءةً لمن يَنصبُون فيه حبائل الكيدِ للإسلام والمسلمين»[5].

---

(١) تحت عنوان (شيخ الإسلام السابق يَبْسط آراءه ويُدافع عن نفسه ويَحْمِل على خصومه). راجع: الأهرام، عدد (١٣٩١٢) الصادر في ٢ ديسمبر (١٩٢٢م)، ص١.

(٢) د. محمد محمد حسين ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: ٢/ ٣٣.

(٣) وهو الشيخ محمد حسنين، وكيل الجامع الأزهر ومدير المعاهد الدينية سابقاً.

(٤) يقصد بهم الكماليين.

(٥) جريدة الأهرام، عدد (٢٠) ديسمبر (١٩٢٢م)، ص١ وفيها تتمة المقال. وللاطلاع على المزيد من هذه الردود العنيفة. راجع: كتاب (النكير على منكري النعمة)، ص١٦ ـ ٢٢؛ وراجع: جريدة الأهرام، عدد (٥) ديسمبر (١٩٢٢م)، وفيه مقال بعنوان (ما شأن الخلافة بعد التغيير) للشيخ محمد شاكر، وراجع أيضاً: مقالات الشيخ علي سرور الزنكلوني في (الأهرام) =

ولم يَلْبَث الشيخُ أن تَلَقَّى دعوةً من الشريف حسين (١٨٥٣م ـ ١٩٣١م) ملكِ الحجازِ للنزول في ضيافته بمكة المكرمة، فسافرَ الشيخُ ومعه أهله إلى الحجازِ استجابةً لتلك الدعوة، فاستقبلهم الشريف حسين استقبالاً حافلاً، ومكثَ الشيخُ في مكة المكرمة خمسةَ أشهرٍ[١]، ثم اضطر إلى الخروج منها بسبب ما حَدَثَ لأسرته من الأمراض الناشئة من حرارة الإقليم، فعاد مرةً أخرى إلى مصر، فعاود الكُتَّاب المصريون الهجوم عليه، وخَلَطُوا بينه وبين الشيخ عبد الله بن دري زاده[٢] شيخ الإسلام في الدولة العثمانية الذي توفي في

= بعنوان (الخلافة وشيخ الإسلام السابق)، وهي خمس مقالات تبدأ من العدد الصادر في ١٣ ديسمبر (١٩٢٢م).

(١) انظر: النكير على منكري النعمة، هامش ص١٨٣ ـ ١٨٤. وقد التقى الشيخ هناك بالسلطان محمد وحيد الدين ـ الذي جاء إلى الحجاز آنذاك بدعوة من الشريف حسين أيضاً ـ وكتب له ـ أي: للسلطان ـ بيانه التاريخي المتعلّق بالانقلاب الذي وقع في الأناضول ضده، وهي خواطر سياسية سمّاها (صيد الخاطر). انظر: الملحقين (١) و(٥) ص (٣٩٥ و٤٣٤).

(٢) الشيخ عبد الله بن دري زاده: من أسرة عريقة في العلم، ولد في إستانبول عام (١٢٨٤هـ = ١٨٦٧م)، شغل عدة مناصب علمية في الدولة العثمانية، وتولَّى منصب (شيخ الإسلام) في التشكيل الرابع لوزارة الصدر الأعظم الداماد فريد باشا في ١٦ رجب عام (١٣٣٨هـ) = ٥ نيسان (١٩٢٠م). أصدر فتوى ضد مصطفى كمال وأعوانه، ثم غادر بلاده إلى مكة المكرَّمة بضيافة الشريف حسين، حيث توفي هناك عام (١٣٣٩هـ = ١٩٢٣م).

Dr. Abdülkadir Altunsu- Osmanli Seyhülislamlari, S 260 - 264.

مكة المكرمة أثناء إقامة الشيخ مصطفى صبري فيها، فشاع في مصر أنَّ مصطفى صبري توفي في مكة المكرمة، ثم خلطوا بينهما مرة أخرى بأن نسبوا الفتوى الصادرة من الشيخ الأول إلى الثاني (مصطفى صبري)، وهي الفتوى التي أعلنت بَغْي مصطفى كمال وخروجَه على الإمام، وكتبوا يَسْخَرون منه فقالوا: «من بعث صاحب الفتوى الخالدة في الشر من مرقده؟».

وصحح مصطفى صبري ذلك الغلط، وأزال اللبس، وقال: «إنَّ تلك الفتوى لم تَصْدر في القرون الأولى ولا الوسطى، ولم يَخْفَ عن أعينِ الناسِ نصُّها واسمُ من وَقَّعَ عليه، بل تعاطتهما جرائدُ العالم بألسنةٍ رسميةٍ»[1].

ولكنَّ الكُتَّاب المصريين أَصَرّوا على ذلك اللبس، وذهبوا يهاجمونه من أجل تلك الفتوى.

واتفق في تلك الأثناء أنْ نَشَرَ أميرُ الشعراء أحمد شوقي (١٨٦٨م - ١٩٣٢م) في الأهرام إحدى قصائده التي امتدح فيها مصطفى كمال، وكال الشتائم فيها للسلطان محمد وحيد الدين[2]. فقام مصطفى صبري بكلِّ شجاعة

---

(١) انظر: مقال (تكرير التذكير)، جريدة (المقطم)، في العدد الصادر في ٤ نوفمبر (١٩٢٣م)، ص٢.

(٢) وللاطلاع على هذه القصيدة انظر ص٣٦٤ من هذا الكتاب.
وله قصيدةٌ أخرى أطلَقَ فيها تغاريدَ النصر ورَفَعَ أكاليلَ الفخرِ على هامة مصطفى كمال، وشبَّهَهُ بخالد بن الوليد، وشبَّه حربه ضدَّ اليونان بجهادِ صلاح الدين الأيوبي ضد المسيحيين في الحروب الصليبية، وشبَّه أيضاً حرب (سقارية) التي انتصر فيها الأتراك على اليونان بمعركة (بدر) الكبرى، وكان=

ـ وَرَدَّ عليه نثراً ونظماً في خطاب مفتوح مُوَجَّه إليه، ونَشَرَه في جريدة (المقطم)[1].

وعندئذٍ سخط عليه المصريون، وثاروا عليه ثورةَ النكير ـ ولا سيما المُحِبِّين لشوقي ـ وأوْسعوه سَبًّا وشَتْماً على صفحات الجرائد والمجلات[2].

ولكن ذلك وما سبقه[3] لم يُزِعْزِع ثقةَ الشيخ بدينِه وبمبادئه، بل وقفَ وحده في مواجهة ذلك التيار القوي المخدوع بمصطفى كمال، وأخذ يَصْرخُ

= في ذلك ـ كغيره من الشعب المصري ـ متأثّراً بذلك التيار القوي المُتحمّس لمصطفى كمال والمنخدع به.

(١) وذلك على الصفحة الأولى تحت عنوان (خطاب مفتوح لأمير الشعراء شوقي بك)، وذلك في العدد (١٠٥٣٣) الصادر في ٢٧ أكتوبر (١٩٢٣م)، وقد شدَّدَ عليه في القول، ونظم قصيدة بقافية على منوال القافية التي نظم بها شوقي قصيدته، وللاطلاع عليها راجع ص٣٦٤ من هذا الكتاب.

(٢) راجع على سبيل المثال: المقطم، عدد (١٠٥٣٥) الصادر في ٣٠ أكتوبر (١٩٢٣م)، ص٢ وفيه مقال بعنوان (خطاب مفتوح لشيخ الإسلام السابق) لعبد الخالق علوي المحامي الشرعي بالفيوم، وراجع العدد الذي يليه الصادر في ٣١ أكتوبر (١٩٢٣م)، ص٢، وفيه مقال بعنوان (شيخ الإسلام السابق وقصيدة أمير الشعراء) للدكتور حسين هِمَّت؛ وراجع أيضاً: كتاب (النكير على منكري النعمة)، ص١٨٧ ـ ١٨٩ في الهامش.

(٣) من الاستقبال السيِّئ، ومناصبة العداء، والاعتداء عليه بالقول والفعل، ومضايقته في الشارع والمنزل، واتّهامه بالخيانة، ومطالبته بالخروج من مصر، وما إلى ذلك.

بأعلى صوته مُنَبِّهاً ومُحذِّراً وَمنْذِراً، ولكنّه لم يَلْقَ إلاّ الجحودَ والسخريةَ والتَّهكُّمَ والرميَ بالخيانة، ومع ذلك صَمَدَ فكان مِثالاً لصبر المجاهدين.

وفي شهر جمادى الآخرة (١٣٤٢هـ) الموافق لشهر كانون الثاني (يناير) (١٩٢٤م) انتقل الشيخ إلى لبنان، وأقام في بيروت تسعةَ أشهرٍ[١]، نَشَرَ خلالها كتابه (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة) وذلك استكمالاً لمناقشاته علماء وأدباء مصر وصحافتها في موقفه من الانقلاب الكمالي[٢].

ثم انتقل بعد ذلك إلى رومانية، لأنه كان يَملِكُ بيتاً هناك، ولوجود بعض أصحابه فيها[٣]، ووجود المسلمين فيها بكثرة[٤].

ولكنه فُوجِئ بأنَّ بيتَه هناك قد استَولى عليه الشخص الذي وَكَّلَه به[٥]، فضاقت به الحال هناك، فسافر إلى اليونان، تُرافقه أسرته في شهر شوال سنة (١٣٤٥هـ) الموافق لشهر نيسان (أبريل) سنة (١٩٢٧م)، وأقام في تراقية الغربية المسلمة اليونانية في مدينة (كُملْجِنَة ـ Gomalcine) التي تسكن بها

---

(١) ويُقال: إنَّه كان خلالها في ضيافة رياض الصلح.
(٢) انظر: الملحق رقم (١) ص٣٩٥.
(٣) أمثال الشيخ خليل القازاني مفتي رومانية.
(٤) وهم مسلمو التتار وقازان.
(٥) كان هذا الوكيل محامياً ألبانياً اسمه إبراهيم تيمو، وقد استولى على البيتِ لكونه من أنصارِ حزبِ (الاتحاد والترقّي). انظر: الملحقين (٣) و(٥) ص(٤٠٩ و٤٣٤).

الأقَلِيّة التركية المسلمة[1]، وظلَّ فيها قرابةَ خمس سنوات، أصدر خلالها مع ابنه إبراهيم جريدةً إسلاميةً فكريةً باللغة التركية، سماها (يارين) ومعناها الغد؛ تفاؤلاً بغدٍ إسلامي مُشرق، وأخَذَ الشيخُ من خلال هذه الجريدة في نَقْد حركة التغريب في العالم الإسلامي، ونَقْد المجتمع التركي، ونَقْد النظام الكمالي في تركية، الذي عُرِفَ باسم الحركة الكمالية نسبةً إلى مصطفى كمال أتاتورك، وأخذ يُحَلِّلُ المصائبَ التي حَلَّتْ بالعالم الإسلامي، وعلى رأسه الدولة العثمانية من جَرّاء اتباع حركة التغريب[2]. كما أخذ أيضاً يدافع ـ من خلال هذه الجريدة ـ عن الإسلام وعن أنظمته وإمامته ومفاخره بأقصى ما احتمله المقام.

وأخذت الجريدةُ تُوزَّع في العالم الإسلامي، كما أخذت تدخل تركية سراً، مما أثار سخط الكماليين على الشيخ.

ولما عُقدت المعاهدة بين تركية واليونان زار رئيسُ الحكومة اليونانية آنذاك (فنيزيلوس)[3] تركية، واجتمع بمصطفى كمال في أنقرة، وكان من

---

(١) يُقال: إنَّه كان يسكنُ فيها أكثر من مئتين وخمسين ألف تركي مسلم.
قلت: ومنها زوجة الشيخ علوية هانم. انظر ما سبق ص(٨٠).

(٢) محمد حرب ـ مقال (تراجم إسلامية في الفكر والحركة في تركية المعاصرة) مجلة (المجتمع) الكويتية، العدد (٤٧٨) الصادر في ١٤ جمادى الآخرة (١٤٠٠هـ) = ٢٩ أبريل (١٩٨٠م)، ص٢٠ـ٢١.

(٣) فنيزيلوس: سياسي يوناني، ولد في كريت سنة (١٨٦٤م)، لَعِبَ دوراً بارزاً في ثورة كريت ضد الحكم التركي (١٨٩٦ ـ ١٨٩٧م)، كان رئيساً للوزارة =

ضمن بنود المعاهدة إيقاف جريدة (يارين)، ومَنْع إصدارها، وإخراج مصطفى صبري من اليونان.

وفعلاً أُوقفَ إصدار الجريدة، وأمر (فنيزيلوس) بإخراج الشيخ من بلاد اليونان، فجاء والي مدينة (كُملجنة) إلى الشيخ معتذراً، وطلب منه بكل أدبٍ وتقدير واحترام أن ينتقل إلى (باتراس) مركز (بولوبنس)[١] بناءً على طلب من الحكومة اليونانية[٢]، فخرج الشيخ تصحبه عائلتـه من (كُملْجِنَـة) سنـة (١٣٥٠هـ = ١٩٣١م)، ولمّا وصل إلى (باتراس) فُوجِئ بأن جميع رجال الدين النصراني هناك من بطارقة ورهبان وقسس قد خرجوا لاستقباله مرحبين، وانحنوا أمامه إجلالاً له وتقديراً لعلمه[٣].

= اليونانية سنة (١٩١٠م)، نظَّمَ عدَّة فتنٍ مسلَّحة في (أثينة) و(مقدونية) و(كريت) ضدَّ الحكومة الملكية، ولكنَّها قُمعت، ففرَّ إلى فرنسة حيث مات سنة (١٩٣٦م). الموسوعة العربية الميسرة: ٢ / ١٣٢٧.

(١) باتراس: هي إحدى الجزر اليونانية الواقعة في أقصى اليونان، والتابعة لمركز بولوبنس، وبولوبنس: جزيرة كبيرة تقع في الجهة الجنوبية من اليونان وعاصمتها أسبارطة، وسكانها من النصارى.

(٢) ولما شاع هذا الخبر بين الناس في اليونان، قامت حينذاك في البرلمان اليوناني ضجَّةٌ واحتجاجٌ من قِبَلِ بعض النوّاب معارضين إخراجَ الشيخ من بلاد اليونان، وقالوا: نحن لسنا أسارى حكومة تركية حتى ننصاع لأمرها، ثم إنَّ الشيخ مصطفى صبري نزل عندنا ضيفاً، فكيف نُخرجه من بلادنا ونُلحق به الضرر؟! انظر: الملحق رقم (٣) ص٤٠٩.

(٣) انظر: الملحقين (٣) و(٤) ص (٤٠٩ و٤٢٢)، وأكادُ أجزمُ بأنَّ إخراجَ الشيخ=

وبقي الشيخ هناك عِدَّةَ أشهر كان خلالها في منتهى القلق والاضطراب، حيث إنَّه كان يَتَألَّم كثيراً من إقامته بين النصارى، وكان يخشى أن يُتوفَّى هناك، فلا يُواري جثمانَه إلا القساوسةُ والرهبانُ، ولا يُدفن إلا في مقابرهم، فيشمت به الأعداء، وتكتب عنه الصحف فتقول: «هذا هو شيخُ الإسلام، وهذه نهايتُه، لذا فقد حرص كل الحرص على الخروج من تلك البلاد إلى أي بلد مسلم، وعمل جاهداً من أجل ذلك، فكتبَ إلى جميع أصدقائه العرب المسلمين الذين كانوا زملاء له في البرلمان العثماني، والذين دافعَ عنهم في البرلمان دفاعاً مجيداً، ووقف في صَفِّهم تجاه الاتحاديين، ممن تَبَوَّأ مراكز كبيرة في بلادهم[1]، طالباً منهم المساعدة في الدخول إلى أي بلد مسلم، كما كتب إلى رؤساء الدول الإسلامية لكي يقبلوه لاجئاً عندهم، ولكنّ جهودَه تلك

= إلى هذه الجزر البعيدة في أقاصي اليونان التي لا يسكنها إلا القساوسة والرهبان كان أمراً مُدبَّراً من أجل الإمعان في إيذاء الشيخ وإهانته والتضييق عليه. وقد كان مما آلم الشيخَ هناك أنَّ النصارى طلبوا منه أن يَحْتجَّ على إخراجِه، وأن يُقيمَ دعوى ضد الحكومة اليونانية لكونها أخرجته وهو لاجئ إليها، وحرَّضوه على ذلك وقالوا: امضِ فنحن معك والكنيسةُ بكلِّ بطارقتها وقُسسها وراءك.

(١) حيث أصبح بعضهم وزيراً، وبعضهم أصبح رئيسَ وزراء أو رئيسَ جمهورية، ومنهم على سبيل المثال: محمد تاج الدين الحَسَني، الذي كان نائباً عن ولاية سورية في البرلمان العثماني، ثم أصبح فيما بعد رئيساً للوزارة، ثم رئيساً للجمهورية السورية في عهد الاحتلال الفرنسي لها. راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٨٢ ـ ٤٨٤.

ذهبت سدًى، فقد اعتذر بعضهم، ولم يُجب البعض الآخر خوفاً من حكومة مصطفى كمال أتاتورك[1].

ولكن الشيخ ـ رحمه الله ـ لم ييأس، بل قَرَّرَ مع ابنه إبراهيم السفر إلى أثينة فسافرا، وتركا العائلة في (باتراس) مع صهر الشيخ (علي وصفي)، وأخذا يبحثان في أثينة بين سفارات وقنصليات الدول العربية والإسلامية للحصول على تأشيرة دخول إلى أي بلد إسلامي، وبذلا كل جهدهما فلم يتركا باباً إلا وطرقاه، وأخيراً دخلا السفارة المصرية، فاستقبلهما السفير المصري استقبالاً طيباً، وشرحا له الأمر، فعرضَ عليهما السفرَ إلى مصر، وقَدَّم لهما تأشيرة الدخول، فأخذاها فَرِحَين، ثم رجعا إلى أهلهما في (باتراس)، ثم انتقلوا جميعاً إلى مصر سنة (١٣٥٠هـ = ١٩٣٢م)[2].

استقراره في مصر:

وصل مصطفى صبري إلى مصر يوم الثلاثاء ١١من شهر رمضان سنة (١٣٥٠هـ) الموافق ٢٠ كانون الثاني (يناير) (١٩٣٢م)، ونزل ضيفاً في القاهرة عند صهره الأستاذ محمد علي أفندي في مصر الجديدة[3].

---

(١) انظر: الملاحق رقم (٣) و(٤) و(٥) ص(٤٠٩، ٤٢٢، ٤٣٤).

(٢) انظر: المرجع السابق. وينبغي هنا ـ من منطلق الإنصاف ـ الإشادة بالموقف المشرّف لمصر وسفيرها في أثينة باليونان، حيث قبلوا الشيخَ وأسرته لاجئاً إليهم في وقتٍ عصيب، رفضت فيه كل الدول العربية والإسلامية ـ التي كتب إليها الشيخ ـ قبوله لاجئاً إليها.

(٣) انظر: مجلة (الفتح)، عدد (٢٨٦) الصادر يوم الخميس ٢٠ من شهر رمضان=

ثم انتقل إلى منزل خاص به بميدان الجامع، شارع طلخة بمصر الجديدة واستقر فيه سنواتٍ عديدة، ثم انتقل في أواخر عمره إلى الإسكندرية، وأقام فيها مع عائلته في منزل له في حي (سيدي بشر)، ولمّا تُوفيت زوجته عاد إلى القاهرة، وأقام عند ابنته الكبرى صَبِيحة هانم ـ التي كان قد توفّي عنها زوجُها محمد علي قبل بضع سنوات ـ في مصر الجديدة شارع طنطا، وبقي هناك إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى[1].

ولقد احتلّ الشيخ في مصر هذه المرة مكانةً كبيرةً، وتَبَوَّأ منزلةً رفيعةً بين العلماء والمفكرين ورجال الدولة، وخاصّةً بعد أن انكشفتْ لهم الحقائق المتعلقة بمصطفى كمال وبالانقلاب الكمالي، واتّضحَ لهم إخلاصُ الرجل[2]، وصدق حدسه، وتَبَيَّن لهم المُصلحُ من المُفسِد، وكثر أصدقاؤه ومحبوه، وأصبح مرجعاً لاستشارة كثير من كبار العلماء والمفكرين والمثقفين، الذين كانوا يزورونه دائماً، ويجتمعون به في منزله الذي فتحه الشيخ لكلِّ زائرٍ، وجعله مُنْتَدًى فكرياً تُعقد فيه اللقاءات العلمية والندوات الثقافية.

وقد اختارته وزارةُ الأوقاف المصرية آنذاك عضواً في لجنة النهوض

= (١٣٥٠هـ)، ص١٢، حيث وَرَدَ فيه مقال قصير كتبه الأستاذ محب الدين الخطيب تهنئةً لصديقه الشيخ مصطفى صبري بمناسبة وصوله إلى مصر، وإقامته بينَ ظهرانيهم.

(١) انظر: الملحق رقم (٢) ص٤٠٢.

(٢) أعني مصطفى صبري.

بالمساجد المؤلفة من كبار العلماء والمفكرين تحت رئاسة وزير الأوقاف.

ونظراً لِكبَر سِنِّ الشيخ، وعلو مكانته، وسعة علمه، فقد كانت اللجنة تحضرُ إليه في منزله، وتَعقِدُ اجتماعاتها عنده[1]. كما أكرمته الحكومة المصرية مُمَثَّلة بوزارة الأوقاف، فقرَّرَتْ صرفَ معونة شهرية له مقدارها اثنا عشر جنيهاً مصرياً[2].

ولما نَشَرَ الشيخ كتابه (القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون) سنة (١٣٦١هـ = ١٩٤٢م)[3] عَلِمَ ولي عهد مصر آنذاك[4] بوجوده في مصر، وبإقامته فيها بين ظهرانيهم، فأرسلَ في طَلَبِه، فذهبَ الشيخُ إليه في قصره في المَنْيل، فاستقبله ولي العهد استقبالاً طيباً، ورَحَّبَ به كثيراً، واعتذر له عن عدم مجيئه إليه بنفسه، لأنَّ الوضعَ السياسي آنذاك وظروف الاستعمار لا تسمحُ له بذلك، ولو فعل لأدَّى ذلك إلى إزعاج الشيخ من قِبَل السلطات الأجنبية المسيطرة على البلاد[5]. وعند انصراف الشيخ قال له ولي العهد: «يا فضيلةَ الشيخ! لابدَّ أن تَقْبَلُوا مني واجباً تأَخَّرتُ به عليكم، وهو صرف معونة شهرية لفضيلتكم مقدارها اثنا عشر جنيهاً، فاعتذر الشيخُ، ولما ألَحَّ

---

(١) انظر كلاًّ من: مصطفى صبري ـ موقف العقل: ١/ ١٢٨؛ والملحق رقم (٤) ص٤٢٢.
(٢) انظر كلاًّ من: الملحق رقم (٣) و(٥) ص(٤٠٩ و٤٣٤).
(٣) في زمن الملك فاروق الأول.
(٤) وهو الأمير محمد علي ابن عم الملك فاروق.
(٥) ولما تحسَّنت الأحوال في البلاد بعد ذلك أخذ يزوره في منزله باستمرار.

عليه في ذلك قَبِلَ وصارت تُصرف له تلك المعونة[1] طيلةَ حياةِ الأمير ولي العهد»[2].

جهاده العلمي في مصر:

لم يسترح الشيخُ ـ رحمه الله ـ أثناء توقفه في مهجره (مصر) بل واصل جهاده في سبيل الإسلام، فقد اشتغل بالكتابة والتأليف، حيث أخذ يَكْتُبُ المقالاتِ العلمية وينشرُها في كثير من الصحف والمجلات التي كانت تصدر آنذاك مثل: (الأهرام) و(المقطم) و(الأخبار) و(منبر الشرق)، ومثل مجلة (الفتح)، و(الهداية الإسلامية)، و(الجامعة الزيتونية). كما أخذ يُؤلف المؤلفات العديدة والقَيِّمة باللغة العربية المُتَضَمِّنة لكثير من المسائل المطروحة آنذاك على بساط البحث.

واعتزل الجهادَ السياسيَّ الذي أمضى فيه جُلَّ عمره، وتَفَرَّغَ للجهاد العلمي الشرعي، حيث قام بمراقبة الوضع السائدِ آنذاك بمصر، والجو الثقافي فيها، فوصل إلى نتيجةٍ أذهلته، واطَّلَع على حالةٍ غريبةٍ أدهشته، ويُصَوِّرُ لنا ذلك بقوله: «كان ظني عند مغادرة تركية مهاجِراً إلى بلاد العرب التي جاء نور الإسلام إلينا منهم أنّي أستريحُ من مجاهدة الملاحدة[3]، لكنِّي وَجَدتُ الجوَّ الثقافي بمصر أيضاً مسموماً من تيار الغرب، فَشَقَّ هذا على نفسي أكثرَ مما شَقَّ

---

(١) وهي غير المعونة السابقة التي كانت تصرفها له وزارة الأوقاف.

(٢) انظر: الملحق رقم (٥) ص٤٣٤.

(٣) يقصد: الاتحاديين والكماليين ومن شايعهم.

عليَّ موقف تركية الجديدة[1] من ذلك التيار، كما شَقَّ وقوفي على أنَّ إخواني العرب يُفضِّلون تركية هذه على تركية القديمة المسلمة، فرأيتهم[2] تَوغَّلوا في تقليدِ الغرب، وسابقوا التركَ في الافتتان به، والانقلابُ الثائر في تركية حصلَ عندهم في شكلٍ هادئ ومن طريقِ التأثيرِ والتجديد في الأزهر»[3]، وبقوله: «وإنِّي أتيتُ مصرَ في هذه الفترة فَوجدتُ فيها أنَّ قوةَ الإسلام العلمية في حالةِ النَّزْعِ بعد نزاعٍ دامَ مدةً بين أنصاره وأعدائه»[4].

وبقوله: «وجدتُ العلمَ الحديثَ الغربيَّ[5] فيها الناظرَ إلى الأديان نظرَها إلى الأساطير[6] أنطقَ لساناً من علم أصول الدين الإسلامي، وأعلى صوتاً حتى عند الأزهريين، أو على الأقل عند ذوي القولِ السائدِ منهم»[7].

---

(١) ويعني بها تركية الكمالية.

(٢) أي: المستغربين من المصريين.

(٣) موقف العقل: ١/ ٢٣.

(٤) المرجع السابق: ١/ ١٠١.

(٥) وهو العلم التجريبي المادي المبني على التجربة والحس والمشاهدة.

(٦) يُشير الشيخ بهذا إلى تصريح الأستاذ فريد وجدي في مقالةٍ له منشورة في جريدة الأهرام في عددها الصادر يوم ٣٠ أغسطس ـ آب (١٩٢٣م)، قال فيها: «في تلك الأثناء وُلد العلمُ الحديثُ، وما زال يُجاهِدُ القوى التي كانت تُساوِرُه حتى تغلَّبَ عليها، فدالت الدولةُ إليه في الأرض، فنظرَ نظرةً في الأديانِ، وسرى أسلوبُه عليها، فقذفَ بها جملةً إلى عالم الميثولوجية (الأساطير)».

(٧) موقف العقل: ١/ ٩٨.

ويقول أيضاً: «لقد رأيتُ كثيراً من كُبريات الصحف والمجلات الواسعة الانتشارِ واقعةً تحت سيطرةِ كُتَّابٍ متآزرين في السعي لإضعاف نفوذ الدين في المجتمع، متلاعبين بأحكامِه وقواعدِه، فلهذا لا تتسع صدورُ تلك الصحف والمجلات لمقالاتِ الذودِ عن الدينِ برغبةٍ صحيحة»[1]، وبقوله أخيراً: «وعلى كلِّ حالٍ فمصرُ في حاجة إلى (نصر) دينها الذي يُوشِكُ أن يَتغلَّب عليه الإلحاد لقوة دعاته، وانقسامِ العلماءِ المُكلَّفين بحراسةِ الدين على أنفسهم، فهل لي أن أكونَ القائمَ بهذه المهمة على الرغم من شتاتِ بالي بعد شتاتٍ شملي في حياة المهاجرة، وضعفِ صحتي بعد مفارقةِ شبابي مفارقةً بعيدة؟ فهل لي أن أجدَ بين مفارقةِ الشبابِ ومفارقةِ البلادِ والأحبابِ ما يُعوّضني عن كلّ ذلك بما هو أعزّ من الكلِّ ألا وهو خدمةُ الإسلام؟ ولقد أحسن من قال:

فِـي الله مِـنْ كُـلِّ ما ضَيَّعْتُـهُ خَلَفٌ ... وليـسَ للهِ إنْ ضَيَّعـتُ مِـنْ خَلَـفِ

على أنَّ بي ضَعْفاً آخر كِدتُ أنساه مع جدارته بالذكر قبلَ كلِّ شيء، هو ضعفُ اللغةِ، مع ما كان في طبيعتي من شِدّةِ الحرص على التعمق في المسائل التي أضعُها موضعَ البحث.

عَـذِيْـري مِـنْ لِسَـانٍ أَعْجَمـيٍّ ... أُراوِدُهُ علـى تَعْـريـبِ كُتْبِـي
وقَـدْ أَنْطَقْتُـهُ مـا اسْطَـاعَ حَتَّـى ... إذا لـم يُـرْوِنـي أَنْطَقْـتُ قَلْبِي»[2]

ولكنّ عواملَ الضعف تلك التي كانت تُحيطُ بالشيخ لم تُعجزه، ولم تثنه

---

(١) المرجع السابق: ١/ ٥١ ـ ٥٢.
(٢) المرجع السابق: ١/ ١٠٠ ـ ١٠٢ بتصرف يسير.

عن عزمِه في المضي في تحقيق غاياته النبيلة، التي كان يسعى إليها دائماً، بل نهضَ مشمّراً عن ساعدِ الجد للإسهام في تصحيح تلك الأوضاع السيئة التي رآها بمصر، ولبذلِ الجهدِ في خدمة الإسلام، والذود عن عقائدِه وحقائقه وأحكامه.

وقد أخذ الشيخ على عاتقه صدَّ هجماتٍ عنيفةٍ كانت مُوجهـةً ضـد الإسلام وعقائده الغيبية، ووَقفَ ـ بصلابةٍ وحزمٍ ـ يُغالِبُ المبهورين بحضارة الغرب من المنتسبين للإسلام، المُحرِّفين له باسم التحديث والعصرية. وفَصَّلَ القول في مضارِ العَلمانية، ونادى بتطبيق الشريعة الإسلامية، ونَبْذ القوانين الوضعية، مُبيِّناً فضلَ القانون الإلـهي على القانون البشري، مُوضِّحاً سموَّ نظر الشرع الإسلامي في تقدير الأمور حقَّ قدرها، وأدلى بدلوه في مناقشة كثيرٍ من القضايا التي أُثيرت في عصرِه، وكثرَ حولَها الجدالُ والنقاشُ، منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ ـ أنّه وقـف في جَبْهَة الفضـلاء الذائدين عـن حمى القرآن الكريـم[1]، فعارضَ الاتجاه الرامي إلى ترجمته، **والاستغناءِ بالترجمة عن الأصل في التعبد بها في الصلاة، وفي استنباط الأحكام الشرعية**، وناقش الأستاذ محمد فريد وجدي (١٨٧٨ ـ ١٩٥٤م)، والشيخ محمد مصطفى المراغي (١٨٨١ ـ ١٩٤٥م) الداعيين إلى ذلك الاتجاه مناقشاتٍ طويلة، وفنَّد حججهما، وبيَّنَ

---

(١) أمثال الشيخ: محمد سليمان، نائب المحكمة الشرعية العليا، والأستاذ الههياوي، صاحب جريدة (المنبر).

فسادَ ذلك الاتجاه من الناحية الشرعية بأدلةٍ كثيرة وقوية، مُنَبِّهاً إلى ما يترتّبُ عليه من أخطار كثيرة وعواقب وخيمة.

ب ـ وناقش قضية **إخراج الإسلام من ساحة العلم**، كما هو حاصلٌ في النصرانية، وانتقدَ العقلية المُتَّجهة إلى اعتبارِ الدينِ في جانب، والعقل والعلم في جانبٍ آخر، مُبَيِّناً اختلافَ التصوّرِ للعلم بين الإسلام والنصرانية، ومنبهاً على أنَّ النزاعَ والجدالَ بين العلم والدين في الغرب ناشئ من خصوصيةِ دينِ الغربيين، وأنَّ هذا النزاعَ والجدالَ لا يُوجَدُ في الشرقِ المسلمِ إلا في قلوب مقلّدي الغرب، الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه على الرغم من أنه دينهم.

جـ ـ وعارض ذلك الاتجاه الرامي إلى الشكاية من جمودِ علماء الدين، الداعي إلى **فتحِ باب الاجتهاد في الفقه الإسلامي على مصراعيه، وذلك تحت اسم التيسير والتجديد ومواكبة العصر**.

د ـ وتناولَ **مسألةَ الخلافةِ**، ومسألةَ فصل الدين عن الدولة، وانتقدَ ادعاءات الأستاذ علي عبد الرازق (١٨٨٨م ـ ١٩٦٦م) التي نشرها في كتابه المسمى (الإسلام وأصول الحكم)[١] وَرَدَّ على كلِّ افتراءاته، واعترضَ على مناداته بفصل الدين عن السياسة، مُنبهاً إلى مدى ما في هذا الفصل من أخطار

---

(١) ذكر الأستاذ أنور الجندي أنَّ مؤلف كتاب (الإسلام وأصول الحكم) هو المستشرق الإنكليزي مرجليوث، وأنّ علي عبد الرازق ترجمه إلى العربية، أو صاغ ترجمته العربية، ونشره باسمه. (ن).

وآثار سيئة على الأمة الإسلامية.

هـ - وأسهم في مواجهة فتنة (**سفور المرأة، والمناداة بتحريرها وبمساواتها مع الرجل**)، حيث كتبَ مقالاتٍ عديدةً يُبيِّن موقفَ الإسلام من المرأة من حيث ما يجب لها من حقوق، وما يجب عليها من واجبات، ومن حيث التستر والحجاب وتعدد الزوجات، ونادى النساء المسلمات بالتمسك بالحجاب الإسلامي، والابتعاد عن الاختلاط بالرجال الأجانب، وجَابَهَ مُثيري تلك الفتنة، ولاسيما قاسم أمين (١٨٦٣م-١٩٠٨م)، حيث رَدَّ على ادعاءاته الباطلة التي نشرها في كتابه المسمَّى (تحرير المرأة)، وفَنَّدَ مزاعمه، وكشفَ عن مغالطاته التي اعتمدَ عليها في ترويج أفكاره.

و - وناقش العلماء الأدباء المتجددين المثقفين ثقافة عصرية، الذين **يؤمنون بالعلم الحديث المادي المبني على الحسّ والمشاهدة والتجربة أكثر من إيمانهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ**، المولعين بتقليد الغربيين ومجاراتهم في حَصْرِ الثقة واليقين العلميِّ في المحسوسات فقط، وفي إنكارِ الأمورِ الغيبية المعتمدة على السماع، التي لا يُمكِنُ إثباتها بالحس والتجربة، مثل نبوءات الأنبياء عليهم السلام، ومعجزاتهم الكونية، والنشأة الآخرة وما يتصل بها من بعث وحشر وحساب...

وناقشهم مناقشاتٍ موضوعية للذود عن الكتاب والسنة وأصول الدين، وعَمِلَ جاهداً على حلِّ شبههم، ودَفْعِ مزاعمهم بالحجج الدامغة، ولم تُرهبه أسماؤهم ولا مناصبهم ولا مكانتهم الاجتماعية ومنزلتهم الأدبية.

مرضه ووفاته:

انتقل الشيخ في آخر حياته إلى الإسكندرية، وهناك أُصيبَ بالتهابٍ حاد في المسالك البولية، فأُدخلَ مستشفى (المواساة) وأُجريت له عملية جراحية في (البروستات)، ولم يَلبث أن أُدخل مرة ثانية مستشفى (قدسكه)[1] وأُجريب له عملية جراحية أخرى في (البروستات) أيضاً، ثم خرجَ من المستشفى وقد تَحسَّنت صحتُه قليلاً، فعاد إلى القاهرة، وهناك عَاوده المرض، وحصل عنده نزيف، فأُدخل مستشفى (الدكتور مورو باشا) بالدُّقي[2].

وفي الساعة الثامنة من صبيحة يوم الجمعة ٧ رجب سنة (١٣٧٣هـ) الموافق ١٢ آذار (مارس) سنة (١٩٥٤م) انتقل إلى رحمة الله تعالى عن عمر يناهز السادسة والثمانين، كان حافلاً بالكفاح والنضال والجهاد في سبيل الله بالقلم واللسان، عامراً بالخدمات الجليلة للإسلام، في الذَبِّ عن مبادئه وأحكامه، وفي نشرِ تعاليمه، وترسيخِ أركانه، مملوءاً بالعطاءات الفكرية المختلفة في شتى النواحي العلمية والسياسية والاجتماعية، رغم كل المخاطر والملابسات والظروف الصعبة التي مَرَّ بها الشيخ هو وعائلتُه في وطنه وفي مهاجره.

وَشُيِّعَت جنازته في صباح اليوم التالي، وقد حضرها أناسٌ كثيرون جداً

---

(١) وهو ما يُعرف الآن بمستشفى (جمال عبد الناصر).

(٢) انظر: الملحق رقم (٢) ص٤٠٢.

منهم الشيخ محمد الخضر حسين (١٨٧٦م ـ ١٩٥٨م)[١]، والشيخ مُبَشِّر الطرازي، وشيخا الأزهر السابق والحالي[٢]، ووزير الأوقاف المصرية، ومفتي فلسطين الأكبر[٣]، ومفتي الديار المصرية، وأمير عثماني[٤]، وجمعية شباب محمد، وطلبة البعثة التركية في الأزهر، وكثير من أساتذة وعلماء الأزهر، وبعض الهيئات الإسلامية. وقد نقلوه ـ رحمه الله ـ من المستشفى محمولاً على النعش فوقَ أكتافِ وأعناقِ كثيرٍ من بني وطنه وأصدقائه ومُحبيه، ثم سار موكبُ الجنازة ـ مشياً على الأقدام ـ من ميدان التحرير إلى مسجد (الكخيا) بميدان الأوبرا بالقاهرة، وصلّوا عليه هناك بإمامة شيخ الأزهر، ثم ساروا به إلى (الدرَّاسَة) في العباسية حيث واروا جثمانه هناك[٥].

وقد كان لوفاة الشيخ صدًى كبيرٌ في العالم الإسلامي عامةً، وفي مصر

---

(١) قلت: سأل العلامة الجليل أحمد رأفت أكبازلي زاده الإمام الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر عن الشيخ محمد زاهد الكوثري فقال: هذا عالم الترك، وسأله عن الشيخ مصطفى صبري فقال: هذا عالم الدنيا العالم العالمي. (ن).

(٢) وهما السيد محمد الخضر حسين، والشيخ عبد الرحمن تاج رحمهما الله تعالى.

(٣) وهو الحاج محمد أمين الحسيني.

(٤) هو الأمير محمود شوكت حفيد السلطان عبد العزيز. انظر: الملحق رقم (٣) ص٤٠٩.

(٥) انظر: المرجع السابق نفسه.

بوجه خاص، حيث أُعلنَ نبأُ وفاته بالإذاعة، وأرسل اللواء محمد نجيب (١٩٠١م ـ ١٩٨٤م) رئيسُ الجمهورية المصرية آنذاك من يُمَثِّلُه لحضور تشييع الجنازة، وتقديم التعازي لأهلِ الشيخِ وذويه[١]، وأَعلنتْ كثيرٌ من الصحف خبرَ وفاته على صفحاتها[٢]، مثل: جريدة (الأهرام)، و(الجمهورية)، و(أخبار اليوم)، و(منبر الشرق)، ومجلة (لواء الإسلام)[٣].

ونَعَتْه جمعيةُ (شباب محمد) إلى العالمين العربي والإسلامي ذاكرةً علمه وفضله، طالبةً له الرحمة والرضوان[٤].

---

(١) انظر كلاًّ من: الملحق رقم (٢) ص٤٠٢، والملحق رقم (٤) ص٤٢٢.
(٢) راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٨٥.
(٣) ومن ذلك ما كتبته مجلة لواء الإسلام في عددها الثاني عشر الصادر في شعبان (١٣٧٣هـ) الموافق نيسان (أبريل) (١٩٥٤م)، ص٧٥٩، ونصّه: «في صبيحة [الجمعة السابع] من شهر رجب سنة (١٣٧٣هـ) = ١٢ آذار (مارس) سنة (١٩٥٤م) نُعِيَ إلى المسلمين عَلَمٌ من أعلام الإسلام المجاهدين، وإمامٌ من أئمته العالمين، هو المرحوم مصطفى صبري، شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، فخسرت الدوائر العلمية بفقدِه عالماً فحلاً، وخسرَ المسلمون فيه سيداً عظيماً، كان رحمه الله شجاعَ القلب، قويَّ النفس، بعيدَ الهمة، صلباً في الحقّ، غيوراً على الدين، لم تثنه المكارهُ عن الدفاع عن الحق، ومناضلةِ المبتدعين بعلمه الغزير، وقلمه البليغ، فكتب وألَّف، وروى وحدَّث، وكان في كلِّ ذلك الحجّةَ الثبت، والإمامَ الصدوق، رحمه الله رحمةً واسعة، وأجزل له المثوبة والأجر العظيم».
(٤) راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٨٥.

وقام بعض الأساتذة بكتابةِ بعض الكلمات في رثائه، تعبيراً منهم عن مدى حزنهم وأساهم لفقده، من ذلك على سبيل المثال كلمةٌ نشرها الشيخ مُبشر الطرازي في جريدة (منبر الشرق) تحت عنوان (وفاةُ آخرِ شيوخ الإسلام)[1].

---

(١) جاء فيها قوله: فوجئ العالم الإسلامي بوفاة عالم من علمائه الأجلاّء، وعَلَم من أعلامه العظماء، ألا وهو المغفور له: فضيلة الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في تركية سابقاً. ثم يقول بعد ذلك: كنا نُشيّع جنازة الفقيد إلى مقرّه الأخير، وهو محمولٌ في نعشِه على أكتاف بني وطنه ومخلصيه، وأعناقِ تلاميذه وعارفيه، فتذكرتُ حينذاك قصةً كانت كلها عبرةٌ: لقد فاجأني الفقيد ببعض زياراته في مسكني، وكان المنزلُ جديدَ البناءِ، ولم يُركّب مصعدُه بعدُ، فصعدَ رحمه الله من السلّم، وقد رأيت عليه أثرَ التعبِ، وقلت: «لو علمتُ بقدومكم لنزلتُ فحملتُكم وصعدتُ بكم» فقال وهو مبتسمٌ ولكنّه مُجِدٌّ: «نحن لا نُحمَلُ إلا بعدَ الموت»، نعم أبى الفقيدُ أن يُحمَلَ إلا بعدَ أن مات، وصدق كعبُ بن زهير رضي الله عنه فيما قال:

كلُّ ابن أُنْثَى وإنْ طالَتْ سَلامَتُهُ ... يوماً على آلةٍ حَدْباءَ مَحْمُولُ

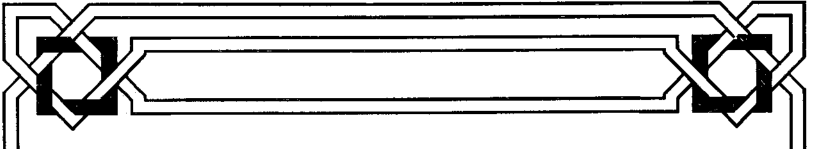
والفقيدُ رحمه الله من الذين هاجروا وخرجوا من أوطانهم، وفرّوا بدينهم وإيمانهم، الذين قال الله عزّ وجلّ في شأنهم: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٠٠]. ولقد خلّفَ الفقيدُ خلَفاً صالحاً، وذريّةً صالحةً، فقد ترك بعده ولداً صالحاً، وعلماً يُنتَفعُ به، وصدقةً جاريةً، فلم ينقطع عمله وإن انقطع أملُه. نسأل اللهَ عزَّ وجلّ أن يُدخله في واسعِ رحمتِه، ويُلهمَ ذرّيته ومن أُصيبَ به من المسلمين جميلَ الصبرِ، ويأجرهم أجر =

ومن ذلك أيضاً قصيدة باللغة التركية نَظَمَها أحدُ الأساتذة العارفين بفضل الشيخ وعلمِه، وكتبها على شاهدِ قبره، وقد ترجمها نجلُ الشيخ الأستاذ إبراهيم صبري إلى اللغة العربية، وذكرها عند تَحَدّثه عن حياة والده[1].

* * *

= الصابرين. انظر: جريدة (منبر الشرق) في عددها الصادر يوم الجمعة ١٤ رجب (١٣٧٣هـ) الموافق ١٩ مارس (آذار) (١٩٥٤م).

(١) وللاطلاع على هذه القصيدة راجع: الملحق رقم (١) ص٣٩٥.



الفصل الثالث

مصادر التكوين الفكري

لشيخ الإسلام مصطفى صبري

- تمهيد .
- الأسرة .
- الدراسة والتحصيل .
- البيئة .
- القراءة والاطلاع .
- الأسفار والتنقلات .

الفَصْل الثالث

مصادر التكوين الفكري

لشيخ الإسلام مصطفى صبري

تمهيد:

بما أنَّ كلّ إنسانٍ يَتأثَّر بمن حوله سلباً أو إيجاباً، وبما أنَّ بيئة الإنسان والظروف التي يَمُرُّ بها لها تأثيرٌ كبيرٌ في مسار حياته، فإنَّ كلَّ مفكرٍ لابدَّ أن يَمُرَّ في مراحلِ حياته بعدةِ عوامل ومؤثرات تُؤَثِّر في نفسه، وتُسهِمُ في بناء شخصيته وتكوينِ فكره.

ومصطفى صبري مَرَّ بعدةِ عواملَ ومُؤَثِّرات أَثَّرت فيه، وأسهمت في تكوينه الفكري، وطَبعَتْه بالطابع الإسلامي المُحافظ والمُتميِّز بالعطاءات والإبداعات الفكرية في مختلف الجوانب والقضايا الإسلامية.

هذا بالإضافة إلى ما كان يَملكه منذ حَدَاثةِ سنِّهِ من استعدادات فطرية أَهَّلَتْهُ لاكتساب أعلى الصفات العلمية.

وعند تَتَبّعِي لمصادر تكوينه الفكري منذ طفولته وحتى وصوله إلى مرحلة النضج والعطاء تَبيَّنَت لي خمسةُ مصادر هي:

١ ـ الأسرة.

٢ ـ الدراسة والتحصيل.

٣ ـ البيئة .

٤ ـ القراءة والاطلاع .

٥ ـ الأسفار والتنقلات .

وسأعْرِضُ ـ فيما يلي ـ كلَّ مصدر من تلك المصادر مُبَيِّناً مدى تأثير كل منها على تفكير مصطفى صبري :

* * *

المَصْدَرُ الأَوَّلُ

الأســرة

مما لا شك فيه أنَّ الأسرةَ لها نصيبٌ وافر في تكوين شخصية الإنسان، ذلك أنّه من المُسَلَّمات في علم النفس أنَّ الأسرة تُؤَثِّر تأثيراً كبيراً في اتجاهات أفرادها.

ولقد تَأَثَّر مصطفى صبري بأسرته التي يَنْتَمي إليها، والتي كانت تَتكوَّن من أب وأم وابنين: هو أصغرهما.

فقد نَشأَ في بيتِ علمٍ وفضلٍ وورعٍ، وتَرَعْـرَعَ في ظـل أسـرة متدينـة محافظة، تَتَّسمُ بالروح الإسلامية الواعية، فقد كان والده أحمد أفندي[1] رجلاً متديناً، اشتهر في بلدتهم (توقاد) بالتُّقى والصلاح وحب العلم والعلماء، وكانت أمه امرأةً تقيةً متدينةً، تُسابق زوجَها فيما يُرجى فيه رضا الله سبحانه[2].

وقد كان لأسرة مصطفى صبري أثرٌ واضحٌ في تنشئته النشأة الدينية، وفي تحديد اتجاهه العلمي وطبع فكره بالطابع الإسلامي.

ومن هنا فإنّ يُمكِنُ حصرُ تأثير أسرته فيه في جانبين:

---

(١) كلمة (أفندي) تُطلق عند الأتراك على الرجل المتخصص بالعلوم الإسلامية.

(٢) انظر: مصطفى صبري ـ موقف العقل: ١/ ١.

الأول ـ الجانب السلوكي:

فقد تَعَهَّدَهُ والده منذ نُعومة أظفاره، فَربَّاه تربيةً دينيةً حسنةً، وغَرَس في نفسه العقيدةَ الإسلاميةَ الصحيحةَ، وعَوَّده التَقَيُّدَ بأحكام الإسلام، والتمسكَ بقواعد الدين الحنيف، ونَمَّى فيه حُبَّ الإسلام والتأدّب بآداب القرآن.

كما تَعَهَّدَتْهُ والدته ـ التي كانت تَتَّسِمُ بالحكمة في التربية والتوجيه ـ فأَغْدَقَتْ عليه بعطفها وحنانها، وحرصت على توجيهه الوجهة السليمة[1].

وفي ظِلّهما شَبَّ على تعاليم الإسلام، ونهل من مَعين الإيمان حتى شَبَّ عن الطوق، فكان لهما أثرٌ كبير في حياته، رَسَمَ على عَقْلِه وقَلْبِهِ معالمَ إيمانيةٍ عميقةٍ.

الثاني ـ جانب التوجيه العلمي:

لقد كان لأسرة مصطفى صبري أثرٌ كبير في توجيهه توجيهاً علمياً، وفي تنشئته تنشئةً علمية، فقد كانت أعظم أمانيها ـ ولا سيّما الأب ـ أن يجتهد ابنُها، وأن يُصبحَ عالماً من علماء الدين، وكان الأبُ في رغبته تلك أشدَّ شرهاً من المَنْهُومَين (طالب علم وطالب دنيا)[2][3].

---

(١) انظر: الملحق رقم (٤) ص٤٢٢.

(٢) هذا فحوى حديث رواه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن مسعود بلفظ: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا» (المعجم الكبير)، الحديث رقم (١٠٣٨٨): ١٠/ ٢٢٣؛ وقال الهيثمي في (المَجْمَع): فيه أبو بكر الداهري، وهو ضعيف، مَجْمَع الزوائد: ١/ ١٣٥.

(٣) حتى إنَّه استاء لمَّا عَلِمَ ـ فيما بعد ـ أنَّ ابنَه حصل على الإجازة العلمية، وتربَّع=

لذا فقد غَرسَ أبواه في نفسِه حُبَّ العلم، وضَرورةَ طلبه وتحصيله، وحرصا على تعليمه وتلقينه العلومَ الإسلامية، فألحقاه بِكُتَّابِ بلدتهم (توقاد) ليحفظَ القرآنَ الكريم، ويُتقنَ تلاوته وتجويده، ثم أَلْحقَاهُ بحلقة الشيخ (أحمد أفندي زولبيه زاده) ليتلَقّى منه العلم، ولَمَّا أنْهَى دراسته الابتدائية وأراد السفر إلى (قيصرية) ثم (الآستانة) ليواصلَ دراسته وتحصيلَه؛ أذنا له مع ما في ذلك من بُعْدٍ وافتراق.

وقد اشتهر عن والده حُبُّه الشديدَ للعلم والعلماء، ولذا كان دائماً يدعو علماء بلدته وكبار فقهائها إلى الاجتماع في منزله، لعقد الندوات الدينية والمجالس العلمية، وكان الابنُ مصطفى صبري يُشاركهم في حضور مجالسهم واجتماعاتهم، وكان والدُه يُسَلِّطهم عليه لكي يَمتحنوه ويُناقشوه فيما تَعلَّمَهُ من العلوم والمعارف الإسلامية، وذلك حَفْزاً له على الجدّ والمثابرة في طلب العلم[1].

وكانت والدتُه تَحُثُّه دائماً على طلب العلم، وتُنَمِّي في نفسه الطموحَ وحبَّ الاطلاع والمعرفة، كما كان أخوه ـ الذي يُحبه كثيراً ـ يُوجهه باستمرار، ويَزرع الثقةَ في نفسِه، ويُشَجِّعه على تحدّي الصعاب، والإصرار على الوصول

= على كرسي التدريس بجامع السلطان محمد الفاتح بالآستانة، وهو ما يزال في الثانية والعشرين من عمره، لأنّه كان يُريدُ أن يستمرّ في تلقّي العلم حتى يَبلغَ الثلاثين من عمره على الأقل. وكان ثاني موقف لم يَسُرَّه من ابنه آنذاك تولّيه وظيفة التدريس بمرتّبٍ من الحكومة. راجع: موقف العقل: ١/ ١ ـ ٢

(١) انظر: الملحق رقم (٤) ص٤٢٢.

إلى الأهداف والمطالب العالية[١].

وبالجملةِ فقد هَيَّأتْ له أسرتُه الجوَّ المناسبَ للتوجه إلى دراسة العلوم الإسلامية، وتحصيلها والتعمق فيها.

* * *

(١) ومن ذلك أنَّ مصطفى صبري لمَّا أنهى تعليمه في الآستانة على أيدي كبار علمائها وطُلِبَ منه الدخول في امتحان التخرّج المسمَّى (امتحان الرؤوس) تردَّد قليلاً تخوّفاً من ذلك الامتحان، وعندئذٍ شجَّعه أخوه على دخوله، وأصرَّ عليه في ذلك، وقال له بكل حزم: أنتَ طالبٌ ذكي، وقد تحصّلت على نصيبٍ وافرٍ من العلوم الإسلامية تُؤهّلك للدخول في ذلك الامتحان فلا بدَّ أن تتقدَّم بكلِّ ثقةٍ واطمئنانٍ. وفعلاً دخل مصطفى صبري الامتحان ـ كما ذكرنا سابقاً ـ ونجح فيه بتفوّق. انظر: الملحق رقم (٥) ص٤٣٤.

المَصْدَرُ الثَّاني

الدِّراسة والتحصيل

مما لا شكّ فيه أنَّ العلمَ يكونُ بالتَّعَلم والأخذِ عن العلماء، وأنَّ الوعيَ والتَّفَقُّه في الدين يكونُ بالدراسة والتحصيل.

والشيخ مصطفى صبري أمضى جُلَّ عمره في طلب العلم وتحصيله، فقد تَلَقَّى العلمَ منذ صباه إلى سنٍّ متأخرةٍ من عمره، وتتلمذَ على أيدي أساتذةٍ أَجِلاَّء، وعلماءَ فضلاء، كانوا على شهرةٍ واسعة، ودرايةٍ جيدة بالعلم:

١ ـ فقد اختلف في صباه إلى كُتَّاب بلدته (توقاد) فَتَعَلَّم القراءة والكتابة، ودرس القرآن الكريم دراسةً جيدةً، وحفظه عن ظهر قلب، وأتقن تجويده وهو لمّا يتجاوز العاشرة من عمره، فكان القرآنُ الكريمُ باكورةَ زادِه من العلم، وأولَ نافذةٍ يُطِلُّ بها على هذا العالم، فمن خلال دراسته وَحِفْظِه تَفَتَّحَتْ عقليتُه، وفي ضوءِ تعاليمه وأحكامه نَمَا إدراكه.

وقد كان أستاذُه في الكُتَّاب رجلاً مُتديناً تقياً زاهداً له تـأثيرٌ قـوي فـي تلاميذه، ولذا فقد أَثَّر فيه وفي أترابه، الذين كانوا يدرسون معه تأثيراً جيداً، حيث قَوَّمَ ألسنتَهم بحسن التلاوة والتجويد واجتنابِ اللحنِ، وَرَبَّى سلوكَهم بـالقرآن الكريم، وَعَوَّدَهم التَحَلِّي بالأخـلاقِ الفاضلـةِ، والتأدب بـالآداب الحسنة، وَرَبَّى عقولَهم على التفكُّر في آيـات الله، والتَأَمُّل في آثـار عظمتـه

سبحانه، وغَرسَ في نفوسِهم حُبَّ القرآن الكريم واحترامه والإنصات والخشوع عند تلاوته[1]. وكان لهم خيرَ قدوة في ذلك، فقد كان حين يَتْلون عليه ما حفظوه منه يَتَلذَّذُ كثيراً بسماعِه، ويَتأثَّرُ به، ويَخْشعُ قلْبُه، وتغرورقُ عيناه بالدموع من خشية الله.

ويُبيِّن لنا مصطفى صبري تأثيرَ ما رآه من أستاذه في نفسه فيقول: «وكنتُ في صباي أعالج حفظَ القرآن في بلدتنا (توقاد) من بلاد الأناضول، وأنا في التاسعة من عمري، وكان أُستاذي[2] الذي أقرأُ عليه في الكُتَّاب يستمعُ إليَّ أنا وثلاثة أو أربعة من مثلي في وقت واحد، وكان يُغمِضُ عينيه عند الاستماع، حتى إذا غلط أحدُنا في التلاوةِ فتحَ عينيه عليه، وكُنَّا نَنظرُ إلى وجهه حالَ الإغماضِ ولا نخشى بأسَه لعدم رؤيته إيانا، والأستاذُ ـ رحمه الله وصَبَّ عليه سِجَال غُفْرانه ـ في خشوعٍ تام، فَنراهُ تَنجمُ قطرةُ دمعٍ كبيرة من مُؤَقِ إحدى عينيه، ثم من مُؤَقِ أُخراهما فتتدحرجان من خَدَّيه إلى لحيته الطويلة، وكُنَّا نراها منه كلَّ يوم. . . وكان جُلّ ما يُبكيه من تلاوتنا عليه هو احترام القرآن ومحبته وما خلق الله في نفسه من التأثر والتلذذ به»[3].

٢ ـ ولما أَتمَّ حفظ القرآن الكريم أرسله والدُه إلى الشيخ (أحمد أفندي زُولْبَيه زاده)[4]، فدرسَ على يديه كثيراً من العلوم الإسلامية والنحو والصرف

---

(١) انظر: الملحق رقم (٤) ص٤٢٢.

(٢) لم يُشِر هنا إلى اسمه، ولم أستطع الوصول إلى معرفته.

(٣) مسألة ترجمة القرآن، ص١٨.

(٤) تقدَّمت ترجمته، ص٧٩.

والمنطق[1] وفي ذلك يقول متحدِّثاً عن نفسِه[2]: «ثم إني قد كنتُ في رَيْعانِ عمري وأوائل أمري مُغْرَماً بطلبِ العلوم؛ بل ومُبرماً إليه من قِبَل والدي المرحوم، فما نظرتُ في رياض الشباب إلى غير أفنانِ الفنونِ وأوراق الكتاب، وكأنِّي غَدَوْتُ من حِجْرِ أُمي إلى حجرِ المدارس، وَعدَوْتُ في ركابِ مَنْ هو في هذا الميدان فارس، فقرأتُ الصرفَ والنحوَ وشطراً من المنطق على العالم البارع والكامل المُتَوَرِّع أحمد أفندي التوقادي الشهير بِزولبيه زاده، جعل الله نوال رحمته ورضوانه زاده»[3].

ولقد ترك أستاذُه الشيخ أحمد أفندي في نفسه أثراً طيباً وطَبَعَهُ بطابعه؛ حيث نَمَّى في نفسه قوة العقيدة، وحَبَّبَ إليه الثقافة الإسلامية والتمسك بقواعد الدين الحنيف، وبَثَّ فيه روح الشغف العلمي والحرص على طلب العلم. وقد بَدَتْ على الشيخ آنذاك علائم النجابة والنبوغ ومخايل الذكاء، وتَميَّز بالبديهة الحاضرة والنشاط المُتَوثِّب، فكان حركةً دائبةً لا تعرف الكللَ ولا الملَلَ، ولم يقتصر في دراسته الشرعية على الكتب التي كان يدرسها على أستاذه الشيخ أحمد أفندي، بل كان إلى جانب ذلك يحضر ـ كما ذكرنا ـ مجالس العلم التي كان والدُه يَعْقِدُها في منزله مع كبار فقهاء (توقاد) وعلمائها، وكان يَتَفَوَّق في دراسته بشكلٍ ملحوظ حتى إنّه فاقَ أقرانه بنجاحٍ باهر، فكان مَحَطَّ إعجاب

---

(١) ومن ذلك أنه درس عليه إلى آخر التصورات من شرح الشمسية للقطب الرازي. انظر: موقف العقل: ١/ هامش ١.
(٢) وذلك في إحدى الإجازات العلمية التي منحها لأحد تلاميذه.
(٣) الملحق رقم (٧)، ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦.

أقرانه وجميع معارفه.

ولم يكد يُنهي دراسته في بلده (توقاد) حتى نَضِجَتْ موهبته الخطابية، فكان ـ رحمه الله ـ المُتَحدِّث المُفَوَّه والخطيب البليغ يَرتجل الكلام في كل مناسبة تفرضُ عليه التحدث[1]، ويُعَبِّر بكلام موزون دون أن يتلعثم أو تتعثر له عبارة.

فكان هذا وما سبقه مما وَجَّهَ إليه أنظار علماء بلدته ـ ومنهم أستاذه ـ فتوقعوا له مستقبلاً علمياً كبيراً، وأشاروا على والده بأن يُرسله إلى مدينة (قَيْصَرِيَّة) المشتهرة آنذاك بكثرةِ علمائها قائلين: «إنَّ ابنك هذا ذو عقلٍ نَيِّرٍ وصاحبِ موهبةٍ فَذَّة، فلابدَّ أن تُرسله إلى (القيصرية) كي يُكمل تعليمه على أيدي علمائها الكبار»[2].

٣ـ وحينئذٍ استأذنَ مصطفى صبري والديه بالسفر لاستكمال تعليمه فأذنا له، فتركهما لأول مرة لأجل العلم والتعلم، وسافر إلى مدينة (قَيْصَرِيَّة) التي كانت آنذاك مركزاً مُهمّاً من مراكز العلوم الإسلامية في الدولة العثمانية، فقد كانت تُوازي في العلم والعلماء كلاًّ من (الآستانة) و(قونية)، كما كانت تَحفل بالمعاهد والمجالس والحلقات العلمية، وتَشتهر بكثرة علمائها وفقهائها.

---

(١) ومن ذلك أنَّه لما كان في بداية تحصيله العلمي زار قضاء (نيقصار) في شهر رمضان المبارك، فطلب منه قاضي البلد في ليلة سبع وعشرين أن يَعِظَ المصلّين في المسجد بعد صلاة القيام، فقام فيهم واعظاً، وألقى خطبةً نالت إعجابَ القاضي والحاضرين. راجع: ص١٠٢ من هذا الكتاب.

(٢) الملحق رقم (٢) ص٤٠٢.

وقد تَلَقَّى مصطفى صبري في (قيصرية) مفاتيح مهمة من الناحية التعليمية والتثقيفية، وتَتلمذ على الشيخ محمد أمين الدُورِيْكِي[1][2]، ودرسَ على يديهِ كثيراً من العلوم العقلية والنقلية، حيث درس عليه التفسيرَ والحديثَ والعقيدةَ والفقه وأصول الفقه والسيرة وعلم المناظرة والمنطق، كما درسَ عليه النحوَ والصرفَ والمعاني والبديع[3].

وفي ذلك يقولُ متحدِّثاً عن نفسِه في الإجازة العلمية المذكورة سابقاً: «ثم ارتحلتُ إلى مَنْبَعِ هذا المَنْهل[4] وأصلِه الثابت، واختصصتُ بمجلسٍ فيضه اختصاص الناعت، فأعددتُ من تلك الخزانة رأسَ مالي، وقضيتُ أكثر آمالي، وهو الذي سار ببركات نشرِه الركْبَان، وصار إنسانَ عين الكمال وعين الإنسان مَنْ لا أستطيعُ بوصفه الحري محمد أمين القَيْصَرِي، مَتَّعَ الله بحياته الطالبين، إنَّ الزمانَ بمثلهِ لضنين»[5].

وقد كان لأستاذه هذا ـ والذي كانت له قدمٌ راسخة في علم المنطق ـ تأثيرٌ كبير فيه، ولا سيما من ناحية إكسابه نفوذ الشخصية، وقوة المنطق في تقرير

---

(١) تقدَّمت ترجمته ص٧٩.

(٢) انظر: موقف العقل: ١/ هامش١.

(٣) انظر: Dr. Abdülkadir Altunsu- Osmanli seyhülislamlar, S254.

(٤) اسم الإشارة هنا يعود إلى الشيخ أحمد أفندي زولبيه زاده، الذي درس عليه مصطفى صبري في (توقاد)، حيث كان تلميذاً للشيخ محمد أمين الدوريكي القيصري.

(٥) الملحق رقم (٧)، ص٤٦٦.

المسائل وعرضها، وفي مناقشة الخصوم[1].

وقد فتحت عليه إقامته في (قيصرية) ـ التي كانت تَضم نخبةً ممتازةً من أهل العلم والفضل ـ آفاقاً جديدةً من الثقافة والمعرفة، فقد استَغَلَّ كل وقته لمدارسة العلوم الإسلامية والتعمق فيها.

ولما أتقن جميعَ ما درسه من العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربيـة

---

(١) يروي مصطفى صبري ـ على سبيل الفخر ـ قصةً حصلت لأستاذه الشيخ محمد أمين الدوريكي تدلُّ على قوة منطقه، وقدرته على إفحام خصومه، فيقول: «وإنّي حينما كنتُ طالبَ العلم في القيصرية، التي هي مدينة كبيرة من مدن الأناضول، سمعت أنَّ أستاذي الشيخ محمد أمين أفندي الدوريكي [صهر] الحاج طرون أفندي القيصري رحمهما الله، سأله أحدُ مشاهير العلماء، وهو الشيخ الداماد خليل أفندي، في مجلس جمعهما وغيرهم من علماء المدينة، وكان الثاني ينافس الأول، سأله عن قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] كيف تَدخل آلات اللهو في عموم الآية المفهوم من النكرة الواقعة في سياق النفي؟ فأجاب أستاذي بأن القضية في الآية مشروطة عامة، وهي التي يكون مَناطُ الحكم بمحمولها على موضوعها وصف الموضوع، فكل شيء من حيث إنّه شيء ـ أي موجود ـ يُسبح بحمد الله لعدم إمكان وجوده لولا وجود الله، وتدخل في هذا الحكم آلات اللهو أيضاً من حيث إن كلاً منها شيءٌ، أي: موجود من الموجودات، التي لم تكن موجودة لولا أنّ الله تعالى أوجدها، ولا يلزم من هذا أن تكون آلات اللهو تُسبح لله من حيث كونها يُلهى بها عن ذكر الله، ويَنهى عنها الشرع. موقف العقل: ٢/ هامش١٣٧ ـ ١٣٨.

نصحه أستاذه بالسفر إلى (الآستانة) لكي يَرتقيَ في تحصيله، ويواصل فيها دراسته الشرعية[١].

٤ ـ فاستأذن والده مرة أخرى للسفر، فأَذِنَ له، فانتقل إلى (الآستانة) التي كانت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين عاصمة الخلافة الإسلامية، ومقر الملك، ومن أكبر مراكز العلم في الدولة العثمانية، حيث تَنتشر فيها المدارس العالية والمعاهد الكبرى وحلقات الدرس في كثير من الجوامع ودُور العلم، وتَستقطبُ أعداداً كثيرةً جدّاً من العلماء وطلبة العلم، كما كانت مَحَطَّ أنظار المشتغلين بالعلم في أنحاء الدولة العثمانية، بل مَحَطَّ آمالهم، حتى إنّهم كانوا يَرون قصور علمِ من لم يَتَعَلَّم بها، ولم يَتَلَقَّ العلم على أيدي علمائها.

فكان على مثل ذلك الشاب النابه أن يَشُدَّ الرحال إليها، لينهلَ من مَعِين العلم فيها، ولذا قَصَدَ ـ بعد وصوله إلى الآستانة ـ جامع السلطان محمد الفاتح، الذي كان في ذلك الوقت يُؤدّي دوراً مهماً في الحركة العلمية والثقافية في الدولة العثمانية، ويَضْطَلِعُ بمهام كبيرة[٢]، فَوَجَدَ من بين أساتذته[٣]

---

(١) Dr. Yusuf Kilic - Tokatli Seyhulislam Mustafa Sabri Efendi, S7.
وهو من ضمن الأبحاث المُقدَّمة إلى المؤتمر المُقام في معهد بحوث شيخ الإسلام ابن كمال باشا، المنعقد في ٢ ـ ٦ تموز (يوليو) (١٩٨٦م) في مدينة (توقاد) بتركية.

(٢) من أهمها تخريج كبار العلماء والقضاة والدعاة لخدمة الدين الإسلامي في أرجاء المعمورة.

(٣) أي: من بين أساتذة جامع الفاتح.

الأماثل عالماً جليلاً يَفْهَمُ طبيعة عصره، ويَفْقَهُ تعاليم دينه، ويُوَجِّهُ تلاميذه وجهةً صحيحةً هادفة، هو العالم الفاضل (أحمد عاصم الكُملْجَنوي)[١]، وكيل الدرس[٢] بالمشيخة الإسلامية في الدولة العثمانية، وأحد مقرري دروس الحضور، الذين كانوا موضع ثقة واحترام السلطان عبد الحميد الثاني، فتتلمذَ عليه[٣]، والتحق بحلقات دروسه في جامع الفاتح، التي كان يؤمُّها الكثيرُ من طلبة العلم، وقد استقبله الشيخ أحمد عاصم استقبالاً طيباً، وتَعَهَّدَهُ ورعاهُ خيرَ رعايةٍ، وغَذَّاهُ بالعلم والمعرفة.

وقد انقطع مصطفى صبري في (الآستانة) لطلب العلم، وأَكبَّ على الدرس والتحصيل، وأَقْبَلَ على العلم يَطْلُبه ويَرتَشِفُ من مناهله، وَيَصِلُ في سبيله الليلَ بالنهار في جِدٍّ دائم، وعزيمةٍ صادقة، فلا يَدَعُ حلقةً من حلقات شيخه تفوته، ولا يَتْركُ علماً إلا أفادَ منه، فإذا هو بدرايتِه وَحِدَّةِ ذكائه، وسعَةِ معارفه، وعُمْقِ تحصيله، وقُدْرَتهِ على البحث والتحليل، يَنال استحسانَ وإعجابَ كثير من العلماء في جامع محمد الفاتح، ولا سيما أُستاذه الشيخ أحمد عاصم، الذي عَقَدَ عليه كبيرَ الآمال، وَزَوَّجَهُ ابنته من فَرْطِ إعجابه به.

٥ ـ ولما نال مصطفى صبري الإجازةَ العلمية من أستاذه أحمد عاصم وَجَدَ في نفسه الرغبةَ في مواصلة الدراسة والتحصيل، فهو لم يَشبع من العلم،

---

(١) تقدمت ترجمته ص٧٩.

(٢) ويُسمى بالتركية (درس وكيلي)، وهو ما يعادل اليوم وزير التعليم المشرف على تدريس العلوم الإسلامية في المدارس والمعاهد الدينية.

(٣) انظر: موقف العقل: ١/ هامش ١.

فتتلمذ على الفقيه الفاضل الشيخ محمد عاطف بك الإستانبولي[1]، وتَلَقَّى منه العلم[2]. فكان ـ رحمه الله ـ يَذهب يومياً في الصباح الباكر على قدميه من حي الفاتح الذي كان يُقيم فيه إلى جامع (عتيق علي) في حي السلطان أحمد الثالث بالآستانة، ويجلس أمامه يستمع إليه، ويَكْتُب عنه[3].

وقد كان لتلك المرحلة التي قضاها مصطفى صبري في (الآستانة) في الدراسة والتحصيل أهمية كبيرة في مسيرة حياته العلمية، فقد رَجَعَ من دراسته تلك بخيرٍ كثيرٍ، ومردودٍ طيبٍ على عقله وفكره، وكان للشيخين أحمد عاصم ومحمد عاطف الأثر العميق في نفسه، ذلك أنّ كلاً منهما كان يفعل فعله في تَنْقِيَةِ العقول وتوجيهها.

فالأول منهما (**أحمد عاصم**) رَبَّى عقله وفكره، ونَمَّى فيه الطموح وحب العلم، والصبر على بحث المسائل الشرعية وتدقيقها، وفَتَّحَ ذهنه وأناره في

---

(١) محمد عاطف بك الإستانبولي، شارح مجلة (الأحكام العدلية)، وابن قاضي مصر الأسبق عبد الرحمن أفندي: عالم تركي، كان له طلاب علم كثيرون، وحلقات دروس نادرة في علم العقائد وأصول الفقه في جامع (عتيق علي) بالآستانة.
انظر كلاً من: الملحق رقم (٤) ص٤٢٢، ورقم (٥) ص٤٣٤، ومجلة (الهداية الإسلامية) في عددها الصادر في المحرم (١٣٥١هـ) الجزء الثامن من المجلد الرابع، ص٣٣٣.

(٢) انظر: موقف العقل: ١/ هامش ص١.

(٣) انظر: الملحق رقم (٤) ص٤٢٢.

الاطلاع على كثير من المسائل الآفاقية، فكان له خيرَ المُوجِّه ونعم المُربّي، ولقد أَصَّلَ مصطفى صبري على يديه دراساته الشرعية السابقة، واقتبسَ منه الكثيرَ من أساليبه في التدريس، وخططه المحكمة في تربية النشء[1].

وأما الآخر (**محمد عاطف**): فقد أَخَذَ بيدهِ وَوَجَّهَهُ الوجهة السليمة، وأَكْسَبَهُ بعض المزايا الفكرية، ولا سيما في طرائق البحث وأساليب التفكير، فقد عَوَّدَهُ على التزام المنهج العلمي في حياته ومسيرته العلمية، كما نَمَّى فيه حبَّ القراءة، وتَذَوُّق المطالعة، وَسَدَّدَ اتجاهاته، وأوضح له ما خَفِيَ عليه من أسباب الإصابة في الرأي، فكان له أُستاذاً مُعَلِّماً، ومُرَبِّياً مُرشِداً[2].

٦ ـ وفي أثناء عَمَلِهِ موظفاً في مكتبة السلطان عبد الحميد الثاني في قصر يِلْدِزْ حوالي سنة (١٣١٧ ـ ١٣١٨هـ) الموافق (١٨٩٩ ـ ١٩٠٠م) تَتَلْمَذَ على شيخ القُرَّاء في ذلك العهد الشيخ (كُوسَه نِيَازِي أفندي) ودرس عليه عِلْم القراءات، وحفظ ألفَ بيتٍ باللغة العربية من كتاب (طيبة النشر)[3] الذي هو من أقوى الكتب وأهمِّها في علم القراءات، واستمرَّ في التلقي عن أستاذه شيخ القُرَّاء حتى نَال منه الإجازة في علم القراءات[4].

* * *

---

(١) انظر: الملحق رقم (٣) ص٤٠٩.
(٢) انظر: الملحق رقم (٤) ص٤٢٢.
(٣) لابن الجزري.
(٤) انظر كلاً من: الملحق رقم (٤) ص ٤٢٢، والملحق رقم (٥) ص٤٣٤.

المَصْدَرُ الثَّالِثُ

البيئة

إنَّ البيئة بما تَحتَويه من أعرافٍ وعادات وتقاليد، وبما يَكتَنِفُها من أحداثٍ وتياراتٍ، وبما يَعْتَمِلُ فيها من عوامل ومُؤَثِّرات، تترك أثرها في حياة الأشخاص الذين يعيشون في محيطها، مهما بَلَغَ ذلك الأثر من قلةٍ أو كثرة، وقد يكون لها الأثر الأول في توجيه سيرة بعض الأشخاص، وتحديد أفكارهم.

والبيئة التي نشأ فيها مصطفى صبري تُمَثِّلُ مصدراً مُهماً من المصادر التي استَمدَّ منها تكوينَه الفكري، والمُطَّلِعُ على تلك البيئة يَجِدُ أنّه قد تأَثَّر بها من نواحٍ ثلاث: (من ناحيتها الدينية، ومن ناحيتها العلمية، ومن ناحيتها السياسية)، وسأعرض ـ فيما يلي ـ كل ناحية من هذه النواحي الثلاث مُبَيِّناً مدى تأثير كل منها في الشيخ مصطفى صبري:

أولاً ـ الناحية الدينية:

كان الشعب التركي في ظل الدولة العثمانية شعباً متديناً بطبعه، شديد الولاء للقيم الإسلامية، يَسودُه الصلاحُ، ويَتَّسِمُ بصلابةِ العقيدة، والحماسة لأجل الدين، والتواضع والحشمة في زيه وأسلوب معيشته، والعناية بأداء الشعائر الإسلامية[1].

(١) انظر كلاً من: السير توماس أرنولد ـ الدعوة إلى الإسلام، ص١٩٧؛ وعبد الله=

ولقد نشأ مصطفى صبري في بيئةٍ متدينةٍ محافظةٍ، يَسودها التعاونُ الودي والتعاطف الأخوي، وتمتازُ بالطابع الإسلامي الذي من مظاهره: العنايةُ بالتشريع الإسلامي، والمحافظة على الشعائر الإسلامية، وكثرة المساجد والجوامع الكبيرة، وانتشارها في كل الأنحاء، والعناية بها وامتلاؤها بالمصلين والتالين لكتاب الله[1].

ومن مظاهره أيضاً: حرصُ عامة الشعب على مجالس العلم وحلقات الذكر، واهتمامُهم بالعلماء والدعاة المخلصين، واحترامهم وتوقيرهم، وانتشار الأزياء الإسلامية، والتزام النساء بالحجاب الإسلامي في جميع المدن التركية والقرى والأرياف.

ومن مظاهره كذلك: تنافس الناس في إرسال أولادهم إلى المدارس والكتاتيب لدراسة العلوم الإسلامية، واهتمامهم بكتاب الله، واحترامهم له، وخضوعهم لسلطانه، وإقبالهم عليه بكل شوق، حتى كَثُرَ فيهم الحُفَّاظ والقُرَّاء.

= الصالح ـ مقال (الجذور الإسلامية.. هل يقتلها العسكر في تركية؟)، مجلة المجتمع الكويتية، عدد (٥٠٢) الصادر في ١٩ ذي الحجة (١٤٠٠هـ)، ص١٦.

(١) انظر: د. عبد العزيز الشناوي ـ الدولة العثمانية دولة إسلامية مُفترى عليها: ١/ ٥٤ ـ ٥٦. ويدل على ذلك قول مصطفى صبري في كتابه (النكير على منكري النعمة) في هامش ص١٤٥: «وكنتُ قبلَ خمسَ عشرةَ سنة [أذهبُ] إلى جامع السلطان محمد الفاتح.. فأجدُه على سَعتِهِ ملآن إلى خارج أبوابه رُكَّعاً وسُجَّداً».

ويُحَدِّثنا مصطفى صبري عن ذلك فيقول: «وفي الأتراك اليوم عددٌ كثير من حَمَلَة القرآنِ لا يُحصون بالآلاف ولا بعشرات الآلاف، وبعض أمصار تركية مشهور بكثرةِ حُفَّاظه... ولا أكونُ مبالغاً إن قُلْتُ: إنّ في حُفَّاظ تركية اليوم رجالاً لا يَعْدِلهم حُفَّاظ سائر البلاد في قوة الحفظ، يُصَلَّون بالناس، فيقرؤون جزءاً أو جزأين في ركعتي العشاء، وَيخْتِمُون القرآن في رجب وشعبان مرتين، ويُصَلُّون التراويح ويَخْتِمُون القرآن ختْمَةً في نصف رمضان، وخَتْمَةً أخرى في الليلة السابعة والعشرين، وخَتْمَةً ثالثة بَعْدَها في ثلاثِ ليالٍ، ومن أمضى شهر رمضان بالآستانة في زمن السلطان عبد الحميد، واستقرى المساجد والحُفَّاظ، يَعْلَمُ ذلك»[1].

ومما لا شك فيه أنَّ هذه البيئة المتدينة المحافظة التي نَمَا فيها مصطفى صبري، وترعرع تحتَ ظِلِّها، كان لها الأثرُ العميقُ في نشأته نشأةً دينيةً.

ثانياً ـ الناحية العلمية:

لقد كانت بيئةُ مصطفى صبري بيئةً علميةً تهتم بوجهٍ خاص بتلقين النشء علومَ الدين الإسلامي وعلومَ اللغة العربية، ولذا فقد انتشرت الكتاتيبُ والمدارسُ والمعاهد الدينية بكثرة في أنحاء الدولة العثمانية، سواء في المدن والقرى، أو في الولايات والأقضية[2]، واهتمت بتدريس القرآن الكريم

---

(١) مسألة ترجمة القرآن، ص٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) منها على سبيل المثال: دار الحديث، ودار الشفقة الإسلامية، ومعهد التخصص بالآستانة، ومدرسة الشيخ محمد أفندي في بَتْلِيس، ومدرسة بايزيد=

والعلوم الإسلامية من تفسير، وفقه، وحديث، وعقيدة، وأصول فقه، وسيرة، واهتمت أيضاً بتدريس علوم اللغة العربية من: نحوٍ، وصرفٍ، وعروضٍ، وبلاغةٍ، وأدبٍ.

وقد كان إقبالُ الناشئة والشبابِ على تلك المدارس شديداً، وخاصة في القرى والأرياف، وكانت الأُسَرُ التركية تتنافسُ إلى إرسال أبنائها إليها كما ذكرنا آنفاً، ولقد خَرَّجَتْ أفواجاً كثيرةً من الدعاة والعلماء والأئمة والخطباء، وتَحوَّلَتْ أكثرُ المساجدِ إلى حلقاتِ علمٍ متعددة للدرس والتحصيل، تَكْتَظُّ بطلاب العلم، وتُعقدُ فيها المناظرات والمناقشات العلمية بين العلماء والمفكرين.

هذا بالإضافة إلى المدارس والمعاهد الدينية التابعة للهيئة الإسلامية الحاكمة[1] في الدولة العثمانية.

= بأرضرُوم، ومدرسة العالم فتح الله في مدينة سيرت، ومدرسة جامع الشهيد في مدينة ماردين، ومدرسة خَرْخُور في مدينة وان.

(١) اصطلح المؤرّخون على إطلاق هذا الاسم على جميع رعايا الدولة الأحرار الذين تَلَقَّوا تعليماً دينياً، أيّاً كان حَجْمُهُ، وشغلوا مناصب القطاع الديني، ولذا فإنَّ هذه الهيئة تضمّ ستة عناصر هي:

١ ـ شيخ الإسلام، وهو الرئيس الفعلي للهيئة المهيمن عليها.

٢ ـ القضاة بمختلف فئاتهم ودرجاتهم.

٣ ـ المفتون.

٤ ـ أساتذة الشريعة وأصول الدين.

٥ ـ هيئات التدريس في المدارس الإسلامية.

ولما تَولَّى السلطان عبد الحميد مقامَ الخلافة في ١١ شعبان (١٢٩٣هـ) الموافق ٣١ آب (أغسطس) (١٨٧٦م) اهتمَّ كثيراً بالناحية العلمية والتربوية، فأسهم بشكلٍ كبير في رفع مستوى الوعي والثقافة والتعليم في جميع أنحاء الدولة.

فهو بالإضافة إلى رعايته للمدارس والمعاهد الدينية التابعة للهيئة الإسلامية، تَوسَّعَ في نشر التعليم المدني بشتّى مراحله ونوعياته، فأنشأ كثيراً من المؤسسات التعليمية والمعاهد الفنية التي خَرَّجَتِ الآلافَ من شباب الدولة المسلم، فقد أسس دار العلوم السياسية، ومدرسة اللغات، والمدرسة السلطانية للشؤون المالية سنة (١٢٩٥هـ = ١٨٧٨م).

وفي السنة نفسها افتتح مدرسة الحقوق، ومدرسة الفنون الجميلة سنة (١٢٩٦هـ = ١٨٧٩م)، ومدرسة التجارة سنة (١٢٩٩هـ = ١٨٨٢م)، وكلية الهندسة المدنية العالية سنة (١٣٠١هـ = ١٨٨٤م)، ومدرسة الطب سنة (١٣١٦هـ = ١٨٩٨م)، ومدرسة المعوقين، ودور المعلمين والمعلمات، ومدارس عُلْيَا للتجارة البحرية والزراعة والبيطرة والغابات والتعدين.

وفي اليوم الخامس عشر من شهر ربيع الآخر عام (١٣١٨هـ) الموافق لليوم الثاني عشر من شهر آب (أغسطس) (١٩٠٠م) فَتَحت جامعة إستانبول

= ٦ ـ الإداريون في القطاع الديني، الذين لا يَرقى مستواهم العلمي ونفوذهم إلى مستوى ونفوذ أفراد هيئة العلماء.

انظر: د. عبد العزيز الشناوي ـ الدولة العثمانية: ١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

أبوابها للطلاب بكلياتها الأربع، وهي: كلية العلوم الدينية العالية (كلية أصول الدين)، وكلية العلوم الأدبية (كلية الآداب)، وكلية العلوم الرياضية، وكلية العلوم الطبيعية، ولكي يُمِدَّ السلطانُ عبد الحميد كليات الجامعة وسائر المدارس العليا والمعاهد الفنية بالطلاب تَوسَّعَ في إنشاء المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية المدنية، فافتتح المدارس الابتدائية في جميع القرى، والمدارس الإعدادية والثانوية في كافة الولايات، وفي أكثر المناطق، حتى بَلَغت المدارس الثانوية في الآستانة وحدها ست مدارس، وافتتح العديد من المكتبات العامة مثل مكتبة بايزيد ومكتبة يِلْدِزْ، وساعدت الطباعة على طبع آلاف الكتب، وخَطَتْ الصحافة خطوات كبيرة إلى الإمام[1].

وقد كانت اللغة العربية في الدولة العثمانية هي لغة الثقافة والأدب والعلوم الإسلامية، كتبت بها كتب الفقه والفتاوى وعلوم الدين الإسلامي، كما كتبت بها اصطلاحات العلوم وكتب التراجم والمقامات وكتب التاريخ، واشتقت منها اصطلاحات علمية كثيرة، وقد أَقَرَّتها الدولة لغةً أولى في جميع المدارس والمعاهد التعليمية تُدَرَّسُ بها كافة العلوم وتُؤَلَّفُ بها الكتب المدرسية[2].

---

(١) انظر كلاً من: د. عبد العزيز الشناوي ـ الدولة العثمانية: ٣/ ١١٥٧ ـ ١١٦٢؛ ومصطفى طوران ـ أسرار الانقلاب العثماني، ص٣٧ ـ ٣٨؛ ود. علي حسون ـ تاريخ الدولة العثمانية، ص٢٠٥.

(٢) انظر: د. محمد حرب، مقال (العثمانيون المفترى عليهم)، مجلة (العربي) الكويتية، عدد (٢٤٤)، الصادر في مارس (١٩٧٩م)، ص٤٧.

واهتم العلماء والمفكرون كثيراً بالعلوم الإسلامية، وحرصوا على تنشئة المشتغلين بتلك العلوم تنشئةً دينيةً وعلميةً جيدةً، فأقاموا عدة مؤسسات وجمعيات علمية، أمثال (الجمعية العلمية الإسلامية)[1]، و(دار الحكمة الإسلامية)[2]، لتقوم برعاية طلبة العلم، والعناية بالمدارس والمعاهد الدينية، والرفع من مستوى تحصيل العلوم الإسلامية، والإشراف على إصدار التوجيهات العلمية، وتأليف المؤلفات والكتب الشرعية.

ولا يخفى أنَّ هذا الجو العلمي الذي أحاط بمصطفى صبري في مراحل حياته المختلفة[3] كان له الأثرُ الفَعَّال في نشأته نشأة علمية قوية، فقد بَثَّ ذلك الجو في نفسه روحَ الحماسة والتنافس الشريف في طلب العلم، والحرص على دراسة العلوم الإسلامية، والتَعمُّق فيها، وَوَقَعَ في قلبه الشغف بالعلم، ومحبة تدريسه وتعليمه لطلبة العلم، وذلك لما رآه منذ صغره من اهتمام الناس بالعلماء واحترامهم، وإنزالهم منهم منزلة رفيعة.

هذا بالإضافة إلى تفاعله مع بيئته العلمية تلك تفاعلاً جيداً فهو:

أولاً: درس في مدارسها الدينية، ونَهَلَ العلم من أساتذتها وعلمائها.

ثانياً: عَمِلَ بالتدريس في مدارسها المتعددة سنواتٍ طويلةٍ.

---

(١) راجع ص ٨٧ من هذا الكتاب.
(٢) راجع ص ٨٨ من هذا الكتاب.
(٣) في صباه، وشبابه، وكهولته.

ثالثاً: اشترك في الدروس العلمية المنعقدة بحضرة السلطان عبد الحميد، والمسماة (دروس الحضور).

رابعاً: التحق بكلٍّ من (الجمعية العلمية الإسلامية)، و(دار الحكمة الإسلامية) اللتين كان لهما فضلٌ كبير - بعد الله - في تنويرِه وتَنْمِيَة فكره، فقد استفاد من التحاقه بهما أموراً كثيرة منها:

١ - أنَّه استزادَ من العلم، واستنارَ في كثير من المسائل الاجتماعية الإسلامية.

٢ - أنّه تَنَبَّه إلى أهمية الدعوة الإسلامية، ومدى تأثيرها في تحقيق الوحدة الإسلامية.

٣ - أنّه اكتسبَ سلامةَ الاتجاهِ، ونصاعةَ المبدأ، والحرصَ على الصدق ونصرة الحقِّ، وهذا ما جعلَ منه شخصية إسلامية مرموقة[١].

٤ - أنّه تكَوَّن لديه وعيٌ وحسٌّ إسلامي يَصِلُه بالعالم الإسلامي، ويُشْعِرُه بانتمائه إلى الأمة الإسلامية، ويتجاوز به الوطنيات والقوميات التي كانت لهما يومئذٍ سوقٌ رائجة.

٥ - أنّ عملَه في دار الحكمة الإسلامية أوجدَ عنده الوعي الكامل بالأعمال المنوطة بالمشيخة الإسلامية[٢]، ومدى أهميتها، وكيفية القيام بها،

---

(١) انظر: الملحق رقم (٤) ص ٤٢٢.
(٢) وذلك بحكم أنَّ الدار تابعة للمشيخة الإسلامية.

مما أفاده فيما بعد عند توليه منصب (شيخ الإسلام).

٦ ـ أنَّ عمله فيهما[١] أتاح له الفرصةَ لمجالسة العلماء والمفكرين والاحتكاك بهم، وتبادل الآراء والأفكار معهم، وإجراء المناقشات الدقيقة الهادفة من خلال الاجتماعات والندوات التي كانوا يعقدونها، ومعرفة كثير من الأحداث والأمور المُسْتَجِدَّة في العالم الإسلامي بوجهٍ عام وفي الدولة العثمانية بوجهٍ خاص سواء أكانت فكرية أم سياسية أم اجتماعية.

٧ ـ أنّه تنبَّه إلى الأفكار المغرضة التي كانت تعمل للنيلِ من الإسلام وأهله، وأُتيحت له الفرصة لمعايشة أجواء المشكلات في البلاد الإسلامية والإحساس بقضايا الإسلام المعاصرة[٢].

ثالثاً ـ الناحية السياسية:

كان الطابع السياسي هو الطابع العام المُمَيِّز لبيئة مصطفى صبري التي كانت حافلةً بالوقائع والأحداث، ذلك أنّه وُلِدَ ونشأ في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وقد شَهِدَتْ هذه الفترة من التاريخ تحولاً خطيراً في الفكر والسياسة، فقد كانت الدولة العثمانية آنذاك تَمرُّ بظروفٍ صعبة حالكة، ومشكلاتٍ وأزماتٍ اجتماعية، وتَضْطَرِمُ بالأحزاب والنظريات السياسية المتعددة، وتَعُجُّ بالأفكار ووجهات النظر المتضاربة، فهناك خططٌ ماكرة يهودية صهيونية، ومؤامراتٌ ماسونية، وثوراتٌ وفتنٌ

---

(١) أي: في الجمعية والدار.
(٢) انظر: الملحق رقم (٤) ص٤٢٢.

داخلية، وصراعٌ بين تيارات قومية، وشيوعٌ لتياراتٍ فكرية غربية إلحادية، وضغوطٌ استعمارية صليبية خارجية، وشقاقٌ بين العرب والأتراك، ونزاعٌ بين الطوائف والأديان، وقيامُ الحرب العالمية الأولى، وإقحامُ الدولةِ فيها، ثم هزيمتها والاستيلاء على خيراتها، وتقطيع أوصالها، وفرض الاحتلال الأجنبي على كل ولاياتها العربية، وإسقاط الخلافة الإسلامية، وإعلان الجمهورية التركية، وفرض الإلحاد واللادينية . . . إلى غير ذلك من المشكلات والقلاقل.

فهي إذاً مجموعة ضخمة من الأحداث تَضُمُّ بين جنباتها كثيراً من الوقائع الفرعية، التي لا يتسع المجال لذكرها، إلا أنه من المؤكد أنّ أهم الفواجع والنكبات التي مُنِيَ بها العالم الإسلامي، وأصابت المسلمين في مَقْتَل، هي تكاتفُ أعداء الإسلام على إسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية، التي دامت أكثرَ من خمسة قرون، كانت خلالها رمزاً للجامعة الإسلامية التي انصهرت في بوتقتها مختلف الشعوب الإسلامية، وتجسيداً حياً للقوة والوحدة الإسلامية، يَتَفَيّأُ ظلالها المسلمون جميعاً، فيربطهم رباطُ العقيدة، ويشدُّ بعضَهم إلى بعضٍ حبلُ الله المتين[1].

ولقد تَحَدَّثْنَا ـ فيما مضى ـ عن جهود زعيم الصهيونية الأول هِرْتزِل لدى السلطان عبد الحميد في سبيل الحصول على ترخيص باستيطان اليهود في فلسطين، وعرفنا موقف السلطان الصلب منهم.

---

(١) انظر: علي محيي الدين القره داغي ـ مقدمة كتاب (الإنسان والإيمان) للشيخ سعيد النورسي، ص١١.

وبسبب هذا الموقف من السلطان عبد الحميد، ولكون الحقد اليهودي على الإسلام لم يَخْمَدْ طوال العصور، ونظراً لنجاح التجربة اليهودية في أوروبة، فقد اقتضى الأمرُ تَدْمِيرَ الخلافة العثمانية بثورةٍ شبيهةٍ بالثورة الفرنسية في أهدافها وشعاراتها، لتكونَ فاتحةَ ظهورِ دولٍ علمانية في العالم الإسلامي على النمط الأوروبي، ومن ثَمَّ تفتحُ الطريقَ أمام الهدف الأعظم والحلم القديم، وهو قيام حكومة يهودية عالمية دُسْتُورها التلمود، ومَلِكُها مِنْ نَسْلِ داود[1].

فقامت الصهيونية العالمية تَعْمَلُ بجدٍّ منقطع النظير لتحقيق ذلك فاستعانت في خططها بالآتي[2]:

١ ـ **يهود الدُّوْنَمة** (المرتدون)؛ الذين كانت لهم اليد الطُّوْلَى في تدمير الخلافة، بعد أن وَسِعَتْهُم سماحة الإسلام، في حين ضَيَّقَتْ عليهم إسبانية النصرانية.

٢ ـ **الصليبية الغربية**؛ الحاقدة على الإسلام والمسلمين، التي وضعت نفسها في خدمة اليهودية العالمية ليسخرها رأس الأفعى اليهودية في مساعدته على تحقيق خطط الهدم والتخريب، ومحاربة الدولة العثمانية وتفتيتها والسيطرة على أملاكها.

ولذا تحالفت قوى الصليبية الأوروبية الاستعمارية من دولٍ عديدة ـ وفي

---

(١) انظر: سفر الحوالي ـ العلمانية، ص٥٦٦ ـ ٥٦٧.
(٢) انظر: عبد الله التل ـ الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، ص٧٥ ـ ٨٣.

مُقَدِّمَتِها بريطانية[1] ـ لتحقيق ذلك الهدف .

٣ ـ **الدعاية الفاجرة؛** التي صَوَّرَتْ الحكمَ في عاصمة الخلافة أبشعَ تصويرٍ ، حيث قَلَبَتِ الحقائقَ ، وأَبْرَزَتِ المساوئَ ، وطَمَسَتِ المحاسنَ ، كما أبرزت قسوةَ الأتراك المسلمين ، وطمست وحشيةَ البلغار واليونان والفرنسيين والإنكليز والروس ، حتى غدا من الأمور المُسَلَّم بها في أوروبة وفي العالم بأَسْرِه أنَّ المسلمين الأتراك متوحشون قُساة ، يرتعون في الفساد والانحلال ، ونجحت الدعايةُ اليهوديةُ في تحريك غرائز الطمع الاستعماري الغربي لابتلاع أجزاء غنية من تركة الرجل المريض[2] ، كما نجحت في إيغار صدور المسيحيين في أوروبة كلها على الأتراك المسلمين ، حين زَوَّرت وقائع التاريخ المتعلقة بحروب البلقان وبخاصة العرب مع البلغار .

٤ ـ **الجمعيات السرية** ، وبخاصة الماسونية التي جَنَّدت قُواها لخدمةِ

---

(١) فقد اعترف وزيرُ خارجيتها (بلفور) في رسالة بعثَ بها إلى وزير الدولة الأمريكي في ٢٦ رجب عام (١٣٣٥هـ) الموافق ١٨ أيار (مايو) (١٩١٧م) جاء فيها : «لا شكَّ أنَّ القضاءَ على الإمبراطورية العثمانية قضاءً تاماً هو من أهدافنا التي نُريدُ تحقيقها ، وقد يظل الشعب التركي ـ ونأمل أن يَظَلَّ ـ مستقلاً أو شبه مستقل في آسية الصغرى ، فإذا نجحنا فلا شكَّ أنَّ تركية ستفقدُ كلَّ الأجزاء التي يُطلق عليها عادة اسم (البلاد العربية) ، وستفقد كذلك أهم المناطق في وادي الفرات ودجلة ، كما أنها ستفقد إستانبول» أنور الجندي ـ معالم التاريخ الإسلامي المعاصر ، ص٢٧٥ .

(٢) كان الغربيون يطلقون هذا الاسم على الدولة العثمانية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى سقوط الخلافة .

اليهودِ، وهدم الخلافة الإسلامية، فقد استخدم اليهودُ محافل الماسون في فرنسة وإيطالية لنشر الدعاية الكاذبة ضد السلاطين العثمانيين، وبخاصة عبد الحميد الثاني الذي كان عدواً للماسون، فلم تترك أبواق الماسون عيباً من عيوب الحكم إلاَّ ألصقته بحكمه، حتى أصبحَ رمزاً للظلم والقسوة والاستبداد.

٥ ـ **الدعوة المتطرفة إلى العنصرية التركية** (الطورانية)، والعمل على تتريك العناصر الأخرى في الدولة، وخصوصاً العنصر العربي، وبذر بذور **النزاع والشقاق بين العرب والأتراك**، ومن ثَمَّ إذكاء القومية العربية واستغلال أدباء ومُفكري نصارى العرب[١] في ضرب الإسلام في أخطر معاقله.

هذا وقد مَرَّ تدميرُ الخلافة الإسلامية في تركية ـ قبل إلغائها نهائياً ـ بمرحلتين هما: خلع السلطان عبد الحميد الثاني، وإلغاء السلطنة[٢].

نشأ مصطفى صبري وَسْطَ هذه الأحداث والتقلبات والاضطرابات السياسية، وعاصر الفتن والقلاقل المختلفة التي أثارها أعداءُ الإسلام، ولمسَ بيده مخططاتهم الرهيبة التي كانت تُدَبَّرُ وتُحْبَك في الخفاء لتحقيقِ مآربهم السيئة، وذلك منذ أن لاحتْ في الأفقِ نُذُرُ الشرِّ منهم، فوجد نفسَه وسط جو جديد من التفكير، أَقَضَّ مضجعه، وأقلق باله، وكان له تأثيرُه العميق في نفسه وفكره، فقد رَجَّت تلك الأحداث شعورَه النفسي رَجَّاً عنيفاً، وشحذت فكره، وأطلعته على حقيقة ما يدور في العالم الإسلامي، وما يَعتملُ فيه، وأرته ما يبثه

---

(١) أمثال: إبراهيم اليازجي، ونجيب عازوري.

(٢) راجع الصفحات من ص٢٥ ـ ٢٨، و٥٠ ـ ٥٤ من هذا الكتاب.

أعداءُ الإسلام من نِيَّاتٍ غادرة بهذا الدين وأشياعه، وما يُحاولون أن يُلصقوه به من مفتريات. وهذا ما أدَّى إلى تحريك الغَيْرةِ الإسلامية، وانبعاث العزّة والأَنَفَة الإسلامية في نفسه، فأخذ يَستعرِضُ في مُخَيِّلَتِه ما يُوْجِبُه الإسلام في مثلِ هذه المواقف، وماذا يجب على المسلمين أن يَفْعلوه في مواجهة هذا الخطر الداهم، الذي هاجمهم في عقر دارهم، فَهبَّ ثائراً يستنهِضُ الهممَ، ويَبحثُ عن المنقذِ لدينه ووطنه وأهل مِلَّتِه.

وممّا لا شكَّ فيه أنَّ سقوطَ الخلافة يُعدُّ أهمَّ الأحداث السياسية التي عاصرها الشيخُ، وأثَّرت في تكوينه الفكري، ذلك أنَّه كان نقطةَ تَحَوُّل في تاريخ الإسلام والمسلمين، وكان له الأثر العميق في خضوع العالم الإسلامي للحضارة الغربية، وتَبَعِيَّة الأمة الإسلامية للغرب المستعمر الذي لا تزال تُعاني من مرارته إلى وقتنا الحاضر، هذا بالإضافة إلى الأحداث القاسية المتوالية التي واجهتها الأمة الإسلامية نتيجةً لهذا الحدث المؤلم، من حروب وقلاقل، وفتن وغزو فكري، وفساد وتحلل، وإبعاد للإسلام ورابطته عن الحكم والحياة في كثير من البلاد الإسلامية، والاستخفاف بِقِيَمِهِ وتعاليمه، وقمع العاملين في سبيله.

فكانَ مصطفى صبري يرى هذه الأرزاءَ المتلاحقةَ فتتمزّقُ أحشاؤه حُزناً، ويَذوبُ قلبه كمداً وغيرةً على الإسلام وأهله، ولم يقف مكتوفَ اليدين معقود اللسان، بل تكوَّن لديه تجاه هذه الأحداث ردٌّ فعلٍ عنيف تَمثَّلَ فيما يلي:

أ ـ التضحية بنفسه وأهله ووطنه وماله وكل ما يملك في سبيل مجاهدةِ

أعداء الدين من الملاحدة، ومناصِبتهم العداء، ومقاومتهم وكشف حِيَلِهم، وهَتْكِ أستارهم، وتحذيرِ المسلمين منهم، والجَرْأَةِ عليهم وعلى كل من يُناصرهم ويُدافع عنهم.

ب ـ تسخيرُ قلمه وفكره للاهتمام بقضايا الإسلام المعاصرة، ومعالجة المشكلات التي تَمُرُّ بها الأمة الإسلامية من جَرَّاء إسقاط الخلافة الإسلامية.

هذا بالإضافة إلى أنَّ بيئةَ الشيخ السياسية هذه أثَّرت فيه تأثيراً مباشراً من حيث إنها:

أولاً: وَجَّهَتْ تفكيرَه إلى النواحي السياسية، فجعلتْ منه شخصيةً سياسيةً مهمةً بجانب كونه شخصيةً إسلاميةً فكريةً، ذلك أنَّ تلك الأحداث والمؤامرات والاضطرابات والتقلبات السياسية كانت بالنسبة له الحافز والداعي إلى البحث والتفكير في مسائل سياسية كثيرة من الناحية الشرعية، فَتَّقَتْ لديه طاقاتٍ كامنةً، فأبانت عن موهبةٍ فَذَّة وفَهْمٍ عميقٍ للنظام السياسي الإسلامي(١).

---

(١) فقد ألْهَمَتْهُ البحثَ والتفكيرَ في مسائل سياسية عديدة منها:
١ ـ **مسألة الخلافة في الفكر الإسلامي** كنظامٍ للحكم والإدارة، ورمز لقوة المسلمين ورباط يَجمعهم في مشارق الأرض ومغاربها منضوين تحت لواء الخليفة.
٢ ـ **مسألة الفصل بين الدين والدولة**، وبيان حكم شرع الله في ذلك الفصل، وإيضاح التلازم والترابط العميق بين السلطة والخلافة.
٣ ـ **مسألة الشورى في الحكم**، وبيان أهميتها وضرورة تطبيقها. =

وثانياً: دَعَتْهُ إلى القيام بتناول كثيرٍ من الأنظمة السياسية الحاكمة في بعض البلاد الإسلامية بالنقد والتحليل، فأبانت عن نظراتٍ ثاقبةٍ وفكرٍ مستنيرٍ معتزٍّ بإسلامه[1].

هذا وقد تفاعل مصطفى صبري مع بيئته السياسية، فقضى أكثر من نصف عمره في الاشتغال بالسياسة[2]، واضطلع بمهام سياسية كبيرة في الدولة العثمانية[3] رجع منها بفوائد كثيرة أسهمت في تكوينه الفكري؛ منها:

= ٤ ـ **مسألة الحرية في الإسلام** المكفولة لكلّ مسلم، وبيان حقيقتها وإيضاح ضوابطها وحدودها..

٥ ـ **مسألة تطبيق الشريعة الإسلامية**، وتحكيم شرع الله في كلِّ شؤون الحكم، والتحذير من الأخذ بالقوانين الوضعية، وبيان ما يترتّب عليها من آثار سيئة في البلاد الإسلامية.

(١) من ذلك: نقده للنظام الماركسي الشيوعي، وذكره النقائص الواضحة فيه عند التطبيق. ونقده أيضاً للمجالس النيابية في النظام البرلماني، لأنَّ القوانين الصادرة عنها لا تُعَبِّر في الغالب تعبيراً صادقاً عن رأي الأمة، لِتَفَشِّي التزوير في الانتخابات، ولتعيين النواب عن بلاد لا يرتضي أهلها أن يكونوا نوّاباً عنها، هذا فضلاً عن عجز السلطة المراقبة عن التنفيذ.

(٢) انظر: موقف العقل: ٤/ ٣٨٧.

(٣) وهي ـ كما ذكرنا سابقاً ـ عضويته في مجلس النواب العثماني، ومشاركته في تأسيس حزب (الحرية والائتلاف) وعضويته في مجلس الأعيان العثماني، وتولّيه منصب الصدارة العظمى بالنيابة، وتوليه مشيخة الإسلام أربع مرات في حكومة الداماد فريد باشا.

١ ـ أنه تكوَّنَت لديه معرفةٌ دقيقةٌ بخفايا السياسة ومكايد السياسيين، وتَعَرَّفَ منذ البداية نوايا الأعداء الحاقدين من قوى صليبية ويهودية وماسونية، وتَيَقَّظَ تماماً لحيلهم، وتَنَبَّه لخططهم، وكشفَ كثيراً عن مكايدهم[1].

٢ ـ أنه تَكَوَّن لديه وعيٌ كامل بحقيقة الأحوال السياسية والنظم الحاكمة في العالم من حوله، فلم تخدعه الألفاظ الرنَّانة، ولا الدعايات الكاذبة عن (الديمقراطية) أو (الحرية) وما شابهها، بل عَلِمَ أنَّ هذه الشعارات تُخفي وراءها أقسى صور الحكم المطلق، فهم يُنادون بالديمقراطية، ثم يَفعلون بالشعوب ما لم يفعله الجبابرة الأوائل[2].

٣ ـ أنه تَنبَّه منذ وقت باكر إلى أمور سياسية كثيرة كانت بعيدةً عن متناول نظر الساسة والمفكرين في ذلك الوقت[3].

---

(١) من ذلك أنه تَنبَّه لإقحامهم الدولة في الحرب العالمية الأولى، وكَشَفَ دسائس السياسة الإنكليزية في سبيل ذلك، وأدرك أنَّ وراء تلك اللعبة أيدٍ خفيّة كانت تُريد تحقيقَ مصالحَ وأطماع كبيرة، ولذا اعتبره رأسَ كلِّ خطيئة، وأساسَ كلِّ بلاءٍ حصل للدولة بعده، وكشف خفايا سياسة الاتحاديين والكماليين، وكَتبَ عن تفاصيل وجزئيات ما قاموا به في الدولة، وما فعلوه بشعبها ودينها وسائر شؤونها، كما تنبَّه أيضاً لانسحاب جيوش الحلفاء أمام مصطفى كمال في أزمير مع أنَّهم كانوا هم المنتصرين في الحرب العالمية الأولى، والمسيطرين على كلِّ شيءٍ في الدولة.

(٢) انظر: د. مصطفى حلمي ـ الأسرار الخفية، ص١٦٢.

(٣) منها على سبيل المثال: =

. . . .

= أ ـ أنه تنبَّه لفتنةِ اليهودِ المتصاعدة إلى صدر الإسلام، حيث اتَّضح له تسلسل العداء اليهودي والمؤامرات اليهودية على الإسلام والمسلمين منذ عبد الله بنِ سبأ حتى قره صو اليهودي الذي رأسَ الوفدَ لإبلاغ السلطان عبد الحميد نبأَ خلعه، وتنبَّه لنفوذِهم في أجهزة الحكم في الدولة، وفي القيادات العسكرية، وفي الجمعيات والأحزاب السياسية، ودورهم في خلع السلطان عبد الحميد، وإحداث القلاقل والاضطرابات في أنحاء الدولة لتقويض أركانها، ودورهم أيضاً في إسقاط الخلافة، وتنبَّهَ أيضاً لعلاقتهم الوثيقة بالاتحاديين والكماليين.

ب ـ أنه تنبَّه لأزمات الأنظمة الديمقراطية المعاصرة، التي لم تُكتشف إلا بعدَ مدةٍ من تطبيق تلك الأنظمة.

جـ ـ أنه تنبَّه لاتخاذِ أسلوب الانقلابات العسكرية، والاستناد إلى الجيش في حكم الشعوب، الذي انتشر بشكلٍ ملحوظ بعد الحرب العالمية الثانية.

* * *

المَصْدَرُ الرَّابِعُ

القراءة والاطلاع

لاشك أنَّ القراءة والاطلاع عاملان مهمّان لهما تأثيرُهما الواضح في تكوين الفكر وبنائه، واتساع الأفق وعُمق النظر والقدرة على التحليل والفهم، لا سيّما إذا كانت تلك القراءة وذاك الاطلاع مُوَجَّهَين توجيهاً سليماً.

وقد توافر هذا لمصطفى صبري، فقد رُزِقَ حبَّ القراءة والاطلاع منذ أن كان شاباً يافعاً، ولم يكتفِ في تكوين فكره وثقافته بالدراسة والأخذ عن الأساتذة والشيوخ، بل استمدَّ كثيراً من ثقافته وفكره من القراءة المستمرة والاطلاع الدائم على كثيرٍ من الكتب في مختلف المجالات والتخصصات.

ومع أنَّ لأسرته ولأساتذته وللبيئة التي عاش فيها فضلاً كبيراً لا يُنكَرُ في تنويره وتوجيه فكره، إلا أنَّه قد اعتمدَ اعتماداً كبيراً على ما تُخرِجُه المطابع من كتب وصحف ومجلات.

ولقد كان مصطفى صبري مُولعاً منذ صغره في (توقاد) و(القيصرية) بمطالعة الكتب الإسلامية بما فيها الكتب المُقَرَّرَة عليه في الدراسة، ولَمَّا انتقل إلى (الآستانة) كانت الفرصُ لديه أوسعَ في متابعة القراءة وتَنوّعها، فقد كانت الآستانة آنذاك ـ بمكتباتها الكثيرة ـ ينابيع فَيَّاضة بنفائس المخطوطات، وعيوناً ثَرَّةً مُتَدَفِّقةً بنوادر الكتب، فوجد مصطفى صبري الفرصةَ مواتيةً أمامه، فارتاد

تلك المكتبات، وأخذ يتَضلَّع من العلوم الإسلامية المختلفة من ينابيعها الصافية، ومن مصادرها الأصلية بكل رُواء.

هذا بالإضافة إلى الفُرَص الأخرى العديدة التي أتاحت له إثراء عقله وتَنْمِيَة فكره بالقراءات المتعددة الألوان والمتشعبة الموضوعات، والتي منها:

● **عمله في حقل التدريس والتعليم** في مدارس عديدة في الدولة العثمانية، حيث كان ذلك حافزاً له على البحث والاطلاع.

● **وعمله قَيِّماً على مكتبة السلطان عبد الحميد** (الخاصة) في قصر يِلْدِزْ، حيث وَجَدَ فيها بُغْيَتَه، فأشبعَ رغبتَه في القراءة والاطلاع على محتوياتها الزاخرة بنوادر الكتب والمخطوطات.

● **وعضويته في لجنة تدقيق المؤلّفات الشرعية**، حيث أتاحت له الاطلاع على الكثير من تلك المؤلفات.

● وعضويته في كلٍّ من **(الجمعية العلمية الإسلامية)** و**(دار الحكمة الإسلامية)**؛ حيث أتاحت لـه الاطلاعَ على المناهج التعليمية في مختلف المدارس والمعاهد الدينية في الدولة والإشراف على تأليف المؤلفات الشرعية وتدقيقها.

ولقد أمضى مصطفى صبري أكثرَ حياته قارئاً وكاتباً ومُتَحَدِّثاً، وقد أفرغ ـ عبر عمره المديد ـ مئات الكتب في فكره، وسكبَ الكثيرَ من المعارف في عقله وذهنه، وذلك استعداداً لخدمة الفكر الإسلامي، والدفاع عن الإسلام في عصرٍ مملوءٍ بالأفكار والتيارات يَفْرِضُ على المفكر المسلم أن يَتَزَوَّد بزادٍ علمي شامل.

وتُعَدُّ المرحلةُ الأخيرةُ من مراحل حياته ـ وهي التي استقرّ فيها بمصر ـ أخصبَ المراحلِ من الناحية الفكرية، فقد تَفرَّغ فيها للقراءةِ والبحثِ والاطّلاع التي كانت تأخذُ منه كلَّ وقته[1]، وعكفَ على كثيرٍ من كتب الأوَّلين والمعاصرين وتناولها دراسةً وتحليلاً وبحثاً.

ولقد وَسَّعَ مصطفى صبري الأفق الثقافيَّ الذي كان يَجولُ فيه، فهو لم يقتصر في قراءاته واطلاعه على جانب واحد فقط، بل كانت قراءاته واطلاعاته التي استَمدَّ منها ثقافته كثيرةً ومتنوعةً، وفي مجالاتٍ متعددة، وفي مقدمتها قراءته لكتاب الله عزّ وجلّ، فهو أول كتاب قرأه وحفظه على ظهر قلب وهو في العاشرة من عمره ـ كما ذكرنا سابقاً ـ ومنذ ذلك الحين وهو يُكثِرُ من قراءته وتلاوته في مختلف الأوقات والأزمنة إلى أن تُوفي، فكان له زاداً ثقافياً جيداً، فبفضله تَقَوَّمَ لسانُه، وحَسُنَ بيانُه، وتَفَتَّحَتْ مواهبه المبكرة على أساليبه المُؤَثِّرة، وكان كلَّ يومٍ يقرأُ منه جزءاً على سريره قبل أن ينام[2].

وعند تتبعي للمصادر التي اعتمد عليها مصطفى صبري في كتاباته وتعليقاته في كتبه ومقالاته تَبَيَّنتْ لي أنواعُ قراءاته التي يُمكن تصنيفها ـ على وجه التقريب ـ في خمسة مجالاتٍ؛ هي:

١ ـ مجال علوم الدين الإسلامي.

٢ ـ المجال الأدبي.

---

(١) راجع: الملحق رقم (٢) ص٤٠٢.

(٢) انظر: الملحق رقم (٤) ص٤٢٢.

٣ ـ مجال الفلسفة وعلم الكلام.

٤ ـ مجال العلوم الإنسانية.

٥ ـ المجال الصحفي.

ولا يخفى أنه من المتَعذِّر حصر كل الكتب والصحف والمجلات التي قرأها مصطفى صبري واطَّلَع عليها في حياته، ولكن أذكرُ ـ فيما يلي ـ ما كان موضعَ مراجعةٍ دائمةٍ منه، وما كان ذا أثرٍ واضحٍ في فكرِه ومؤلفاتِه في كلِّ مجالٍ من المجالات المذكورة[١].

أولاً ـ مجال علوم الدين الإسلامي:

ذكرنا فيما مضى أنَّ دراسة الشيخ كانت دراسةً شرعيةً، وتخصصه كان في مجال العلوم الإسلامية، ولذا فقد أكثر من قراءة أمهات الكتب الإسلامية، وداوم على مطالعتها والرجوع إليها، بالإضافة إلى قراءته لكتب المعاصرين له.

فقد قرأ في علم القراءات: كتاب (طَيِّبَة النشر في القراءات العشر)[٢] وحَفِظَ منه ألف بيت، وقد أفاده كثيراً في معرفة القراءات وأحكام التجويد، وكثيراً ما كان يَحتجُّ بأبياتِه عند مناقشته بعض القُرَّاء المعاصرين له[٣].

---

(١) على أنَّ إعجابَ الشيخ بالكتب التي سَيَرِدُ ذكرها بعد قليل، وتأثّره بها، لم يمنعه من انتقادها في بعض الجزئيات والتفاصيل التي وردت فيها بالرغم من ثنائه على مؤلّفيها وامتداحهم.

(٢) لابن الجزري.

(٣) انظر: الملحق رقم (٤) ص٤٢٢.

وقرأ في السنة وعلومها: الكتبَ الستة مع شروحها[١].

وقرأ في التوحيد: كتاب (رسالة القضاء والقدر)[٢] وكتاب (الله: أو نشأة العقيدة الإلـٰهية) الذي أُعجب به، ونقل منه نقولاً طويلة، وقال عنها: «إنّها نقولٌ قَيِّمة»[٣]، كما أُعجب بمؤلِّفه العقاد (١٨٨٩ ـ ١٩٦٤م) وأثنى عليه لما رآه منه من استقلالٍ في الفكر[٤].

واطَّلَع في الفقه على كثيرٍ من كتب الفقه الإسلامي بمذاهبه الأربعة التي فتحت أمامه آفاقاً جديدة، وكشفت له عن جوانبَ كثيرة من عظمة التشريع الإسلامي من جهة، وعن إبداع الفقهاء والمفكرين المسلمين من جهة أخرى[٥].

وبحكم أنَّ مصطفى صبري حنفيُّ المذهب، فقد كانت أكثرُ قراءاته الفقهية في الفقه الحنفي حيث قرأ: كتاب (مجمع الأنهر في شرح ملتقى

---

(١) انظر: الملحق رقم (٥) ص٤٣٤، والكتب الستة هي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن ابن ماجه، وسنن النسائي، وسنن أبي داود.

(٢) لجمال الدين [الأفغاني].

(٣) انظر: موقف العقل: ١/ ٥٤ـ٢٥٦.

(٤) راجع: المصدر السابق: ٢/ ١١٢.

(٥) وقد اهتمَّ بالفقهاء المسلمين وقال عنهم: إنَّ «رؤوسهم مربوطةٌ بالكتاب والسنة، وكلُّ مسألةٍ استنبطوها فلها مُستندٌ من أحد هذين الأساسين، وهم [رضي الله عنهم] لم يألوا جهداً في إيرادِ تلك المستندات في أمهات كتبهم». المرجع السابق: ١/ ٤٨٢.

الأبحر)[1] و(المبسوط) بأجزائه الثلاثين لشمس الأئمة السرخسي (ت٤٨٣هـ) الذي كان يَعْتَزُّ به كثيراً، حيث يقول: «وإنِّي كُلَّما فَتَحتُ بابَ مكتبتي الفقيرة على مصراعيه، وَوَاجَهْتُ أكبر ما يُزيِّنه بأجزائه الثلاثين المصفوفة من مبسوط شمس الأئمة السرخسي أقول: إنَّ علمَ الفقه الذي دَوَّنه أئمةُ الإسلام، وانتقل إلينا بين دفَّات هذه الأسفار العظيمة حَسْبُه معجزةً لنبوّةِ محمد ﷺ. . . وكم تتصاغَرُ إليَّ نفسي إزاء هذه الآثار الخالدة، فأستحيي أنّ أعدَّها من علماء الدين ومن مشايخه المسلمين»[2].

ومن الكتب الحديثة في مجال الحقوق والتشريع: كتاب (نظرية الحقوق في الإسلام) لصاوا باشا الرومي[3]، الذي أشاد به الشيخ لإجادته الكلام عن التشريع الإسلامي، وكتابا (مدخل القانون والنظام القضائي في مصر)، و(أصول القانون التجاري) للدكتور علي الزيني المصري، الذي أشاد به الشيخ مراتٍ عديدة[4] ونقل من كتابيه السابقين في كتابه (موقف العقل).

---

(١) لشيخ زاده.

(٢) المرجع السابق: ٤/ ٣١٥.

(٣) صاوا باشا الرومي: طبيب نصراني، من أصل رومي، وسياسي مشهور في الدولة العثمانية، ومن المهتمين بالعلوم الإسلامية، عُيِّنَ مديراً لمدرسة (غلطة سراي) بإستانبول عام (١٨٧٥م)، ورُقي إلى مرتبة (باشا) بدرجة وزير عام (١٨٧٨م)، اشترك في اللجنة التحضيرية لإعداد الدستور العثماني الأول، وفي عام (١٨٨٧م) عُيِّن والياً على جزيرة (كريت)، ثم نُفِيَ إلى باريس.

Bavid Kushner - Türk Milliyetcilginin DoguSu. S 183.

(٤) ومما قاله فيه قوله: «انظر أيها القارئ هذا الدكتور القانوني المسلم وادعُ الله=

وقرأ في أصول الفقه: كتاب (مرآة الأصول)[1] و(التلويح في كشف حقائق التنقيح)[2] و(كنز الوصول)[3] وشرحه[4].

وقرأ في السيرة النبوية: كتاب (سيرة النبي ﷺ) للشيخ شبلي النعماني الهندي[5] في ستة أجزاء وقد كتب باللغة الأوردية؛ وتوفي مُؤَلِّفه قبل إتمامه، فأَتمَّه الأستاذ السيد سليمان الندوي[6]، وتُرجِمَ إلى اللغة التركية، وقد أُعجب

= تعالى أن يحفظه ويُكثر من أمثاله في دكاترة مصر وأساتذتها، بل وعلمائها؛ كيف يُقَدِّر الشريعةَ الإسلاميّةَ قدرها، واستنادها إلى الوحي الإلـٰهي، وقداستها من البدء إلى النهاية، وكيف يُنبِّهُ على أنَّ أئمة الفقه دَوَّنُوا بالاستفاضة من هذا الينبوع الإلـٰهي قوانينَ لا يُوزن بالمقارنة إلى ما فيها من المنطق والتدقيق الفقهي منطق الفقه الغربي الحديث». موقف العقل: ٤/ هامش ص٣١٥.

(١) لمحمد مُلاَّ خُسرو.

(٢) لسعد الدين التفتازاني.

(٣) وهو المعروف بأصول حجة الإسلام البَزْدَوي.

(٤) للإتقاني.

(٥) الشيخ شبلي النعماني الهندي: باحث من رجال الإصلاح الإسلامي في الهند، برهمي الأصل، وُلد في قرية (بندول) سنة (١٢٧٤هـ ـ ١٨٥٨م)، صَنَّفَ كتباً جليلةً منها (سيرة النبي ﷺ) كتب منها جزأين، و(الفاروق)، توفي سنة (١٣٣٢هـ = ١٩١٤م). الزركلي ـ الأعلام: ٣/ ١٥٥؛ والدكتور أكرم الندوي ـ (شبلي النعماني) ط. دار القلم بدمشق.

(٦) سليمان الندوي: من كبار القضاة والعلماء المسلمين في القارة الهندية في العصر الحديث، تفوَّقَ في علم الحديث وتاريخ الإسلام، نسبته إلى ندوة العلماء، أصدر مجلة (المعارف)، وكان رئيساً لجمعية (علماء الإسلام)، له=

به مصطفى صبري كثيراً، ونقلَ منه نقولاً عِدَّة في كتابه (موقف العقل) اعتمد عليها في الرد على منكري المعجزات، وأثنى على المؤلف والمُتَمِّم.

ثانياً ـ المجال الأدبي:

اهتمَّ مصطفى صبري بالأدب عموماً، وقرأ إنتاج العديدِ من الأدباء القدامى والمعاصرين، وحفظَ الكثيرَ من أشعارهم ودواوينهم، فَتَكوَّن لديه ذوقٌ أدبيٌّ رفيعٌ، وحسٌّ شاعري جميلٌ، كان رافداً من روافد تكوينه الفكري.

أ ـ الأدب التركي:

اطَّلَع مصطفى صبري على الأدب التركي، وقَرأَ إنتاج كبار الأدباء الأتراك أمثال: جناب بن شهاب الدين بك[1] وخصوصاً كتابه (أوراق الأيام)، ومحمد عاكف[2] وخصوصاً ديوانه (صفحات)، والأديب الكبير عبد الحق

= تصانيف عديدة منها: (تتمة سيرة النبي ﷺ) أربعة أجزاء و(الرسالة المحمدية) و(عائشة أم المؤمنين)، توفي سنة (١٣٧٣هـ = ١٩٥٣م). المرجع السابق: ٣/ ١٣٧؛ ود. أكرم الندوي ـ (سليمان الندوي)، ط. دار القلم بدمشق.

(١) شهاب الدين بك: من أبرز الكُتَّاب والشعراء الترك في عصر (ثروة فنون)، ولد في (مناستر) عام (١٨٧٠م)، تخرَّج في المدرسة الطبية العسكرية بإستانبول عام (١٨٨٩م)، ثم أتمَّ دراسة الطب في باريس ما بين عامي (١٨٩٠ ـ ١٨٩٤م)، واشتغل مدرّساً للأدب في كلية الآداب بـ(دار الفنون) من عام (١٩١٤ ـ ١٩٢٢م)، توفي بإستانبول عام (١٩٣٤م).

Behcet Necatigil - Edebiyatimizda Isimler Sözlügü. S84 - 85.

(٢) محمد عاكف: ولد سنة (١٨٧٦م)، نشأ في بيئة إسلامية، درس الطب =

حامد[1] وخصوصاً ملحمته الشعرية (الضريح)، وتوفيق فكرت[2]، وضياء باشا[3]، وغالب المولوي[4]، وسليمان بك نظيف[5] وغيرهم، وكان يستشهد

= البيطري، ولكن غلبَ عليه الأدب، لُقّب عند الأتراك بـ(شاعر الإسلام) لِمَا كان عليه أدبُه من الطابع الإسلامي، عارضَ أسرة (ثروة الفنون) التي نادت بالأخذ عن الغرب، توفي سنة (١٩٣٦م). الموسوعة العربية الميسرة: ٢/ ١١٧٣.

(١) عبد الحق حامد: من أكبر أدباء الترك المعاصرين، ولد سنة (١٨٥١م)، أتقنَ الفارسيةَ، والتحق بالسلك السياسي التركي، وتدرَّجَ حتى وصل إلى رتبة سفير، اشتهر بثقافته المتعدّدة النواحي، من أشعاره: (الضريح)، ومن كتاباته: (طارق أو فتح الأندلس)، توفي سنة (١٩٣٧م). المرجع السابق: ٢/ ١١٨٠.

(٢) محمد توفيق فكرت: شاعر كبير، ومن روّاد الأدب التركي الحديث، ولد سنة (١٨٦٧م)، عُرِفَ بالنظرة المتشائمة في كثيرٍ من أشعاره، كما عُرِفَ عنه الإلحاد، مات سنة (١٩١٥م). محمد حرب ـ مذكرات السلطان عبد الحميد، ص١٤٥.

(٣) ضياء باشا: تقدّمت ترجمته ص٣٨.

(٤) غالب المولوي: شيخ صوفي وأديب تركي، ولد بإستانبول، وانتسب إلى الدراويش المولوية، ثم رحل إلى (قونية)، مَهّد الطريقة المولوية، ولمّا عاد إلى إستانبول أصبحَ شيخاً من مشايخ هذه الطريقة، قرضَ الشعر في مقتبل عمره، ومن آثاره: (حسن وعشق). توفي سنة (١٢١٠هـ= ١٧٩٥م). حسين مجيب المصري ـ تاريخ الأدب التركي، ص٣٢٧، ٣٣٣.

(٥) سليمان بك نظيف: من مشاهير الأدب التركي الحديث، ومن أبرز شعراء عصر (ثروة فنون) الأدبي، ولد في (ديار بكر) سنة (١٢٨٧هـ)، عَمِلَ =

بأشعارهم في كتبه العربية والتركية.

ب ـ الأدب العربي:

كان مصطفى صبري مُحِبّاً للغة العربية، وكان يراها أفضلَ اللغات على الإطلاق، لأنّها لغةُ القرآن الكريم، حيث يقول: «أصبحت هذه اللغة بفضل القرآن وباهتمام علماء الإسلام بها من كلِّ أُمةٍ أفصحَ جميع اللغات وأفضلها»[1]. ويقول: «لا تجدُ في العالم لغةً من اللغات الراقية إلا وقد طَرأت عليها تغيّرات كبيرة وتطورت، بحيث لا يَفهم الجيلُ الحديثُ لغةَ الجيلِ القديم من نفسِ القوم، أو يَستثقلها؛ إلا اللغة العربية الفصحى، فتجدُ ما قِيلَ أو كُتبَ قبل أكثر من ألف سنة من النظم أو النثر العربي كأنه قيل اليوم أو كُتب، أو أفضل مما قِيل أو كُتب، وهذا بفضل القرآن الذي ثبتَ على ما كان عليه من لفظه المعجز، لم تَتَبدَّل منه ولا كلمة واحدة»[2].

ولذا فقد أُعجب إعجاباً شديداً بالأدب العربي، فاطّلَع على عيون الشعر العربي القديم والحديث، وحَفِظَ كثيراً من دواوين الشعر، فَضَمَّ إلى جانب

= بالسياسة، فانضمَّ إلى جانب المعارضة في عهد السلطان عبد الحميد، وهَرَب إلى مصر، حيث زاول نشاطه المُعارِض، ومن آثاره: (فراق العراق) و(في عتبة التاريخ)، توفي سنة (١٣٤٦هـ). انظر كلاً من: د. محمد هريدي ـ الأدب التركي الإسلامي، ص٢٣٧؛ وزكي مجاهد ـ الأعلام الشرقية: ٤/ ٢٠٤ـ٢٠٥.

(١) موقف العقل: ١/ ٩٢.

(٢) المرجع السابق: ٤/ ١٤٨.

تَضَلُّعه الفقهي تضلّعاً أدبياً، أعانه على إجاده اللغة العربيـة، بالإضافـة إلى إجادته اللغة التركية لغته الأصلية، وأَمَدَّهُ بالطلاقة والفصاحة في التَّحَدُّثِ والكتابة. ومن اطِّلاعاته على الأدب القديم: اطلاعه على كتاب (مختارات البارودي) (١٨٣٩ ـ ١٩٠٤م) الذي جمع فيه مؤلفه ما اختاره من شعر ثلاثين شـاعراً من فحول الشعراء المُوَلّدين، الذين أُعجب بهـم مصطفـى صبري، وحفظ الكثيرَ من أشعارهم، واستشهد بها في كتبه ومقالاته[١]، واطلاعه أيضاً على ديوان (الحماسة)[٢] الذي أُعجِبَ به وحفظَ منه الشيءَ الكثير[٣].

ومن اطِّلاعاته على الأدب الحديث: اطلاعه على ديوان الأمير شكيب أرسلان (١٨٦٩ ـ ١٩٤٦م)، وإعجابُه ومتابعتُه لشعر أحمد شوقي الذي كان يَحترِمُه، ويُقَدِّر فيه شاعريته[٤] حتى قال عنه: إنّه شاعرٌ عظيمٌ[٥]، وقراءته كتاباتِ الأستاذ العقاد، الذي امتدحَ قلمه، ومن ذلك قوله: «ما أقدرَ هذا القلم فهو قويُّ الحجة»[٦].

---

(١) أمثال: أبي العتاهية، والبحتري، وأبي الطيب المتنبي، وابن الرومي، وأبي فراس الحَمْدَاني، وأبي العلاء المعرّي، والشريف الرضي.

(٢) لأبي تمام.

(٣) انظر: الملحق رقم (٣) ص ٤٠٩.

(٤) بالرغم من أنَّه ردَّ عليه بشعرٍ منظومٍ لما أسرفَ في الثقة بمصطفى كمال، وفي امتداحه، وشتمَ السلطان محمد وحيد الدين.

(٥) انظر: الملحق رقم (٣) ص٤٠٩.

(٦) الملحق رقم (٥) ص٤٣٤.

وكان مصطفى صبري يقرأُ للأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي (١٨٨١ ـ ١٩٣٧م) وكان معجباً جدّاً بكتاباته، حتى قال عنه: «ما رأيتُ أديباً ينقلُ الإنسانَ من عالمٍ إلى عالمٍ آخر مثل مصطفى صادق الرافعي، ولا سيّما في كتابه (وحي القلم)»[١]. وقد امتدحه بقوله: «إنَّه لا يَسْمَعُ ضجيجَ الدنيا[٢]، بل كان يَسْمَعُ إلهام قلبه ووحي ضميره ونداء إيمانه»[٣].

وكان يقرأ أيضاً لسيد قطب (١٩٠٦ ـ ١٩٦٦م) عندما بدأَ يكتبُ في الإسلاميات، وكان يدعو له بالهداية والثبات والتوفيق، وقال عنه: «إنَّ أدبَه وأسلوبَه الرفيعَ قد نفعه، فلو لم يكن أديباً لما ظهرت كتاباتُه بهذه القوة وبهذه الجاذبية والروحانية»[٤].

وذكر أنَّه قرأ كتاب (النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي) من أوله إلى آخره بكلِّ إمعان، فأُعجبَ به كثيراً[٥]، ولذا أشاد بمؤلفه[٦]، وأطرى نبوغه الديني، وقال عنه: إنه «في طليعة علماء الدين المجاهدين في سبيله»[٧].

---

(١) المرجع السابق نفسه.
(٢) وذلك بحكم أنَّه رحمه الله كان مصاباً بالصمم.
(٣) المرجع السابق نفسه.
(٤) المرجع السابق نفسه.
(٥) راجع: مقال (المثل الأعلى والنبات الأنضر الذي ينبغي أن يُنبته الأزهر)، مجلة (الفتح)، عدد (١٥٥) الصادر في ٤ صفر (١٣٤٨هـ) الموافق ١١ تموز (يوليه) (١٩٢٩م)، ص٢.
(٦) وهو الأستاذ محمد أحمد الغمراوي.
(٧) المرجع السابق، ص٣.

وبحكم أن مصطفى صبري كان مُحِبّاً للغة العربية ـ كما ذكرنا سابقاً ـ فإنّه لم يقتصر إعجابه على الأدب فقط، بل أُعجِبَ أيضاً بالنحو العربي[1] والبلاغة، وأولاهما جانباً كبيراً من اهتمامه، وقرأ فيهما كتباً كثيرة، فمن قراءاته في النحو: كتاب (إظهار الأسرار)[2]، وشرحه المسمى (نتائج الأفكار)[3]، وكتاب (حل أسرار الأخيار على إعراب إظهار الأسرار)[4].

ومن قراءاته في البلاغة: كتابا (المَطَوَّل) و(مختصر المعاني) لسعد الدين التفتازاني، و(المصباح في علم المعاني والبيان والبديع)[5]، وكتاب (أساس البلاغة)[6]، و(القول الجيد)[7]، و(دفاع عن البلاغة)[8].

ثالثاً ـ مجال الفلسفة وعلم الكلام:

لقد وَسَّعَ مصطفى صبري أُفقَ المصادر التي استمدَّ منها معلوماته وأفكارِه، وزاد بها من ثقافته، فهو لم يَكتفِ بالكتب العربية أو الإسلامية فقط،

---

(١) وأشاد به وقال عنه: إنّه «ليس له مثيل في أي لغة في الدنيا». موقف العقل: ١/ ٩٢.
(٢) لمحمد البركوي.
(٣) لمصطفى الأضلي.
(٤) لزيني زاده.
(٥) لبدر الدين عبد الله بن محمد بن مالك.
(٦) للزمخشري.
(٧) لمحمد ذهني أفندي.
(٨) لأحمد حسن الزيات.

ولا بالكتب التركية، بل أخذَ يقرأُ لكتّابٍ ومفكرين غير عرب وغير مسلمين، ويُطالعُ كتباً وبحوثاً علمية وفلسفية كثيرة مترجمة إلى العربية أو التركية.

فقد اطّلع في جانب الفلسفة على كتب فلسفية كثيرة لفلاسفة شرقيين وغربيين، ووزنها بميزانٍ من دينه وعقله، فما وافقَ منها أَخَذَ به، وما خالف منها رَدَّه ورَفَضه[1]، وأكثَرَ من النقل عن كتب الفلاسفة الغربيين، ولكنّه ليس نقلاً مجرداً، بل هو نقل مع التمحيص لها، وتمييز ما فيها، من حيث الصحة والبطلان، والتنبيه على مواضع الاهتمام منها ونقد ما يحتاج إلى النقد.

ومن قراءاته في هذا الجانب: كتاب (المذهب المادي والعلم)[2]، و(العلم والافتراض)[3]، و(المطالب والمذاهب)[4] الذي أُعجب به كثيراً، واعتمد عليه في معرفة تاريخ الفلاسفة والمذاهب الفلسفية الغربية، وفي الاطلاع على أقوال الفلاسفة الغربيين في المسائل المتعلقة بأصول الدين؛ والكتاب مُؤَلَّفٌ باللغة الفرنسية، وقد تَرجمَ قسمَ ما وراء الطبيعة منه إلى اللغة

---

(١) ووقف من الفلسفة الغربية ـ كما يقول ـ موقف علماء السلف من الفلسفة اليونانية القديمة، وسلك سبيلهم، فكما أنَّهم نخلوا فلسفة اليونان، فأخذوا ما رأوه جديراً بالأخذ، ونبذوا ما وراءه، ثم ألَّفوا ما أخذوه بما عندهم من المعقول والمنقول، فهو أيضاً أخذ من الفلسفة الغربية الحديثة ما رآه يتّفِقُ مع دينه وعقله، ورفض ما عدا ذلك، مع تنبيهه على سبب الرفض ونقده لما رفضه. انظر: موقف العقل: ٢/ ١٣٩.

(٢) لكارو الفرنسي.

(٣) لهنري بوانكاريه.

(٤) لبول زانه.

التركية العالم التركي حمدي الصغير[1]، وأضافَ إليه تعليقات قَيِّمة من عنده[2]، وقد أشاد مصطفى صبري مراراً بالكتاب وبالمترجم[3]. وكتاب (فلسفة ابن رشد)[4] (٥٢٠ـ٥٩٥هـ)، و(قصة الفلسفة الحديثة)[5]، و(الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية)[6]، وكتاب (اضمحلال مذهب الماديين) الذي يَرْجِعُ إليه الفضل ـ بعدَ اللهِ تعالى ـ في اطلاع مصطفى صبري على كثيرٍ من أقوال الفلاسفة الغربيين ومذاهبهم في المسائل المُتَعَلِّقة بموضوع كتابه (موقف العقل)، ولذا

---

(١) حمدي الصغير: ولد في (أنطالية) سنة (١٨٧٨م)، أتمَّ تعليمه الأوَّلي في مسقط رأسه، وحفظ القرآن صغيراً، ثم قَدِمَ إلى إستانبول، وتتلمذَ على كبار علمائها، ثم اشتغل بالتدريس الشرعي في المدارس العليا بالدولة، اختير نائباً عن بلدة (أنطالية) في البرلمان العثماني عام (١٩٠٨م)، كما اختير عضواً في مجلس الأعيان عام (١٩١٩م)، عُيِّن وزيراً للأوقاف في وزارة الداماد فريد باشا الأولى والثانية، توفي في ٢٧ أيار (مايو) (١٩٤٢م).

Ismail Kara- Türkiye'de Islamcilik Düsüncesi, Cilt1. S409 - 410.

(٢) انظر: موقف العقل: ٢/ هامش ص٤٣، وأيضاً ٤/ هامش ص١٥٥.

(٣) ومن ذلك قوله عن الكتاب: هو «كتاب جليل في تاريخ الفلسفة، جُمع فيه إلى تاريخ الفلاسفة تحليل فلسفةِ كلٍّ واحدٍ منهم ونقدها». المرجع السابق: ٢/ هامش ص٤٣. وقوله عن المترجم: إنَّه «في طليعة العلماء المحقّقين الأيقاظ والأفذاذ، القادرين على مناضلة الملاحدة، وكان موته قبل سنتين خسارةً في العلم والإسلام لا تُعَوَّض». المرجع السابق: ٢/ ١٥٦.

(٤) لفرح أنطون.

(٥) لأحمد أمين وزكي نجيب محمود.

(٦) للشيخ محمد عبده.

فهو مدينٌ لمؤلفه إسماعيل فني[1] ـ كما يقول ـ بالشكر والتقدير[2].

ولما كانت بيئةُ مصطفى صبري العلمية تُولي العلومَ العقليةَ جانباً كبيراً من اهتمامها، فقد نشأ مَيّالاً إلى تلك العلوم التي كانت ـ كما يقول ـ تلتئم مع فطرته ومزاجه[3]، حتى أصبحت مَحَطَّ تفكيرِه ومِحْوَرَ اهتمامه، ولذا فقد تابعَ البحثَ فيها دونَ انقطاع، وقرأ كثيراً من الكتب والحواشي والمتون الكلامية لكبار المحققين من المتكلمين، أمثال: القاضي عضد الدين الإيجي[4]، وسعد الدين التفتازاني[5]، والمحقق

---

(١) إسماعيل فَنّي أرطغرل: مفكّر وفيلسوف تركي معاصر، ولد في (تيرنوفة) ببلغارية عام (١٢٧٢هـ= ١٨٥٥م)، قَدِمَ إلى إستانبول عام (١٨٧٦م) وعَمِلَ بوزارة المالية والداخلية، عُنِيَ بمناقشة الأفكار المادية والوضعية التي انتشرت بين مثقفي الترك، وبالرد على انتقادات المستشرقين وغيرهم للإسلام، توفي بإستانبول في ٢٩ يناير (١٩٤٦م).

Ismal Kara- Türkiye'di Islamcilik Düsüncesi, Cilt 2. S139 - 140.

(٢) انظر: موقف العقل: ٢/ ٤٤٧ـ٤٤٨.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٤/ ٣٨٧.

(٤) عضد الدين الإيجي: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، ولد بعد سنة (٧٠٠هـ) عالم بالأصول والمعاني والعربية، من أهل (إيج) بفارس، له من التصانيف (المواقف) في علم الكلام و(العقائد العضدية). توفي سنة (٧٥٦هـ). جلال الدين السيوطي ـ بغية الوعاة، ص٢٩٦.

(٥) التفتازاني: مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني: من أئمة العربية والبيان والمنطق والكلام والأصول، ولد بـ(تفتازان) سنة (٧١٢هـ)، من أهم كتبه: (مقاصد الطالبين) و(المطوّل) و(التلويح). توفي سنة (٧٩٣هـ) بسمرقند. المرجع السابق ـ بغية الوعاة، ص٣٩١.

الدُّوَّانِي[1]، والفاضل السيالكوتي[2]، والمحقق الكَلَنْبَوي[3]، والعلامة الشريف الجرجاني[4] الذين تأثَّر كثيراً بهم، وعدَّهم أساتذته المعنويين، وامتدحهم كثيراً، وأُعجب بهم[5]، واعتمد على أقوالهم في مناقشة الخصوم،

---

(١) الدواني: جلال الدين بن محمد بن أسعد الدوّاني الشافعي، القاضي بإقليم فارس، ولد في (دُوّان) من بلاد كازورن، وسكَنَ شيراز، وتوفي بها سنة (٩٢٨هـ)، له من التصانيف: (حاشية على شرح القوشجي لتجريد الكلام) و(شرح العقائد العضدية). ابن العماد ـ شذرات الذهب: ٨/ ١٦٠.

(٢) السيالكوتي: عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السيالكوتي علاَّمة الهند، وكان من كبار العلماء وخيارهم، أَلَّفَ مؤلّفات عديدة، منها: (حاشية على تفسير البيضاوي على بعض سورة البقرة) و(حاشية على مطول السعد)، كانت وفاته في نيف وستين وألف. المُحِبِّي ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: ٢/ ٣١٨ـ٣١٩.

(٣) الكلنبوي: إسماعيل بن مصطفى بن محمود أبو الفتح الكَلَنبوي الرومي، قاضٍ حنفي عثماني، اشتهر بالرياضيات والمنطق، نسبته إلى بلدة (كَلَنْبَة) من ولاية (آيدين)، له تصانيف؛ منها: (رسالة في القياس) و(حاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية)، توفي سنة (١٢٠٥هـ) في (تسالية). الزركلي ـ الأعلام: ١/ ٣٢٧.

(٤) الجرجاني: علي بن محمد بن علي السيد الشريف أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي، عالم الشرق، له تصانيف كثيرة، منها: (تفسير الزهراويين) و(التعريفات)، ومن الشروح: (شرح فرائض الحنفية)، وشرح(المواقف) للعضد، توفي سنة (٨١٦هـ) بشيراز. السخاوي ـ الضوء اللامع: ١/ ٣٢٨ـ ٣٣٠، ترجمة رقم (١٠٨٧).

(٥) ولكنَّ هذا الإعجاب لم يمنعه من انتقادهم في بعض المسائل والجزئيات، =

وداوم النظر في كتبهم، التي من أهمها: كتاب (المواقف)[1] وشرحه[2]، وحاشية الفاضل السيالكوتي على ذلك الشرح، وكتاب (العقائد العضدية)[3] وشرحه[4]، وحاشية الكلنبوي على ذلك الشرح[5]، وكتاب (العقائد النسفية)[6] وشرحه لسعد الدين التفتازاني، وحاشية المحقق الخيالي[7] على

= ومن أهمها: انتقادهم فيما ذهبوا إليه في مسألة وجود الله سبحانه، حيث تمسّكوا ـ ما عدا الأول منهم ـ بمذهب الفلاسفة في تلك المسألة، ودافعوا عنهم، وردُّوا على الإشكالات الواردة عليهم. فناقشهم مصطفى صبري نقاشاً طويلاً، وردَّ على أقوالهم، وعابَ عليهم مذهبهم في تلك المسألة، ولما انتهى من نقدهم قال ما نصه: «فلو كان أساتذتنا الأجلاّء المعنويون مثل: التفتازاني، والشريف الجرجاني، والجلال الدواني، والسيالكوتي، والكلنبوي أحياء لَلَفَتُّ أنظارهم إلى هذه النقطة، وأحسبهم ما كانوا يرفضون لفت تلميذهم من وراء الأعصار المتأخرة». موقف العقل: ٣/ ٢٣٠.

(١) لعضد الدين الإيجي.

(٢) للشريف الجرجاني.

(٣) لعضد الدين الإيجي.

(٤) للجلال الدواني.

(٥) يقول مصطفى صبري: إنَّ هذين الكتابين أي: شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية، وحاشية المحقق الكلنبوي على شرح الشرح؛ كانا من الكتب المدرسية المعتبرة في المعاهد الدينية ببلادنا. انظر: المرجع السابق: ٤/ ٣٨٤.

(٦) للعلامة نجم الدين عمر النسفي.

(٧) أحمد بن موسى الخيالي شمس الدين، كان مدرّساً بالمدرسة السلطانية في =

شرح التفتازاني، وحاشية الفاضل السيالكوتي على حواشي الخيالي على شرح التفتازاني، وتعليقات المحقق الكلنبوي على حواشي السيالكوتي، ورسالة (مفتاح باب الموجهات)[1]، وكتاب (مقاصد الطالبين) وشرحه، و(شرح الشمسية)[2]، وحاشية المحقق الدواني على كتاب (تجريد الكلام)[3].

ومن الكتب التي قرأها أيضاً في هذا المجال: (جواهر العقائد) وهي منظومةٌ نونيةٌ معدودة من المتون الكلامية لخضر بك[4] الذي جمع فيها مسائل أصول الدين، وقد أُعجب مصطفى صبري بهذه المنظومة وحفظها، وكثيراً ما كان يستشهد بأبياتها أثناء مناقشاته في كتبه ومقالاته.

رابعاً ـ مجال العلوم الإنسانية:

لقد تابع مصطفى صبري الإنتاج الفكري في مجال العلوم الإنسانية (التاريخ، والاجتماع، وعلم النفس) وقرأ لمجموعةٍ من العلماء والمفكرين في هذه التخصصات، مما أكسبه خبرةً جيدةً في هذا المجال، ظهرت آثارُها

= (بروسة) بتركية، ثم في (أزنيق)، ولد سنة (٨٢٩هـ)، له كتبٌ منها: (حاشية على شرح السعد على العقائد النسفية)، توفي سنة (٨٦٢هـ). محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ـ الفوائد البهية في طبقات الحنفية، ص٤٣.

(١) للكلنبوي.

(٢) وهي لسعد الدين التفتازاني.

(٣) للنصير الطوسي.

(٤) خضر بك: عالم تركي وشاعر، وفقيه في العلوم الإسلامية، ولد سنة (١٤٠٧م)، تعلَّم على الملاّ محمد يكن، تولّى منصب القضاء في الآستانة سنة (١٤٥٤م)، ومن أهم آثاره: منظومة نونية تُعَدُّ من أهم المتون الكلامية، توفي سنة (١٤٥٨م). الموسوعة العربية الميسرة: ١/ ٧٥٨.

في كتاباته التي عُنِيَ فيها بالأحداث والوقائع التاريخية، وعُنِيَ فيها أيضاً:

أ ـ بالتحليل النفسي والاجتماعي لعقليات كثيرٍ من الأشخاص الذين يدخل معهم في النقاش.

ب ـ وبالتحليل المنطقي للمشكلات التي تناولها بالبحث والدرس، للوصول إلى أصل الداء، ومن ثَمَّ وصف الدواء.

ومن الكتب التي قرأها في مجال التاريخ: كتاب (الفتوحات الإسلامية)[١] في التاريخ الإسلامي، و(تاريخ التمدن الإسلامي)[٢]، و(تاريخ الدولة العلية العثمانية)[٣] في التاريخ العثماني، و(تركية والتنظيمات) لـ أ. دانكلهارد[٤] الذي أَلَّفه باللغة الفرنسية سنة (١٨٨٢م) للبحث في تاريخ تطورات وإصلاحات الدولة العثمانية منذ عهد السلطان محمود الثاني، وقام بترجمته إلى اللغة التركية علي رشاد بك سنة (١٩١٢م)[٥]، وكتاب (حاضر العالم الإسلامي)[٦] وقد ذكر مصطفى صبري أنه قرأه بكامله من ترجمته العربية، وقرأ تعليقات الأمير شكيب أرسلان عليه[٧].

---

(١) لأحمد زيني دحلان.
(٢) لجرجي زيدان.
(٣) لمحمد فريد بك المحامي.
(٤) هو سفير فرنسة لدى تركية سنة (١٢٩٧هـ= ١٨٨٠م).
(٥) انظر: موقف العقل: ١/ ٨١.
(٦) للوثروب ستودارد.
(٧) انظر: المرجع السابق: ١/ ٨٧، ٩١.

ويمكن أن يُلحق بهذا المجال كتاب (الخلافة أو الإمامة العظمى) لمحمد رشيد رضا (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م) الذي امتدحه مصطفى صبري، وامتدح كتابه المذكور، فقال: «وأما كتابُ صاحبِ المنار ففي غايةِ الإفادةِ والإجادةِ كما يُتوقع من مؤلفه، الذي هو فارسٌ خطير في أمثال هذا الميدان.. فلله دره في تحقيق المقام، واجتهاده في إحياء منصب الخلافة الصحيحة»[١].

ومن الكتب التي قرأها في مجال علم الاجتماع: (مقدمة ابن خلدون (٧٣٢ـ٨٠٨هـ)، وكتاب (المذاهب الاجتماعية الحديثة)[٢].

ومن الكتب التي قرأها في مجال علم النفس: كتابا (الدروس النفسية) و(دروس الروحيات)[٣]؛ وقد تَرجم الثاني منهما إلى اللغة التركية الأستاذ محمد علي عيني[٤]، الذي امتدحه مصطفى صبري وقال عنه: إنّه «من فضلاء

---

(١) النكير على منكري النعمة، ص٥ ـ ٦.
(٢) لمحمد عبد الله عنان.
(٣) وهما لـ(أ. رابو).
(٤) محمد علي عيني: ولد في قرية (سرفيجة) بمقاطعة مناستر عام (١٨٦٨م)، تخرَّج في المدرسة العالية بإستانبول عام (١٨٨٨م)، شغل عدة مناصب سياسية وعلمية في مختلف الولايات العثمانية، كان آخرها رئاسة لجنة تصنيف المكتبات بإستانبول، توفي في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٤٥م) وخلّف مجموعة ضخمة من المقالات والكتب والتصانيف.
Ismail Kara - Türkiye'de Düsüncesi, Cilt 2. S47 - 48.

كتاب الترك الأفذاذ»[١]. وكتاب (الطب الروحي)[٢]، والقسم الأول الخاص بعلم النفس من كتاب (مبادئ الفلسفية)[٣]، وقد ترجمه إلى اللغة التركية الأستاذ التركي أحمد نعيم بك[٤] وأضاف إليه تعليقات من عنده.

خامساً ـ المجال الصحفي:

لم يقتصر مصطفى صبري على قراءة الكتب والمؤلفات، بل إنّه أولى الصحف والمجلات قسطاً كبيراً من اهتمامه، فقد حرص منذ صغره على قراءة كل ما يُنشرُ في الصحافة من أبحاث ومقالات وتحليلات، سواء أكانت علمية أو سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، ودأب على متابعة الكثير من الصحف والمجلات، سواء أكانت تركية أم عربية[٥]، ووقف منها موقف القارئ الحذر

---

(١) موقف العقل: ٣/ ٤٣٦.

(٢) لمظهر عثمان بك.

(٣) لعالم النفس الفرنسي (جورج ل. فونس غريو).

(٤) أحمد نعيم بابان زاده بن مصطفى ذهني باشا: عالم وفيلسوف، ولد ببغداد عام (١٢٩٠هـ ـ ١٨٧٢م)، قَدِمَ إلى إستانبول، وعَمِلَ مدرّساً في كلية الآداب بدار الفنون (جامعة إستانبول حالياً) منذ عام (١٩١٤م)، وظلَّ بها إلى أن أُحيل إلى التقاعد عام (١٩٣٣م)، له مقالات عديدة في مجلّة (صراط مستقيم)، ومن مؤلَّفاته: (القومية في الإسلام). توفي في ١٣ آب (أغسطس) (١٩٣٤م).

Ismail Kara - Türkiye'de is Asmcilik Düsüncesi, Cilt 1. S275 - 276.

(٥) منها على سبيل المثال لا الحصر: جريدة (طنين) و(أقشام) و(إيلري) و(بيام صباح) وهي صحف تركية، أما العربية فمنها: جريدة (الأهرام) و(المقطم) و(منبر الشرق)، ومجلة (الفتح) و(الأزهر) و(الرسالة) و(المنار) و(الهداية الإسلامية).

الناقد، ولا سيما بعدَ حدوث الانقلاب الكمالي، وإسقاط الخلافة الإسلامية.

ومما لا شك فيه أنَّ اطلاعاته الواسعة في هذا المجال تُعَدُّ مصدراً مهماً من المصادر التي اسْتَمَدَّ منها ثقافته وتكوينه الفكري، ذلك أنه استفاد من تلك الاطلاعات فوائد عديدة من الناحية الفكرية، منها:

١ـ أنه اكتسب خبرةً صحفية جيدة، أفادته عند عمله في مجال الصحافة.

٢ ـ أنه تكَوَّنت لديهِ معرفة تامة بالجو الثقافي والفكري الذي كان يُحيط به[١]، من حيث إنه اطَّلَع على التيارات والمذاهب الفكرية المعاصرة، وتَعَرَّف اتجاهاتِ كثيرٍ من الكُتَّاب والمفكرين المعاصرين، من خلال متابعته لأبحاثهم ومقالاتهم، كما تَعَرَّف اتجاهاتِ كثيرٍ من الصحف والمجلات من خلال متابعته لما تَبُثُّه من أفكارٍ ونظريات.

٣ـ كما أن قراءاته واطلاعاته الواسعة في هذا المجال ربطته ربطاً محكماً بكل ما يَعْتَمِلُ في مجتمعه من وقائع وأحداث، حيث إنّه استطاعَ عن طريق الصحف والمجلات أن يتابعَ تلك الوقائع والأحداث، وأن يَطَّلعَ على كل ما يُطرح حولها من أفكار وآراء.

٤ ـ كما أن قراءاته واطلاعاته تلك أثارت في نفسه كثيراً من الإشكالات في المسائل والقضايا التي كانت تُطرح على صفحات الجرائد والمجلات، ودَعَتْهُ إلى الدراسة والبحث والتفكير في تلك المسائل، والإسهام فيها إسهاماً

---

(١) سواء كان في موطنه تركية، أو في مهاجره المتعدّدة.

فَعَّالاً بفكره وقلمه، فحرر عشرات المقالات في مختلف الموضوعات، وناقش كِبَار الكُتَّاب والمفكرين.

وبعد فهذه نماذج لقراءات مصطفى صبري واطلاعاته في كل مجال من المجالات المذكورة سابقاً، وهي بالطبع غير قراءاته للكتب التي كانت تَحْمِلُ بين طَيَّاتِها أفكاراً لا يرتضيها ولا يُجيزها، فهو قد قرأَ كتباً كثيرة من هذا النوع، وَرَدَّ عليها جملةً وتفصيلاً، وناقش مؤلفيها نقاشاً طويلاً[1].

* * *

---

(١) ولا يتَّسع المجال هنا لذكرها جميعاً، ولكن نذكر على سبيل المثال: (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق، و(تحرير المرأة) لقاسم أمين، و(الخلافة وسلطة الأمة)، لعبد الغني سني، و(براهين الرحمة الإلـٰهية) لموسى جار الله، و(الفصوص) لابن عربي، و(مصر الإسلامية) لمحمد عبد الله عنان، و(القوة والمادة) لبوخنر، و(الأفكار والعقائد) لجوستاف لوبون.

المَصْدَرُ الخَامِسُ

الأسفار والتّنقّلات

عرفنا ـ فيما سبق ـ أنّ مصطفى صبري هاجر من وطنه تركيـة مرتين: الأولى في عهد الاتحاديين، والثانية في عهد الكماليين، وأنه تَنَقَّلَ خلالهما بين بلاد عديدة[1].

وتُعَدُّ تنقلاته وأسفاره تلك بحدّ ذاتها مصدراً من مصادر ثقافته وتكوينه الفكري، ذلك أنه استفاد منها فوائد جمّة أسهمت في تكوينه الفكري، منها:

١ ـ أنه أُتيحت له الفرصة للاتصال بالشخصيات الإسلامية المهمة من العلماء ورجال الفكر[2]، والاحتكاك بهم، والأخذ عنهم، والاستفادة من

---

(١) راجع ص١٣٦ وما بعدها من هذا الكتاب.

(٢) أمثال الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت في لبنان، والشيخ خليل القازاني مفتي مسلمي رومانية في رومانية، والشيخ الحافظ محمد نوزاد مفتي تراقية الغربية اليونانية المسلمة في اليونان، الذي حزن عليه مصطفى صبري كثيراً لما سمع بخبر وفاته، وكتب رثاء له في مجلة (الفتح) في العدد (٦٨٧) الصادر في ٢٤ ذي القعدة عام (١٣٥٨هـ)، ص٥، تحَدَّث فيه عن علمه وورعه وغيرته على الإسلام، وجهوده في خدمته، ومجاهدة أعدائه من الملاحدة والمغرضين.
والشيخ محمد الخضر حسين، ويوسف الدجوي، وحسن البنا، وعبد المجيد=

علمهم وفكرهم في مختلف المجالات والميادين، وخاصة المجال العلمي، وميدان الجهاد الفكري والسياسي.

٢ ـ **أنه أُتيحت له حرية التكلم والخطابة والتأليف والكتابة**، بعد أن كان يفتقد ذلك إلى حد ما في عهدي الاتحاديين والكماليين.

٣ ـ كما **أُتيحت له الفرصة لتقوية لغته العربية**، بسبب إقامته في البلاد العربية واتصاله بِكُتَّابِها ومفكريها، مما أعانه على تأليف كتبه العربية، وتحرير مقالاته ونشرها في الصحف العربية.

٤ ـ أنه استفاد من ناحية **اكتساب الخبرة واتساع الأفق**، حيث انتقل من الأفق التركي المحدود والمقصور على دولة واحدة إلى أفق عالمي يشمل جميع المسلمين في الوطن الإسلامي الكبير.

٥ ـ **كما استفاد من ناحية الاطلاع** ـ عن طريق المشاهدة والتجربة ـ **على واقع العالم الإسلامي**، خارج حدود الدولة العثمانية[1]، والاتصال بشعوبه، ودراسة أحواله الدينية والاجتماعية والسياسية، وما يشيعُ فيها من عوامل القوة والنشاط، وما يَدبُّ فيها من نواحي الضعف والفساد دراسة دقيقة.

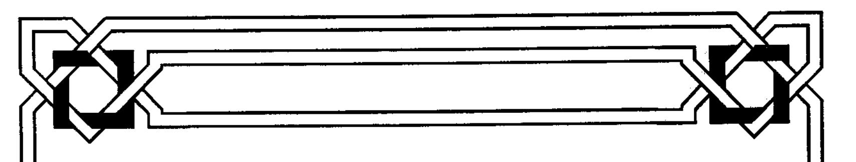
وقد استفاد مصطفى صبري من هذه الدراسات حيثُ جعلها أساساً

= اللبان، والدكتور عبد الوهاب عزام، والأستاذ محب الدين الخطيب، والأستاذ فؤاد عبد الباقي في مصر، وغيرهم كثير.

(١) بعد أن كانت اطّلاعاته في هذا المجال مقصورة على القراءة في الكتب والصحف والمجلاّت.

لمناقشة بعض القضايا الدخيلة على العالم الإسلامي، ومعالجة بعض الأفكار المنحرفة التي شاعت بين الأوساط المتعلمة، وسجَّل نتائج تلك الدراسات، فحلل أصل الداء، ثم وصف الدواء المتمثل في العودة إلى دين الله عـودةً صحيحةً، والتمسك بكتابه وسنّة نبيه ﷺ، وترك التقليد للغرب ومذاهبه المنحرفة الضالة.





الفصل الرابع

الإنتاج الفكري لشيخ الإسلام مصطفى صبري

- تمهيد .
- كتبه .
- أبحاثه .
- مقالاته .
- أشعاره .



الفَصل الرابع

الإنتاج الفكري
لشيخ الإسلام مصطفى صبري

تمهيد:

كان مصطفى صبري مدرسةً فكريةً قائمةً بذاتها تُمَثِّلُ نمطاً خاصاً من التفكير والتفاعل مع المحيط والظروف، ولقد أسفرت الأنشطةُ العلميةُ والسياسيةُ التي قام بها؛ وجهاده المتواصل في ميداني الفكر والسياسة، والظروف والتقلبات السياسية الخطيرة التي مَرَّ بها في مراحل حياته المختلفة؛ عن نتائج فكرية كثيرة ومُتَنوِّعة، تُشكل مادةً خصبةً للبحث والدراسة.

ومما لا شك فيه أنَّ الحديثَ عن إنتاجه الفكري أمرٌ مهمٌّ لكي تكتمل أمامنا الميادين التي ارتادها، وأسهم فيها، من أجل القيام بواجبِه في خدمة الإسلام، والانتصار لقضاياه المختلفة؛ وقبل البدء في ذلك لابدَّ من ملاحظة الأمور التالية:

١ ـ أنه على الرغم من الظروف الصعبة التي مَرَّ بها مصطفى صبري في حياته من شدة الحال، وعظيم النضال، مع ما تخلله من اعتقالٍ، وهجرتين تَغَرَّبَ خلالهما في بلادٍ عديدة، قاسى فيها من شِدَّةِ الفقرِ ومضايقة أعداء الدين الشيء الكثير، أقول على الرغم من تلك الظروف الصعبة، والسنين والأزمنة الحرجة، فقد استطاعَ أن يُخَلِّف وراءه تُراثاً فكرياً جيداً.

٢ ـ أنه بدأ في الكتابة والتأليف منذ سنة (١٣١٦هـ= ١٨٩٨م)، واستمرَّ في ذلك إلى وفاته، حيثُ استغرقَ في ذلك قرابةَ سبعة وخمسين عاماً، أي أكثر من نصف قرن، ومع أنه بدأ في الكتابة والتأليف مُبكراً إلا أنّه يُلاحظ أن أكثر إنتاجه الفكري كان في الفترات التي ظَلَّ فيها بعيداً عن النشاط السياسي.

٣ ـ أنَّ كثيراً من إنتاجه الفكري مازال منثوراً هنا وهناك، بعضُه لم يُنشر، وبعضه الآخر نُشر مُفَرَّقاً في كثير من الصحف والمجلات العربية والتركية.

٤ ـ إنَّ النظرةَ الفاحصة لذلك التراث الفكري تدلُّ على أنَّ مصطفى صبري كان غزيرَ الكتابة، كثير البحث، دائب النشاط، صاحب جلَدٍ وصبرٍ على البحث في معضلاتِ المسائل وتحليلها وتدقيقها، كما تدلُّ على أنه واسع الاطلاع، متشعب المعارف، فقد كتب في العقيدة والفقه وأصول الفقه والفلسفة وعلم الكلام واللغة العربية وعلومها وآدابها والتاريخ والسياسة وعلم النفس وعلم الاجتماع، وطَرَقَ أيضاً مجالَ الصحافة، مُنشئًا لها وناشراً ورئيسَ تحريرٍ، ونَظَمَ القصائد العربية والتركية.

ولكي نُحيط بإنتاجه الفكري الذي تَحصَّلنا عليه لابد لنا من تصنيفه في أربعة أقسام هي:

١ ـ كتبه.
٢ ـ أبحاثه.
٣ ـ مقالاته.
٤ ـ أشعاره.

* * *

أوّلاً: كتبه

لقد كان مصطفى صبري مؤلفاً بارعاً، مُتنوّع الثقافة، يَغلبُ على تأليفه الطابع العلمي والبحث العميق، وقد حذقَ فنَّ التأليف وأجاده، ولذا خَلَّف ـ بانكبابه على البحث والكتابة ـ مؤلَّفاتٍ قَيِّمةً في مجالات متعددة، وذلك حسب ما اقتضته الحاجة، ووفقاً لصراعات البيئة الفكرية التي عاشَ فيها، فقد أَولَى اهتمامه كثيراً من القضايا المُثارة في البلاد الإسلامية في وقته، واستفاد من تطور حركة الترجمة للعلوم المختلفة في عهدِه، ونَهَلَ منها، فانطلق ذلك على أطراف قلمه وفي كتبه.

وقد بلغت مؤلفاته سبعةَ عشرَ كتاباً؛ منها المطبوعُ، ومنها المخطوطُ، عالجَ فيها الكثير من القضايا الدينية والسياسية والاجتماعية والتاريخية والأدبية.

وسوف أتناولُ هذه الكتب ـ مُعَرِّفاً إياها، ومبيِّناً عدد طبعاتها، وأسباب تأليفها ومحتوياتها ـ مرتبةً بحسب تاريخ طباعتِها للمرة الأولى، لا بحسب موضوعاتها، وذلك لكي نَتَعرَّفَ التطوُّرَ الفكري الذي مَرَّ به مصطفى صبري. ولكنّي أُريدُ قبلَ ذلك أن أُنوِّه ببعضِ الملاحظات المُتعلِّقة بكتبه عامة، وهي ما يلي:

١ ـ أن مصطفى صبري قد استلهم موضوعات كتبه ـ في الغالب ـ من

الأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية التي عايشها بنفسه، وَوُجِد بينها، فَتَخيَّر موضوعات كتاباته منها، كما أنّه تفاعل مع أحداث أمته الإسلامية، فظهر أثر ذلك في كتبه العربية والتركية.

٢ ـ أن كتبه تَتَّسم ـ في الغالب ـ بالتحليل المنطقي للأفكار والقضايا التي أخذ على عاتقه معالجتها، وإيضاح رأي الإسلام فيها.

٣ ـ كما أن دراساته في كتبه غالباً ما تكون دراسات نقدية تَتَّخذ طابع النقد القوي، وغالباً ما يكون هذا النقد لاذعاً وصريحاً.

٤ ـ أنه التزم في كتبه مسلكاً فكرياً ومبدأ إسلامياً، لم يَحِدْ عنه طوال حياته.

٥ ـ أنه في الغالب لم يُقسم كتبه ومؤلفاته إلى أبوابٍ وفصول كما جرت عليه العادة عند كثير من المؤلفين المُحْدَثين، بل سردَ مباحثَ كتبه سرداً متوالياً على شكل فِقْرات أو نقاط، لكلٍّ منها عنوان مستقل، هذا بالإضافة إلى أنه كثيراً ما تتداخل المباحث التي يَعقدها في كتبه، ودائماً ما يُردد الكلام، ويُكرره أكثر من مرة، وفي أكثر من موضع، ويستطرد في بعض الجزئيات الصغيرة عند معالجة القضايا الرئيسة، فَتراهُ يَتكلم على مبحث بكلامٍ خاص بمبحث آخر، وهذا من أهم ما يُؤخذ عليه في هذا الجانب[1].

٦ ـ أنه تَعقَّب في كتبه الفكر الإسلامي الحديثَ[2] بالنقد والتحليل،

---

(١) وهذا أيضاً ما أتعبني كثيراً عند التعريف بكتبه وبيان محتوياتها.

(٢) مرادي هنا من الفكر الإسلامي الحديث، هو ما أنتجه المفكّرون المسلمون في=

واستمدَّ مادته مما تُخرجه المطابع من كتبٍ وصحفٍ ومجلات، وبذلك صار لكتبه ـ إلى جانب قيمتها الفكرية الإسلامية ـ قيمةٌ تاريخيةٌ، إذ أصبحت سجلاً حافلاً بالحياة الفكرية المعاصرة، وزاد في قيمتها من هذه الناحية أنه قد جرى في كل كتبه على نقل النصوص التي يُعارضها كاملة قبل أن يَتولى الرد عليها[1].

ونظراً لكون كتب الشيخ منها ما هو مؤلف باللغة العربية، ومنها ما هو مؤلف باللغة التركية، فإنه يَحسنُ بنا تقسيمها إلى هذين القسمين:

* * *

= العصر الحديث من فكر بشري في مختلف المجالات الإسلامية: في الفلسفة، والعقيدة، والفقه وأصوله، والتصوف، والعلوم الإنسانية...

(١) انظر: د. محمد محمد حسين ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: ٣٤٣/٢.

القِسْمُ الأوَّلُ

كتبه باللغة التركيَّة

أ ـ الكتب المطبوعة:

للشيخ مصطفى صبري سبعةُ كتبٍ مطبوعةٍ باللغة التركية؛ هي:

١ ـ كتاب (المسائل التي هي هدف المناقشة في الإسلام)[١]:

طُبِعَ هذا الكتاب بإستانبول لدى دار سبيل للنشر والتوزيع سنة (١٩٨٤م) ويقع في مجلدٍ واحدٍ، ويشتمل على ٢٠٨ صفحات من الحجم المتوسط، وهو في الأصل مجموعةٌ من الأبحاث كتبها الشيخُ بخصوص بعض القضايا والمسائل الاجتماعية والاقتصادية التي كَثُرَ حولها الجدل والنقاش ـ آنذاك ـ في تركية بين الكُتَّاب المتفرنجين من جهة والمحافظين من جهة أخرى، وقد تناول تلك المسائل بما هو معروفٌ به من دِقَّة البحث، وقوة المنطق، وغزارة العلم، فوفّاها حقَّها من حيث إيضاح وجهةِ نظر الإسلام فيها، والرد على المتفرنجين المُولَعين بالغرب وعلومه، ونَشَرَها في مجلة (بيان الحق) التركية، التي كان يَرأَسُ تحريرها، وذلك في مقالات متسلسلة مفرقة على أعداد المجلة ابتداءً من العدد الثالث الصادر في ٢٣ من شهر رمضان سنة (١٣٢٦هـ) الموافق ١٩

---

(١) وهذه هي الترجمة الحرفية لاسم الكتاب الذي ورد باللغة التركية، ونصه: **(دين إسلامده هدف مناقشة أولان مسائل)**.

تشرين الأول (أكتوبر) (١٩٠٨م)[١]. وقد بادرَ الأستاذُ (قدير مصر أوغلو) صاحب مجلة ومطبعة (دار سبيل) بإستانبول إلى جَمْعِها في كتاب مستقل، ثم طَبَعَها بالحروف اللاتينية[٢] تحت اسم (الأجوبة الشرعية بخصوص بعض المسائل)، وقد نَقَل الكتاب من الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية الأستاذ (عثمان نوري قيورسي).

محتوياته:

قَدَّم مصطفى صبري لكتابه بمقدمةٍ ذكر فيها أسبابَ تأليفه، وهي أنَّه لاحظ أنَّ كثيراً من الكُتَّاب ينتقدونَ الأحكام الشرعيّة المتعلّقة ببعض المسائل الاجتماعية والاقتصادية مثل: مسألة تعدد الزوجات، والحجاب، والطلاق، وتقسيم الإرث، والزكاة، والربا، والتأمين، والقمار، والموسيقا والغناء، وغيرها.

وقد صَنَّف هؤلاء المنتقدين صنفين:

الأول: كُتَّاب يعارضون هذه الأحكام الشرعية ويُنكرونها.

وأما الثاني: فَكُتَّاب يؤمنون بالأحكام الشرعية؛ ولكنهم يرونها عيباً في الإسلام ونقصاً فيه، ولذا هم ينتقدونها، ويسعون إلى تغييرها لكي تتلاءم مع النظم الغربية.

---

(١) راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٨٦.

(٢) وذلك ليتمكّن الأتراك الحديثون ـ الذين لا يُجيدون اللغة العثمانية ـ من الاستفادة من مباحث الكتاب المهمة.

ثم أكـد أنّه يجبُ على كلٍّ مسـلمٍ الإيمان بجميع الأحكـام الشرعيـة والتزامها واعتقاد صحتها، وتكلّمَ عن الجهود الكبيرة التي بذلها علماء الإسلام من أجل الحفاظ على تلك الأحكام، وصيانتها من التحريف والتبديل، ثم انتقل إلى مقصدِه الأصلي من هذه المقدمة، وهو إثبات موافقة الأحكام الشرعية لمقتضى العقل والحكمة.

وبعد المقدمة يَدخل في صلب الكتاب فيبدأ:

أولاً ـ بمسألة تعدد الزوجات:

ويُقرر أنَّ مبدأ تعدد الزوجات قد ثَبت بالكتاب والسنة والإجماع، وأنه جائزٌ إذا توافرت فيه الشروط التي من أهمِّها إقامةُ العدل بين الزوجات، ثم تكلّم على الحكمة في مشروعية التعدد، وَرَدَّ على المنكرين له، وفَنَّد مزاعمهم ودعاويهم، ونَبَّه في الأخير على أنَّ تعددَ الزوجاتِ ليس واجباً في الإسلام بل هو جائزٌ، أمّا الواجبُ فهو الإيمان بهذا الجواز.

ثانياً ـ مسألة الرسم والتصوير:

تكلَّم فيها على موقف الإسلام من التصوير، وأورد النصوص الشرعية الدالة على تحريمه، واستثنى من ذلك الصورَ التي لم تَتَبيَّن أعضاؤها أو يَنقُصها بعض الأعضاء، كتصوير النصف الأعلى من جسم الإنسان للحاجةِ، ثم بَيَّن الحكمةَ من التحريم، وناقشَ فوائد التصوير مع مفاسدها من الناحية العقلية والمنطقية، مُنبّهاً على أنَّ التصويرَ من الأمور التي أخذناها من الغربيين اتباعاً وتقليداً لهم.

ثالثاً ـ مسألة الطلاق :

بَسطَ فيها الكلام عن الطلاق وأنواعه وأحكامه، وذلك في ضوء النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وتَطَرَّق لبعضِ المسائل المتعلقة بالطلاق، مثل الصداق، والرجعة، والعدة، ومدتها، والحكمة منها.

وبيَّنَ الحكمةَ أيضاً من جعل الطلاق بيدِ الرجل لا بيدِ المرأة، وقارنَ بين موقفِ كلٍّ من الإسلام والنظم الغربية من المرأة، مبيّناً أهمية الدور الكبير الذي تقومُ به في المجتمع الإسلامي، وموضحاً مظاهرَ تكريمِ الإسلام وتقديرِه لها أُمّاً وزوجة وأختاً وبنتاً.

رابعاً ـ مسألة العمل ورأس المال :

تكلَّم فيها عن مكانة العمل في الإسلام، والسعي للكسب وطلب الرزق الحلال، سواء عن طريق التجارة، أو الصناعة، أو الزراعة، وأوردَ بعضَ النصوص الشرعية الدالة على قيمة العمل، وعلى أنَّ الكسبَ الذي يكسبه الإنسان من كَدِّه وعملِ يده أشرفُ أنواعِ الكسب، وتكلَّم على اهتمام الإسلام بالعاملين الكادحين، وأنّه جعلهم في منزلةٍ تفوقُ بكثير منزلةَ العابدين المنقطعين للعبادة.

كما تكلَّم على مدى حرص الإسلام على استثمار رؤوس الأموال بالطرق المشروعة، وذلك لتنمية اقتصادِ البلاد، ولضمان عدم اكتنازها وتعطيلها عن المقصد الأسمى الذي وُجِدَتْ من أجله، وهو إصلاحُ الأرضِ وعمارتها، وتحقيق استخلاف الإنسان فيها، ولضمان تأديةِ وظيفتِها في خدمة الفرد والمجتمع.

خامساً ـ مسألة الإرث:

تكلَّمَ فيها عن الإرث باعتبارِه طريقاً من طُرق التملّك والكسب الحلال، وبيَّن أنَّ الإسلامَ شرعَ الإرثَ طريقاً لانتقال الملكية، ولكنّه نَظَّمه بقواعد محددة وبفروضٍ مُعيَّنة لا يجوزُ الخروجُ عنها، ولا الزيادة والنقصان فيها، وقارن بين نظام الإرث في الإسلام، ونظام الإرث في القوانين الغربية الوضعية، مُمَثَّلَةً بالقانون الإنكليزي، الذي يَضَعُ جميعَ التركة تحت تصرف الابن الأكبر للمتوفى، مبيّناً محاسنَ النظام الإسلامي ومساوئ القانون الإنكليزي.

سادساً ـ مسألة الزكاة:

تكلّم فيها على فرضية الزكاة في الإسلام، مبيناً شروطها وأحكامها، والأموال التي تَجِبُ فيها، والنصاب ومقدار الواجب فيه، وردَّ على من أنكر وجوبَ الزكاةِ بدعوى أنّه من الظلمِ أن يُخْرِجَ الإنسانُ من ماله الذي اكتسبه بِكدِّه وعرق جبينه اثنين ونصف بالمئة، ثم يُعطيه للغيرِ من دون وجهِ حقٍ، مبيناً الحكمةَ من مشروعية الزكاة والمصالح الكثيرة المُترتبة عليها، ثم تكلَّم عَرَضَاً عن الربا، وموقف الإسلام منه، وبَيَّن آثاره السيئة على الفرد والمجتمع.

سابعاً ـ مسألة الموسيقا والغناء:

تكلّم فيها عن موقف الإسلام من الغناء وما يصاحبه من آلات اللهو والطرب، وبَيَّن الحكمة من تحريم الإسلام لتلك المسألة، ثم أوصى أخيراً بالإكثار من تلاوة القرآن الكريم، وتَدَبُّرِ آياته؛ ففيها ما يُغنِي عن الاستماع إلى الموسيقا والغناء.

ثامناً ـ مسألة التأمين والقمار:

تكلَّم فيها على موقف الإسلام من التأمين، وناقشَ أصحاب الدعوى القائلة: بأنّه ليس في الفقه الإسلامي ما يقومُ مقام التأمين، وأنّه يجبُ تغيير الأحكام الشرعية وتعديلها لسد حاجاتِ المجتمعِ الضرورية. ثم طَرَحَ مقترحاتٍ عديدةً تُغني عن التأمين، وتقوم مقامه.

كما تكلّم على موقف الإسلام من القمار، وقارن بينه وبين التأمين، مبيناً الأضرارَ الناتجةَ عن كلٍّ منهما على الفرد والمجتمع.

تاسعاً ـ مسألة الحجاب:

تكلّم فيها على موقف الإسلام من الحجاب، ودَعَمَه ببعض النصوص الشرعية الدالة على وجوب الحجاب، وحثَّ النساءَ المسلماتِ على التزامه، وحذَّرهن من التبرُّجِ ومخالطةِ الرجالِ الأجانب، وحَثَّ المسلمين عموماً على الغَضِّ من أبصارِهم، وحفظ فروجهم عَمَلاً بنص القرآن الكريم[1]، وبيَّن الحكمةَ من إلزامِ النساء بالحجاب، وناقش دُعاة السفورِ، وَرَدَّ على دعاويهم التي يُغالِطون بها العقولَ والأفهامَ لترويج فتنتهم.

ثم استطردَ في الكلام، فَتَحدَّث عن بعض الإجراءات التي اتخذها الإسلامُ لردعِ المجرمين والمفسدين، ولتحقيق الأمن والاستقرار في الأمة

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

الإسلامية، فتطرَّق إلى القصاص في القتل، وبعض الحدود الشرعية كحد الزنى وقطع اليد في السرقة.

٢ ـ كتاب (رَدِّي على مافي القول الجيِّد من الردَى):

هو كتابٌ في البلاغة والأدب العربي ألَّفه مصطفى صبري سنة (١٣٢٧هـ ـ ١٩٠٩م) ونشره مُجَزَّأً ـ في مقالات متسلسلة ـ في مجلة (بيان الحق) في أكثر من خمسة وعشرين جزءاً، ابتداءً من العدد الحادي والثلاثين الصادر في ٩ جمادى الآخرة سنة (١٣٢٧هـ) الموافق لـ٢٨ يونيو (حزيران) (١٩٠٩م) وذلك تحت فقرة (انتقادات)[١]. وكان كلُّ جزءٍ من تلك الأجزاء يَتراوحُ ما بين ثلاث إلى أربع صفحات.

سبب تأليفه:

الكتابُ في مُجمله انتقادٌ لأحدِ العلماء الأتراك الكبار المتخصصين باللغة العربية وعلومها وآدابها وهو الشيخ (محمد ذهني أفندي)[٢]، وذلك في كتابه الذي ألَّفه باللغة التركية وسماه (القولُ الجَيّد في شرح أبياتِ التخليص وشرحيه وحاشية السَيِّد)، حيث جَمَعَ فيه الأبيات الشعرية الواردة في كلٍّ من

---

(١) راجع الملحق رقم (٧)، ص٤٨٧.

(٢) محمد ذهني بن محمد رشيد الإستانبولي: فقيه حنفي، عارف بالعربية، ولد سنة (١٢٦٢هـ= ١٨٤٦م)، كان عضواً في مجلس المعارف العثماني، له كتب عديدة منها: (الألغاز الفقهية) و(الحقائق)، توفي سنة (١٣٢٩هـ= ١٩١١م). الزركلي ـ الأعلام: ٦/ ١٢٣.

كتاب (تلخيص المفتاح) للخطيب القزويني (٦٦٦ ـ ٧٣٩هـ)، وشرحيه (المطول) و(مختصر المعاني) لسعد الدين التفتازاني، وحاشية السيد الشريف الجرجاني على (المطول) والتي بلغت ستَّ مئةٍ وستةً وعشرين بيتاً، وقد تناول ذهني أفندي كلَّ بيتٍ من تلك الأبيات، وفسَّر كلماته، وبيّن معانيه، ثم شرحه شرحاً إجمالياً، وبيَّن موضعَ الاستشهاد منه في الكتب المذكورة آنفاً، ومن أي بحور الشعر هو، واسم قائله مع الترجمة ـ بإيجاز ـ للقائل، ثم عَلَّقَ عليها مبيناً بعضَ ما تضمنته من طرائف أدبية، وانتقد ـ خلال ذلك ـ الخطيبَ القزويني، والعلاَّمة التفتازاني، والسيد الشريف الجرجاني، وعاب منهجهم بأنَّه صعبٌ جداً، وغَيرُ مفهوم، وطَعَنَ فيهم وفي مقدرتهم العلمية، ولا سيما العلاَّمة التفتازاني في كتابه (المطوّل)، وألقى بكتبهم وشروحهم وحواشيهم جانباً، ولم يَجِدْ فيها ما يَستحقُّ العناية والاهتمام، وزعمَ أنّها لا تَصلحُ لشيءٍ، وأنها لن تكونَ موضعَ استفادةٍ لأحدٍ، لأنّها لا تحمِلُ أيَّ اقتدارٍ علمي ولا تتضمنُ أيةَ قيمةٍ علميةٍ.

محتوياته:

لم يُقَسِّم مصطفى صبري كتابه إلى أبواب أو فصول، بل أورد مباحثه على شكل فِقْرات متسلسلة رَدَّ فيها على (محمد ذهني أفندي) ردّاً مُشبِعاً، ونقد كتابه نقداً علمياً:

١ ـ حيث انتصرَ فيه للعلماء الذين قَدح فيهم محمد ذهني أفندي، وأنكرَ عليه ما قاله فيهم وفي كتبهم، ثم امتدحهم مبيّناً علوَّ منزلتهم، وجلالَ قدرهم بين العلماء، وما قاموا به من جهودٍ كبيرة، وما قَدَّمُوه من خدماتٍ جليلة للإسلام وللغة العربية، ثم تكلَّم على القيمة العلمية لكتبهم وأبحاثهم، ولا

سيما كتابي (التلخيص) و(المطوّل)؛ مستشهداً على ذلك كلّه بما قاله بعض المؤرِّخين والأدباء فيهم[1].

٢ ـ ونَقَلَ ـ على طولِ الكتابِ ـ كثيراً من أقوال (محمد ذهني أفندي) التي أوردها في كتابه المذكور، وتَعقَّبَ كلَّ قطعة منها بتعليقةٍ انتقد فيها، ذاكراً الكثيرَ من الملاحظات المتعلقة بالأدب العربي، ومُحْصِياً عليه العديدَ من الأخطاء التي وقع فيها عند قيامه بشرح الأبيات، وإيضاح معانيها، وإعراب كلماتها، وتَعْيِينِ بحورها، ومبيناً الطريقة المُثْلى ـ في نظرِه ـ التي كان ينبغي عليه أن يسلكها[2].

٣ ـ كتاب (القيمة العلمية للمجتهدين المسلمين العصريين)[3]:

يقع هذا الكتاب في مجلدٍ واحد، ويشتمل على (١٦٨) صفحة من الحجم الكبير، وقد ألّفه مصطفى صبري في رومانية، وفرغ منه في ١٥ رمضان سنة (١٣٣٤هـ) الموافق لـ١٦ تموز (يوليو) (١٩١٦م)، وطُبِعَ بمطبعة الأوقاف الإسلامية بدار الخلافة العلية بإستانبول سنة (١٣٣٧هـ = ١٩١٩م).

---

(١) أمثال: المؤرِّخ الشهير ابن خلدون، وحاجي خليفة.

(٢) هذا وقد اطّلع محمد ذهني أفندي على هذا الردّ فأُعجِبَ كثيراً به، وقال: أنا فخورٌ بهذا الردّ، لأنّه كان ردّاً علمياً. انظر كلاً من: الملحق رقم (٢) ص٤٠٢، والملحق رقم (٥) ص٤٣٤.

(٣) هذه هي الترجمةُ الحرفيةُ لاسم الكتاب الذي ورد باللغة التركية، ونصّه: (يكي إسلام مجتهدلرينك قيمت علمية سي).

سبب تأليفه:

أمّا سببُ تأليفه: فهو أنَّ عالماً مسلماً من كبار علماء (قازان) في روسية يُدعى موسى جار الله[1] أَلَّفَ كتاباً باللغة التركيـة، وسـماه (رحمت آلـهيـة برهانلري) أي (براهين الرحمة الإلـٰهية)، ضَمَّنه كثيراً من الأفكار والنظريات المنحرفة التي من أهمها: أنه شذّ في مسألة خلود الكفار في نار جهنم ـ التي هي موضوع كتابه الرئيس ـ وسلك فيها مسلكاً خاطئاً، مخالفاً لِمَا ورد في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، فقد أنكرَ خلودَهم فيها، وزعم أنهم يُعذّبون فيها حيناً من الزمن، ثم يخرجون منها، وذلك بدعوى أنَّ العقلَ يَقضي باستحالةِ العذاب الأبدي، وأنَّ البشرَ ليس بوسعهم احتمال ذلك العذاب، وبدعوى أنَّ شمولَ الرحمةِ الإلـٰهيةِ وسعتها تَمنعُ بقاءَ الكفّار خالدين في نار جهنم. وجَمَعَ الآيات والأحاديث التي وردَ فيها ذكْر رحمة الله ولطفه بعباده، واستدلَّ بها على ما ذهبَ إليه، وأوَّلَ كثيراً من النصوص وطَوَّعَها بحيث تبدو متفقةً مع مذهبه. وتَهَجَّم على علماء السلف من المفسرين والفقهاء والمتكلمين، وزعمَ أنّهم قد اتجهوا بالعقيدة الإسلامية اتجاهاً خاطئاً، وسلكوا بها سُبُلاً ملتوية، غير

---

(١) موسى جار الله: فقيه روسي يُعرف بجار الله التتري، من كبار علماء روسية، ولد سنة (١٢٩٥هـ = ١٨٧٨م) بمدينة (روستوف) الروسية على نهر الدون، وتلقَّى علومه في المدارس الإسلامية بمدينة (قازان) ثم في بخارى، من أهمّ مؤلَّفاته: (الوشيعة في عقائد الشيعة) و(القواعد الفقهية)، توفي بالقاهرة سنة (١٣٦٩هـ = ١٩٤٩م). يوسف أسعد داغر ـ مصادر الدراسة الأدبية: ٣/٢٥٦.

موصلة إلى الوجهة الحَقَّة، وتكلّمَ عنهم بلهجةٍ تنمُّ عن سوءِ الأدبِ معهم، وقَلَّةِ الاحترام لهم، وأخَذَ في المقابل يَنظرُ إلى الغرب بإعجابٍ بالغٍ، مُقدِّراً علماءه، ومُجلاً لهم.

وأخذ على عاتقه إثارةَ الشك وسوءَ الظن بكتب علماء السلف، مثل كتب الفقه والتفسير، وعمل على إخراجها من حيِّزِ الاعتداد والاعتماد، واستعانَ في المقابل بكتب الصوفية، واعتمد كثيراً على أقوالهم، مثل: كتاب (فصوص الحكم) و(الفتوحات المَكِّية)[١]، و(المثنوي)[٢] و(الرسالة القشيرية)[٣].

واتّهم علماءَ السلف بالتأويل، واحتكر لنفسِه شرفَ التمسك بظواهر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ثم ناقضَ نفسَه لَمّا واجَهتُه النصوصُ الكثيرةُ المحْتَشِدَة في الكتاب والسنة، الدالة على خلاف ما ذهب إليه في مسألة الخلود في النار، حيثُ اضطر إلى تأويلها تأويلاً مُتَعسِّفاً، أخرجَها عمّا سِيقَت له، وأبدى حولها آراءً وملاحظاتٍ معلولة ومضطربة.

ومن شطحاته أيضاً: أنّه بعدما قَذَف بالعلماء من المفسرين والفقهاء والمتكلمين خارج حدود الاحترام والاعتبار، قَدَّمَ الشاعر أبا العلاء المعري لكي يَقتدي به المسلمون في أهم المباحث الإسلامية، وَوَصفه بأنه (إمام الإسلام) تارةً، و(فيلسوف الإسلام) تارةً أخرى، مع أنّ له أقوالاً جريئة،

---

(١) لمحيي الدين بن عربي.
(٢) لجلال الدين الرومي.
(٣) للإمام القشيري.

تَعَدَّى فيها على الأديان عموماً، وعلى الإسلام بوجهٍ خاص[1].

وقد انتشر هذا الكتاب انتشاراً واسعاً بين مسلمي روسية وتركية ورومانية، وأثار حوله ضجةً كبيرة، ونقاشاً طويلاً بين الناس، مما أحدث تشويشاً للأفكار، وزعزعةً للعقائد عند كثيرٍ من الشبان المسلمين في تلك البلاد. لذا ألَّف مصطفى صبري كتابَه هذا لمناقشة موسى جار الله، ونقد كتابه، والردّ على كل ما ورد فيه[2].

محتوياته:

نظراً لكثرة مباحث هذا الكتاب وتشعبها، فإنِّي رأيتُ ـ تسهيلاً على القارئ الكريم ـ تقسيمَه إلى ثلاثة أقسام رئيسة؛ هي:

التقديم، وصلب الكتاب، والخاتمة.

أ ـ التقديم:

وتندرج تحته ثلاثُ فِقْرات؛ هي:

١ ـ التصدير:

صَدَّرَ الشيخُ كتابه بصفحةٍ واحدةٍ عَنْونَها بـ(كلمة صغيرة) بَيَّن فيها لِقُرَّاء

---

(١) راجع في هذا كلاً من: صلاح الدين الصفدي ـ الوافي بالوفيات: ٧/ ١١٠؛ وياقوت ـ معجم الأدباء: ٣/ ١٦٥؛ ومحمد حمادي ـ المعرّي وجوانب من اللزوميات، ص٢٤.

(٢) لتأليف هذا الكتاب قصة عجيبة، للاطلاع عليها راجع الملاحق رقم (٣) ص٤٠٩، و(٥) ص٤٣٤.

كتابِه أهميةَ مسألةِ (الخلود في النار) التي كَثُرَ حولها الجدل والنقاش.

٢ ـ التوطئة:

ثم كَتَبَ توطئةً حَلَّلَ فيها شخصيةَ مناظِرِه (موسى جار الله) تحليلاً دقيقاً، وعَرَضَ فيها للقرّاء النتيجةَ التي وَصَلَ إليها من خلال مطالعته لكتبه الأخرى وأفكاره وآرائه.

٣ ـ المقدمة:

ثم أَعْقَبَ ذلك بمقدمةٍ طويلةٍ عَرَضَ فيها مذهبَ مناظِرِه في مسألة الخلود في النار، الذي أرادَ إثباته في كتابه (براهين الرحمة الإلـٰهية)، وبَيَّن منهجَ البحثِ والتفكيرِ الذي سلكه مناظِرُه في تلك المسألة، ومَبْلَغ الأدلةِ التي سيسردها من حيث القوة والوضوح، والمآخذ التي أخذَها عليه، مع نقلِ بعضِ أقواله من كتابه المذكور.

ب ـ صلب الكتاب:

ثم دخل في صلب الكتاب، وقَسَّمَ المزاعمَ التي أوردها مُنَاظِرُه إلى ثلاثة أقسام، وتناولَ كلَّ قسم منها على حِدَة بالنقد والتحليل.

فبدأ **بالقسم الأول**: **وهو الزعم بأن الكفار لا يُخَلَّدُون في نار جهنم، بل يُعَذَّبُون فيها حيناً من الزمن، ثم يُخْرَجُون منها**، وناقشه فيه نقاشاً علمياً، وردَّ على جميع الأدلة التي استدل بها لتأييد هذا الزعم، وذلك على النحو التالي:

١ ـ ذكر الآيات القرآنية التي استدل بها مناظره، وهي سبعُ آيات، أوردها

مرقمةً بالتسلسل، وأوردَ مع كلِّ آيةٍ منها وجه استدلاله[1] بها، وذلك نقلاً عن كتابه المذكور، ثم رَدَّ على ذلك الاستدلال رداً تفصيلياً، ثم سرد الآيات القرآنية الدالةِ على خلود الكفار في نار جهنم، والتي بلغت إحدى وستين آيةً، وأوردها مرقمة بالتسلسل، ثم عَلَّقَ على كل آية منها بما رآه مناسباً للمقام.

٢ ـ ذكر الأحاديث النبوية التي استدل بها مناظره، وهي خمسةُ أحاديث، أوردها مرقمةً بالتسلسل، مع ترجمته كلاً منها إلى اللغة التركية، وأجاب عن استدلاله بها، ثم أوردَ تسعةَ أحاديث تَقضي بخلودِ الكفارِ في النار، وتُحَرِّمُ عليهم الجنةَ، مقرونةً بترجمتها إلى اللغة التركية، وبيان وجه الاستشهاد بكلٍّ منها.

٣ ـ تناول الروايات المُتَضمِّنة لكلامِ بعضِ السلف ـ رحمهم الله ـ والتي اتخذَها مناظرُه دليلاً على ما ذهبَ إليه، فناقشه في صحة ثبوتِ هذه الروايات، وردَّ عليه استدلاله بها.

٤ ـ تناولَ الأدلةَ العقلية التي احتجَّ بها مناظره، وناقشه فيها نقاشاً جيداً، ثم رَدَّ عليه ردّاً منطقياً مُلزِماً، ثم استطرد في الرد استطرادين:

ناقش في أحدِهما النظريةَ القائلةَ بجواز إخلاف الوعيد في حق الله تعالى، وتلك النظرية التي استندَ عليها (موسى جار الله) في دعواه، حيث ادَّعى جوازَ عفو الله عن الكافرين، وجوازَ إخلافِه سبحانه وعيده إياهم بإخلادهم في نار جهنم يوم القيامة.

---

(١) الضمير هنا عائد إلى موسى جار الله.

وناقش في الثاني تَخَبُّطات ابن عربي (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ) في كتابه (الفتوحات المكية) التي اعتمد عليها (موسى جار الله)؛ حيث اعترف ابن عربي بالخلود في النار الوارد في القرآن الكريم، إلا أنّه ادَّعى بأنه لا يَلزمُ منه العذاب، كما ادَّعى بأنَّ كلمةَ (العذاب) الواردة في آيات الخلود قد تأتي بمعنى (العذوبة).

ثم عَرَّجَ مصطفى صبري إلى القسم الثاني: **وهو الزعم بأن المشركين الذين يَملكون برهاناً لشركهم يكونون معذورين يوم القيامة**، وأن عذابهم ليس بأبدي، بخلاف المشركين الذي لا يَملكون برهاناً لشركهم، فإنَّهم غيرُ معذورين، وعذابهم دائمٌ وأبدي، واستدل (موسى جار الله) على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٧ ـ ١١٨]، وناقشه في ذلك، وَرَدَّ عليه.

ثم أورد ستاً وثلاثين آية تَدُلُّ على بطلان زعمه هذا.

وأما **القسم الثالث**: فهو زعم (موسى جار الله) بأنَّ الأديان مهما كانت مُعتقداتُها فهي على حقٍّ وصواب، وأنَّه يجبُ احترامُ أصحاب تلك المعتقدات، حتى لو كانت باطلةً، وأنّه لا يجوزُ أن نَصِفَهُم بأنَّهم على خطأ وضلال، كما لا يجوزُ أن نُحَقِّرَهُم بسبب تلك المعتقدات، ولا أن نَذُمهم بها، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]، وبقوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقد ناقشه مصطفى صبري في هذا الزعم، وَرَدَّ على استدلاله بهاتين الآيتين، ثم أورد اثنتين وعشرين آيةً تَدل على بطلان مُدَّعاهُ.

جـ ـ الخاتمة:

ختم مصطفى صبري كتابه بخاتمةٍ تكلّمَ فيها على الأسباب التي أدَّت إلى تخبُّطات (موسى جار الله) وَرَكَّز فيها على الحديث عن تأثير الحضارة الغربية في كثيرٍ من المسلمين، وقرَرَ أنَّ النهضةَ التي عاشتها أوروبة في العصر الحديث قد أثَّرت في عقول كثيرٍ من العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي، وأفسدت عليهم تفكيرهم، وأحدثت شروخاً في قُدُرَاتِهم ومعنوياتهم، وبالتالي شعروا بالنقص أمامَ الغربِ وعلومهِ، فَطَفِقُوا يُؤَوِّلُون تعاليم الإسلام وعقائِده وأحكامه باسم (التجديد) بحيث تبدو متفقةً أو على الأقل متقاربةً مع نظريات الغرب وعلومه[١].

٤ ـ كتاب (المُجَدِّدُون الدِينيُّون)[٢]:

طبع هذا الكتـاب طبعتين، الأولى: في مطبعـة الأوقاف الإسلاميـة بإستانبول سنة (١٣٤١هـ= ١٩٢٢م) بالحروف العربية[٣]، والثانية: في مطبعة

(١) انظر: (يكي إسلام مجتهد لرينك قيمت علمية سي)، ص١٥٨ وما بعدها.
(٢) هذه هي الترجمة الحرفية لاسم الكتاب الذي ورد باللغة التركية، ونصه (ديني مجددلر).
(٣) وكان ذلك قُبَيْل هجرته الثانية من تركية وخروجه منها ـ بَغتةً ـ خروجاً نهائياً. وقد استولت الحكومةُ الكماليةُ على النسخ المطبوعة من هذا الكتاب، والتي=

دار سبيل للنشر والتوزيع سنة (١٣٩٧هـ= ١٩٧٧م) بالحروف اللاتينية، وذلك بمبادرةٍ من صاحب المطبعة والدار: الأستاذ (قدير مصر أوغلو)، ويقعُ الكتاب في طبعته الثانية في جزء واحد، ويشتمل على (٤٠٣) صفحات من القطع المتوسط.

سبب تأليفه:

سبب تأليف الكتابَ هو أنّه ظهر في تركية ـ آنذاك ـ زمرةٌ من الكُتَّاب والمؤلفين المبهورين بالحضارة الغربية، أَطلقوا على أنفسهم اسم (المسلمون الجدد) ونادوا بفتح باب الاجتهاد على مصراعيه، لتطوير الإسلام، وتجديد أحكامه، وأشاعوا في الناسِ أفكاراً باطلةً، تُسِيءُ إلى الدين الإسلامي الحنيف، منها قولهم: إن الإسلام هو سببُ تأخّر المسلمين وتخلّفهم عن ركب الحضارة، وإنّه إنما بُنِيَ على أساسِ الخوف والإكراه، لا على أساسِ المحبّةِ والإقناع، وإنّ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر تُؤَدِّي إلى العطالة والكسلَ والتقاعس عن السعي والعمل، كما أنّ الأوقافَ الإسلامية تُؤَدِّي إلى تجميد الأموال والممتلكات وتعطيلها عن العمل، وتَبَرَّموا بأحكام الإسلام وقوانينه الثابتة، وقالوا عنها: إنّها جامدةٌ غير قابلة للتطوير. وادَّعَوا أن تأسيسَ الدولة العثمانية على الإسلام هو الذي أدَّى إلى تخلّفها عن ركبِ الحضارة، وهو الذي منعها

= بَلَغَت (٩٥٠) نسخة، وصادرتها، وهي ما تزالُ في صناديقها في المطبعة، وحَجَبَتْها عن الانتشار، وقد حرِصَ الشيخ على أنْ يَصطحبها معه قبل سفره، ولكن لم يُسعفه الزمان أن يَأخذَ منها إلا نُسَخاً قليلةً لا تزيد على معظم جمع القِلّة. راجع: كتاب (النكير على منكري النعمة). هامش ص١٩٦.

من الأخذ بأسباب القوة كالدول الغربية الكبيرة، كما ادَّعَوا أنَّ من الأسباب الرئيسة لانهيارها هو تَمَسُّكها بأحكامه ونصوصه، وكذلك اختلاط مواطنيها الأتراك بالعناصر الأخرى الكثيرة والمتعددة، وذلك استناداً إلى النظرية القائلة: «بأن اختلاط الأجناس بعضها ببعض يُؤَدِّي إلى التدني والانحطاط»[1].

وفي مقدمة هؤلاء المجددين كاتبٌ تركي يُدعى (هاشم ناهد بك) أَلَّف كتاباً باللغة التركية وسماه (تركية ايجون نجات واعتلايو للري)، أي: (سبيل النجاة والرقي لتركية) ضَمَّنه كثيراً من هذه الأفكار الباطلة، وتَطَرَّقَ فيه إلى مسائل عديدةٍ أبدى حولَها آراء مخالفة لروح الدين الإسلامي وتعاليمه، وذلك بدعوى التطوير والتجديد.

لذا أَلَّف مصطفى صبري كتابه هذا للردِّ على هؤلاء المجددين بصفة عامة، ومناقشة أفكارهم، وإيضاح المزالق التي وقعوا فيها بدعوى التجديد في الدين، وللدفاع عن الأحكام والمسائل الإسلامية التي طعنوا فيها، وللدفاع أيضاً عن الدولة العثمانية، ولمناقشة (هاشم ناهد بك) بوجهٍ خاص، ومناظرته في مبادئه ومذاهبه ونقدِ كتابه المذكور.

محتوياته:

قَدَّمَ مصطفى صبري لكتابه بمقدمةٍ طويلةٍ، تناول فيها ما يُرَوِّجُه

---

(١) كما ردَّ على هذه الشبهات أيضاً الأمير شكيب أرسلان في كتابه (لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدّم غيرهم؟) وهو الكتاب الذي ترجمه إلى التركية الشيخ مصطفى صبري بناءً على طلبِ مؤلِّفه. انظر ص(٣٢٨) من هذا الكتاب. (الناشر).

المجددون من أمورٍ في الدين الإسلامي وفي أحكامه بدعوى التطوير والتجديد، وأورد بعضَ أقوالهم وآرائهم، ثم رَدَّ عليها مستنِداً في ذلك إلى بعض النصوص الشرعية، وناقشَ من يُنادون بتبديل الأحكام الإسلامية بدعوى عدم تلاؤمها مع متطلّبات العصر، منبهاً على **أنَّ سببَ تأخر المسلمين إنما هو في ابتعادهم عن دينهم، وإهمالهم شريعتَه وأحكامَه**. كما ناقش القائلين بأنَّ التجديدَ ضروريٌّ لتنقية الدين مما عَلِقَ به من بِدَعٍ وخرافات، ولإرجاعه إلى أصله النقيِّ، مبيّناً أنّ الإسلامَ بَقِيَ محفوظاً من التحريف والتبديل ـ بحفظ الله له ـ منذُ عهد النبي ﷺ إلى وقتنا الحاضر.

ثم دخلَ في صلب الكتاب، وتناول مسائله على شكلِ مباحثَ يمكِنُ إيجازها فيما يلي:

١ ـ تكوين الدولة العثمانية:

تكلّم في هذا المبحث على تاريخ الدولة العثمانية وتكوينها، وجهودها الكبيرة في خدمة الإسلام والمسلمين.

٢ ـ عوامل انهيار الدولة العثمانية:

تكلّم فيه على أهم العوامل والأسباب التي أَدَّت إلى سقوط الدولة العثمانية، وَرَدَّ فيه على دعوى (هاشم ناهد بك) القائلة بأنَّ من أهمِّ أسباب سقوطها هو تمسكها بالدين الإسلامي وارتكازها عليه.

٣ ـ المقاصد التي يجب مراعاتها في الأحكام الإسلامية:

تكلّم فيه على النية وأهميتها في صحة الأعمال، ونَبَّه على أنَّ الأعمالَ

عموماً يَنبغي أن تُراعى فيها المقاصدُ الأخروية لا المنافع الدنيوية، وأوردَ أقوالَ مناظره (هاشم ناهد بك) في مسألة درء المفاسد وجلب المصالح، وكذلك الأفعال والنيات، ثم رَدَّ عليها، كما رَدَّ على القائلين بأنَّ الأوقاف الإسلامية تُؤدي إلى حَبْسِ الأموال والأملاك وتعطيلها، ومنعها من التداول.

٤ ـ اختلاط الأعراق والأجناس:

رَدَّ فيه على مناظرِه في دعواه القائلة بأنَّ مِنْ أهمِّ أسباب سقوط الدولة العثمانية اختلاطَ شعبِها التركي بالعناصر الأخرى المختلفة، وناقشَ النظريةَ التي استند عليها في ذلك، القائلة بأنَّ اختلاطَ الأعراق والأجناس يُؤدي إلى التَّدَنِّي والانحطاط، حيث يَنْتُج عنه أقوامٌ ضعيفو العقل والبنْيَة.

٥ ـ الفهم الخاطئ للمدنية الغربية:

تكلّم فيه عن المدنية بشكل عام، ثم ناقشَ مناظِرَه في فهمه الخاطئ للمدنية الغربية، وتَطَرَّق إلى الإصلاحات والتجديدات التي اقتبسها بعضُ السلاطين العثمانيين من تلك المدنية.

٦ ـ تطور الخدمة العسكرية:

أجابَ فيه على الدعوى القائلة بأنَّ تطور الدولة العثمانية في المجال العسكري لم يُواكبْ تطورها في المجالات الأخرى، ثم تَحدَّث عن وجوب طاعة الجيش لأُولِي الأمر، وانقياده لأوامرهم في غير معصية اللهِ، واستندَ في ذلك إلى بعض الأحاديث النبوية.

٧ ـ الإيمان بالقضاء والقدر والقناعة والتوكل:

أطال الشيخُ الكلامَ في هذه المسائل، مبيناً مدى تأثيرها في حياة المسلمين، ثم درس مسألة الإيمانِ بالقضاء والقدر بوجهٍ خاص في ضوء الكتاب والسنة، وتناولَ النصوصَ الواردة فيها بالتفصيل، ودَقَّقَ النظرَ في المذاهب الإسلامية المشهورة فيها، وَرَدَّ على القائلينَ بأنَّ عقيـدةَ القضاء والقدر هـي سببُ تأخّر المسلمين، وفنَّدَ زعمَهم بأنَّها تُؤدي بمعتنقيها إلى الكسل والتقاعس عن السعي والعمل.

٨ ـ الاعتقاد بأنه يكفي في حصول الإيمان الإقرار باللسان والتصديق بالجنان:

رَدَّ فيه على مناظره (هاشم ناهد بك) الذي تَمسك بهذا المعتقد، ثم تكلّم على اشتراطِ العمل بالجوارح لحصول الإيمان، وذكر الخلافَ في تلك المسألة بين أهل السنة والجماعة والخوارج والمعتزلة، وبَيَّنَ رجحان مذهب أهل السنة والجماعة مستشهِداً على ذلك بالنصوص الشرعية.

٩ ـ الإصلاحات الدينية (الاجتهاد):

ناقشَ فيه المُجَدِّدِين العصريين، الذين يُنادون بفتح باب الاجتهاد على مصراعيه، وفَصَّل القولَ في حكم فتح باب الاجتهاد في العصر الحديث، مبيّناً شروطَ الاجتهاد وحدودَه، ومنبهاً على أنَّ العاملَ في التجديد الذي يُنادي به أولئك المجددون إنَّما هو التقليد، وكم الفرقُ واسعٌ بين التجديد والتقليد!.

كما ناقشَ في هذا المبحث مناظره هاشم ناهد بك الذي تَحامل في كتابه المذكور على الأئمة الأربعة ـ رحمهم الله ـ واتهمهم بإثـارة الخلافـات،

وإحداثِ التناقضات في الإسلام، وهاجَمَ فيه العلماءَ الأتراك المعاصرين لعدم سماحهم بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية[1]، ثم فَنَّد مزاعمه، وانتصر للأئمة الأربعة، مبيناً جهودَهم الكبيرة التي بذلوها لخدمة الكتاب والسنة.

١٠ ـ الحُب والمحبة:

أورد الشيخُ في هذا المبحث آراءَ مناظره القائلة بأنَّ الإسلام بُنِيَ على أساسِ الخوفِ والإكراه والبطش، ولم يُبْنَ على أساسِ المحبّة والاقتناع، وأنّ الناسَ من كثرة ما يحذِّرهم العلماء من غضب الله ونقمته، ويحثّونهم على الخوفِ من عقابه، ومن كثرةِ ما يحذّرونهم من مخالفة الحُكّام وأُولي الأمر، ويَحُثُّونَهم على طاعتهم، صار عندهم نوعٌ من الخوفِ والرهبةِ أبعدَهم عن التفكير في عظمة الباري عزَّ وجلّ ومخلوقاته، المُؤَدِّي إلى الاقتناع والحب في الله، ثم ناقَشه فيها مناقشة جيدة، وفَنَّدَ مزاعمَه مستشهداً بكثيرٍ من النصوص الشرعية.

١١ ـ التحصيل المدرسي القديم والجديد:

تَحدَّث فيه عن حلقات العلم والدروس في المساجد التي كانت منتشرةً في أنحاء تركية في ظِل الخلافة العثمانية، ووازنَ بينها وبين المدارس والمكاتب الحديثة (التحصيل المدرسي الجديد)، ورَدَّ على المجددين العصريين الذين ذَمُّوا حلقاتِ العلم في المساجد (التحصيل المدرسي القديم)

---

(١) أما موضوع ترجمة القرآن فقد أفرده الشيخ بكتابه (مسألة ترجمة القرآن) وسيأتي التعريف به أثناء الحديث عن مؤلَّفات الشيخ بالعربية، ص٢٨٣.

وانتقدوا أسلوبَها والعلومَ التي تُدَرَّس فيها، واتهموا القائمينَ عليها بأنَّ همَّهم جمعُ الأموالِ من طلبة العلم، وفَنَّدَ مزاعِمَهم، مستشهداً ببعض الأمثلة المُتَضمِّنة لكثير من المواقف المُشَرِّفة لهؤلاء العلماء القائمين على تلك الحلقات.

١٢ ـ حياة الأسرة:

ناقشَ فيه مسألة التجديد في أحكامِ الأسرة، التي دعا إليها المجددون العصريون، وانتقدَ أقوالَ مناظرِه في تلك المسألةِ نقداً علمياً، ثم تكلَّمَ على الحقوقِ التي شرعها الإسلام للمرأة، وتَطَرَّق إلى قضية مساواتها مع الرجل.

كما تكلَّم على الحجاب الإسلامي، وذكر المحاذيرَ الاجتماعية المُتَرتِّبة على تركه، مبيّناً الوضعَ المُزْرِي الذي وصلت إليه المرأة الغربية من جَرَّاء الاختلاط والسفور، واختتمَ هذا المبحثَ بالحديث عن مسألة تعدد الزوجات، والرد على شبهاتِ أعداء التعدد، الذين رفضوه ونعتوه بالنعوت القبيحة، واعتبروه نقصاً في الإسلام وعيباً في المسلمين[١].

٥ ـ كتاب (الإمامة الكبرى في الإسلام)[٢]:

أَلَّفَ الشيخُ كتابه هذا ما بين سنتي (١٣٤٦ ـ ١٣٤٧هـ) الموافق (١٩٢٧ ـ ١٩٢٨م) لمّا كان يُقيمُ في تراقية الغربية اليونانية، ونشره مُجَزَّأً على أعداد

---

(١) وقد بحث الشيخ هذا الموضوع أيضاً في كتابه (قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلّدة الغرب) وسيأتي التعريف به ص(٢٩٤).

(٢) هذه هي الترجمة الحرفية لاسم الكتاب الذي ورد باللغة التركية، ونصه: (إسلامده إمامت كبرى).

جريدته (يارين) التي كان يُصدِرُها هناك، ومعه ابنه إبراهيم، وذلك ابتداءً من العدد الثاني عشر الصادر يوم الجمعة ٢١ جمادى الآخرة سنة (١٣٤٦هـ) الموافق ١٦ كانون الأول (ديسمبر) (١٩٢٧م)[١]، وقد نشر منه ثمانية وثلاثين جزءاً فقط، ولم يستطع إكمالَ نشرِه بسبب توقف الجريدة بأمرٍ من الحكومة اليونانية في جمادى الآخرة سنة (١٣٤٩هـ) الموافق تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٣٠م).

ويعدُّ هذا الكتابُ من أهم الكتب التي أُلِّفَتْ في مسألة الخلافة الإسلامية، حيث أوردَ فيه حقائقَ كثيرة عن عصره، وكَشَفَ فيه عن خفايا مجهولة عن الحالة الدينية والسياسية والاجتماعية والفكرية في أواخر عهد الدولة العثمانية، وأسهمَ في إيقاظِ الوعي الإسلامي، وتعريف الأجيال الجديدة بتاريخها الصحيح.

وَمِحْوَرُ الكتابِ يَدُور حول إقناع المسلمينَ بحتميّة نظامِ الخلافةِ للأمةِ الإسلامية إن أرادوا العودةَ إلى الكرامةِ والسؤدد، والنفوذ العالمي والمكانة الدولية المَهِيبة من جديد.

سبب تأليفه:

تَبَيَّنَ لي بعد الاطلاع على الكتاب أنَّ هناك سببين رئيسين لتأليفه؛ هما:

١ ـ **قيام الكماليين بإلغاء الخلافة العثمانية**، ثم تتابع الإجراءات العلمانية (اللادينية) للقضاء على الإسلام، وعلى كل ما يَمُتُّ إليه بصلةٍ في تركية.

٢ ـ **قيام بعض الأتراك المغرضين بترجمة كتاب (الإسلام وأصول**

---

(١) راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٨٩.

الحكم) لعلي عبد الرازق إلى اللغة التركية، لاستغلالِه في ترويج الفتنة الكمالية في مسألة الخلافة.

محتوياته[1]:

---

(١) هناك تشابهٌ كبيرٌ بين هذا الكتاب الذي نحن الآن بصدده وبين كتاب (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة) الذي سيأتي الحديثُ عنه ـ إن شاء الله ـ ضمن كتب الشيخ باللغة العربية، إلاّ أنَّ بينهما فرقاً رأيتُ أنَّه من الواجب عليَّ إثباته في هذا الموضع، نظراً لأنَّ هذا الكتابَ هو المتأخِّرُ تأليفاً.
وهو أنَّ هذا الكتاب (الإمامة الكبرى في الإسلام) مكمِّلٌ لكتاب (النكير على منكري النعمة) من ناحيةٍ، ومفصِّلٌ لِمَا أُجملَ فيه من ناحيةٍ أخرى. فهو مكمِّلٌ له إذ اشتملَ على ما لم يأتِ به، حيث:
١ ـ إنَّ مصطفى صبري عالجَ فيه القضيةَ التي أثارها بعضُ الملاحدةِ، وهي **قضيةُ فصلِ الأخلاق عن الدين، وبنائها على الماديات**.
٢ ـ إنَّه بسطَ فيه رأيه في **مسألة الخلافة من ناحيتها الشرعية الفقهية**، في حين أنَّه رَكَّزَ في كتابه (النكير على منكري النعمة) على الخلافة من ناحيتها السياسية.
٣ ـ **إنَّه ضمَّنَهُ الردَّ على كتاب (الإسلام وأصول الحكم)** الذي أُلِّفَ بعدَ إلغاء الخلافة لتأييد الكماليين على ذلك الإلغاء.
٤ ـ **إنَّه تحدَّثَ فيه عن الإجراءات العلمانية (اللادينية) التي قامت بها الحكومة الكمالية بعد إلغاء الخلافة**، مما تمَّ بعدَ تأليف كتابه (النكير على منكري النعمة).
وهو مفصِّلٌ لِمَا أجمَله من ناحيةِ أنَّه عالجَ فيه بعضَ ما عالجه في بحوثٍ سابقةٍ رأى أن تُكتَبَ على نحوٍ آخرَ من البسطِ والتذليلِ، لكي يطَّلِعَ عليها القُرَّاء الأتراك غير العارفين باللغة العربية.

قَدَّمَ الشيخ لكتابه بمقدّمةٍ تناولَ فيها مسألةَ فصل الدين عن الدولة، وَرَكَّزَ على مسألة فصل الدين عن الأخلاق، وتساءل: هل تُوجدُ أخلاقٌ مِنْ غيرِ دينٍ؟.

ودَقَّقَ النظرَ في تلك المسألة، وبَيَّنَ ما يحتويه الزعمُ القائل، «بأنَّ الأخلاقَ لا علاقةَ لها بالدين» من مفاسدَ، ثم بَيَّنَ فوائد الدين للإنسان، وانتهى إلى أنَّ الدينَ خيرُ ضمانٍ ضدَّ بواعثِ الشرِّ وضروبِ الفساد.

ثم دخلَ في صلبِ الكتاب، وتناول فيه مسائل عديدةٍ يمكِنُ إجمالُها في المباحث التالية:

١ ـ الكلامُ على سياسة الاتحاديين والكماليين الداخلية والخارجية:

تَحدَّث في هذا المبحث عن الدولة العثمانية، ودورِها في خدمة الإسلام على مدى ستّة قرون تقريباً، وعن حمايتها للأقلّيات غيرِ الإسلامية، وذَكَرَ ما كانت تَلْقَاهُ تلك الأقليات من إكرامٍ واحترامٍ من قِبَلِ الدولة العثمانية منذ عهودِها الأولى إلى أدوارِها الأخيرة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، حتى إنَّ السلطان سليماً (١٤٦٧ ـ ١٥٢٠م) لَمّا أرادَ أن يُخْرِجَ تلك الأقليات من الدولة العثمانية وقَفَ شيخ الإسلام (زِنْبِيلَلِي علي أفندي)[1] في

---

(١) زنبيلَلي علي أفندي: ولد في (قرمان) وتتلمذَ على كبار مشايخ عصره، اشتغل بالتدريس في (آماسية) و(بروسة)، وعُيِّنَ شيخاً للإسلام سنة (٩٠٨هـ= ١٥٠٣م) في عهد السلطان بايزيد الثاني، لَمَعَ نَجْمُهُ في عهد السلطان سليم الأوّل لِمَا عُرِفَ به منَ العدلِ والجهرِ بالحقِّ، وظَلَّ في منصبِه حتى توفي =

وجهِهِ، ومَنَعَهُ من ذلك.

وذكر مصطفى صبري أنَّ هذا العدلَ والإنصافَ الذي كانت تَتَحلى به الدولة العثمانية هو ما كانتْ تَفتقدُه المدنيّةُ الغربيّةُ في ذلك الوقت.

ثم تَحدَّث ـ بالتفصيل ـ عن المِحْنَة التي أَلَمَّتْ بالدولة العثمانية ـ مؤَخراً ـ على أيدي الاتحاديين والكماليين، حيث تكلّمَ عن حكومتيهما المطلقتي الحريةِ واستبدادهما، مع أنَّهما كانتا مشروطيتين في الأصل[1].

وتَطَرَّق **لجمعية (الاتحاد والترقي)**، وتكلّم على دورِها في إسقاط الدولة العثمانية، وانتقد سياسة زعمائها الثلاثة طلعت وأنور وجمال، مبيناً كيفية تلاعبهم بالأنظمة وتزويرهم الانتخابات.

ثم تكلّم على **الانقلاب الكمالي** في تركية، كاشفاً كثيراً من خفاياه، ومبيّناً عِظَمَ جنايةِ الكماليين على دين الأمة التركية، وعلى حريتها، وسائر مشخّصاتها، ومستشهداً على ذلك ببعض ما نُشِرَ في الجرائد التركية الصادرة ـ آنذاك ـ مثل جريدة (جُمْهُورِيِّتْ) و(مِلِّيَتْ) و(وَقَت) و(وَطَن)، وأوردَ نصَّ الفتوى الشرعية التي أَعلنتْ إهدارَ دمِ مصطفى كمال لبغيه وخروجه على السلطان محمد وحيد الدين، التي أصدرها الشيخ (عبد الله دري زاده) لمّا كان شيخاً للإسلام في الدولة العثمانية، ثم عَلّق عليها، وبَيَّن ما أحدثته من صدًى

= بإستانبول سنة (٩٣٢هـ= ١٢٥٦م).

Dr Abdülkadir Altunsu- Osmanli Seyhülislamlari. S13 - 16.

(١) أي: قائمتين ـ كما زعم أصحابهما ـ على الدستور ومقيدتين به.

كبير داخل تركية وخارجَها، وتناول بعضَ الأحداث والوقائع السياسية التي قامت بها الحكومة الكمالية، مثل الحرب مع اليونان وخاصة معركة (سقَارية)، وهدنة (مندروس)، ومعاهدة (لوزان) التي دَقَّقَ النظرَ فيها، وأطال الحديث عنها، ونَقَدَ المفاوضات التي قام بها الوفد التركي فيها برئاسة عصمت إينونو، وناقشَ بعضَ الكُتَّاب المؤيدين لتلك المفاوضات[١].

وتكلّمَ على ملابسات إلغاء الخلافة العثمانية وإعلان الجمهورية التركية مبيناً الحِيَل والدسائس التي قام بها الكماليون من أجل إلغاء الخلافة، ومنبهاً على مقصدهم الأسمى من ذلك الإلغاء، ومستشهِداً على ذلك بأقوالِ بعض أعوانهم[٢].

كما تَحدَّث عن موقف العالم الإسلامي من حادثة إلغاء الخلافة، وَدَقَّقَ النظر في خلافة كلٍّ من السلطان محمد وحيد الدين، والسلطان عبد المجيد الثاني، مبيناً موقفَ الكماليين منهما.

وتَحدَّث أيضاً عن تفاصيل وجزئيات ما قامتْ به الحكومةُ الكماليةُ من إجراءات قسرية بعد إلغاء الخلافة. واختتم هذا المبحث بالكلام على السياسة الإنكليزية حِيَال الدولة العثمانية وعن علاقة مصطفى كمال بالإنكليز.

---

(١) أمثال: آغا أوغلي أحمد في مقالته التي نشرها في جريدة (مليت) في العدد (٢٥٤)، والأستاذ محمود نائب مدينة (سِعْرِدْ) في مقالته التي نشرها بعنوان (انقلاب تركية) في جريدة (مليت) أيضاً في عددها الصادر في ١٨ آذار (مارس) سنة (١٩٢٧م).

(٢) أمثال: محمود أسعد، وزير العدلية، وعمر رضا.

٢ ـ الكلام على ما لَقيه من أذى في مصـر لَمَّا هاجـر إليها قُبَيـل إلغـاء الخلافة:

تكلّم مصطفى صبري في هذا المبحث عن الأذى الذي لَحِقَ به لَمَّا هاجر إلى مصرَ قُبَيل إلغاء الخلافة سنة (١٣٤٠هـ = ١٩٢٢م) فراراً بدينه وحياته من الكماليين، الذين عَمَّت فتنتُهم ـ آنذاك ـ العالم الإسلامي عامة ومصر خاصة، حيث ذَكَرَ ما نَالَهُ من تُهَمٍ شديدة بسبب اللبس الذي أوقعته الصحافة المصرية بينه وبين شيخ الإسلام في الدولة العثمانية الشيخ (عبد الله دُرِّي زاده) وما انهال عليه من برقياتٍ شديدة اللهجة تُطالبه بالرحيل العاجل من أرض مصر قائلةً: «اخرج إلى أرض الحجاز، فمصرُ ليستْ مأوى للخائنين»[1].

وذَكَرَ كذلك ما نَالَه من سَبٍّ وتقريع وشتم من بعض الكُتَّاب المصريين عندما رَدَّ على أحمد شوقي، الذي قَدَحَ في السلطان محمد وحيد الدين، وامتدح مصطفى كمال وأطراه في قصيدته النونية التي ذكرناها سابقاً، ثم أورد في الهامش بعضَ النقول من الجرائد المصرية التي تُثبت ذلك.

٣ ـ الكلام على الخلافة الإسلامية نظاماً للحكم والإدارة:

تناول الشيخ في هذا المبحث مسألةَ (وجوبِ نصب الإمام) المُعَبَّر عنها في الكتب الفقهية بـ(الإمامة الكبرى)، وبَيَّنَ الشروط الواجب توافرها عند نصب الإمام، وعالج مسألة الخلافة الإسلامية من الناحية الشرعية، وذلك انطلاقاً من التصور الإسلامي للخلافة بصفتها نظاماً للحكم والإدارة، ورابطة

---

(١) راجع الملحق رقم (٧)، ص٤٧٩ و٤٨١.

دينية وسياسية وَحَّدَتِ المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولُغاتهم في إطار واحد، فأوجدت روحَ التضامن والمحبة بينهم.

وتَحدَّث عن الحكومة الإسلامية، مبيناً أسسها وقواعدها التي تقوم عليها، وخصائصها التي تَمتاز بها من غيرها، ووظائفها المَنُوطَةُ بها، وموضحاً الفروق التي بينها وبين غيرها من الحكومات الأخرى.

وتكلّم عن خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، مبيّناً تَحَقُّقَ صفة الخلافة والاستخلاف في حكومتيهما، وتَطرَّقَ إلى تحقيق الإسلام للعدالة والمساواة، وكفالته الحريات السياسة والفكرية لأمته.

٤ ـ نقد كتاب (الإسلام وأصول الحكم):

نقد مصطفى صبري في هذا المبحث كتاب (الإسلام وأصول الحكم) نقداً علمياً في ضوء ما ورد في الكتاب والسنة، وذلك بعد اطلاعه عليه من خلال ترجمته التركية، حيث قام أولاً بتحليل عقليّة مؤلفه الشيخ علي عبد الرازق، وبإيضاح مُراده من تأليفه، ثم رَدَّ على كتابه ردّاً تفصيلياً، ونَقَضَ ما جاء فيه من أفكار ونظريات زائفة، ودَعَمَ ذلك بحشدٍ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وبكثيرٍ من الحُجج والبراهين، وأوردَ كثيراً من أقواله، وخاصة فيما يَتعلق بحكومة النبي ﷺ وحكومة أبي بكر رضي الله عنه، وَردَّ عليها مستشهداً بكثيرٍ من وقائع التاريخ الإسلامي في عصره الأول، وعُنيَ بغزواته ﷺ وتَمسك بها في إثبات حكومته كل التمسك.

واختتم هذا المبحث بانتقاد الكماليين وأنصارهم، الذين سارعوا إلى ترجمة كتاب (علي عبد الرازق) وامتداحه في الصحف التركية، لترويج فتنتهم

في مسألة الخلافة، وللإمعان في التعمية على المسلمين، ومحاولة إضلالهم، وقال في حكومتهم اللادينية: «تبّاً لحكومةٍ مبتدعةٍ لا يُمكِن الدفاع عنها إلاّ بالطعن في خلافةِ أبي بكر وإنكارِ ما في حكومته من الصبغة الدينية كما فعل الأستاذ قاضي المنصورة»[1].

٦ ـ كتاب (صوم رمضان):

هو كتاب صغير أَلَّفه مصطفى صبري في ما بين سنتي (١٣٤٦ ـ ١٣٤٧هـ = ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨م) لمّا كان يُقيم بتراقية الغربية اليونانية، ونَشَره في جريدته (يارين) مُفرَّقاً على ستة أجزاء متسلسلة، وذلك ابتداءً من العدد الصادر في ٢٤ رمضان سنة (١٣٤٦هـ) الموافق لـ١٦ آذار (مارس) (١٩٢٨م)[2]. ويشتمل كلُّ جزءٍ على أربع صفحات كبيرة بحجم صفحات الكتاب من القطع الكبير.

سبب تأليفه:

بعد الاطلاع على الكتاب تبَيَّن لي أن هناك سببين رئيسين لتأليفه، هما:

١ ـ أنَّه لَمّا أَلْغَت الحكومةُ الكماليةُ الخلافةَ العثمانيةَ، وأعلنت الجمهورية العلمانية، وقامت بما قامت به من أعمالٍ كثيرة، وإجراءات سبق الحديث عنها، قامَ بعضُ الكُتَّاب الأتراك والموالون لتلك الحكومة بالكتابة في الصحف التركية[3] عن الصيام في شهر رمضان، وأخذوا يَخبطون في

---

(١) انظر: كتاب (إسلامده إمامت كبرى) ـ جريدة (يارين) في عددها الصادر في ٢٨ شوال سنة (١٣٤٨هـ) الموافق ٢٩ آذار (مارس) (١٩٣٠م)، ص٢.

(٢) راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٩٠.

(٣) أمثال: جريدة (الوطن) وغيرها.

أحكامه، ويلبّسون على الناس ما قرّره الشرعُ الإسلامي فيه، أمثال: (عُبيد الله أفندي)، والكاتب الأديب (سليمان نظيف)، حيث كتبَ الأخيرُ منهما عن مسألة الفدية في صوم رمضان، وادَّعَى بأنَّ الفدية تُجزئ عن الصوم حتى للقادرين عليه، فيجوزُ ـ على حد زعمه ـ للمقيمين الأصحَّاء الإفطارُ في رمضان، وإخراجُ الفدية إن كانوا قادرين عليها، وليسوا مُطالبين بالقضاء شأنهم في ذلك شأن الشيوخ الهرمين، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وأَوَّلَ في معناها لكي تدلَّ على ما ذهبَ إليه، حيث حَمَلَ معنى (الإطَاقَة) في قوله تعالى: ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ على مطلق الاستطاعة، وأرجع الضميرَ فيه إلى الصيام والفدية معاً.

٢ ـ وأَلَّفَ العالم القازاني المسلم (موسى جار الله) قبل ذلك بسنوات عديدة رسالة في الصوم سماها (الصوم في الأيام الطويلة) ضَمَّنَها خبطاً عجيباً، وآراءً خاطئة، تُخالف نصوص الكتاب والسنة، من أهمها:

أنه ادَّعى أولاً: أن البلاد التي يكونُ طقسُها شديدَ البرودةِ أو شديدَ الحرارةِ بحيث يَشُقُّ على أهلها الصيام فيها، فإنَّه والحالةُ هذه يَسقطُ عنهم صوم رمضان، لأنَّ الله لا يُكلِّفُ نفساً إلا وسعها، ولا يُكلفها ما لا تُطيق.

وادَّعى ثانياً: أنَّه لا يجبُ الصوم على القاطنين في البلاد الشمالية القطبية، إذ الصوم ـ على حد زعمه ـ إنما يُفرضُ على من يكون نهاره يُعادل ليله تقريباً، وبما أنَّ اليومَ في البلاد الشمالية القطبية يُعادل في طوله الأسبوع في البلاد المعتدلة وأحياناً الشهر[1]، فإنَّ أهالي تلك البلاد يُستثنون من وجوب

---

(١) أي: أنَّ النهار في تلك البلاد يَطول فلا يرون الليل إلاّ بعد أيام عديدة تتراوح=

الصوم المنصوص عليه في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فيسقط عنهم الصيام، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤]. حيث أوَّل معناها لكي تَتَّفِق مع ما ذهب إليه، فقال: إن الله يقول في الآية: يا أيها الذين آمنوا فُرِضَ عليكم الصيام في أيامٍ معدودة، وبما أنَّ أيامَ الصيام في البلاد الشمالية القطبية غيرُ معدودةٍ لطولها، فلا يجبُ الصيامُ فيها[1].

وادَّعى ثالثاً: أنَّ أهالي تلك البلاد الشديدة الحرارة أو البرودة أو ذات الأيام الطويلة كما يسقطُ عنهم صومُ رمضان، كذلك تسقطُ عنهم الفدية، وأَوَّل معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، حيث قال: إنَّ مفهوم الآية يدلُّ على أنَّ الفديةَ إنما تَجبُ على مَنْ يستطيعون الصومَ، أما الذين لا يستطيعونه فلا تجبُ عليهم، وأهالي تلك البلاد لا يستطيعون الصوم، فإذن تسقطُ عنهم الفدية، إذ لا تكليف بها في حالة عدمِ وجودِ القدرة على الصيام[2].

= ما بين أسبوع إلى شهر، وكذلك الليل يَطول فلا يرون النهار إلا بعد أيام عديدة تتراوح ما بين أسبوع إلى شهر.

(١) انظر: مصطفى صبري (صوم رمضان) ـ جريدة (يارين) في عددها الصادر في ٧ من ذي القعدة سنة (١٣٤٦هـ) الموافق ٢٧ نيسان (أبريل) (١٩٢٨م)، ص٣، نقلاً عن كتاب (الصوم في الأيام الطويلة)، ص٧٨ ـ ٨٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، نقلاً عن كتاب (الصوم في الأيام الطويلة)، ص١٨٠.

وهذا ما حدا بمصطفى صبري إلى تأليف كتابه هذا للرد على هؤلاء الكُتَّاب ولبيان وجه الحق في مسألتي الصوم والفدية.

محتوياته:

افتتح الشيخ كتابه بالإنكار على (سليمان نظيف) و(عبيد الله أفندي) تَنَاوُلَهُمَا مسألتي الصوم والفدية وبَحْثَهُمَا في أحكامهما بعد أن أعلنت الحكومة الكمالية قطع علاقتها بالإسلام، وبكل ما يَمُتُّ إليه بصلةٍ، وشَبَّه مساعيهما تلك بإجراء عملية جراحية لشخصٍ ميتٍ. وبَيَّنَ المنهج الذي سيتبعه في كتابه عند معالجته هذه القضية، ثم دخلَ في صلب الكتاب، الذي يمكن تقسيمه إلى قسمين رئيسين؛ هما:

القسم الأول: الردّ على سليمان نظيف وعبيد الله أفندي ومن حذا حذوهما: ابتدأ فيه بسرد الآيات القرآنية من سورة البقرة الواردة في موضوع الصوم وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥]، ثم فَسَّرها، وبَيَّن مدلولاتها، وتَعمَّق في بحث معاني كلماتها من الناحية اللغوية ولاسيما قوله تعالى:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، حيث فَسَّرها تفسيراً دقيقاً، وحَلَّل عباراتها ومعانيها معتمداً في ذلك على درايته الشخصية، ومعرفته الفقهية واللغوية، وبيَّن أنَّ كلمة (يُطِيقُونَهُ) الواردة في الآية لها معنيان من الناحية اللغوية:

أحدهما: **الاستطاعة المطلقة**.

والثاني: **الاستطاعة المقرونة بالمشقة والكلفة**.

كما بَيَّن أنَّ ضميرَ المفعول في قوله (يطيقونه) راجعٌ إلى الصيام لا إلى الفدية كما يزعم (سليمان نظيف).

وبَيَّن كذلك نقاط الاستناد من تلك الآيات لهؤلاء الكُتَّاب فيما ذهبوا إليه في مسألتي الصوم والفدية، ثم ناقشهم مناقشات طويلة، ولاسيما الأستاذ (سليمان نظيف) الذي أوردَ كثيراً من أقواله، وَردَّ عليها رداً بليغاً، واستشهدَ بكثيرٍ من الآيـات القرآنية والأحاديث النبوية مُدقِّقاً النظر في معانيها، وفي استعمالات ألفاظها في اللغة العربية.

وذكر أقوالَ العلماء والمفسرين في مِقْدَار الفدية، وفي مسألة انضمام الفدية إلى جانبِ أداءِ الصوم، ثم رَجَّحَ ما اختاره من تلك الأقوال مبيِّناً سببَ الترجيح.

القسـم الثاني: الرد على موسى جار الله: ابتدأ هذا القسم بذكـرِ آراء مناظره (موسى جار الله) في المسألة، وَوَثَّقَ ذلك بنقل نصوصِ كلامه الواردةِ في كتابه المسمّى (الصوم في الأيام الطويلة)، ثم ناقشَها مناقشةً علميةً نابعةً من

وجهة النظر الإسلامية، وأجابَ عليها إجاباتٍ تفصيلية من سبعة أوجه، ضَمَّنَها بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. ثم تكلّم على أهمية الصوم ومكانته العظيمة باعتباره الركن الرابع من أركان الإسلام، وبَيَّن فوائده الكثيرة والحكمة من فرضيته.

واختتم كتابه بِحَضِّ المسلمين على الابتعاد عن أوهام الكُتَّاب المنحرفين، والحذر من همزات الشياطين المُحِبِّين للإلحاد والتشكيك والانحلال، وحَثِّهِم على سلوك الحَزْم بالتزام طاعة الله في الصيام.

٧ ـ كتاب (رسالة في الإيمان والصلاة والصوم):

أَلَّف الشيخ هذا الكتاب أثناء إقامته بتراقية الغربية اليونانية من سنة (١٣٤٥هـ) إلى سنة (١٣٥٠هـ) الموافق من (١٩٢٧م) إلى (١٩٣١م)، وتناول فيه الأحكام الشرعية المتعلقة بالإيمان والصلاة والصوم بصورةٍ سهلةٍ ومُيَسَّرةٍ، ثم طُبِعَ وقُرِّرَ على طلاب المرحلة المتوسطة بمدينة (كُملجنة) بتراقية الغربية اليونانية المسلمة[1].

ب ـ الكتب المخطوطة:

للشيخ كتب مخطوطة لم يتمكن من طباعتها ونشرها، نظراً لحالة الفقر

---

(١) انظر: الملحق رقم (٤) ص٤٢٢. والجدير بالذكر أنني رغم ما بذلتُه من جهدٍ جهيدٍ في سبيل الحصول على كتب الشيخ وأبحاثه إلا أنّني لم أستطع الوصولَ إلى هذا الكتاب، ولم أستطع معرفة محتوياته بالتفصيل، ولا سنةَ طبعه بالضبط ولا عدد صفحاته.

والفاقةِ التي كان يعيشُها، ومن هذه الكتب كتابان باللغة التركية هما:

١ ـ صيد الخاطر:

وهي مذكرات وخواطر سياسية كتبها بخطّ يده أثناء إقامته بمكة المكرمة بضيافة الشريف حسين سنة (١٣٤١هـ = ١٩٢٣م)[١]، وتقع في أكثر من ثمانين صفحة[٢].

محتوياته:

تكلّم الشيخ في هذه المذكرات عن أسرار الانقلاب الكمالي الذي قام به مصطفى كمال في بلاد الأناضول، وضَمَّنَها كثيراً من المواقف السياسية التي مَرَّ بها في تركية، وكثيراً من الوقائع التاريخية التي اطّلع عليها وشاهدها بنفسه. كما تكلَّم فيها عن السلطان محمد وحيد الدين، ومواقفه معه، مبيّناً رأيه فيه وفي خلافته، ثم انتقده لثقتِه المُفْرِطَة بمصطفى كمال، ولإرساله إياه مُفَتِّشاً عاماً على الجيوش في الأناضول مُزَوَّداً بالصلاحيات الكثيرة رغم تحذيرِه الشديد منه ومن الاعتماد عليه[٣].

---

(١) انظر: الملحق رقم (١) ص٣٩٥.

(٢) انظر: الملحق رقم (٥) ص٤٣٤.

(٣) انظر: المرجع السابق. ولما فرغ الشيخ من كتابة هذه المذكرات كان السلطان محمد وحيد الدين يُقِيمُ ـ آنذاك ـ بمكة أيضاً بدعوة من الشريف حسين ـ كما ذكرنا سابقاً في الفصل الثاني، ص١٤١ ـ فقام الشيخ بزيارته في محل إقامته بمكّة، وأعطاه تلك المذكرات ليطَّلع عليها، ثم عاد إليه بعد أسبوع ليأخذها منه، وسأله عن رأيه فيها، فقال السلطان: كلام الصديق يُؤثّر في الإنسان تأثيراً=

٢ ـ حكم لبس القبعة والبرنيطة:

أَلَّف مصطفى صبري هذا الكتاب بعد حدوث فتنة القبعة التي أثارها الكماليون في تركية في أواخر سنة (١٩٢٥م).

سبب تأليفه:

سبب تأليف الكتاب هو أنه لَمَّا تَمكَّنَ مصطفى كمال من إلغاء الخلافة الإسلامية، وإعلان الجمهورية التركية، ثار على جميع المظاهر الإسلامية في تركية، ولا سيّما الاجتماعية منها، وامتدَّت يده إلى الزي وغطاء الرأس، فأراد أن يتخلّص من العمامة والطربوش اللذين كانا شعار المسلمين ـ آنذاك ـ بتركية، فَفَرض لبس القبعة الإفرنجية أولاً على حرسه الخاص، ثم عَمَّمَها على الجيش كله، ولبسها بنفسه اقتداءً بالأمم الأوروبية، ثم دعا الشعبَ التركي إلى لبسها، ونبذ العمامة والطربوش بدعوى أنها رمزُ الجهل والتَخلُّف، ولَمّا رفض الشعبُ التركيُّ مجاراته في ذلك أصدر (المجلس الوطني) ـ بناءً على طلبه ـ في ٩ جمادى الأولى سنة (١٣٤٤هـ) الموافق لـ ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٢٥م) قانوناً يُوجب لبسَ القبعةِ على جميع أفراد الشعب، ويُحَرِّم عليهم ارتداء العمامة والطربوش[1]. وبعد يومين من إصدار القانون انتشر رجال

= أكثر وأبلغ، فأنتَ صديقي تُحِبُّني وأنا أحبُّكم، والطعن في هذه المذكّرات فِيَّ أنا، ولكن الطعن لله. انظر: المرجع السابق.

(١) انظر: نص القانون في كتاب (تركية الحديثة) لمحمد عزة دروزة، ص٧٩ طبعة الكشاف، سنة (١٩٤٦م).

البوليس في الشوارع الرئيسة في جميع المدن والقرى، وأخذوا يصادرون الطرابيش والعمائمَ من فوقِ رؤوس المارة، وكلٌّ من اشتكى أو قاومَ كان مصيره السجن، فَسَرت في البلاد موجةٌ من الغضب والسخط، ورجمت الجماهيرُ التركية مُمَثِّلِي الحكومة بالحجارة.

عندئـذٍ انقلبَ مصطفى كمال إلى وحشٍ كاسر، فأرسل (محاكم الاستقلال) إلى مختلف الأقاليم لِتحكمَ على المُتمرِّدين بالشنق والرمي بالرصاص[1]. ولكنَّ الأكثرية المسلمة رفضت ارتداءَ القبّعة تَشَبُّهاً بالغربيين، فحدثت ثورات واضطرابات كثيرة نتجت عنها حربٌ دمويةٌ، أُعدم فيها آلاف الشهداء الأبرياء، وقُضِيَ فيها على مئات العلماء، الذين عُلِّقوا على أعواد المشانق.

وبهذا حَقَّقَ مصطفى كمال رغبتَه ومرادَه، فَطَفِقَ كثيرٌ من أنصاره خارجَ تركية يَلتمسون له الأعذارَ، ويُدافعون عنه في الصحف والمجلات، كما أخذ بعضُ العلماءِ المُغْتَرِّين به، يُصدرون الفتاوى القاضية بإباحة لبس القبعة الإفرنجية اقتداءً بالكماليين، ويُقَدِّمُونَ كثيراً من الاستدلالات والتعليلات[2].

فكتبَ مصطفى صبري كتابه هذا لمناقشة هؤلاء جميعاً والرد عليهم، وكشف وجه الحقيقة في تلك المسألة.

---

(١) انظر: أرمسترونج ـ الذئب الأغبر مصطفى كمال، ص٢١٤.

(٢) وفي هذه الأثناء نشر حجة العرب العلامة مصطفى صادق الرافعي مقالته الجامعة (سرّ القبعة) وذلك في مجلة الهلال. انظر: وحي القلم: ٢/ ٢٨٣. (الناشر)

محتوياته[1]:

ضَمَّنَ الشيخُ كتابه هذا مسائل عديدة، منها ما يلي:

١ ـ أنَّه فصَّل القول في الكلام عن فتنة الكماليين في مسألة لبس القبعة الإفرنجية، وحلَّلها تحليلاً جيداً، وبَيَّن مرمى الحكومة الكمالية من إكراه الشعب التركي على ارتداء القبعة، ونبذ العمامة والطربوش، كما بَيَّن باعثهم على ترجيح القبعة الإفرنجية بالذات على سائر الأزياء، وتَحدَّث عن شدة جنايتهم على الشعب التركي في سبيل إقرار لبسها، وإكراههم عليها، إلى حدّ أن يقفَ رجالُ البوليس على أبوابِ المساجدِ، ويقبضوا على كلّ من يخرج وعلى رأسِه عمامةٌ أو طربوش، وشَنْقِ وإعدامِ آلاف الأبرياء الممتنعين عن لبسها[2]. ثم أحصى القضايا الاجتماعية التي ثارت عليها الحكومة الكمالية في تركية[3].

٢ ـ رَبَطَ بين فتنة القبعة وبين الانقلاب الكمالي ربطاً دقيقاً، وأثبت ببراهينَ قويةٍ العلاقةَ الوثيقةَ بين تلك الفتنة وبين بقية الإجراءات العلمانية (اللادينية) التي تتابعت بعد إلغاء الخلافة العثمانية ونبَّه على أنّ مسألة لبس

---

(١) لم أستطع الحصولَ على هذا الكتاب، ولم أطَّلع عليه، ولذا اعتمدتُ التعريف بمحتوياته على ما ذكره الشيخ نفسُه في كتبه الأخرى ومقالاته التي تحدَّث فيها عما ضَمَّنه في هذا الكتاب من مسائل.

(٢) راجع: «فتنة القبعةِ الجديدةِ ومغزاها الجديد» مقالة منشورة للشيخ في مجلة (الفتح) في العدد (٥٨٤) الصادر في ١١ ذي القعدة عام (١٣٥٦هـ)، ص١٠ ـ ١١.

(٣) المرجع السابق نفسه.

القبعة في تركية ليس كمسألتها في الأزمنة المُتَقدِّمة، فهي ليست مسألةً فقهيةً كمسألة لبس قبعة النصارى وقلنسوة المجوس المذكورة في كتب الفقه حتى يَحتاجَ المسلمُ فيها إلى مراجعةِ العلماءِ المُفْتِين، أو مطالعةِ الكتب الفقهية، لأنّ قصدَ مُثيريها هو الابتعاد تماماً عن المسلمين، ومحاربة الإسلام، الذي هو سببُ تأخّرهم على ما يعتقدون، ولذا اتخذوها شعاراً لهم[1].

٣ ـ أوردَ بعض ما جهرت به جرائد تركية بمقاصد رجال الانقلاب الكمالي من حَمْل الشعب التركي على نَبْذ الطربوش، ولبس القبعة والبرنيطة، ثم دَقَّقَ النظرَ في معنى (التّشَبُّه بالكفار) وما يلزم منه، مبيناً أنَّ المعنى الحقيقي للتشبّه ليس مجرَّدَ المشابهةِ من غيرِ قصدٍ، بل هو التكلُّفُ والاجتهادُ في سبيلِ الحصولِ على المشابهة، ثم حَلَّل عقليات المتشبهين، وبَيَّن مقاصدهم من ذلك التشبه، وتَطرّقَ إلى لابسي القبعة الإفرنجية في البلاد الإسلامية خارج تركية، وبرهن على أنَّ ذلك وقعَ منهم إعجاباً بالكماليين، وهتافاً لثورتهم، وتَمنِّياً لحصول ثورة مثلها في بلادهم[2].

٤ ـ ناقش أنصارَ الكماليين، الذين حَبَّذوا لبس القبعة الإفرنجية اقتداءً بهم، واعتبروها زيَّ التقدم والمدنية، وعابوا على المسلمين لبس العمامة والطربوش، وعدَّوهُما كارثةً اجتماعيةً، ونَكْبَةً صحيةً، وعنوانَ الجهلِ والتأخرِ، وأشبعَ الكلام في تفنيدِ حججهم ومغالطاتهم التي استندوا إليها، والتي منها: قولهم: إنّه ليسَ في الإسلام لباسٌ خاصٌّ به، وبأنَّه يُشترط في

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١١.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٢ ـ ١٤.

إكفارِ المسلمِ المُتَشَبِّه بالكفارِ أن يكونَ مُتشبهاً بهم فيما يَتعبّدون به، ولبسُ القبعةِ ليس من العبادات. ومنها: قولُهم: إنَّه لا يجوز التسرُّعُ في رمي الكماليين بالمروق من الدين، وإنَّه يجبُ التسامحُ معهم، وغضُّ الطرفِ حيالَ كل ما وقع منهم، اقتداءً بالنبيِّ ﷺ في سَعةِ صدرِه، وإيثارِه الرفقَ، وتَبَصُّره في عواقبِ الأمورِ عند تعامله مع المنافقين.

وبيّن[1] سخافةَ مسعاهم، ولا سيما في استدلالهم الثاني، ونَبَّه على أنَّ موقفَه ﷺ المذكور مع المنافقين إنّما كانَ في صدر الإسلام، ثم نُسِخَ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]. كما نَبَّه على الفروق الكبيرة بين موقف المنافقين، وتسامح النبيِّ ﷺ معهم في صدر الإسلام، وموقف الكماليين اليوم، والتسامح معهم الذي يدعوننا إليه أنصارُهم، وتساءل متعجِّباً: كيف نُبقيهم في الإسلام ونَغُضُّ الطرف حيال كلِّ ما وقعَ منهم من حركاتِ المروق مع تصريحهم مراراً بأنَّ حكومتَهم حكومةٌ لا دينيةٌ؟! وكيف نتسامحُ معهم ونُماشيهم في غيهم، وهم يَردوننا ويُشددون علينا؟ وكيف نُحبّهم وهم يكرهوننا؟ وكيف نَتّبِعهم وهم يَنبذون ديننا، ويحاربون أحكامه وشعائره[2]؟!.

٥ ـ انتقدَ فريد وجدي لِتَجْهيلِهِ مُفْتِي (كُملْجنَة) بتراقية الغربية اليونانية، الذي أفتى بكفرِ لابسي البرانيط تشبّهاً بالكماليين، وبسطَ الكلامَ في المقايسة

---

(١) أي: مصطفى صبري.
(٢) انظر كلاً من: (قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلّدة الغرب)، ص٧٩ ـ ٨٠؛ و(مسألة ترجمة القرآن)، ص١١٩ ـ ١٢٠.

بين تلك الفتوى وفتوى مفتي الديار المصرية[1] في المسألة نفسِها. وبَحَثَ مسألةَ الكفِّ عن تكفيرِ المسلم، وبَيّن أنَّ ذلك مخصوصٌ ومشروطٌ بما إذا كان فيه مصلحةٌ للإسلامِ وزيادةٌ لِقوّته، أما إذا كان بالعكس فلا.

كما بَيّن أنَّ الكلامَ إنّما هو في تكفير مسلمٍ يَشُقُّ عليه مفارقةُ الإسلامِ ومفارقةُ أخوة المسلمين، لا في مَنْ يرى في تلك المفارقةِ شرفاً لنفسه وفخراً[2].

ونبَّه العلماءَ الغافلين عَنْ هول الموقف في تركية وخطورته إلى أنَّ الوصايا الفقهية المُوجِبَة للأخذِ بالتساهلِ، والكفِّ عن التشديد في مسائل الإيمان والكفر، التي تَمسَّكَ بها هؤلاء العلماء، إنما يُعمَلُ بها في الأزمنة والحالات الطبيعية، وفي أزمنة قوة الإسلام وعدمِ الخوفِ عليه من أعدائه؛ أما في هذا الزمن الذي تَجَرَّأ فيه الأعداءُ على الإسلام داخلَ بلاده، وهجموا عليه في عُقرِ دياره، فإنَّه لا يجوزُ التساهلُ معهم، بل يجبُ معاملتهم بكل حزمٍ وشدة[3].

* * *

---

(١) لم يَذكر اسمه كما لم يَذكر اسم مفتي (كُملجنة)، ولكنْ من المؤكَّد أنه يَقصد بمفتي (كُملنجة) صديقَه الشيخ الجليل الحافظ (محمد نوزاد)؛ حيث تحدَّث عنه أكثرَ من مرةٍ في كتبه ومقالاته.

(٢) ويَقصد به مصطفى كمال وأعوانه.

(٣) انظر كلاً من: (مسألة ترجمة القرآن)، ص١٢٠، وص١٣٢؛ ومقالة (فتنة القبعة الجديدة ومغزاها الجديد)، ص١٦.

القِسْمُ الثَّانِي

كتبه باللغة العربيّة

أ ـ الكتب المطبوعة:

للشيخ ستةُ كتب مطبوعةٍ باللغة العربية، وهي ما يلي:

١ ـ كتاب (النكير على مُنكري النعمة من الدين والخلافة والأمة):

يقع هذا الكتاب في مجلّدٍ واحدٍ، ويشتمل على (٢٣٥) صفحة من الحجم المتوسط، وقد أَلَّفه مصطفى صبري قُبيل إلغاء الخلافة العثمانية[1]، وطُبِعَ في المطبعة العباسية ببيروت سنة (١٣٤٢هـ = ١٩٢٤م)[2].

وهذا الكتابُ له أهميته الخاصة في تاريخ المسلمين المعاصر، والفكر السياسي الإسلامي، لأنّه يُصحّحُ معلوماتٍ كثيرة خاطئة، ويكشِفُ أسراراً عميقة، ويُعتبَر وثيقةً مُثبِتَةً للمؤامرات والخطط اليهودية والصليبية للقضاء على الخلافة العثمانية، حيث سَجَّلها الشيخ خطوةً خطوةً، وشرح أبعادَها كلَّها،

---

(١) فقد ذكر في آخره تاريخ الفراغ منه، وهو ١ من شهر رجب سنة (١٣٤٢هـ) الموافق ٧ شباط (فبراير) (١٩٢٤م).

(٢) وكتب على الغلاف الخارجي للكتاب البيتين الآتيين:

عَذيري من لسَانٍ أعْجَميٍّ ... يَضِيقُ مُعْرِباً عَن رَحْبِ نَحْبِي

وَقَدْ أَنْطَقْتُهُ حتَّى إذَا مَا ... تَنَاهَى طولُه أَنْطَقْتُ قَلْبِي

وحَذَّرَ منذ البداية من خطورةِ نتائجها، ولذا اختارَ له عنواناً يُوحي بشدةِ غضبه، وعُنْفِ نَقْده فسماهُ (النكير على منكري النعمةِ من الدينِ والخلافةِ والأمةِ).

وقد بحثَ فيه مسألة الخلافة الإسلامية من ناحيتها السياسية خاصة، وتَصدَّى لمهاجمة الكماليين، وتنفير العالم الإسلامي منهم، والتحذير من شرورهم، وعالجَ فيه أكثرَ القضايا اتصالاً بمآسي المسلمين في العصر الحديث بعد إسقاط الخلافة، وعَبَّر فيه عن آرائه التي امتزجت بتفاصيل تاريخية وسياسية وعسكرية وثقافية[١].

محتوياته:

يجري الكتاب على الطريقةِ العربيةِ القديمةِ التي اتَّسَمت بها الأمالي في العصر العباسي، فهو يَسوقُ القولَ كيفما اتفق له، وكيفما تواردَ على ذهنه، ولذا فهو غيرُ مقسَّمٍ إلى أبوابٍ أو فصول[٢]، ولكنْ من الممكنِ أن نَحصرَ مباحثَه في قسمين رئيسين[٣]:

القسم الأول: يُحَذِّر فيه العالمَ الإسلامي من خطرِ الكماليين، ويُنَبِّه المصريين على سوء نيتهم.

---

(١) انظر: د. مصطفى حلمي ـ الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، ص٥، ٦، ١٥.

(٢) انظر: د. محمد محمد حسين ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: ٢/ ٧٤.

(٣) راجع في هذا: المرجع السابق: ٢/ ٧٤ ـ ٨٥.

والقسم الثاني : يَتكلَّم فيه عما ارتكبه الكماليون من التفرقة بين الخلافة والسلطة، مُبيّناً دوافعه، مُوجِّهاً أنظار المسلمين إلى آثاره.

أما **القسم الأول** فقد تناول فيه أربعَ مسائلَ؛ هي :

١ ـ الكلام عن فساد دين الاتحاديين والكماليين :

حيث تكلَّم على موقف الاتحاديين والكماليين من الدين الإسلامي وعلمائه، وبَيّن فسادَ دينهم وعقيدتهم، وقَدَّم نماذجَ مما كتبه بعض كُتَّابهم، مستشهداً بها على استخفافهم بالقرآن وبالتعاليم الإسلامية، ومجاهرتهم بأنَّها مما لا يُمكِنُ تطبيقُه في القرن العشرين، كما قَدَّم نماذج من دعوة بعض متطرفيهم إلى التَّخَلُّص من سلطان الدين، وتجاهله في تدبير سياسة الدولة اقتداءً بالأوروبيين وبالثورة الفرنسية خاصة، وضربَ أمثلةً لما عبثوا فيه بالشرع، حين سَنُّوا من القوانين ما يُخالِفُه.

ودَقَّق النظرَ في مسألة فتح (أزمير) واستردادها من اليونان التي عليها مدارُ فخرِ الكماليين واعتزازهم، ونَقَّبَ عن قيمةِ ذلك الفتح وغايتهِ، منبهاً على أنّهم اتخذوه ذريعةً لهدم قواعدِ الشرع والمروقِ من الدِّين، كما تكلَّم في مواضع متفرقة من كتابه عن فساد دين مصطفى كمال وسوءِ سيرته.

٢ ـ الكلام على عصبيتهم للجنس التركي ومحاربتهم للعصبية الإسلامية :

حيث تكلَّم على عصبيةِ الاتحاديين والكماليين لجنسهم، وبَيّن أنَّهم ذهبوا في التعصّب لطورانيتهم إلى حدِّ العداوةِ للإسلامِ، ومهاجمتِه باعتباره

ديناً عربياً، وإحيائهم لعقائد الترك الوثنية السابقة على إسلامهم، كالوثن التركي القديم (بوزقورت) أو الذئب الأغبر الذي صَوَّروه على طوابع البريد، ووضعوا له الأناشيدَ، وألزموا الجيش أن يَصطَفَّ لإنشادِها عند كلِّ غروب.

وقد سَفَّه مصطفى صبري هذا المذهب، وبَيَّن أنَّ الاتحاديين والكماليين لا يدينون إلا بالنفع المادي، ولا يُبالون بما يُصيبُ الناسَ من ضررٍ في سبيل تحقيق تلك المنافع.

٣ـ بيان أنَّ الاتحاديين والكماليين اسمان مختلفان لحزبٍ واحدٍ:

حيث أكّدَ في مواضع متفرقة من كتابه أنَّ الاتحاديين والكماليين حزبٌ واحدٌ، وأنَّ الخلافَ بينهما ليس خلافاً على المبادئ، ولكنَّه خلافٌ شخصي مَبْعَثهُ التنافسُ على الزعامة، فكلاهما لا يَستنِدُ إلى القوة المشروعة التي تَستند إليها الأحزاب السياسية عادة[١]، بل يَستندُ إلى الجيش، وبَيَّن تشابه أساليبهم في سياستهم الداخلية والخارجية، وتكلّم ـ بإفاضةٍ ـ على ما جَرَّته تلك السياسة من مصائبَ وويلاتٍ على الأمة التركية المسلمة، موضِّحاً أنَّ ابتلاءها بالاتحاديين والكماليين أدهى وأَمرّ من ابتلائها بالدول الأجنبية، وأنَّ الاتحاديينَ والكماليينَ جميعاً هم المسؤولون عن ضياع الدولة العثمانية منذ وضعوا أيديهم على الدولة بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني.

٤ ـ الكلام على صلتهم باليهود وتواطئهم مع الإنكليز:

حيث أوردَ على صلتهم باليهود كثيراً من الأمارات الدالة على وجود

---

(١) وهي قوة الشعب وقوة الانتخاب المبني على المحبة التامة.

العلاقة الوثيقة بينهم، وعلى أنَّ لليهودِ إصبعاً في خلع السلطان عبد الحميد، وإسقاط الخلافة العثمانية، وفرض الإلحاد واللادينية، ونَبَّه المسلمينَ إلى فتنتهم المتصاعدة إلى عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وساقَ كذلك جملةً من الشواهد الدالة على تواطؤ الكماليين مع الإنكليز.

وأما **القسم الثاني**: من الكتاب: فقد فَصَّلَ فيه القولَ في حكم تجريد الخلافةِ من السلطة من الناحية الشرعية، وبَيَّنَ ـ من وجوه ستة ـ **أنه لا يجوزُ قياسُ ما ابتدعه الكماليون** من تجريدِ الخلافةِ من السلطة[1] على ما سبقَ في أعصرِ الخلفاءِ المستضعفين، من انتزاع سلطةِ الإجراء من أيديهم إلى ملوك وأمراء آخرين، مع بقاء صفة الخلافة فيهم.

كما أوضحَ أنَّ بدعةَ الكماليين تلك ترجع إلى ارتداد الحكومة التركية، وانتزاعها من لباسها الديني، ذلك لأنَّ الحكومةَ ـ في نظرِه ـ هي القوةُ العاملةُ، والخلافةُ هي اتصاف تلك الحكومة بصفةٍ دينيةٍ، فإخراجُ الحكومة عن الخلافة إخراجٌ لها عن الدين. ونَصَّ على مذهبه في الخلافة والخليفة، وبَيَّن لقراءِ كتابه مرمى الكماليين من حادثة فصل الخلافة عن السلطة، وَوَجَّه أنظارَهم إلى الآثار الخطيرة المترتبة على تلك الحادثة.

وَرَدَّ في ثنايا كتابه على كثيـرٍ من حُجَـجِ الكماليين وأنصارهم مبينـاً فسادها، ولا سيّما حجج ومغالطاتِ مأمورِهم ومأجورِهم بالديار المصرية المدعو (عبد الغني سِني).

---

(١) وذلك قبل قيامهم بإلغائها نهائياً.

كما ردَّ على بعضِ ما يثيرُه المتفرنجون من شبهات[1]، وشَدَّدَ القول على مَنِ اعتذروا عن الكماليين في تجريدهم الخلافة من السلطة، وعلى من حاولوا تأويلَ أفعالهم تلك بحيث تبدو متفقةً مع روح الدين الإسلامي، متمشيةً مع أحكامه، فتحرَّوْا لها مساغاً في شرع الإسلام، ومثالاً في تاريخه.

وأفصحَ عن موقفه من السلاطين العثمانيين المتأخرين، ولا سيما السلطان (عبد الحميد الثاني) والسلطان (محمد وحيد الدين).

ثم حقق القول في مسألةِ حرية الأمة وحرية الحكومة مبيناً الفرق بينهما. ثم ذكر ـ أخيراً ـ ما رآه وما عاناه في مصر لَمَّا هاجر إليها قُبيل إلغاء الخلافة، وما قاله المصريون فيه وما قاله فيهم نثراً ونظماً. هذا بالإضافة إلى ما تَخَلَّل الكتاب في مواضع متفرقة منه من التنديدِ بهم وتسفيهِ آرائهم، التي لاشكَّ أنَّها من آثار امتداحهم الكماليين، ودفاعهم عنهم في الكتب والصحف والمجلات، ومن آثار سوء استقبالهم إياه، وتَجَنِّيهم عليه بعد أن هاجرَ إليهم، ولاذَ بهم فراراً بدينه وحياته.

---

(١) وقد كان من أحسنِ ما وُفِّق الشيخُ إلى تجليته وبيان وجه الحق فيه: شبهتان يُثيرهما المتفرنجون تتعلّق إحداهما بالأحكام الشرعية، والأخرى بعلماء الدين. فهم يقولون في الأولى: كيف يُمكن أن تكون الحكومةُ حرةً ومستقلّةً إذا قيدت نفسها بالدين؟ انظر: النكير على منكري النعمة، ص١٣٧. ويقولون في الثانية ـ في سبيل الدعوة إلى عدم الاعتداد بالعلماء المُعَمَّمين ـ: «لا اختصاص [لأحد] من صنوف المسلمين في العلم بالدين ولا امتياز ولا رهبانية في الإسلام». المرجع السابق، هامش ص١٤٥.

وبينما كان الكتابُ في المطبعةِ أصدرتْ حكومةُ مصطفى كمال قراراتها الناطقة بإلغاء الخلافة بتاتاً، ونَفْي آل عثمان من تركية، وإلغاء الوزارة والمحاكم الشرعية والمدارس والأوقاف الإسلامية، ونشرت الجرائد التركية أنّ الحكومة الكمالية ترمي في حركتها الأخيرة هذه إلى وداع الدين الإسلامي، فألْحَقَ مصطفى صبري بالكتابِ فصلاً قصيراً ختمَه به، وجعَلَ عنوانه (قطعتْ جَهيزةُ قولَ كلِّ خطيب) ذَكَّرَ فيه المسلمين عامةً والمصريين بوجهٍ خاصّ بما قال فيما سبقَ في الكماليين، وأوردَ فيه قراراتهم الأخيرة التي أصدروها مع إلغاء الخلافة[1]، وذلك نقلاً عن الجرائد التركية الصادرة آنذاك.

هذا وقد أشفعَ الشيخُ متنَ كتابه بهوامشَ كثيرةٍ شرحَ فيها ـ بإفاضةٍ ـ ما أورده بالمتن من مباحث[2].

٢ ـ كتاب (مسألة ترجمة القرآن):

يقع هذا الكتاب في مجلد واحد ويشتمل على (١٤٦) صفحة من الحجم الكبير، وقد طبع في المطبعة السلفية بالقاهرة سنة (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م).

سبب تأليفه:

وسببُ تأليفه هو أنَّ أصحابَ الانقلاب الكمالي اللاديني في تركية أثاروا فتنةً تَرمي إلى هجرِ القرآنِ العربي المنزل على نبي الرحمة والهدى محمد ﷺ،

---

(١) مما يدلّ على صدق ما قاله فيهم في هذا الكتاب وفي غيره.

(٢) وطبع الكتاب مجدداً في دار القادري بدمشق بعناية حسن السماحي سويدان عام ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م. (ن).

وذلك بترجمتهِ إلى اللغة التركية، **وإقامةِ المُترجَم مقامَ الأصلِ في الصلاة وفي غيرِها من العبادات والمعاملات**، إمعاناً منهم في البُعد عن الإسلام وسيادة القرآن، فقـامَ بعضُ الكُتَّاب في مصر بالدفاع عن تلك الفتنة، وترويجهـا، وإغراء الشعوب الإسلامية بالأخذ بها، فحرَّروا المقـالات الطِـوال لتأييـد الكماليين في مسعاهم، وأعدّوا لهم المستندات والأدلة من الكتب الفقهية، ومن أبرزهم: (محمد فريد وجدي) و(محمد مصطفى المراغي).

لذا ألّف مصطفى صبري كتابَه هذا للبحث في مسألة الترجمة من وجهتها الشرعية ووجهتها السياسية والاجتماعية، ولكشف النقاب عن مرمى الكماليين من فتنتهم تلك، وللردّ على مُؤَيديهم ونقضِ حججهم، وللدّفاعِ عن سيادةِ القرآنِ وصيانتِه من التحريف والتبديل.

محتوياته:

قَدَّمَ الشيخُ لكتابهِ بمقدمةٍ قصيرةٍ بَيَّن فيها أهميةَ مسألةِ ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية وخطورتِها، وذكرَ سببَ تأليفِ الكتاب، ثم تكلَّم على الفرقِ بين مذهب الأستاذ (فريد وجدي)، ومذهب الشيخ (محمد مصطفى المراغي) في المسألةِ موضوع البحث، وأشركَ معهما الإمام (علاء الدين الكاساني الحنفي) (ت٥٨٧هـ) صاحب كتاب (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع) الذي وَجده يَتعصَّب لمذهبِ الإمام أبي حنيفة في جوازِ الصلاةِ بالفارسية مطلقاً، مع ثبوتِ رجوع أبي حنيفة عنه إلى قولِ صاحبيه اللذين لم يُجَوِّزا ذلكَ للقادر على قراءةِ النصّ العربي، فأنزله[١] ميدانَ النقاشِ، وعُني

---

(١) ضميرُ المفعول هنا عائدٌ إلى الإمام علاء الدين الكاساني.

بنقلِ أقوالِه أثناءَ درس المسألة من الناحية الفقهية، وتَعقَّبَ كلَّ قطعةٍ منها بتعليقةٍ، وذلك خشيةَ أنْ يَنجذبَ الناسُ بكلامِه، ويستخرِجُوا منه سنداً لفتنة الترجمة المُثارة في تركية.

ثم عَدَّدَ ـ بإجمال ـ مساندَ مسألةِ الترجمة قديماً وحديثاً، والشُّبَه الرئيسة التي يَعتمِدُ عليها مُحْدِثُوها.

ثم دَخل في صلب الكتاب وقَسَّمه إلى قسمين رئيسين:

تناول في **القسم الأول** منه مسألةَ الترجمة من وجهتها الشرعية، حيث درسَ المسألةَ دراسةً فقهيةً، ودَقَّقَ النظرَ في أقوالِ فقهاءِ الحنفيّةِ في المسألة، ونقضَ مسانِدَ القائلين بالترجمةِ قديماً، وقَرَّرَ أنّه لا يستقيمُ لدعاة الترجمةِ حديثاً أن يَتَّخذوا مذهبَ الإمام أبي حنيفة سنداً لهم؛ لرجوعهِ عنه من جهة، ولكون مذهب الأحناف عموماً في المسألة ضعيفاً في حدِّ ذاته من جهةٍ أخرى.

وناقش أقوال الشيخ المراغي، وبيَّن ما فيها من تلبيسٍ بين معنيي القدرةِ على العربية والعجزِ عنها في كلامِ الفقهاء.

ثم أتْبَعها بنظرةٍ خَصَّصها لمناقشة أقوال صاحب (البدائع) في موضوع الترجمة، ونبَّه على أنَّ الترجمةَ المعنوية إنّما هي جزءٌ من القرآن، واسم الكلِّ لا يُطلق على الجزءِ، ومن هنا فإنَّه لا يصحُّ إطلاقُ اسم القرآن على ترجمته المعنوية، وبالتالي لا تَنوبُ تلك الترجمة عن الأصل ولا تقوم مقامه.

وتناول في **القسم الثاني** منه مسألة الترجمة من وجهتها السياسية والاجتماعية، فكشفَ القناعَ عن بعض أسرار الانقلاب الكمالي، وتكلَّم على

خطورةِ الدفاعِ عن الكماليين، وتسويغِ أعمالهم ومقاصدِهم السيئة، التي باتت لا تخفى علـى أحدٍ، وبيَّن مدى سخافةِ تلفيقِ الأسانيد العديدة من الكتب الفقهية لتأييدِ مسعاهم في ترجمة القرآن إلى اللغة التركية، في حين أنَّهم ألغوا الإسلامَ تماماً، وأبطلوا جميعَ الكتب والمذاهب الإسلامية، واعتبروا التمسُّكَ بها تَخلُّفاً ورجعيةً. ثم بيَّن المفاسدَ والمضارَّ الكثيرة المترتبة على فتح الباب لترجمة القرآن الكريم إلى غيرِ لغته المنزل بها، **والاستغناء بالترجمة عن الأصل.**

وناقش (محمد فريد وجدي) وفَنَّدَ حُججه التي استند عليها، وَرَدَّ عليه بأدلّة قويةٍ عقليةٍ ونقليةٍ، وأورد أمثلةً كثيرةً من تلبيساته في مقالاته العديدة التي نشرها في جريدتي (الأهرام) و(المقطم).

كما تطرّق إلى بحوثٍ علمية أخرى جَرَّت إليها مناسبةُ المقام.

٣ ـ كتاب (موقف البشر تحت سلطان القدر):

يقع الكتاب في مجلدٍ واحدٍ ويشتمل على (٢٩٩) صفحة من الحجم الكبير، وقد طُبِعَ بالمطبعة السلفية بالقاهرة سنة (١٣٥٢هـ = ١٩٣٣م).

وكان مصطفى صبري قد ألَّف الكتابَ باللغة التركية أثناء إقامته بتراقية الغربية اليونانية، ولم يتيسر له نشره، ولما قَدِمَ إلى مصر، واستقرّ فيها، ترجمه إلى اللغة العربية، وأضافَ عليه عندَ الترجمة كثيراً من المباحث[1].

---

(١) انظر: موقف البشر تحت سلطان القدر، هامش ص٣١.

سبب تأليفه :

بسطَ الشيخُ في مقدمة كتابِه أسبابَ تأليفهِ، والتي يُمكن إجمالها فيما يلي :

١ ـ تَحَوُّلُه عن مذهب الماتريدية إلى مذهب الأشاعرة، وإحساسُه بضرورة دراسة (مسألةِ أفعالِ العبادِ) وقتلِها بحثاً وتدقيقاً[١] .

٢ ـ أنَّه اطَّلَع بعد مجيئه إلى مصر واستقرارِه فيها على رسالة من ثلاثة أجزاء ادَّعى كاتبُها أنَّه وضعَ علماً جديداً وأسمَى رسالته (علم القضاء والقدر أو سرّ تأخر المسلمين) ونسبَ جميعَ أهل المذاهب في مسألة أفعال العباد وجميعَ العلماء القائلين بالقدر من خَلَفِهم وسَلَفِهم إلى الضلال، بل إلى الكفر، واستشهدَ بقول مؤلِّفٍ فرنساوي : «إنَّ الديانةَ المحمدية جُذامٌ فشا بينَ الناس، وأخذَ يفتِكُ بهم فتكاً ذريعاً، بل هي مرضٌ (مُرَوِّعٌ) وشللٌ عام، وجنونٌ ذهولي، يَبعَثُ الإنسانَ على الخمول والكسل»[٢] .

---

(١) كان مصطفى صبري ماتريدياً في مسألة أفعال العباد، شأنه في ذلك شأن معظم العلماء الأتراك في عهد الدولة العثمانية، وكان طول المدة التي ظَلَّ يَتَّبعُ فيها المذهب الماتريدي يُحِسُّ في نفسه قلقاً تجاه هذا المذهب، ولمَّا خرجَ من بلاده خروجاً نهائياً، وأقام في تراقية الغربية اليونانية عكف على دراسة هذه المسألة، وتعمَّق في بحثها من جوانبها كافة، فَتَبَيَّن له رُجحان مذهب الأشاعرة في هذه المسألة على مذهب الماتريدية، فاتَّبعه ـ على الرغم من أنّه يختلفُ فيه مع الأشاعرة في بعض الجزئيات الدقيقة ـ وألَّف كتابه هذا للذود عنه .

(٢) المرجع السابق، ص١٣ نقلاً عن كتاب (علم القضاء والقدر)، ص٤٤ .

ويرى هذا المؤلف قوةَ الأمم الغربية غيرَ المسلمة فَيُجِلُّهم، ويرى ضعفَ المسلمين فَيَزْدريهم، ويَستهينُ بعلمائهم وأئمتهم ويُجَهِّلهم، بل يُجَهِّل اللهَ عزَّ وجلَّ، ويُسنِدُ تأخّرَ الأمم الإسلامية إلى إيمانهم بالقدر.

ولذا حرص الشيخ على تأليف كتابه هذا للرد على هذا الكاتب[1] وأمثاله.

٣ ـ أنَّه اطلعَ أيضاً في مجلة (جمعية الهداية الإسلامية) على محاضرة في القضاءِ والقدر للعلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي (١٨٥٤ ـ ١٩٣٥م) ألقاها في قاعة الجمعية، ففرحَ بها، وعُنِيَ بقراءتها رجاءَ أن يجدَ فيها الشفاءَ والوفاءَ بحق نقطتين مهمتين هما:

أ ـ حل مشكلة المسألة التي لا يزالُ غموضُها مثلاً سائراً على ألسنة العلماء والعقلاء.

ب ـ إزالةُ التهمةِ عن الإيمان بالقدر المأثور في الإسلام التي وجهها إليه أعداؤه الجُدد، وأرادوا بها تشويهَ وجهِه عند ضعفاءِ العقول.

ولكنَّ مصطفى صبري فُوجئ بخلافِ ما كان يُؤَمِّلُ، ذلك أنَّ فضيلةَ الشيخ (بخيت) بنى الأمرَ في مسألة القدر على مذهب الماتريدية، وعَرَّضَ بمذهب الأشاعرة، ومال إلى تصديق القائلين بكون سبب تأخر المسلمين هو إيمانُهم بعقيدة القضاء والقدر.

---

(١) لم يُشِر الشيخ إلى اسمه.

يقول مصطفى صبري: «الحاصل أنَّ الشيخ بخيت لم يأتِ بدواءٍ للداءِ القديم بإزالةِ الغموض عن أصل المسألة، ولا للداءِ الحديثِ بإزالةِ التهمةِ عن عقيدة القدر، ونَفْي الزعم بكونها سببَ تأخرِ المسلمين، بل تكلّمَ بكلامٍ يميلُ إلى تصديق أقوال المُرْجِفين، ويُنْبِئ عن الإمعانِ في اجتنابِ عقيدةِ الجبرِ، وإن أَدَّى إلى إنكارِ القَدَرِ»[1].

ولذا حرصَ مصطفى صبري على تأليف كتابه هذا لمناقشة الشيخ بخيت فيما ذهب إليه.

٤ ـ أنه استشعر طروءَ الوهنِ على عقيدة الإيمان بالقدر، وعلمَ أنَّ سوءَ الظن بتلك العقيدة الإسلامية قد أتانا من الغرب، ولذا قرر بحثَ مسألةِ أفعال العباد لتأييدِ عقيدةِ الإيمان بالقضاءِ والقدرِ والدفاع عنها ضد اعتداءات المعتدين.

٥ ـ غلو الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م) في الهجوم على مذهب الأشاعرة ـ الذي هو مختار مصطفى صبري ـ وتبرؤه من مذهب المعتزلة، مع عدم اختلافه عنهم في مَسْلَك التفويض، وتَسَتُّرُهُ بتعبير الكسب.

ولهذا أيضاً حَرِصَ مصطفى صبري على بحث مسألة القدر لمناقشة الشيخ (محمد عبده) ولبيان حقيقة مذهبه في المسألة، ولتأييد مذهب الأشاعرة والذود عنه.

---

(١) موقف البشر، ص٢٢ بتصرف يسير.

محتوياته:

يتكون الكتاب من مقدمة وثمانية فصول وخاتمة.

أولاً ـ المقدمة:

قَدَّمَ مصطفى صبري لكتابه بمقدمةٍ طويلةٍ تكلَّم فيها على أهمية (مسألة أفعال العباد) موضوع البحث، وبَيَّنَ مدى خطورتها، وحَرَّرَ محل النزاع فيها، ثم حَدَّدَ المذهبَ الصحيحَ في نظره، وعَرَضَ أسبابَ تأليف الكتاب عرضاً مفصّلاً، وبَيَّن المنهجَ الذي اتبعه عند تأليفه، ثم أوردَ أقوالَ الشيخ محمد عبده في المسألة نقلاً عن كتابه (رسالة التوحيد)، ثم رَدَّ عليها ودافعَ عن مذهب الأشاعرة.

ثانياً ـ فصول الكتاب:

يتكون الكتاب ـ كما ذكرنا آنفاً ـ من ثمانية فصول يُمكن إجمالها فيما يلي:

الفصل الأول: المذاهب المشهورة في أفعال العباد:

عَرَضَ فيه المذاهبَ المشهورة في مسألةِ أفعال العباد، وذكرَ خلاصة ما يعتقده في المسألة، كما ذكر أدلةَ الأشاعرة، ولخَّص مذهبهم، مبيناً سبب تسميته بالجبر المتوسط، وموضِّحاً الفرقَ بينه وبين مذهب الجبرية، ولخَّص أيضاً مذهبَ الماتريدية مبيناً الفرق بينه وبين مذهب الأشاعرة.

الفصل الثاني: ماهيةُ الإرادةِ الجزئية والاختيار، وبالتعبير الأعم: ما الذي يملكه الإنسان من أفعاله؟:

أجابَ فيه على هذا التساؤل بذكر ثلاثة آراء في تعيين مكسوب الإنسان

عند أفعاله، وذكر أدلة كلٍّ منها، ثم رَدَّ عليها رداً تفصيلياً، وردَّ ـ خلاله ـ على الماتريدية، وناقش مذهبَهم القائل بأنَّ الإرادةَ نوعان: إرادة كلية مخلوقة لله، وإرادة جزئية غير مخلوقة لله، بل هي من كسب الإنسان، وأثبتَ أنَّ الإرادة الموجودة إرادةٌ واحدةٌ فقط، وهي ما يُعبِّرُ عنها الماتريدية بالإرادة الجزئية، كما أثبتَ أنَّها مخلوقةٌ لله أو مبنية على مشيئته، واستند في ذلك على مُؤَيِّدات كثيرة ذكرها بالتفصيل.

ودَقَّقَ النظر في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

ورَدَّ رداً مشبعاً على المفسرين الذين أوّلوا الآية لكي تلتئم مع مذاهبهم، أمثال: العلامة المفسر أبي السعود (٨٩٨ ـ ٩٨٢هـ) وفضيلة الشيخ بخيت الذي ناقشه فيما ذهب إليه في محاضرته التي ألقاها في قاعة جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة، وَرَدَّ عليه من ثلاثة عشر وجهاً. واختتم هذا الفصل بإيراد مجموعة من الآيات والأحاديث الدالة على القدر مع التعليق عليها.

الفصل الثالث: حاجةُ الأفعالِ الاختيارية إلى داعيةٍ، ومسألةُ الترجيح بلا مرجّح:

أوردَ فيه الأدلة العقلية على ما ذهبَ إليه في المسألة، كما أورد بعضَ الاعتراضات التي يُمكن أن يُعترض عليه بها، وأجاب عنها مبيناً النقطة التي يَفترق بها مذهبُه عن مذهب الأشاعرة، ثم حَقَّقَ القول في عبارة (لا جبرَ ولا تفويضَ ولكن أمرٌ بين أمرين) وأيَّدَ مذهبَ الأشاعرة، وذكر بعض الانتقادات الواردة على مذهب الماتريدية.

الفصل الرابع : صفحة الحقيقة الأخرى :

بَيَّنَ فيه الفرقَ بين الجبر المتوسط الذي يُنْسَبُ إلى مذهب الأشاعرة، والإكراه والجبر المحض، منبهاً على أنَّه لا جبرَ بالمعنى المُتَعارفِ عليه في مذهب الأشاعرة، وعلى أنَّه لا يصحُّ التعبيرُ عنه بالجبر المتوسط. ثم دَقَّقَ النظر في كل من ذلك المذهب ومذهب الجبرية، وبَيَّن الفروق التي بينهما، منبهاً على منشأ الجبر في أفعال العباد، ومُجيباً عن الاعتراضات الواردة على مذهب الأشاعرة.

واختتم هذا الفصلَ بتلخيصِ (مسألة أفعال العباد)، وعقدَ مقارنةً بين مذهبي المعتزلة والماتريدية مع التنبيه على ما فيهما من محاذير.

الفصل الخامس : مسؤولية العباد عن أعمالهم :

اجتهدَ فيه للتوفيق بين عموم سلطة الله على جميع ما كان وما يكون، وإحاطة إرادته به، وتكليفُ العباد بالشرائع، ومسؤوليتهم عن أعمالهم، مبيناً أنّ غموضَ مذهب الأشاعرة في المسألة وخفاءَ معنى الكسب فيه لا يُعد عيباً عليه، ثم انتقدَ بعضَ ما وردَ في كتابَيْ (المواقف) لعضد الدين الإيجي، و(المقاصد) لسعد الدين التفتازاني من أقوالٍ في المسألة نفسها.

الفصل السادس : مذهب إمام الحرمين :

تكلَّم فيه عن مذهب إمام الحرمين (٣١٩ ـ ٤٧٨هـ) ـ رحمه الله ـ في المسألة، ونقلَ أقواله التي أوردها في كتابه (النظامية) ودقَّقَ النظر فيها وناقشها، ثم أجابَ عن قولِ الشيخ (محمد عبده) بأنه يَلزمُ من الاعتراف بالجبر الذي

اعترفَ به الأشاعرةُ هدمُ الشريعةِ وإبطالُ التكاليفِ الإلـٰهية التي نطقت بها كتبُ اللهِ المنزلةِ على رسله.

الفصل السابع: تأثير عقيدة القضاء والقدر في حياة الإنسان:

تكلَّم فيه عن الدعوى القائلة بأنَّ عقيدةَ القضاء والقدر في الإسلام هي سِرُّ تأخر المسلمين، وأنّها تُؤَدي إلى العطالة والكسل، وتَسوق الناسَ إلى التقاعس عن السعي والعمل، وردَّ على أصحابِ تلك الدعوى رداً مُفحماً، وحَمَلَ على ضعافِ العزائم الذين تُخيفهم تلك الدعوى.

الفصل الثامن: آراء فلاسفة الغرب:

عرضَ فيه آراء الفلاسفة الغربيين في الجبر والاختيار، ثم ناقشها وانتقد ما يحتاجُ إلى النقد.

ثالثاً ـ الخاتمة:

ختم مصطفى صبري كتابه بمناقشة (محيي الدين بن عربي) فيما ذهبَ إليه في (مسألة أفعال العباد) ورَدَّ عليه مبيناً شدةَ بطلانِ مذهبه من وجوه عدة. وانتقدَ المفسِّرَ العلامة الآلوسي (١٨٠٢ ـ ١٨٥٤م) الذي سار في هذه المسألة على مذهب ابن عربي، وتمسّك به في كتابه (روح المعاني)[1]. ثم أوردَ كلام

---

(١) وذلك عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[المائدة: ١١١]، وقوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [١٤٨ ـ ١٤٩]. =

الإمام أبي حنيفة في هداية الإنسان وإضلاله، وبيَّن الفرق بينه وبين كلام ابن عربي.

هذا وقد دعمَ مصطفى صبري تأليفَه هذا بالأدلة القوية من الكتاب والسنة والحجج الجامعة بين قضايا المنطق القديمة وقواعد علم النفس الحديثة.

٤ ـ كتاب (قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب):

هو في الأصل سلسلةُ مقالاتٍ نشرها مصطفى صبري في مجلة (الفتح) في عامها التاسع ابتداءً من العدد (٤٢٠) الصادر في ٣٠ رجب سنة (١٣٥٣هـ) الموافق لـ ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٣٤م)، وقد لاقت هذه المقالات يومئذٍ استحسانَ وثناءَ الكثيرين من أهل العلم والفضل بمصر، فرأى الشيخ وصديقُه الأستاذ محب الدين الخطيب (١٨٨٨ ـ ١٩٧٠م) صاحبُ مجلة (الفتح) والمطبعة السلفية بالقاهرة جمعَها في كتابٍ مستقلّ، لِتَعُمَّ بها الفائدة، فَطُبِعَ الكتابُ بالمطبعة السلفية بالقاهرة سنة (١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م)، ثم أُعيد طبعه في بيروت عدة مرات[1]. ويقعُ الكتابُ في جزءٍ واحدٍ، ويشتمل على (٩١) صفحة من الحجم المتوسط.

سبب تأليفه:

سبب تأليف الكتاب هو أنَّ دعاة السفور قد نشطوا في ترويج باطلهم،

= راجع: (روح المعاني): ٨/ ٣ وما بعدها، وص ٥١ وما بعدها.

(١) كان آخرها طبعة الأستاذ بسام الجابي الذي قدَّم له بمقدّمة جامعة، وهي من منشورات دار ابن حزم ـ بيروت. (الناشر)

حيث نقدوا ما قرره الإسلام في مسألة تعدد الزوجات، وذَمُّوا الحجاب الإسلامي، وسَخِرُوا منه، ونادوا بالتبرّج والسفور، ولما كثر البحثُ والنظرُ في تلك المسائل في الصحف والمجلات وكَثُر فيها الجدلُ والنقاشُ بين الناس، أَلَّف مصطفى صبري هذا الكتاب، لإيضاح وجه الحق في تلك المسائل الاجتماعية المهمة، وللردِّ على الدعاوى الباطلة التي تَمسك بها دُعاة السفور وأعداء مبدأ تعدد الزوجات.

محتوياته:

يتكون الكتاب من مقدمة وقسمين رئيسين:

أولاً ـ المقدمة:

تكلّم فيها على خطرِ تقليد الغرب في مسألة المرأة، ثم أجملَ ما يتضمنه الكتابُ من مباحث.

ثانياً ـ أقسام الكتاب:

القسم الأول: مبدأ تعدد الزوجات:

بسطَ فيه الكلام على مسألة تعدد الزوجات، وشرحَ حُكْمَ الإسلام في تلك المسألة، كما بَيَّنَ سماحةَ الإسلامِ فيما يَختص بالنكاح والطلاق، مما جعله ديناً وسطاً بين ضيق مبدأ المسيحية فيهما، وفوضى الاشتراكية. واجتهدَ في إبراز سموِّ نظرِ الإسلام في إقراره مبدأ تعدد الزوجات، وذلك من خلال المقارنة بين مبدأ التعدد المشروع في الإسلام، والتعدد غير المشروع (السِّفَاح) من حيث ما يترتب على كلٍّ منهما من مصالح ومن أضرار ومحاذير اجتماعية.

ثم ردَّ على أعداء التعدد بأدلة نقلية وعقلية قوية .

واختتمَ هذا القسمَ بتقديم بعض الحلول لمعالجة مرض الفسق المُتَفَشّي في بعض البلاد الإسلامية .

القسم الثاني : السفور والاحتجاب :

تناول فيه مسألة السفور والحجاب ، فابتدأ بذكر خلاصةِ رأيه في المسألة المتضمن فلسفته في الحجاب ، ثم تتبّعَ حججَ دعاة السفور ، وأقوالهم التي يموِّهون بها باطلهم ، ويظهرونه بمظهر الحق ، وردَّ عليها جميعاً رداً مفحماً ، وحلل المغالطات التي يعتمدون عليها تحليلاً دقيقاً ، مبيِّناً ما تُوحي به تلك المغالطات من نوايا خبيثة ومقاصد سيئة . وحثَّ النساء المسلمات على التمسك بالحجاب الإسلامي ، واجتناب الاختلاط بالرجال الأجانب ، مبيِّناً الأضرارَ الجسيمةَ والمخاطرَ الكبيرةَ الناجمةَ عن السفور والاختلاط .

واختتم هذا الفصل بذكر موقف الإسلام من تعليم المرأة .

٥ ـ كتاب (القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون):

يقع هذا الكتاب في مجلدٍ واحدٍ ويشتمل على (٢٤٤) صفحة من الحجم الكبير ، وقد طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر سنة (١٣٦١هـ = ١٩٤٢م) ، ثم طبع مُؤَخراً طبعة حديثة بمطبعة دار السلام للطباعة والنشر بمصر سنة (١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م) .

وهو في الأصل جزءٌ من الكتاب الكبير (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين) ـ الذي سيأتي الحديثُ عنه قريباً ـ حيث يُمَثِّلُ البابَ الثالثَ منه، ولما دعت الحاجة إلى نشرِه بادرَ إلى طباعته على شكلِ كتابٍ صغيرٍ قبل نشر الكتاب كله.

سبب تأليفه:

بسط الشيخ في كتابه أسبابَ تأليفه، ويمكن إجمالُها فيما يلي:

١ ـ أنه لما استقرت به النوى في مصر فوجئ بأنَّ كثيراً من المفكرين المسلمين والمثقّفين ثقافةً عصرية المُولعين بتقليد الغرب يُنكرون كثيراً من العقائد الغيبية، مثل نبوات الأنبياء عليهم السلام ومعجزاتهم والنشأة الآخرة وما يدخل تحتها من بعثٍ وحشرٍ وحسابٍ بدعوى منافاتها للعقل، ومخالفتها لسنن الكون والعلم، المبني عليها، والمُستند على الحس والتجربة، ويرفضون الآيات والأحاديث الواردة في تلك المسائل الغيبية، وذلك بالعبث بمعنى الآيات بتأويلها تأويلاً تعسفياً، وبالتشكيك في صحة الأحاديث وثبوتها مهما كَثُرَ رواتها، منهم على سبيل المثال: الشيخ (محمد عبده)، والشيخ (محمد رشيد رضا)، والأستاذ (محمد فريد وجدي)، والدكتور (زكي مبارك).

ولذا ألَّف مصطفى صبري كتابه هذا للدفاع عن تلك المسائل الغيبية وإثبات إمكانها ولمناقشة هؤلاءِ المنكرين والردّ عليهم وحلَّ شبهتهم.

٢ ـ أنّه اطلع على كتاب (حياة محمد) للدكتور محمد حسين هيكل،

الذي أخلاه من معجزات نبيّنا محمد ﷺ، وادَّعى فيه أنّه ليسَ له معجزةٌ إلا القرآن، وسعى فيه لترويج عبقريته ﷺ لكي تقومَ مقامَ نبوته، كما ضَمَّنه كثيراً من الأفكار الخاطئة، واعتمدَ فيه على كثيرٍ من الدعاوى الباطلة، ثم سعى في مقدمة طبعته الثانية لتعليلِ ما أوردَه فيه من إنكارِ المعجزات الكونية لنبينا ﷺ غير القرآن.

وقد تَوقَّع مصطفى صبري أن يقومَ أحدٌ من العلماء أو المفكرين بنقد الكتاب، أو الإنكارِ على مؤلفه، ولكنّ شيئاً من ذلك لم يَحدث[1]، بل حَدثَ العكسُ، ذلك أنَّ الأوساط المُثقَّفة بمصرَ تَلقَّت الكتابَ بالقبولِ والترحيب، وتكوّنت لجنةٌ ممتازةٌ برئاسة مدير الجامعة المصرية لتكريم مؤلفه، وكَتَبَ كلٌّ من الشيخ الأكبر محمد مصطفى المراغي والشيخ محمد رشيد رضا تقريظاً للكتاب وتعريفاً به ودفاعاً عنه.

لذا حَرِصَ مصطفى صبري على بحث مسألة المعجزات للدفاع عنها ضد اعتداءات المعتدين، وللردّ على هيكل، وتحليل كتابه ونقده نقداً علمياً.

٣ ـ وهناك سببٌ مباشر لنشر هذا الكتاب، وهو أنَّه لما فرغَ الشيخ من

---

(١) ما عدا ما قام به علماء الأزهر، حيث سخطوا على الكتاب ومؤلّفه، وجاؤوا مصطفى صبري في منزله مصطحبين معهم الكتاب، وشكوا إليه ما تضمَّنه من إنكار معجزاته ﷺ والطعن في صحّة كتب الحديث والسيرة، والطعن في أمانة رُواتها ومؤلّفيها، وطلبوا منه نقده نقداً علمياً وإيضاح ما فيه من أفكار ودعاوٍ باطلة، سيما وأنَّه لقي رواجاً كبيراً في مصر خاصةً، وفي العالم الإسلامي عامةً. انظر: الملحق رقم (٥) ص٤٣٤.

تـأليف كتابه الكبيـر (موقف العقل) كانت أزمةُ الورقِ ـ آنذاك ـ قائمةً على أشدّها، فقرّرَ إرجاءَ نشرِه ولا سيّما أنّه يُكوِّن أربعةَ مجلدات كبيرة، واتفق في تلك الأثناء أن نشرَ الشيخ (محمود شلتوت)[1] مقالةً في مجلة (الرسالة) في العدد (٤٦٢) أنكرَ فيها رفعَ عيسى عليه السلام إلى السماء حياً، ونزوله إلى الأرضِ في آخر الزمان الثابتين بالكتاب والسنة، فكتب مصطفى صبري مقالةً للرد عليه، وأرسلها إلى مجلة (الثقافة) لكي تنشرها، ولكنّها لم تفعل ذلك. ومكثتِ المقالةُ في إدارة المجلة زُهاء شهر، وعلمَ مصطفى صبري أنّ أصحابها لا يريدون نشرها، واطّلع في الوقت نفسِه على رغبة كثير من المسلمين وبعضِ العلماء الشرعيين في أن يقولَ قولَه في تلك المسألة، فعمدَ إلى كتابه الكبير (موقف العقل) وأخذ منه بابه الثالث الخاصّ بدرس مسائل النبوّة والمعجزات والنشأة الآخرة، وبادر إلى نشرِه على حدة قبل نشر الكتاب كلّه، ليكونَ نموذجاً له، وجواباً عاجلاً في المسألة الموضوعة موضع النقاش والبحث، ولمجابهة منكري المعجزات ومؤيديهم بكتاب بدل مقالة[2].

---

(١) الذي كان قد أنكر وجودَ الشيطان كما صوَّره القرآن كائناً عاقلاً يرى ويسمع، ويقول ويُجادل ويتكبَّر، ويُؤمر بالسجود لآدم فيعصي الله، ويَعِدُ ويُمنِّي، ويعيش إلى يوم الوقت المعلوم، ثم يُعذَّب في نار جهنم مع الذين اتَّبعوه، وادَّعى أنَّ الشيطان الوارد ذكرُه في القرآن الكريم بهذه الأوصاف ما هو إلا نزعات الشر المُنبثّة في العالم.

(٢) ولطباعة هذا الكتاب قصةٌ مهمة مَن أرادَ الاطّلاع عليها فليراجع الملحق رقم (٥)، ص٤٣٤.

محتوياته:

صدّر مصطفى صبري كتابَه بكلمةٍ قصيرةٍ أشار فيها إلى كتابه الكبير (موقف العقل) ثم ذكر السببَ المباشِرَ لنشر كتابه هذا (القول الفصل)، ثم قَدَّم للكتاب بمقدمة تكلّم فيها عن مفهوم الإيمان بالغيب عند الأستاذ (فريد وجدي) وتحدّثَ فيها عن حالة الشرق الإسلامي الحديث بعد اتصاله بعلوم الغرب موضحاً أبرزَ مميزات مستبطني الإلحاد من الكُتّاب والمثقفين العصريين. وتَطَرّقَ إلى كتاب (عبقرية محمد) للأستاذ العقاد، مبيناً موقفه منه، وموضحاً ما يتميز به عن غيره من الكتب المتعلّقة بعبقريته ﷺ. وحَلَّلَ عقلياتِ منكري المعجزات من الكُتّاب والمثقفين العصريين، مبيّناً موقفَهم من كتب السنة ومن الآيات القرآنية الدالة على المعجزات، ومنبهاً على ما يجبُ على علماء الدين الإسلامي تجاههم.

ثم دخل في صلب الكتاب الذي تناول فيه ثلاث قضايا رئيسة[1] هي:

أولاً ـ قضية إنكار المعجزات:

وقد أورد فيها المباحث التالية:

١ ـ تناول مذهبَ منكري معجزات الأنبياء عليهم السلام بالنقد والتحليل، حيث بَيَّن سببَ إنكارِهم المعجزاتِ الذي جَرَّأهم على رفضِ الآيات والأحاديث

(١) لم ألتزم هنا عند التعريف بمحتويات الكتاب طريقة المؤلّف فيه، ذلك أنَّه لم يُقسّم كتابه تقسيماً رئيساً، ولم يُرتّب مباحثه ترتيباً منهجياً، بل جاء على شكلِ مسائلَ عامةٍ متداخلة، يَرِدُ فيها الكلام أكثر من مرةٍ.

الواردة فيها، ثم كشفَ زيفَ المغالطاتِ التي تَمسكوا بها، وشدّدَ القول عليهم، وبذل جهده في حل شبهتهم، ثم ردَّ عليهم إجمالاً، مبيِّناً الإلزامات العقلية والنقلية التي تلزمهم، وموضِّحاً خطورة المسلك الذي سلكوه، الذي جرَّهم إلى كثيرٍ من التخبطات، وأوقعهم في كثيرٍ من المزالق، وتَحدَّث عمّا يَترتّبُ على مذهبهم من مفاسد. كما تناول مذهب منكري معجزات نبينا محمد ﷺ خاصةً بالنقد والتحليل أيضاً، حيثُ ردَّ عليهم رداً مشبعاً، مبيناً مقاصدَهم الأساسية، ومثبتاً ما يترتّبُ على مذهبهم من محاذير كثيرة.

٢ ـ ناقش الدكتور محمد حسين هيكل، وانتقد ما أورده في كتابه (حياة محمد) نقداً علمياً؛ حيث بدأ أولاً: بنقل وتحليل الكثير من أقواله المُتضمنة شطحاته في سيرة النبيِّ ﷺ ومعجزاته، وفي تدوين السيرة النبوية، وفي صحة الاعتماد عليها، ثم تَتبَّع كلَّ فِقْرةٍ من كلامه بتعليقةٍ يردُّ عليه بها ـ ردّاً إجمالياً ـ مُعتمِداً في ذلك على كثيرٍ من الأحاديث النبوية والوقائع التاريخية في كتب التاريخ الإسلامي وفي كتب السيرة النبوية، وعلى أقوال بعضِ الصحابة والتابعين. وبيَّن منشأ غلطِه في إنكارِ معجزاته ﷺ، وأورد نماذجَ من تأويلاته لها.

ثم فَصَّل القولَ فيما تَضمَّنته أقوالُه من مغالطات وشبهاتٍ، وما فيها من تخليطٍ وتشويشٍ على العقول والأذهان، وردَّ عليه اعتمادَه على القرآن فقط، ونبذه للسنة، منبهاً على **أنَّ التشكيك في كتب الحديثِ والسيرةِ على الإطلاق يؤدّي إلى التشكيك في القرآن أيضاً**.

وأجاب على الدعاوى التي اعتمدَ عليها في نفي معجزاته ﷺ الكونية غير القرآن الكريم، ثم أوردَ الآياتِ التي استشهدَ بها على نفي معجزاته ﷺ

الكونية، وبسطَ القولَ في بيانِ الحكمةِ من إنزالها، وأبطلَ استدلاله بها موضحاً أنها، فضلاً عن عدم دلالتها على مُدَّعاه، فيها دلالاتٌ عديدةٌ على وجودِ المعجزات الكونية له ﷺ غير القرآن الكريم.

ثم قام ثانياً: بالردّ على كل ما وردَ في كتابه ردّاً تفصيلياً من وجوه سبعة، ولمّا فرغَ من ذلك كلّه أوردَ إحدى وثلاثين آيةً قرآنيةً تَدلُّ على وجودِ معجزات كونية لنبينا ﷺ غير القرآن مع التعليق على بعضها.

٣ ـ ناقشَ الشيخ (محمد رشيد رضا) في إنكارِه المعجزات، ونَقَلَ بعضَ أقواله من كتابه (الوحي المحمدي) وحَلَّلها تحليلاً جيداً، ثم رَدَّ عليها ردّاً قوياً مبيناً ما تضمنته من محاذير خطيرة.

٤ ـ بحثَ مسألةَ انشقاق القمر المعدودةَ من معجزاته ﷺ، وناقشَ منكري تلك المعجزة، ورد على تأويلاتهم، وفَنّد أقوالهم ولا سيما الشيخ (محمد رشيد رضا) الذي شَدَّد عليه القولَ، مستدلاً على ذلك كله بأدلةٍ كثيرةٍ عقليةٍ ونقليةٍ، ومبيناً ما في الآيتين الواردتين في أول سورة القمر من مؤيداتٍ لوقوع تلك المعجزة لنبينا ﷺ.

٥ ـ ناقش الشيخ (محمود شلتوت) في مسألة رفع عيسى عليه السلام ونزوله في آخر الزمان، المعدود من علامات الساعة، ونقد ما كتبه في ذلك نقداً علمياً، حيث عرضَ مذهبه في تلك المسألة الذي ادَّعى فيه أنَّ عيسى عليه السلام ماتَ في الأرض، ورُفِعَت روحه، ولم يُرفع حيّاً كما ورد في القرآن الكريم، وما دام القول برفعه لم يصحّ، فإنه يسقِطُ القولَ بنزوله في آخر الزمان.

وبيّن التخبطات العديدة التي وقعَ فيها لتبريرِ مذهبه، ثم أتى على الآيات

التي تمسّكَ بها وناقشها، وردّ على استدلاله بها، وبَيّن منشأ غلطه في تفسيرِها، ثم استدلَّ على ذلك كلّه بأدلةٍ قويةٍ تدل على بطلان ما ذهب إليه شلتوت في المسألة، وأحصى الآيات القرآنية الدالّة على رفع عيسى عليه السلام إلى السماء حياً.

٦ ـ بحثَ معجزةَ الإسراء الوارد ذكرُها في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وتكلّم على أهميتها وضرورة بقائها مصونةً عن كلِّ تأويل يُنقِصُ من شأنها.

ثم فَصّل القولَ في مناقشة المؤوّلين لها، القائلين بأنّها كانت رؤيا منامية رآها رسولُ الله ﷺ في المنام، وأوردَ أدلتهم، ثم ردّ عليه من عِدّةِ أوجه، واستدلَّ على ذلك بأدلةٍ كثيرةٍ مفحِمةٍ من الكتاب والسنة، وأقوالِ بعض الصحابة، وبشواهد من اللغة العربية، وبعض الأدلة العقلية. ثم بَيّنَ ما في تلك المعجزة من أسرار وأحكام وبشائر.

ثانياً ـ قضية إنكار النبوة:

وقد أوردَ فيها المباحثَ التالية:

١ ـ ناقش الشيخ (محمد عبده) في تلك القضية، وأوردَ تعريفه للنبيِّ والرسول، وحَلّله تحليلاً دقيقاً، ثم انتقدَ ذاكراً الاعتراضات الواردة عليه، ومبيّناً مُرادَه[1] من تجريدِه إياه[2] من خصائص النبوة والرسالة.

---

(١) أي: مراد الشيخ محمد عبده.
(٢) الضمير هنا راجع إلى التعريف.

٢ ـ ناقش الدكتور (زكي مبارك) في مقالته التي نشرها في مجلة (الرسالة)، التي تكلّم فيها عن حياة النبي ﷺ وعن نبوته ورسالته، حيث نقلَ كثيراً من أقوالِه في تلك المقالة، وحَلَّلها تحليلاً دقيقاً، وأفرد كلَّ قطعةٍ منها بالنقد والتعليق، ثم ذكرَ خلاصةَ ما استنتجه من تلك الأقوال، مبيناً حقيقةَ موقفِ زكي مبارك من نبوتِه ﷺ، وموضِّحاً ما تضمنته أقوالُه من آراء فاسدة.

٣ ـ بَيَّن موقفَ كلٍّ من الفلاسفة الإلـٰهيين في الغرب والأساتذة العصريين في الشرق من نبوّة الأنبياء، منبهاً على منشأ السعي لجعلها مكتسبةً عند بعض المثقفين العصريين، كما بَيَّن المحاذير المترتبة على ذلك.

٤ ـ تولَّى القيامَ بإثباتِ وجود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حيث بَيَّن أولاً أهميةَ إثباتِ وجودِهم، ثم أقامَ الأدلةَ العقليةَ القويةَ الدالة على ضرورة وجودهم وعلى لزوم المعجزات الكونية لهم.

ثالثاً ـ قضية إنكار البعث:

بحثَ الشيخُ تحت هذا العنوان النشأةَ الآخرةَ، وما يدخلُ تحتَها من بعثٍ بعدَ الموتِ، وحشرٍ وحسابٍ. وحقَّق مسألةَ إعادةِ المعدوم بعينه، وناقش منكري البعث، وعرضَ صور إنكارِهم، ثم أوردَ أدلتهم التي تمسّكوا بها، وأجابَ عنها مبيناً أساسَ مذهبهم ومنشأه، ثم أثبتَ وجودَ النشأةِ الآخرةِ والبعثِ بعد الموت بأدلة عديدة؛ نقلية قطعية، وأخرى عقلية.

٦ ـ كتاب (موقفُ العقلِ والعلمِ والعَالَمِ من ربِّ العالمين وعبادِه المرسلين):

يقع هذا الكتاب في أربعة مجلدات كبيرة يبلغ مجموعُ صفحاتها ألفين

وثماني عشرة صفحة، وقد طبع في مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة (١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م)[1] وأُعيد تصويرُه في دار إحياء التراث العربي ببيروت سنة (١٤٠١هـ= ١٩٨١م).

وقد تُرجمَ الكتابُ إلى اللغة التركية العثمانية بقلم نجلِ الشيخ الأستاذ إبراهيم صبري رحمه الله[2]، ولكنّه لم يُطبع بعدُ.

وهذا الكتاب هو آخرُ كُتبِ الشيخ تأليفاً، فلقد شمَّر ـ رحمه الله ـ عن ساعدِ الجد في سنوات عمره الأخيرة في سنّ الشيخوخة أثناء توقفه في المهجر عن الجهاد السياسي، متفرّغاً للجهاد العلمي الشرعي، فألّف هذا الكتاب الضخمَ، الذي كَرَّس فيه حياة مشيبه، وضمّنه مباحثَ كثيرة مهمة تَعمَّق في دراستها وتحليلها، وبيان وجهِ الحقِّ الذي يَراه فيها، فأبانت عن مقدرةٍ علميةٍ فائقة، وهمّة في التحقيق كبيرة.

---

(١) وهناك نسخة أخرى صورت في السنة نفسها نشرتها المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.

(٢) وذلك بناء على وصيةٍ من والده لكي ينتفعَ به الأتراك الذين لا يُجيدون اللغة العربية، وقد عكف ـ رحمه الله ـ على ترجمته في سنيّ عمره الأخيرة، ولما أتمَّه مرضَ مرضاً شديداً نُقل على أثره إلى (لندن) لتلقّي العلاج، وأخذَ معه الكتابَ المُتَرجَم حرصاً عليه من التلف أو الضياع، وأُدخل المستشفى، ولما أحس بدنوّ أجله أوصى أهلَه وأولادَه بإيداعه المكتبة المركزية بـ(لندن) في قسم التراث الإسلامي لضمانِ حفظِه، وقد أودع هناك، وصُوِّر على (المايكروفيلم) وهو لا يزالُ بخطِّ يده. انظر: الملحقين (٢) ص٤٠٢ و(٣) ص٤٠٩.

ويُعدُّ هذا الكتاب موسوعةً في علم أصول الدين أوردَ فيه الشيخُ خلاصةَ آرائه الفقهية والفلسفية والسياسية والاجتماعية، فهو في الحقيقةِ عِدَّةُ كتبٍ مجموعةٍ في كتابٍ واحدٍ، ولقد كشف فيه ـ بكل صراحةٍ ووضوحٍ ـ عن الأخطارِ التي يَتردّى فيها المشرق الإسلامي من جَرَّاء موجات الإلحاد والغزو الفكري والثقافي، التي نشطتْ بعدَ انفراطِ عقد وحدة المسلمين بإلغاء الخلافة الإسلامية، وتَمكَّنَ من وضع يدِه على مكامنِ الانحرافِ في عقائد معاصريه من أرباب الفكر والقلم، ولم تُرهِبْهُ أسماؤهم ولا مراكزُهم الوظيفية أو الاجتماعية، وذلك راجعٌ إلى إحساسه بثقل المسؤولية المُلقاة على كاهله.

وضَمَّنه تفاصيلَ أمهات المسائل الدينية والعلمية والفلسفية والاجتماعية، كما تَعرَّض فيه لأبرزِ القضايا التي تَفجَّرت في عصره، وأُثيرت حولَها الضجةُ في الأوساط العلمية والفكرية[1]، وعكفَ فيه على دراسةِ محاولات التغريب، وكشف زيف دعوى المجددين في إنكار المغيَّبات، والتفسير المادي لسيرة النبي ﷺ وأحداث التاريخ الإسلامي، ولا سيما التاريخ العثماني، وجمعَ فيه ما يحتاجُ المسلمُ المتعلّم إلى معرفته من المسائل العلمية والفلسفية لِتَسلمَ عقيدتُه، وتَصمدَ أمام تياراتِ الزَّيغ العصري.

ويُحسُّ القارئ لهذا الكتاب الضخم بأنَّه يَفيض غَيْرةً على الدين،

---

(١) أمثال: قضية (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق، وقضية (الفن القصصي في القرآن الكريم) لمحمد أحمد خلف الله، وأمين الخولي، وكذلك توفيق الحكيم المدافع عنهما، وقضية (تحرير المرأة) لقاسم أمين، وقضية (حياة محمد) للدكتور محمد حسين هيكل.

وإخلاصاً لقضاياه، كما يُحسُّ بأنَّ مؤلفه مُتتبِّعٌ لكلِّ ما يجري حولَه، ومُترصِّدٌ لكلِّ ما يَمَسُّ الدين، ولا يُقعده كبرُ سنّه وكثرةُ متاعبه وعُجْمَتُه أن يكتبَ ويؤلِّفَ ويُنافحَ عن رأيه، كما يَرى فيه ألواناً شتَّى من القضايا والآراء لمؤلّفين وكُتَّاب كثيرين جداً شرقيين وغربيين، مسلمين وغير مسلمين، تَتبَّعها المؤلّف في الكتب والصحف والمجلاّت، وناقشَها مناقشاتٍ طويلةً، وبَيَّن فيها وجهة نظره المنبثقة من التصوّر الإسلامي للكون والإنسان والحياة.

أسباب تأليفه:

ذكر مصطفى صبري الأسباب التي دَعته إلى تأليف كتابه، وأفاض في شرحها وأطال، وذلك في مقدّمته التي استغرقت الجزءَ الأول منه، ولكنْ يُمكنْ إيجازُ أهمِّها في الأسباب الثلاثة الآتية:

الأول: أنَّـه لمَّا جـاء إلى مصر في المرّة الأخيرة، واستقرَّ بها سـنة (١٣٥٠هـ = ١٩٣٢م) كان يظنُّ أنَّه انتقل من ديار الكفر إلى ديار الإسلام التي شَعَّ منها النورُ الإلـهي، ووضعَ في مُخَيِّلتِه أنَّه سيستريحُ من مجاهدةِ الملاحدةِ الأتراك القائمين على الحكومة الكمالية يومئذٍ، ولكنَّه ما إن اطَّلع على الوضع الديني والجو الفكري والثقافي السائد ـ آنذاك ـ بمصرَ حتى صُدِمَ صدمةً شديدةً، وأصيبَ بخيبةِ أملٍ كبيرةٍ، فقد ساءَه موقفُ مصرَ من الدين الإسلامي، كما ساءه موقف كثيرٍ من علمائها ومفكّريها من عقائده وشريعته وأحكامه، وشَقَّ على نفسِه توغلُ الكثيرين منهم في تقليدِ الغربِ، والافتتانِ بنظرياته وعلومه، ولذا قال: «لما هاجرتُ بعد انقلاب تركية إلى مصر، وَجدْتُ العلمَ الحديث الغربيَّ فيها الناظرَ إلى الأديان نظرَها إلى الأساطير أنطقَ لساناً من علم

أصول الدين الإسلامي، وأعلى صوتاً حتى عند الأزهريين أو على الأقلّ عند ذوي القول السائد منهم»[1].

وقال: «إنَّ الدينَ بمصرَ مع ما فيها من الجامع الأزهر وغيره من المعالم والمعاهد الدينية القديمة في حالتها الراهنة لفي حالةٍ عجيبةٍ؛ لا من ناحية العمل بأحكام الشريعة الإسلامية وقوانينها فحسب، بل ومن ناحية الاعتقاد والاعتراف بأصول الدين»[2].

ثم ذكر ـ بإسهابٍ ـ كثيراً من المظاهر الدالّة على ما سبق، موثِّقاً إياها بكثيرٍ من النقول من الكتب والصحف والمجلات المصرية[3].

وهذا من أهمِّ ما دفعه إلى تأليف كتابه (موقف العقل) لكي يقومَ بواجبه في الإسهام بتصحيح الأفكار المنحرفة، وتثبيتِ العقائد الإسلامية المُتأثّرة بتيارات الشكوك الوافدةِ إلى الشرقِ الإسلاميِّ من الغرب المسيحي، وذلك باستئصال جذورِ تلك الشكوك، ومناقشة الفلاسفة الغربيين، والردّ على مقلّديهم من الكُتَّاب المسلمين العصريين[4].

---

(١) موقف العقل: ١/ ٩٨.

(٢) المرجع السابق: ١/ ٢٤ـ٢٥.

(٣) للاستزادة من ذلك ارجع إلى الجزء الأول من كتاب (موقف العقل) في الصفحات التالية: من ص٢٥ إلى ص٣٦. ومن ص١٠٤ إلى ص١٢٦. ومن ص١٥١ إلى ص١٩٨. ومن ص٣٠٦ إلى ص٣٣٢. ومن ص٣٥٢ إلى ص٣٥٨.

(٤) يُشير الشيخ إلى هذا بقوله: «وإنِّي أرَدتُ أن أكونَ القائمَ بهذا الواجب الكبير=

الثاني: أنَّه اطَّلع بعد إقامته بمصر على مناظرةٍ قلميةٍ جَرَت بين الأستاذ **فرح أنطون** (١٨٧٤ ـ ١٩٢٢م) والشيخ **محمد عبده** في ستّ مقالاتٍ من الطرفين، ادَّعى فيها فرح أنطون أنَّ رقيَّ الأمم وصلاح أحوالها مرهونٌ بتطبيق مبدأ (فصل الدين عن الدولة) وفصله عن سياسة الحكومات، وعزا رقي أوروبة في العلم والمدنية إلى العمل بهذا الفصل، كما عزا تأخّر المسلمين إلى إهمالهم العملَ بذلك المبدأ.

أما مناظرةُ الشيخ محمد عبده فقد حمَّل علماءَ الإسلامِ تَبِعَةَ تأخّرِ المسلمين، حيثُ رماهم بوصمةِ الجمود.

وادَّعى فرح أنطون أيضاً ـ في سبيل الدفاع عن النصرانية ـ أنَّ الإسلام وجميعَ الأديان لا تتّفقُ مع العقل، وكذلك العلم، لأنَّ الدين ـ في زعمه ـ يتنافى مع العلم والعقل، بناءً على أنَّ العلمَ يجبُ أن يُوضَعَ في دائرة العقل، لكون قواعده مبنيةٌ على المشاهدةِ والتجربةِ، في حين أنَّ الدينَ يجبُ أن يُوضَعَ في دائرةِ القلبِ، لكون قواعده مبنية على التسليم بما وردَ في الكتب المقدَّسة من

= مع عجزي وغربتي بمصر وباللغة العربية، لأنِّي بحمدِ الله غيرُ غريبٍ عن الإسلام وعن العقل الذي يَحُفُّه من كلِّ جانبٍ، ولأنَّ الإسلامَ أيضاً أصبحَ غريباً في هذا الزمان، فلا غرو إذا كان الغريبُ للغريبِ نسيباً وظهيراً، ثم إنِّي مُؤملٌ أن يكونَ قد حصلَتْ بعضُ الألفة في هذه البلاد بكتابتي العربية الأعجمية، فإنْ وفَّقني الله عزَّ وجلّ لإعادةِ أحدِ القُرَّاء إلى رُشْدِه بإزالة الشبهة التي ألقاها في قلبه دعاةُ الإلحادِ ومستبطنوه الدسَّاسون فهو غنيمتي من هجرتي إلى مصر». المرجع السابق: ١/ ٣٦٥.

غير فحصٍ في أصولها.

وقد أدَّت هذه المناظرةُ إلى زعزعةِ عقائدِ كثيرٍ من المثقّفين المسلمين في الشرق الإسلامي عامةً وفي مصرَ بوجهٍ خاص، وذلك باقتفائهم أثر فرح أنطون في الأخذ بمبدأ (فصل الدين عن الدولة) والمناداة به، وفي ضربِ أساسِ الأديان بِمِعْوَلِ التشكيكِ، وادّعاء أنَّ الإسلامَ خارجٌ عن ساحة العلم والعقل، كما هو في النصرانية.

وهذا ما دفعَ مصطفى صبري إلى تأليف كتابه للردّ على ما جاء في تلك المناظرة من أخطاء وهفوات من الطرفين، ولاستئناف تلك المناظرة مع أتْبَاع الأستاذ فرح أنطون القائلين بمثل ما قاله، ولإثباتِ أنَّ جميعَ الدعاوى التي ادَّعاها افتئاتٌ على الدين والعلم والعقل.

الثالث: أنَّه اطَّلعَ على قيام الكتَّاب والمفكِّرين[١] بالقدح والطعن في **(علم الكلام)** والاستهانة بالعقل والمنطق المبنيِّ عليهما، وإحداث المقارنة بينه وبين التَّصوُّف المبني على العاطفة القلبية، ثم تفضيل التصوّف عليه، وترجيح استنادِ الإيمانِ إلى العاطفة القلبية على استناده إلى العقل والاستدلال والنظر.

كما اطَّلع على قيامِ بعضهم[٢] بالطعن كذلك في **(عِلْم الكلام)**، وذلك بصدد المقارنة بينه وبين العلم المادي الحديث، المبني على الحسّ والتجربة،

---

(١) أمثال: الدكتور محمد الغمراوي، والأستاذ محمد فريد وجدي.

(٢) أمثال: الأستاذ أحمد أمين.

والمناداة برجحان براهين العلوم التجريبية على براهين العلوم العقلية المنطقية.

وقد دفعه هذا إلى تأليفِ كتابه للدفاع عن (علم الكلام) ضدَّ اعتداءات المعتدين، وللردّ على المطاعن التي وُجِّهت إليه[1]، ولبيان أهميته في حفظ قواعد الدين وعقائده، ولإيضاح المقصودِ الأعلى منه، والموضوعات الرئيسة

---

(١) ألمحنا في الفصل السابق إلى أنَّ مصطفى صبري نشأ في بيئة علمية شرعية تهتمُّ كثيراً بعلم الكلام وبالعقل والمنطق المبني عليهما، وقد بلغ بها ذلك إلى حدٍّ أنَّ مناهج العلوم الإسلامية التي تُطبقها المدارس الشرعية آنذاك وأساليب الثقافة الإسلامية التي تَنتهجها كانت في الغالب ممزوجة ومرتبطة بذلك العلم، ولا يَخفى أنَّه كان لهذا تأثيرُه الكبير في معظم العلماء الأتراك، الذين نشؤوا في ظلّ تلك البيئة، وهذا ما حدا بمصطفى صبري إلى التمسُّك بعلم الكلام، والدفاع عنه، والردّ على المطاعن المُوجَّهة إليه لاعتقاده بأنَّه السلاح القوي والوسيلة الناجعة لمجاهدة الملاحدة وصيانة الإسلام من تيارات الإلحاد الوافدة من الغرب المسيحي إلى الشرق الإسلامي مع العلوم المادية الحديثة.

● قلت: عندما يسعى علم الكلام إلى مكافحة الضلالات وإزالة الشبهات الحديثة الخاصة بالنواحي الاعتقادية التي تبلبل فكر المسلمين نتيجة للغزو الفكري يكون له أهمية وجدوى كبيرة، وهذا ما فعله شيخ الإسلام مصطفى صبري جزاه الله خيراً، أما أن يتحجّر على قضايا ومسائل عفا عليها الزمان وانقرض القائلون بها، فهذا عبءٌ على العلم لا يستفيد منه إلا المؤرّخون، كما أن الشيخ مصطفى صبري استخدم علم الكلام للدفاع عن العقائد الإسلامية لا لتأويل الآيات والأحاديث النبوية لإخراجها عن مدلولاتها. (الناشر)

التي يبحثُ فيها، ولبيان فَضلِه على التصوّفِ من حيث اتّخاذه سلاحاً مُؤَيَّداً بالعقل والمنطق ضدَّ التيارات المضلِّلَةِ المُجادِلة في العقائـد وفي المسـائل العلمية الشرعية، ولإثباتِ فضلِ إيمانِ المُستدلّ المعتمد في إيمانه على عقلِه وفكرِه على إيمانِ المُقَلِّدِ المعتمدِ في إيمانه على عاطفتِه القلبية.

ولبيانِ أنَّ نزعةَ إبعادِ العقلِ والمعقولات عن ساحة الإسلام إنَّما وقعت تقليداً للمتديّنين من علماءِ الغرب المحتاجين إلى الابتعاد عن ساحة العقل والمنطق تهريباً لدينهم المسيحي من براثنِ انتقادِهما، ومُتَمسِّـكين بالقلب وعواطفه بدلاً منها لتأييد دينِهم، ولإثبات رجحان براهين العلوم العقليـة المنطقية على براهين العلوم التجريبية، وفضل الدليل العقلي على دليل الحسّ والتجربة.

وأخيراً لبيانِ مكانةِ العقلِ في الإسلامِ، حيثُ جعلَه مناطَ التكاليف الشرعية، وهذا مما يُميِّزُ الإسلامَ من النصرانيةِ المُحرَّفة التي لا يتَّفق دينها مع العقل السليم[1].

---

(١) أسهب الشيخ في مواضع متفرِّقة من كتابه في بيان مقاصدِه الرئيسة من تأليفه، منها على سبيل المثال قوله: «**يَسعى الكُتَّاب إلى مكافحةِ الضلالات وإزالةِ الشبهاتِ الحديثة الخاصة بالنواحي الاعتقادية**». انظر: موقف العقل: ١/ ٣٥. وقوله: «المقصود من تأليف الكتاب هو مُحاجَّة الملاحدة المنكرين وجود الله». انظر: المرجع السابق: ٢/ هامش ص٣٨٧. وقوله: «واجبي الذي التزمته في الكتاب هو **القضاء على الدعاوي والمساعي المُوجَّهة ضدَّ عقائد الإسلام ومبادئه**». المرجع السابق: ٤/ ٣٨١.

محتوياته:

نظراً لطولِ الكتاب وكثرةِ مباحثه وتَشَعُّبها مما يَصعُبُ معه ـ في هذه العُجالة ـ تعريفُه بصورةٍ وافيةٍ وبيانِ جميعِ محتوياته، فإنِّي سأقتصرُ هنا على إلقاء الضوء على مضمون أبوابه وفصوله وموضوعاته الرئيسةِ فقط، دونَ ما فيه من جزئيات وتفاصيل واستطرادات تَجنُّباً للإطالة والتكرار. فأقول: يتكوَّن الكتابُ من مقدِّمةٍ وأربعةِ أبواب وقسم خاص بالملاحق.

أولاً ـ المقدّمة:

١ ـ تكلَّم فيها عن المسائل الرئيسة التي سيتناولها في الكتاب، مبيِّناً أهميتها ومدى حاجةِ المسلمين إلى التَّنبُّهِ لها، والاطِّلاع عليها، ومنبِّهاً على خطر تقليدِ الغرب، ومحذِّراً من محاكاته في كلِّ ما يقولُ ويفعل.

٢ ـ بيَّن للقرَّاء خطَّةَ الكتاب ومنهجه في نقدِ الأقوال ومناقشتها.

٣ ـ ناقشَ المؤرِّخَ (محمد عبد الله عنان) فيما كتبه بشأنِ الدولة العثمانية في مجلة (الرسالة) وفي كتابه (مصر الإسلامية)، ودحضَ حججَه ودعاويه الباطلة، التي كالَ بها الطعنات للدولة والخلافة العثمانية، وبيَّنَ مدى تمسّك الدولة العثمانية بالإسلام، ووقوفها في وجه الحملات الصليبية، والأطماع الاستعمارية الأوروبية على مدى سِتَّةِ قرون، وجهودها في خدمة الإسلام والقرآن مستشهداً على ذلك بأقوال كثير من الكُتَّاب والمؤرّخين المنصفين[1].

---

(١) أمثال: الأستاذ محمد فريد بك، وعبد الرحمن عزام، ورتشارد لوج، وصاوا باشا الرومي، والأمير شكيب أرسلان، وغيرهم.

٤ ـ شرحَ ـ بإسهاب ـ أسبابَ تأليف الكتاب ومقاصده الأساسية منه.

٥ ـ ناقشَ الأستاذَ (محمد فريد وجدي) في موقفه من الدين الإسلامي وعقائده الغيبية نقاشاً طويلاً، وأطالَ البحثَ والنظرَ في مقالاته المنشورة في مجلّة (نور الإسلام) ومجلة (الأزهر).

ثانياً ـ أبواب الكتاب:

قسَّمَ الشيخُ كتابه إلى أربعة أبواب رئيسة، وهي ما يلي:

الباب الأول ـ في إثباتِ وجودِ الله تعالى:

ولقد تناول الشيخُ مسألتين مهمَّتين قبلَ الدخول في صميم الباب الأول:

الأولى: هل للدينِ أساسٌ من الصحّة؟ وهل يهمُّ الإنسانَ درسُ ذلك؟

وقد أجاب على هذين السؤالين باذلاً كلَّ جهده لإقناع قرّاء كتابه بحتمية الدين لبني الإنسان، ولزومِ الإيمانِ والتصديقِ بعقائدِه وأركانه التي في مقدِّمتها الإيمان بالله سبحانه وتعالى، لكي تتحقَّقَ لهم السعادةُ في الدنيا؛ والنجاةُ في الآخرة. وتكلَّم على أهمية الدين ودوره الأساس في إقامة الأخلاق وصيانتها، منكراً على الملاحدةِ ادّعاءهم الاستغناءَ عن الدين بالعلم المُقوِّم للأخلاق.

الثانية: المقارنة بين الإسلام والنصرانية:

شرح فيها ـ بإسهاب ـ الفرق بين الإسلام والنصرانية من ناحيةِ موقفِ كلٍّ منهما من العقل والعلم، مبيّناً ضررَ النصرانية المُحرَّفةِ على الأديان عموماً، وعلى الإسلامِ بوجهٍ خاص. وناقشَ الأستاذَ فرح أنطون مناقشاتٍ طويلة في

عقيدةِ التثليث في النصرانية، وعقيدة نبوّةِ المسيح وألوهيته، حيثُ أوردَ نصوص كلامه فيهما المُثبَتة في باب الردود من كتابه (فلسفة ابن رشد) ثم نقده فيها نقداً علمياً من وجوهٍ خمسة، كشفَ فيها كثيراً من المغالطات والتَّجنِّيات التي تجرَّأ بها على الدين الإسلامي، دفاعاً عن النصرانية المحرَّفة.

وناقشه كذلك في عقيدة العفو عن الذنوب في النصرانية المحرَّفة، مبيِّناً سموَّ نظرِ الدين الإسلاميِ في معاملةِ المذنبين، وفي كيفيةِ التوبة والاستغفار من الذنوب، ومبيّناً منشأ الاضطرابِ والتناقضِ في كتاباته عند مناظرته الشيخ محمد عبده.

ثم دخل في صلب الباب الأول، وقسَّمه إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: موقف العقل من الدين:

صدَّر الشيخُ هذا الفصل بمدخلٍ طويلٍ لبرهنة العقل على وجودِ الله، ناقشَ فيه الملاحدةَ الماديين المنكرين وجودَه سبحانه، وفصَّلَ القولَ في كيفية الحكم بوجود الكائنات المحسوسة خارجَ الذهن، وبيَّن الفروقَ الكبيرةَ بين نظرة العلماء المسلمين، ونظرة العلماء الغربيين وفلاسفتهم إلى كلٍّ من الدين والعقل والعلم.

وناقشَ بعضَ الفلاسفة الغربيين قدماء ومُحْدَثين[1] في قضيةِ إثباتِ وجودِ الله، وفي بعضِ المسائلِ العقلية المنطقية، كإثباتِ قانون التناقض، واستحالة اجتماع الضدّين.

---

(١) أمثال: هيجل، واسبنسر، وكانت، وجان جاك روسو.

وأثبتَ سيادةَ الاضطراب في عقليات الفلاسفة الغربيين مستشهداً ببعض النماذج المُدوَّنة في كتاب (قصة الفلسفة الحديثة)[1].

ثم شرعَ في الفصل الأول المعقود لإثبات موقف العقل من الدين، فذكرَ في البداية خلاصةَ البرهان العقلي على وجود الله، ثم فصَّل ذلك البرهان تفصيلاً دقيقاً، فأثبتَ بطرقٍ عقليةٍ عديدةٍ وجودَ الله سبحانه وتعالى، ودَقَّق النظرَ في مسألة التسلسل، ولا سيّما تسلسل العلل الممكنة المحتاجة إلى علةٍ واجبةٍ تستندُ إليها، الذي أثبتَ بطلانه من عدّةِ أوجهٍ، بأدلَّةٍ عقليةٍ منطقيةٍ قويةٍ، وأفاضَ في إيضاح ذلك البطلان، وناقش المعترضين القائلين بجوازِ تسلسل العلل إلى ما لا نهاية.

وبيَّن موقفَه من فلسفة (كانت) (١٧٢٤م ـ ١٨٠٤م) ومنهجَه في تقرير وجودِ الله، كما بيَّنَ موقفه من (ديكارت) وأساليب فلسفته في تقرير وجوده سبحانه، وأوضحَ حقيقةَ منهج الشكّ المنسوب إليه.

ونظرَ ـ أخيراً ـ في (الفلسفة الحُسْبَانيّة) وتكلَّم على تاريخها وتطوّراتها وأقسامها.

الفصل الثاني: موقف العلم من الدين:

أثبتَ مصطفى صبري في هذا الفصل ـ عن طريق الإجمال ثم التفصيل ـ أنَّ العلومَ المُدَوَّنة: منها ما يُؤيّد الدينَ بتأييدِ مسألة وجود الله، ومنها ما يُحايدُه

---

(١) تصنيف الأستاذين: أحمد أمين، وزكي نجيب محمود.

لعدمِ دخولِه في موضوعه، ولا شيءَ من العلومِ يُمانِعُ أساسَ الدين، ويُنكرُ وجودَ اللهِ.

وانتقدَ بعض الفلسفات والمذاهب المادية الإلحادية المنكِرة احتياجَ العالم إلى الاستناد إلى وجود الله[1].

الفصل الثالث: موقف العلم من العقل:

دقَّق فيه النظرَ في (موقف العلم من العقل) مبيّناً حدودَ العلم الطبيعي المادي، وموضوعاته التي يبحثُ فيها، ومُنكراً على علماء الطبيعة تسميتَه بالعلم المثبِتِ، ومنكراً كذلك على الملاحدة الماديين استدلالهم به على عدم وجود الله. وناقش خلال ذلك علماءَ الطبيعة القائلين بأنَّ الطبيعةَ هي خالقةُ هذا العالم مناقشاتٍ طويلة، مبيّناً الأخطاء التي وقعوا فيها.

وحَرِصَ الشيخُ في هذا الفصل كلَّ الحرصِ على إيضاح أهمية الاستدلال العقلي، وإثباتِ فضله على دليل الحسِّ والمشاهدة والتجربة.

الفصل الرابع: موقفُ التجربةِ من الدين:

وهو أطولُ فصولِ هذا الباب[2]، وقد بسطَ الشيخُ فيه الكلام عن الدليل الثاني لإثبات وجود الله المسمَّى (دليل العلّة الغائية) أو (دليل نظام العالم)،

---

(١) أمثال: فلسفة ديمقريطس الإلحادية الجاعلة النظامَ في حادثات العالم يَجري على قوانين وحركات ميكانيكية، وكذلك مذهب النشوء والارتقاء الذي تمذهب به (دارون) وأتباعه.

(٢) حيث بلغ عدد صفحاته أكثر من مئتي صفحة.

وناقشَ ـ خلال ذلك ـ الملاحدةَ الماديين والطبيعيين، الذين أسندوا النظامَ المشهودَ في العالم إلى الطبيعة أو إلى المصادفة العمياء، ناقشهم في ذلك مناقشاتٍ عقلية ومنطقية طويلة، وحلّل عقلياتهم تحليلاً دقيقاً، وجَنَّد قلمه ـ على طول هذا الفصل ـ للردّ عليهم، ودحض حججهم ومدّعياتهم، وأثبتَ أنَّ التجربةَ الممزوجةَ بالبرهان والاستدلال العقليِّ تدلُّ على وجوبِ وجودِه سبحانه، وضربَ بعض الأمثلة لتقريب المسألة إلى الأذهان.

وبحثَ أهمَّ دلائل العلّة الغائية، وهي ما يُسمَّى (السَّوْقِ الطبيعي) أو (الدافع الفطري) الذي يَسودُ قانونه جميعَ المخلوقات، ولا سيّما الحيوانات، والذي يَعْزُوه منكرو العلل الغائية إلى التعليمِ والتَّعلُّم التابعَيْن للذكاء، وأورد الدليلَ الذي اختاره (كانت) لإثباتِ وجودِه سبحانه، وسمّاه (دليل الأخلاق)، ونقده نقداً علمياً مبيّناً ما يتضمّنه من مساوئ.

واختتم هذا الفصلَ بتقرير دليل وحدانيته سبحانه وتعالى المُسمَّى (برهان التمانع) المأخوذ من قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

الباب الثاني ـ في موقف العالم من الله:

وفيه فصلان:

الفصل الأول: مسألة وحدة الوجود:

درس مصطفى صبري في هذا الفصل مذهبَ (وحدة الوجود) لدى الصوفية الوجودية دراسةً مُتَعَمِّقةً، وشخَّصه تشخيصاً دقيقاً، فبدأ أولاً بإيضاح مَنْشَئِه وأساسِه الذي بُنيَ عليه، وأثبتَ أنَّه مشتقٌّ من مذهب الفلاسفة في مسألةِ

وجودِ الله القائل: «إنَّ وجودَ اللهِ عينُ ذاته، وأنَّ حقيقةَ الله هو الوجودُ المُجرَّدُ عن الماهية».

ثم اهتمَّ بإبطال هذا المذهب[1] المُعْتَنى بشأنه في علم الكلام ـ لكي ينجلي بطلانُ مذهب (وحـدة الوجود) ببطلان أساسِـه المبني عليـه ـ فقام بمناقشته وتحليله تحليلاً منطقياً، وبيَّن حقيقتَه وما فيه من اضطرابٍ وتعسُّفٍ ظاهر، وأثبتَ شِدَّةَ بطلانه بذكر الإشكالات الكثيرة الواردة عليه.

وعاب على بعض المحقّقين المتكلِّمين[2] اختيارَهم لذلك المذهب، وانتقد جميعَ مساعيهم المبذولة لمناصرته وتخليصه من الإشكالات الواردة عليه. وأثبتَ ـ بطريقةٍ سهلةٍ وميسّرةٍ ـ أنَّ التمسُّكَ بذلك المذهب يؤدّي إلى محذورينِ خطيرين: إمـا **الدَّور والمصادرة**، وإما **الوقـوعُ في هاويـة وحدة الوجود**.

وبعد أنْ هدمَ الشيخُ أساسَ (مذهب وحدة الوجود) شرعَ في الكلامِ على المذهبِ نفسه، وبذلَ كلَّ جهدِه لكشفِ حقيقته، ثم إبطالِه، وتحذيرِ المسلمين من اعتقادِه والتصديقِ به، وإقناعِهم بفسادِه وفسادِ أساسِه، وبُعدِه عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، والمنهج الإلـٰهيّ السليم.

وتناول ـ خلال ذلك ـ أقوالَ بعضِ رجال هذا المذهب[3] وناقشَها،

---

(١) وأعني به مذهب الفلاسفة.

(٢) وهم: العلامـة التفتازاني، والمحقق الدواني، والسيالكوتي، والكلنبوي، والشريف الجرجاني.

(٣) أمثـال: محيي الدين بن عربي في كتابه (فصوص الحكم)، وصدر الديـن =

ونقدَها نقداً قوياً، مبيّناً ما يترتَّبُ عليها من محاذير كثيرة، وما تتضمَّنه من أفكارٍ منحرفة وعقائد فاسدة.

الفصل الثاني: مسألة حدوث العالم:

درسَ الشيخُ في هذا الفصل مسألةَ قِدَم العالم وحدوثِه، فبدأَ بالكلام على أهميةِ هذه المسألة، ومدى علاقتها بدليلِ إثباتِ وجودِ الله سبحانه، وبكونه فاعلاً مختاراً، ثم تناولَ الخلافَ القائم في هذه المسألة بين الفلاسفة والمتكلّمين، وناقشَ مذهبَ الفلاسفة القائل: «بأنَّ العالَم قديمٌ وممكنٌ معاً» موضِّحاً دافعهم إلى هذا القول، ومبيِّناً ما فيه من تناقض، وما يترتَّبُ عليه من محاذير، وفَصَّل القولَ في الردِّ عليهم، وأجابَ عن جميع أدلّتهم.

وتكلَّم عن المقصودِ من العلّةِ في (مسألة حدوث العالم)، وأثبتَ ـ بعد دراسةٍ وتحليلٍ دقيقين ـ أنَّ الحاجةَ إلى العِلّةِ إنَّما تدورُ مع الوجودِ الحادثِ لا مع الإمكان الأزلي.

وناقش المذهبَ القائل بأنَّ العالمَ قديمٌ، وأنَّ المادةَ التي صَنَع الله العالم منها ليستْ من صنع الله، بل هي قديمةٌ أزليةٌ، مستغنيةٌ عنه سبحانه، غيرُ مستندة إليه، وهو ليس فاعلها: لا اختياراً ولا إيجاباً، ولا مُقَدَّماً عليها ولو بالعِلِّية.

كما ناقش مذهبَ الفلاسفة أيضاً في مشيئة الله وقدرته، المنتهي إلى كونه سبحانه مضطرّاً في إرادته، وحلَّل معنى القدرةِ والإرادةِ المُثبَتة له سبحانه في مذهبهم.

= الشيرازي في كتابه (الأسفار الأربعة).

وبحث في هذا الفصل أيضاً (مسألة تسلسل العلل) مرةً أخرى، حيث تكلَّم عن البراهين التي أقامها العلماءُ والحكماءُ لإثبات بطلانِ التسلسل، ولا سيّما برهانَي: (التطبيق) و(التضايف) اللذين أجابَ على الإشكالات الواردة عليهما.

وناقش المعترضين على بطلانِ التسلسل حيث ذكر مستمسكهم، وأوردَ أقوالهم واعتراضاتهم، ثم ردَّ عليهما جميعاً، مع بيانِ الدافعِ لهم إلى هذا الاعتراض.

الباب الثالث: مسألة إثبات إمكان المعجزة وإثبات النبوة والنشأة الآخرة:

وقد تناول فيه ثلاث قضايا رئيسة وهي: قضية إنكار المعجزات، وقضية إنكار النبوّة، وقضية إنكار البعث[1].

الباب الرابع ـ في عدم جواز فصل الدين عن السياسة في الإسلام:

درس مصطفى صبري في هذا الباب (مسألةَ فصل الدين عن الدولة) ـ المُثارةَ في كثيرٍ من البلاد الإسلامية ـ دراسةً وافيةً، وبيَّن حكمَ الشرعِ فيها، وناقشَ المُرَوِّجين لها، وردَّ عليهم مُؤكِّداً لزومَ الدين للسياسة والحكومة. وعالجَ بعض القضايا التي لها علاقةٌ وثيقةٌ بتلك المسألة، مثل:

---

(١) وقد تقدم الكلام عليها في التعريف بكتاب (القول الفصل)، ص٢٩٦ ـ ٣٠٤ من هذا الكتاب.

● قضية الاستهانة بعلم الفقه الإسلامي والافتراء عليه.

● وقضية نَبْذ الشريعة الإسلامية في أكثرِ البلادِ الإسلامية، وتحكيمِ القوانين الوضعية.

● وقضيةِ المناداة بفتحِ باب الاجتهاد على مصراعيه بدعوى التجديد في الإسلام، وتطوير أحكامه.

واختتم البابَ بالنظر في كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق[1] ومناقشتِه ونقدِه.

ثالثاً ـ ملاحقُ الكتاب:

خصَّصَ الشيخُ في آخرِ كتابِه قِسماً للملاحق ضمَّنه بعضَ اللواحق والوثائق ذاتِ العلاقة بموضوع الكتاب، والتي منها:

● خطابٌ مُوجَّهٌ إليه من أحدِ القُرَّاء، يُناقشُه في مذهبِ وحدة الوجود.

● وخطابٌ من آخر يَستفتيه في حكمِ تشريحِ الميت.

● وخطابان متبادلان بينه وبين طه حسين بخصوص قضية إنكار المُغنيَّات.

● وعشر مقالات نُشرت في جريدة (الأهرام) بخصوص مسألة

---

(١) أصل الكتاب مقال مطوَّل للمستشرق الإنكليزي مرجليوث، وقد كتبه خدمة للحرب الدعائية ضد الدولة العثمانية إبان الحرب العالمية الأولى. (ن).

المعجزات والمتشابهات، تناظرَ في سبعٍ منها مع (محمد فريد وجدي).

ب ـ الكتب المخطوطة:

ومن كتب الشيخ المخطوطة كتابان باللغة العربية؛ هما:

١ ـ كتاب (مختارات من الشعر العربي):

وهو كتابٌ في الأدب العربي[١]، جمعَ الشيخ فيه منتخباتٍ من الأشعار العربية الجيدة، لكثيرٍ من الشعراء العرب القدامى الذين بلَغ عددهم في الكتاب أكثر من ستين شاعراً من فحول الشعر العربي القديم[٢].

ويقعُ الكتابُ في حوالي مئتي صفحة، تُمثِّلُ مجلَّداً كبيراً[٣]، وقد صَنَّفَه الشيخُ إلى عِدَّةِ فصولٍ، كلُّ فصلٍ يَتضمَّنُ غَرضاً من أغراض الشعر العربي، فهناك فصلٌ في الحكمةِ والأدبِ، وفصلٌ في الوصفِ، وفصلٌ في الفَخْرِ والحماسةِ، وفصلٌ في المديحِ، وفصلٌ في الرثاءِ، وفصلٌ في الغَزلِ والسلوانِ، وفصلٌ في الزهد.

---

(١) راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٩١.

(٢) أمثال: أبي العتاهية، وأبي تمّام، والبُحتري، وأبي الطيب المتنبي، والطُّغرائي، وابن الرملي، والعباس بن الأحنف، وأبي نُوَاس، وجميل بُثينة، ورُؤْبَةَ بن العجاج، والصَّنوبري، وكُشَاجِم، وابن الوردي، وابن الرُّومي، والشريف المرتضى، وأبي فراس الحمْداني، والأَرجاني، والبدر الدماميني.

(٣) ولم يذكر فيه تاريخ تأليفه، ولكن من المؤكَّد أنَّه ألَّفه بعد استقراره بمصر، راجع الملحق رقم (٧) ص٤٩١.

كما ذكرَ فيه ما قيلَ في إثباتِ وجوده سبحانه ووحدانيته، وما قيلَ في فضلِ العلم وضرورةِ طلبِه وتحصيلِه، وأوردَ في كلِّ فصلٍ من الفصولِ السابقةِ ما اختاره من تلك الأشعار العربية المُنتقاة.

٢ ـ حاشية على كتاب (نتائج الأفكار):

وهو كتابٌ في النحو العربي كتبه الشيخُ تعليقاً وتحقيقاً لكتاب (نتائج الأفكار)[١]، الذي هو شرح لكتاب (إظهار الأسرار)[٢].

ويقع هذا الكتاب في أكثر من مئة وخمس وعشرين صفحة[٣] من الحجم المتوسّط، وفي كلِّ صفحةٍ ما بينَ أربعة عشر إلى ثمانية وعشرين سطراً بأحرفٍ صغيرة.

وقد قَدَّم الشيخُ لكتابِه هذا بديباجةٍ مسجوعةٍ[٤]، بَيَّن فيها المسلكَ الذي سلكه فيه، ولمَّحَ فيها إلى أسماءِ بعضِ الكتب النحوية، وإلى بعضِ مسائلِ

---

(١) لمصطفى حمزة الأطه لي.
(٢) لمحمد البركلي.
(٣) لم أتمكَّن من معرفة عدد الصفحات بالضبط، لأنِّي وقفتُ على الكتاب في مخطوطته بنسختها الأصلية لدى أحفاد الشيخ بالإسكندرية، وكانت ناقصةً، حيث وَجدتُ منها (١٢٥) صفحة فقط، ولها بقيةٌ، وضاعت كما ضاعت الصفحةُ الأولى منها! وفيها اسمُ الكتاب، ولذا فإنِّي لم أستطع معرفةَ اسمه بالضبط، ولا سنةَ تأليفِه، ولكن من المؤكَّد أنَّه أَلَّفه في شبابِه، وقبلَ خروجه من تركية خروجاً نهائياً.
(٤) وذلك جرياً على عادة العلماء القدامى في كتابةِ الديباجة لكتبهم وأبحاثهم.

ومباحثِ النحو: كالمبتدأ والخبر، والفعل والحرف، والضمير والظرف، والتوكيد والصرف، والإضافة والصلة والموصول، واللازم والمتعدي[1].

* * *

(١) راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٥٧.

ثانياً: أبحاثه

للشيخ مصطفى صبري أبحاثٌ كثيرةٌ باللغتين العربية والتركية[1]، ولكنّها لم تَرَ النورَ، حيث لم يتمكَّن ـ رحمه الله ـ من طباعتِها ونشرِها، وهذا ما أدَّى إلى ضياع الكثيرِ منها، ومن تلك الأبحاث ما يلي:

١ ـ مسألة اليمين الغموس:

وهي رسالةٌ صغيرةٌ، بحث فيها ما يتعلَّق بحكم اليمين الغموس بحثاً تفصيلياً، وقد دَعَاهُ إلى كتابةِ هذه الرسالة أنَّ أعضاءَ (دروس الحضور)[2] ـ الذي كان واحداً منهم ـ تناولوا مسألةَ اليمين الغموس بحضرة السلطان عبد الحميد الثاني، ولكنَّهم لم يَتعمَّقوا في مدارستها فيما بينهم، ولم يوفّوها حَقَّها من البحث والشرح، فتنبَّه مصطفى صبري ـ يومئذٍ ـ إلى بعضِ الجزئيات والتفصيلات المهمة التي لم يتطرَّقوا إليها عند بحث المسألة، ولكنَّه لم يجرؤ على أن يستدركَ عليهم نظراً لصغر سنّه، فكتبَ هذه الرسالة، ودوَّنَ فيها كلَّ الجزئيات والتفصيلات التي خَطَرت بباله، ثم بعث بها إلى السلطان عبد الحميد الذي سُرَّ بها كثيراً[3].

---

(١) انظر: كلاً من الملحق رقم (٣) ص٤٠٩، ورقم (٤) ص٤٢٢.

(٢) تقدَّم الحديث عنها في الفصل الثاني، ص٨٤ ـ ٨٦.

(٣) ارجع إلى الهامش، ص٨٤ ـ ٨٦ من هذا الكتاب.

٢ـ ترجمة كتاب (مرآة الأصول) إلى اللغة التركية:

(مرآة الأصول) من أهمِّ الكتب المؤلَّفة في أصول فقه الحنفية[١]، يقع في مجلَّدين، وهو شرحٌ لكتاب (مرقاة الوصول في علم الأصول)، وكلاهما للعلاَّمة الشيخ محمد بن فراموز المعروف بـ(ملاخسرو)[٢] من كبار العلماء في الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الفاتح، وقد قام مصطفى صبري بترجمةِ هذا الكتاب من اللغة العربية إلى اللغة التركية، وأضافَ إليه تعليقات الطرسوسي (ت١١١٧هـ) عليه مترجمةً إلى اللغة التركية، كما أضافَ إليه تعليقاتٍ كثيرةً وقيّمةً من عنده، ناقش فيها الطرسوسي في تعليقاته المذكورة، كما ناقشَ فيها الأزميري (ت١١٦٥هـ) في حاشيته التي كتبها على الكتابِ نفسه[٣]، وأجابَ فيها على اعتراضاته التي اعترض بها على الملاخسرو[٤].

---

(١) يقال: إنَّه من أصعبِ الكتبِ في أصول فقه الحنفية، كما أنَّ (جمع الجوامع) للسبكي من أصعب الكتب في أصول فقه الشافعية.

(٢) الملا خسرو محمد بن فراموز الرومي الحنفي الإمام العلاّمة، كان والده رومياً من أمراء (الفراسخة)، ثم تشرَّفَ بالإسلام، له كتبٌ كثيرة منها: (حواشيه على المطول) و(حواشيه على أول تفسير البيضاوي) و(مرقاة الوصول في علم الأصول)، توفي بقسطنطينية سنة (٨٨٥هـ). ابن العماد ـ شذرات الذهب: ٧/ ٣٤٢.

(٣) وأعني به (مرآة الأصول).

(٤) راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٩٣. وقد وقفت على (١٩٦) مئة وست وتسعين صفحة فقط من ترجمة المجلَّد الأول مكتوبةً بحروفٍ صغيرة، وأما باقي ترجمة هذا المجلَّد وترجمة المجلد الثاني فلم أستطع الوقوف عليها.

٣ ـ ترجمة كتاب (لماذا تأخَّر المسلمون؟ ولماذا تقدَّم غيرهم؟) إلى اللغة التركية:

(لماذا تأخَّر المسلمون؟ ولماذا تقدَّم غيرهم؟) كتابٌ باللغة العربية لشكيب أرسلان، انتهى من تأليفه في (لوزان) بسويسرة في ١٩ جمادى الآخرة سنة (١٣٤٩هـ) الموافق ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٣٠م)[١]، وطبع في السنة نفسها في مطبعة المنار.

وقد التمس شكيب أرسلان من مصطفى صبري ترجمته إلى اللغة التركية، ثم نشره لكي يتوزَّع في تركية وبلغارية وتراقية الغربية اليونانية ورومانية، وألحَّ عليه في ذلك[٢]. فقام الشيخُ بترجمة الكتاب كاملاً سنة (١٣٥٣هـ = ١٩٣٤م)، وأضاف عليه في الهوامش تعليقاتٍ كثيرةً وقيّمةً من عنده، ناقش في بعضها مؤلّفه[٣]، ولكنَّه لم يستطع نشره لعجزه عن تكاليف الطباعة.

---

(١) انظر: شكيب أرسلان ـ لماذا تأخَّر المسلمون؟ ولماذا تقدَّم غيرهم؟ نشر دار القلم بدمشق، ص(١٧٥).

(٢) وكان مما قاله في هذا الشأن قوله في رسالة أرسلها إليه من (جنيف) بسويسرة: يجب أن يُطبع الكتاب باللغة التركية، وأن أتلذَّذ به، لأنّه بتركيتكم أبلغُ مما هو بعربيتي مهما قيل عني أني أمير البيان، وإني أُريدُ أن يَتوزَّعَ هذا الكتابُ بالتركي في بلغارستان وتراقية، ولا شكَّ أنَّه يدخل سرّاً إلى نفس تركية، وإنَّ هذا الكتاب لأقل ما يجب إزاء أولئك الأراذل الذين قضوا على عقيدة الأمة التركية الكريمة، وعلى أخلاقها، والذين هم ذاهبون بها إلى التنصير حتماً. راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٩٤ـ ٤٩٥.

(٣) انظر: الملحق رقم (٥) ص٤٣٤.

٤ ـ ترجمة بعض المقالات إلى اللغة التركية:

قام الشيخ بترجمة مقالات عديدة ـ مُنتقاة ـ من اللغة العربية إلى اللغة التركية، ثم نشرها في جريدة (يارين)، منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ ـ ترجم مقالةً جيدةً لشكيب أرسلان عن الشورى في الإسلام، ثم نشَرَها في العدد الصادر في الثاني عشر من شهر رمضان سنة (١٣٤٧هـ) الموافق للثاني والعشرين من شهر شباط (فبراير) سنة (١٩٢٩م).

ب ـ وترجم مقالةً أخرى لشكيب أيضاً بعنوان (قانون الأحوال الشخصية الجديد في مصر)، ثم نشرها في العدد الصادر في التاسع عشر من شهر صفر سنة (١٣٤٨هـ) الموافق للسادس والعشرين من شهر تموز (يوليو) سنة (١٩٢٩م).

جـ ـ وترجم مقالةً ثالثةً منشورةً في مجلة (الفتح) بتوقيع مغربي مسلم بعنوان: (التنصير الإجباري وسياسة فرنسة المكشوفة)، ثم نشرها على جزأين: **الأول**: في العدد الصادر في السابع عشر من شهر جمادى الأولى سنة (١٣٤٩هـ) الموافق للعاشر من شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة (١٩٣٠م). **والثاني**: في العدد الصادر في الثامن من شهر جمادى الآخرة سنة (١٣٤٩هـ) الموافق للحادي والثلاثين من شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة (١٩٣٠م).



ثالثاً: مقـالاته

كان مصطفى صبري طاقةً جبَّارةً من النشاط المتوقّد التي لا يعرف الفتور ولا الملل، ولقد أدرك ـ رحمه الله ـ أهميةَ الصحافةِ بوصفها سلاحاً فعَّالاً في يد الاتجاه الإسلامي يَستخدمه في توجيه وقيادة الرأي العام، وتوعية الجماهير المسلمة بأهداف أمتها وقضاياها الأساسية، ولذا لم يتوقَّف إنتاجُه الفكري على تأليف الكتب وكتابة الأبحاث فقط، بل تجاوزَ ذلك إلى تحرير المقالات الكثيرة والطويلة في كثيرٍ من المسائل الدينية والسياسية والاجتماعية والأدبية والثقافية.

ومصطفى صبري لم يشتغل بالصحافة بصفتها مهنةً يسترزقُ منها، ولا انقطع لها كما ينقطعُ الصحفيُّ المحترف، ولكنَّه مارسها بصفتها رسالةً ومنبراً للإصلاح، وللتعبير عن اتجاهاته وآرائه في الدين والفكر والحياة.

فنراهُ تارةً يَردُّ في مقالاته على انحرافاتِ بعضِ الكُتَّابِ المُتأثِّرين بالأفكار الوافدة من الغرب إلى العالم الإسلامي.

وتارةً نراهُ مُوجِّهاً الأمةَ إلى الطريق المستقيم، مشفقاً عليها من الانحراف والزلل، وحاثّاً إيّاها على الحذر من الأعداء ومُنظَّماتهم وخططهم الرهيبة، وعلى التنبُّه لما يُبثُّونه من أنواع الغزو الفكري المُتَلوِّن للقضاء على الإسلام وإبادةِ أهله.

وتارةً نجدُه مُدقِّقاً مسائلَ هامة تتعلَّق بأصول الدين وفلسفتها، ومزيلاً شُبَه الزائغين فيها.

ونجدُه تارةً أخرى مبيِّناً آراءه في كثيرٍ من المشكلات السياسية والاجتماعية مُشخِّصاً الداء وواصفاً الدواء، ومقترحاً أنجعَ السُّبل لِحلِّها.

ولقد اتَّسم عمله في هذا المجال بالصدق والثبات على المبدأ، رغم ما كان يلقاه من مضايقات، وقد اعتاد أن يكتبَ في الصحف والمجلاّت الإسلامية المُلتزمة، لأنَّها اعتادت أن تنشر ما يكتبه لموافقته لمنهجِ القائمين عليها، أما الصحف التي انحرفَ أصحابُها عن المنهج الإسلامي الصحيح، فقد اعتادت أن تُلقي ما يردُ إليها مما لا يُوافِقُ منهجها في سلّة المهملات وترفضُ نشره[1].

---

(١) وقد حصل للشيخ مثل هذا مرّات عديدة، منها:
أنَّه كتب الشيخ محمود شلتوت مقالة في مجلة «الرسالة» في العدد (٤٦٢) أنكر فيها معجزتي رفع عيسى عليه السلام ونزوله في آخر الزمان المعدود من علامات الساعة رغم صراحة القرآن الكريم في أمرهما، فكتب مصطفى صبري مقالةً للردِّ عليه وللدفاع عن هاتين المعجزتين، وأرسلها إلى مجلة «الثقافة» فاحتفظتْ بها ولم تنشرها. وبعد بضع سنين كتب الأستاذ فريد وجدي مقالةً افتتاحيةً لمجلة «الرسالة» في عددها (٦٠٢) الصادر في غرّة صفر سنة (١٣٦٤هـ) الموافق ١٥ كانون الثاني (يناير) (١٩٤٥م) بعنوان (الدين في معترك الشكوك) أعلن فيها أنَّ الدينَ الإسلامي قُضِيَ عليه قضاءً لا يُرجى له البعث إلا من طريق استحضار الأرواح، وأنَّ الدينَ إن كان يعيشُ الآن فإنَّما يعيشُ في قلوبِ السُّذَّج من العامة؛ فكتب الشيخ مقالةً للرد عليه بعنوان (آخر وحي الغرب إلى الأزهر الحديث) وأرسلها إلى مجلة «الرسالة» فأخذتها =

والجدير بالذكر أنني رغم ما بذلتُه من جهد جهيدٍ من أجل الحصول على مقالاته المنشورة في الصحف والمجلاّت التركية والعربية، إلاّ أنّني لم أستطع الحصول إلا على بعضها فقط.

وسأورد فيما يلي ما اطَّلعتُ عليه منها، وما وصل إليه علمي مرتَّبةً حسب أقْدَمِيَّةِ نشرها، مع التعريف ـ بإيجازٍ ـ بكلٍّ منها قدر الإمكان.

أ ـ مقالاته المنشورة في الجرائد والمجلاّت التركية:

١ ـ كتب في جريدة (طريق) في عددها الصادر في ٦ رجب سنة

= وأخْفتها عن أعين القرّاء.

وكتب مقالةً ثالثةً بعنوان (الأستاذ الإمام وكتاب الله تعالى في كفتي الميزان) انتقدَ فيها منهج الشيخ محمد عبده في تفسير القرآن، وأنكر عليه مقرَّراته التي منها (إنَّ وجودَ شيءٍ من القصص في القرآن لا يقتضي صحّته) ثم أرسلها إلى مجلة (لواء الإسلام) ـ التي كانت قد طلبت منه بعض مقالاته لكي تنشرها له ـ فاحتفظت بها المجلة، وأبى صاحبُها الأستاذ أحمد حمزة نشرها قائلاً: «أنا لا أنشرُ مقالةً في مجلَّتي ضدَّ الشيخ محمد عبده». مصطفى صبري ـ موقف العقل: ١/ ٣٣٦.

ويمكن أن يُلحق بما سبق ما فعلته معه جريدة (الأهرام)، حيث إنها كانت تنشر مقالاته، وتُشيد بها عندما كان يرأسَ تحريرَها الأستاذ داود بركات، ولما تغيَّر رئيسُ التحرير تغيَّر معه وجهُ الجريدة ـ كما يقول الشيخ ـ في استقبال ما يكتبه إلى حدِّ أنَّها أبت في عهد أنطون الجميل الإعلان عن كتابه (القول الفصل) مع إهدائه نسخةً من الكتاب اتِّباعاً لعادة الإهداء إلى الجرائد من مؤلِّفي الكتب. انظر: المرجع السابق: ١/ هامش ص٥٢.

(١٣١٦هـ) الموافق ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة (١٨٩٨م) مقالةً عنيفةً انتقدَ فيها الأديب التركي (حسين جاهد)[١] في ثقافته الدينية وكتاباته الأدبية.

٢ ـ كتب في مجلة (معلومات) في عددها الصادر في شهر رجب سنة (١٣١٦هـ) الموافق كانون الأول (ديسمبر) (١٨٩٨م) في الصفحة (٨٦٣) من الجزء السابع مقالةً ناقشَ فيها أيضاً الأستاذ (حسين جاهد) الذي كتب مقالةً رَدًّ بها على مقالة مصطفى صبري السابقة في جريدة (طريق)، ونادى بِنَبْذِ اللغة العربية وعلومها وآدابها[٢]، والتخلّص من كلِّ ما يتعلَّقُ بها، ودعا إلى الاقتداء بالأوروبيين، واقتباسِ الكثير مما لديهم من علومٍ ومعارف وفكر وأدب.

٣ـ نشر في جريدة (إقدام) في عددها رقم (٦٦٢) الصادر في ٢٢ المحرم سنة (١٣٣٠هـ) الموافق ١٢ كانون الثاني (يناير) (١٩١٢م) ص٣ ـ ٤ : خطابه المُتعلِّق بتعديل المادة الخامسة والثلاثين من القانون الأساسي العثماني، والذي ألقاه في إحدى جلسات (مجلس المبعوثان العثماني) المنعقدة في ٨ المحرم سنة (١٣٣٠هـ) الموافق ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) (١٩١١م).

---

(١) حسين جاهد: من أبرز أدباء عصر (ثروة فنون) الأدبي ومن دعاة القومية الطورانية، ولد في (بالي كسير) عام (١٨٧٤م)، عمل في سلك التدريس، وأصدر جريدة (طنين) المشهورة عام (١٩٠٨م)، عمل نائباً في العام نفسه في البرلمان العثماني، كما عمل نائباً في المجلس الوطني عام (١٩٣٠م)، وترأّسَ تحريرَ صحيفة (أولوس)، توفّي في ١٨ تشرين الأول (أكتوبر) (١٩٥٧م).
Behcet Necatigil - Edebiyatimizda Ismiler Sözlügü, S324.

(٢) التي كانت يومئذٍ ملتصقةً باللغة التركية وآدابها.

٤ ـ ونشر في جريدة (إقدام) أيضاً في عددها رقم (٦٦٤) الصادر في ٢٤ المحرم سنة (١٣٣٠هـ) الموافق ١٤ كانون الثاني (يناير) (١٩١٢م) ص٣: خطابه الذي ألقاه في إحدى جلسات (مجلس المبعوثان) المنعقدة في ١٠ المحرم سنة (١٣٣٠هـ) الموافق ٣١ كانون الأول (ديسمبر) (١٩١١م)، والذي تكلَّم فيه على **(مفهوم الشورى في الإسلام)** وأصول الشورى والمشروطية (الحرية الدستورية) مبيّناً أضرار الاستبداد في الحكم ومفاسده، كما تكلَّم على حدود سلطة أهل الحل والعقد وواجباتهم.

٥ ـ ونشر كذلك في جريدة (إقدام) في عددها رقم (٦٩٩) الصادر في ٣٠ صفر سنة (١٣٣٠هـ) الموافق ١٨ شباط (فبراير) (١٩١٢م) ص٣ ـ ٤: أحد خطاباته التي ألقاها في حزب (الحرية والائتلاف).

٦ ـ وكتبَ في مجلة (سبيل الرشاد) خمسَ مقالاتٍ متسلسلة بعنوان: **(المجدِّدون الدينيون)** اقتبسها من كتابه بالتركية (ديني مجددلر)[1]، وذلك ابتداءً من العدد رقم (٤١٧ ـ ٤١٨) الصادر في ٢٩ شعبان سنة (١٣٣٧هـ) الموافق ٣٠ أيار (مايو) (١٩١٩م) إلى العدد (٤٢٧ ـ ٤٢٨) الصادر في ١١ شوال سنة (١٣٣٧هـ) الموافق ١٠ تموز (يوليو) (١٩١٩م).

٧ ـ وكتب أيضاً في افتتاحية مجلة (سبيل الرشاد) مقالةً بعنوان **(يجب أن نَترقَّى، ولكن بشرط أن نكون مسلمين)**[2]، وذلك في العدد (٤٣١ ـ ٤٣٢)

(١) الذي تقدَّم الحديث عنه ص٢٤٩ وما بعدها.
(٢) وهذه هي الترجمة الحرفية لعنوان المقالة الذي وَرَدَ باللغة التركية، ونصه: =

الصادر في ٢٥ شوال سنة (١٣٣٧هـ) الموافق ٢٤ تموز (يوليو) (١٩١٩م) تكلَّم فيها على المدنية الغربية الحديثة، وحلَّل أسبابَ ضعفِ المسلمين وتدنِّيهم، مبيِّناً السبيلَ الأمثلَ لرُقيِّهم وتَفوُّقهم على غيرهم.

٨ ـ وكتب في صحيفة (علمدار) في عددها الصادر في غرة شهر جمادى الآخرة سنة (١٣٣٨هـ) الموافق ٢١ شباط (فبراير) (١٩٢٠م) مقالةً بعنوان **(البلشفة)** شنَّ فيها حملاته على الذين كانوا يَنشرون الشيوعية، ويُقدِّمون البلشفة للأتراك المسلمين على أنَّها الحلّ الوحيد لما حصل في الدولة العثمانية من ضعفٍ وتدهورٍ، وعلى أنَّها وصفة الدواء لكل داء.

٩ ـ وكتب في صحيفة (علمدار) أيضاً في عددها الصادر في غرة شهر رجب سنة (١٣٣٨هـ) الموافق ٢١ آذار (مارس) (١٩٢٠م) مقالةً بعنوان **(من الخرافة إلى الحقيقة)** شنَّ فيها هجوماً شديداً على الاتحاديين وأعوانهم، وانتقد الإجراءات والتدابير التي قاموا بها في الدولة العثمانية، وكشف كثيراً من خُطَطهم وألاعيبهم، التي انطلت على الشعب التركي، وعلى الكثير من الساسة والمفكّرين، ودعا الأمة التركية إلى رفض سياستهم، واستنهضَ همم العسكر والضُّبَّاط والقادة إلى الوقوف في وجوههم، ومحاسبتهم، وتطهير البلاد منهم، وذلك للعمل على خلاص الدولة وإنقاذها من الانهيار.

= «ترقي ايده لم فقط مسلمان قالمق شرطيله». وهذه المقالة جزءٌ من خاتمة كتاب (يكي إسلام مجتهد لرينك قيمت علمية سي) الذي تقدَّم الحديث عنه، ص(٢٤٩) حيث اقتطعها منه، ونشرها على شكل مقالة.

١٠ ـ وكتب أيضاً في الصحيفة نفسها في عددها الصادر في ٤ من شهر رمضان سنة (١٣٣٨هـ) الموافق ٢٢ أيار (١٩٢٠م) مقالة بعنوان (**الخطابة**) نشر فيها نصَّ الخطاب الذي ألقاه في الاجتماع الجماهيري الحاشد في ميدان السلطان أحمد الثالث بالآستانة، وتكلّم فيه على النكبات والهزائم التي مُنِيَ بها المسلمون في العصر الحديث، والألاعيب والمخططات الرهيبة التي يُعِدّها الغرب المستعمر للقضاء على الأمة الإسلامية، وحثَّ المسلمين على الاتحاد والتضامن لإنقاذِ الدولةِ مما هي فيه، وللتَّصَدِّي لتلك المخطَّطات، وللوقوف في وجه تلك الأطماع الاستعمارية.

١١ ـ وكتب كذلك في الصحيفة نفسها في عددها الصادر في غرة جمادى الآخرة سنة (١٣٣٩هـ) الموافق ١٠ شباط (فبراير) (١٩٢١م) مقالةً بعنوان (**مقام الخلافة ومجلس أنقرة**) تكلّم فيها على المجلس الوطني الكبير[١]، منكراً على أعضائه قيامهم بإبطال القانون الأساسي العثماني، وتسميته

---

(١) افتُتح هذا المجلس في أنقرة في ٤ شعبان سنة (١٣٣٨هـ) الموافق ٢٣ نيسان (أبريل) (١٩٢٠م)، وجُعل غير قابل للحل، وعُيِّن مصطفى كمال رئيساً له، وفي ١٠ جمادى الأولى سنة (١٣٣٩هـ) الموافق ٢٠ كانون الثاني (يناير) (١٩٢١م) وُضع لهذا المجلس دستورٌ جديدٌ مؤلَّفٌ من اثنتين وعشرين مادة وسُميَ (قانون التشكيلات الأساسية) وأبطل العمل بالقانون الأساسي العثماني، الذي كانت تعمل به الدولة منذ سنين عديدة، والذي كان مبدأ الشورى مرعياً فيه، والذي كان أيضاً يَنصّ على أنّ الإسلام هو دين الدولة الرسمي، وأنَّ من حقوق السلطان إجراء الأحكام الشرعية والمحافظة عليها.

(الكتـابَ الأسـود) وإقامة دستورهم الجديد المسمَّى (قانـون التشكيلات الأساسية) مقامه، ومنتقداً المواد التي يتألَّف منها ذلك الدستور، ورَدَّ على ما ادَّعاهُ الأعضاء من أنَّ المجلسَ قائمٌ على نظام الشورى، وبيَّن معنى الشورى ومقتضى ماهيتها اللغوية والشرعية.

كما تكلَّم على مقام الخلافة الإسلامية، الذي كان يومئذٍ بيد السلطان (محمد وحيد الدين)، وما وصل إليه من ضعفٍ وتدهور بعد إخلاء الخليفة من السلطة والحكم والنفوذ، وانتقال الكل إلى المجلس الوطني الكبير برئاسة مصطفى كمال.

وتكلَّم أخيراً على خطورةِ افتراقِ الحكومة والسلطة على الخلافة، وما يترتَّب على ذلك من محاذير كثيرة.

١٢ ـ وكتَب في صحيفة (بيام صباح) في عددها الصادر في ٣٠ جمادى الأولى سنة (١٣٣٩هـ) الموافق ٩ شباط (فبراير) (١٩٢١م) مقالةً عن الخلافة تكلَّم فيها بكلامٍ شبيهٍ بما تكلَّمَ به في سابقتها.

١٣ ـ وكتب في الصحيفة نفسها في عددها الصادر في ١٩ من شهر رجب سنة (١٣٤٠هـ) الموافق ١٨ آذار (مارس) (١٩٢٢م) مقالةً ناقشَ فيها الدكتور (عبد الله جودت) صاحب الاتجاه المُتطرِّف المعادي للدين، الذي كَتَبَ في مجلّته المسمّاة (الاجتهاد) مقالةً تَحدَّث فيها عن غزوة بني قريظة، وشنَّع فيها على حكم النبيّ ﷺ فيهم بقتل أسراهم تشنيعاً ثقيلاً. وقد ردَّ عليه الشيخ في هذه المقالة ردّاً مفحماً.

ب ـ مقالاته المنشورة في الجرائد والمجلات العربية :

١ ـ كتب في الصفحة الأولى من جريدة (الأهرام) المصرية في العدد رقم (١٣٩١٢) الصادر في ربيع الثاني سنة (١٣٤١هـ) الموافق ٢ كانون الأول (ديسمبر) (١٩٢٢م) مقالة بعنوان (**شيخ الإسلام السابق يبسطُ آراءَه، ويدافع عن نفسه، ويحمِلُ على خصومه**) بسط فيها آراءه في مسألة الخلافة المُجَرَّدة من الحكومة والسلطة، وكشفَ عن مقصد الكماليين الأسمى من ذلك التجريد، ونبَّه المصريين ـ المغترّين يومئذٍ بهم ـ على خبث نواياهم، وما قاساه منهم هو ومئات الآلاف من الأتراك المسلمين، وما فعلوه بدينهم وحريّاتهم وبلادهم وسلاطينهم، وحَمَل على خصومِه، الذين تهجَّموا عليه، ورموه بالخيانة وطالبوه بالرحيل العاجل عن أرض مصر.

٢ ـ وكتب في جريدة (المقطم) في العدد رقم (١٠٥٣٣) الصادر في ١٧ من شهر ربيع الأول سنة (١٣٤٢هـ) الموافق ٢٧ تشرين الثاني (أكتوبر) (١٩٢٣م) مقالة بعنوان (**خطاب مفتوح لأمير الشعراء شوقي بك**) انتقد فيها الشاعر أحمد شوقي، وردَّ عليه نثراً ونظماً، وذلك لِتَهَجُّمِه على السلطان (محمد وحيد الدين) وامتداحه (مصطفى كمال) في قصيدةٍ نونيةٍ نظمها ونشرها في افتتاحية جريدة (الأهرام).

٣ـ وكتب في الجريدة نفسها في العدد رقم (١٠٥٤١) الصادر في ٢٥ من شهر ربيع الأول سنة (١٣٤٢هـ) الموافق ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٢٣م) مقالةً بعنوان (**تكرير التذكير**)، رَدَّ فيها على الكُتَّاب المصريين، الذين قدحوا فيه، وهجموا عليه، لقيامه بانتقاد شاعرهم (أحمد شوقي) في مقالته السابقة،

وكرَّر تذكيرَه إيّاهم بأنَّ الفتوى التي دائماً ينسبونها إليه، والتي نادت بكفر مصطفى كمال وإهدارِ دمه لبغيه وخروجِه على إمام مسلم في تركية ليست له، وإنما هي للشيخ (عبد الله دُرِّي زاده).

٤ ـ وكتب أيضاً في الجريدة نفسها في العدد رقم (١٠٥٤٥) الصادر في ٢٩ من شهر ربيع الأول سنة (١٣٤٢هـ) الموافق ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٢٣م) مقالةً بعنوان (**مَن المهجو في شعر أمير الشعراء؟**)، رَدَّ فيها على (يوسف حمدي يكن) الذي تهجَّم عليه، وخلط بين السلطان محمد وحيد الدين والسلطان عبد الحميد الثاني، فظنَّ أنَّ المهجوَّ في قصيدة أحمد شوقي إنَّما هو السلطان عبد الحميد الثاني، فأخذَ يَطعنُ فيه، ويتَّهمُ مصطفى صبري بأنَّه في نقدِه لأمير الشعراء جمعَ بين الباطلِ والخروجِ عن الحق.

٥ ـ وكتب في افتتاحية مجلة (الفتح) في العدد رقم (١٢١) الصادر في ٢٥ جمادى الأولى سنة (١٣٤٧هـ) الموافق ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٢٨م) مقالةً بعنوان (**الحروف الجديدة**)[1]، تكلَّم فيها على مسألة الكتابة بالحروف اللاتينية، وانتقدَ أنصار الكماليين، الذين امتدحوا تلك الحروف، وأطلقوا عليها اسم (الحروف التركية) ودعوا إلى الكتابة بها، ونَبْذ الحروف العربية، مبيّناً سببَ عداوتهم للغة العربية، وموضحاً فَضلَ الألفاظ والحروف العربية على اللغة التركية، وما قدَّمته لها من خدماتٍ جليلة.

---

(١) هي في الأصل مقالة تركية نشرها مصطفى صبري في جريدته (يارين) في العدد رقم (٢٩) من سنتها الثانية، وقد ترجمها إلى اللغة العربية الأستاذ محب الدين الخطيب، ونشرها في مجلته (الفتح).

٦ ـ وكتب أيضاً في افتتاحية مجلة (الفتح) في العدد رقم (١٥٥) الصادر في ٤ صفر سنة (١٣٤٨هـ) الموافق ١١ تموز (يوليه) (١٩٢٩م) مقالةً بعنوان (**المثل الأعلى والنبات الأنضر الذي ينبغي أن يُنبته الأزهر**) حَدَّد فيها الإصلاحات المهمة التي يَحتاجُ إليها الأزهر لكي يَبلغَ كماله المنشود، ويُحقّقَ تَفوُّقه المفقود، كما حَدَّدَ الوسيلةَ الصحيحةَ ـ في نظره ـ لإعلاء كلمةِ الإسلام، ولإنقاذِه من سوء ما أراده به أعداؤه الأقارب والأباعد.

٧ ـ وكتب في المجلة نفسها في العدد (١٩٧) الصادر في ٢ من ذي الحجة سنة (١٣٤٨هـ) الموافق ٣٠ نيسان (أبريل) (١٩٣٠م) مقالةً بعنوان (**كلمة في موقف النساء مع الرجال**) تكلَّم فيها عن مكانة المرأة في الإسلام، مبيّناً الحكمةَ من جعل نصيبها في الإرث على النصف من نصيب الذكر، والحكمة من فرض المهر على الرجل عند رغبته في نكاحها، ووازنَ بين موقف كلٍّ من الإسلام والمدنية الغربية من المرأة، مبيّناً قصورَ نظر المدنية الغربية التي ساوت نصيبَ المرأةِ في الإرثِ بنصيبِ الرجل، وألزمتها بدفع المهر له عند اقترانها به.

٨ ـ وكتب كذلك في المجلّة نفسها ثلاثَ مقالات متسلسلات، ناقش فيها الأستاذ محمد فريد وجدي في مسألتي (ترجمة القرآن الكريم) و(مسألة السفور والحجاب)، تَيْنك المسألتين اللتين تناظر فيهما مصطفى صبري مع فريد وجدي على صفحات مجلة (الفتح).

وقد نُشرت هذه المقالات الثلاث تِبَاعاً ابتداءً من العدد رقم (٣٣٩) الصادر في ٨ من ذي الحجة سنة (١٣٥١هـ) الموافق ٤ نيسان (أبريل)

(١٩٣٣م) الذي وردت فيه المقالة الأولى تحت عنوان: (الأستاذ فريد وجدي الثالث والرابع)، ونُشرت المقالة الثانية في افتتاحية العدد رقم (٣٤١) الصادر في ٢٥ من ذي الحجة سنة (١٣٥١هـ) الموافق ٢١ نيسان (أبريل) (١٩٣٣م) تحت عنوان (الأستاذ فريد وجدي الخامس والسادس) ونُشرت المقالة الثالثة في افتتاحية العدد رقم (٣٤٥) الصادر في ٢٣ محرم سنة (١٣٥٢هـ) الموافق ١٨ أيّار (مايو) (١٩٣٣م) تحت عنوان (فتنة الصلاة بالتركية والمفتون الفاتن).

٩ ـ وكتب في جريدة (الأهرام) أربع مقالات متسلسلات ضمن مناظرة قلمية جرت بينه وبين الأستاذ محمد فريد وجدي أيضاً على صفحات الجريدة في (**مسألة المعجزات والمتشابهات**)، وقد ناقش فيها زعمه القائل: بأنَّ ما جاء في القرآن الكريم عن معجزات الأنبياء عليهم السلام وقصصهم، وعن اليوم الآخر وثوابه وعقابه هو من الأمور غير المعقولة، ولذلك يَنبغي أنْ يُعَدَّ من متشابهاتِ القرآن، التي لا يُكلَّفُ المسلمُ بالإيمان بها، بل يُترك أمرُها إلى الله.

ورَدَّ عليه في ذلك ردّاً قوياً ومسهباً لو طُبِعَ مستقلاً لظهر في رسالة كبيرة.

وقد نُشرت هذه المقالات الأربع تِبَاعاً ابتداءً من العدد الصادر في ٥ جمادى الأولى سنة (١٣٥٢هـ) الموافق ٢٦ آب (أغسطس) (١٩٣٣م) الذي وردت فيه المقالة الأولى تحت عنوان (**وادي الزلَل بعد وادي النمل**)، ونُشرت المقالة الثانية في العدد الصادر في ١٥ جمادى الأولى سنة (١٣٥٢هـ) الموافق ٥ أيلول (سبتمبر) (١٩٣٣م) تحت عنوان (**المتشابهات والمعجزات والنشأة الأخرى**) الحلقة الأولى، ونُشرت المقالة الثالثة في العدد الذي يلي السابق

مباشرةً تحت عنوان (المتشابهات والمعجزات والنشأة الأخرى) الحلقة الثانية.

ونُشرت المقالة الرابعة في العدد الصادر في ٢٥ جمادى الأولى سنة (١٣٥٢هـ) الموافق ١٥ أيلول (سبتمبر) (١٩٣٣م) تحت عنوان (**مذهب القرآن إزاء مذهب الأستاذ فريد وجدي**)[1].

١٠ ـ وكتب في مجلة (الفتح) في العدد رقم (٥٨٤) في ١١ من ذي القعدة سنة (١٣٥٦هـ) الموافق ١٣ كانون الثاني (يناير) (١٩٣٨م) مقالةً بعنوان (**فتنة القبعة الجديدة ومغزاها الجديد**) وذلك بناءً على خطابٍ جاءه من أحد العلماء المسلمين في بلاد الألبان، يطلبُ منه أن يكتبَ في مسألة القبعة التي عَمَّت فتنتُها الكثير من البلاد الإسلامية. وقد حلَّلَ فيها مسألة لبس القبعة الإفرنجيّة، وبيَّن أهداف الحكومة الكمالية من فرضها على الشعب التركي، واستشهدَ على ذلك ببعض أقوالِ رجال الانقلاب الكمالي، التي صرَّحوا بها في الصحف التركية، ونبَّه العلماء الغافلين على حقيقة تلك المسألة، مبيّناً أنَّ مسألةَ لبس القبعة في هذا الزمان ليست كمسألتها في الأزمنة القديمة. كما تكلَّم فيها على حالِ لابسي القبعة والبرنيطة في بلاد الألبان، وحَقَّق معنى التَّشبُّه بالكفّار المُؤدّي إلى الوقوع في الكفر.

---

(١) وقد نشر مصطفى صبري هذه المقالة نفسَها في مجلة (الفتح) في العدد رقم (٣٦٣) الصادر في غرة جمادى الآخرة سنة (١٣٥٢هـ) الموافق ٢١ أيلول (سبتمبر) (١٩٣٣م) في ص٩ ـ ١٠، والبقية في ص١٩.

١١ ـ وكتب في المجلة نفسها في العدد رقم (٦٨٧) الصادر في ٢٤ ذي القعدة سنة (١٣٥٨هـ) الموافق ٥ كانون الثاني (يناير) (١٩٤٠م) مقالةً بعنوان (**وفاة عالم من أبطال الإسلام**) رثَى فيها صديقه العلاَّمة الشيخ (محمد حافظ نُوَزاد)[1] ـ الذي جاءه خبرُ وفاته وهو بمصر ـ وترحَّم عليه، وذكر العديد من مناقبه ومزاياه.

١٢ ـ وكتب في جريدة (منبر الشرق) في العدد رقم (٤٢٢) الصادر في ٢٦ رمضان سنة (١٣٦٥هـ) الموافق ٢٣ آب (أغسطس) (١٩٤٦م) مقالةً طويلةً بعنوان (**الإسلام والمشكلات الاجتماعية**) حَلَّلَ فيها أساس المشكلات الاجتماعية في العالم الإسلامي المعاصر، وقدَّم الحلولَ المناسبةَ لتلك المشكلات، التي من أهمّها[2] بَعْثُ الإسلام من جديد، وتقويةُ مركزِه ونفوذِه في قلوب المُنتَمين إليه لكي يتمَّ إنقاذُ النظم الاجتماعية من الانهيار، وذلك بالاستناد إلى نظامه العملي العالي. كما تكلَّم فيها على أهمية الدين في تنظيم أمور الدنيا وفي تحقيق الأمن والسلام المنشُودَين بين الجماعات والأمم.

* * *

هذا بالإضافة إلى مقالاته الكثيرة الأخرى التي لم أستطع الحصول عليها

---

(١) محمد حافظ نُوزاد: من كبار العلماء المسلمين في تراقية الغربية اليونانية، اشتهر بالشجاعة والغَيرة الدينية، تولَّى منصب الإفتاء في (كُلمنجة) عاصمة تراقية الغربية، وظلَّ في هذا المنصب عشرين عاماً. تُوفِّي في (ديمتوقة) في آخر شهر شوال سنة (١٣٥٨هـ).

(٢) أي: من أهم الحلول المناسبة.

ولكنّي عَلِمْتُ بها، منها على سبيل المثال:

١ ـ أنّه كتب في جريدتي (الأهرام) و(المقطم) فيما بين شهر جمادى الأولى سنة (١٣٤١هـ) الموافق كانون الأول (ديسمبر) (١٩٢٢م) إلى شهر ربيع الأول سنة (١٣٤٢هـ) الموافق تشرين الأول (أكتوبر) (١٩٢٣م) مقالاتٍ عديدةً شنَّ فيها هجوماً عنيفاً على الكماليين، وكشفَ عن بطانتهم، وناظر المُولَعين بهم من الكُتَّاب المصريين، منبّهاً على خُبثِ نواياهم، ومحذِّراً من الانسياق وراء شعاراتهم.

٢ ـ وكتب في مجلة (الهداية الإسلامية) ومجلة (الجامعة الزيتونية) مقالات عديدة ناقشَ فيها بعضَ العلماء والأدباء المجدّدين المسايرين مذهب العلم الحديث الغربي، المُدَّعي بأنَّ العلم لا يثقُ بالعقل المحض المُجَرَّد عن التجربة، والحاصر اليقينَ العلميَّ في المحسوسات فقط، ناقشهم للذودِ عن الكتاب والسنّة وعقائدِ الإسلام الغيبية[١].

٣ ـ وكتب كذلك في جريدة (الأخبار) المصرية مقالاتٍ عديدةً فيما بين سنتي (١٣٤٣هـ= ١٩٢٤م) و(١٣٤٩هـ= ١٩٣٠م)، حيث كان يُحررها في مهاجره التي تنقَّل بينها في تلك المدّة، ثم يُرسلها إلى الجريدة في مصر لكي تنشرها[٢].

* * *

(١) انظر: الملحق رقم (١) ص٣٩٥.

(٢) انظر: الملحق رقم (٣) ص٤٠٩.

وبالإضافة إلى هذا كلّه فقد عملَ في مجال الصحافة سنين عديدة بشكلٍ رسمي، حيث أمضى أكثر من أربع سنين رئيساً لتحرير مجلة إسلامية كانت تصدر بالآستانة باسم (بيان الحق)، كما أمضى ثلاثَ سنين ونصف رئيساً لتحرير جريدة إسلامية أسسها في تراقية الغربية اليونانية المسلمة أثناء إقامته بها وسمَّاها (يارين).

* * *

وما دمنا نتحدَّث عن مقالاته، فإنّي أرى أنَّه من الواجب عليَّ الحديث عن تينكم المجلة والجريدة لتعريفهما، وبيان مسلكهما، وذكر مقالاته الكثيرة التي نشرها فيهما، لكي تكتملَ لنا الصورةُ في جانبٍ من جوانب إنتاجه الفكري، ألا وهو جانبُ إسهاماته الفكرية في المجال الصحفي.

أولاً ـ مجلة (بيان الحق):

هي مجلةٌ إسلاميةٌ سياسيةٌ وأدبيةٌ، كانت تصدر أسبوعياً باللغة التركية العثمانية عن (الجمعية العلمية الإسلامية)[١] بالآستانة، لنشر الأفكار الإسلامية التي تبتغيها تلك الجمعية، وقد صدر العدد الأول منها في ٩ من شهر رمضان سنة (١٣٢٦هـ) الموافق ٥ تشرين الأول (أكتوبر) (١٩٠٨م)[٢].

وكانت تَضمُّ بين محرريها أسماء لامعة في عالم الكتابة من كبار

---

(١) سبق الحديث عن هذه الجمعية في الفصل الأول ص٨٧.
(٢) راجع الملحق رقم (٧)، ص٤٩٦.

العلماء والمفكّرين[1]، وكانت تُكتبُ فيها المقالات والأبحاث تحت عناوين رئيسة هي: إسلاميات، وأدبيات، واجتماعيات، وسياسيات، وأخبار العالم الإسلامي، ومتفرِّقات.

وكان شعارُ المجلة الذي يُكتَبُ على غلاف كلّ عدد هو: (رأسُ الحكمةِ مخافةُ الله، ورُتبةُ العلمِ أعلى المراتبِ). وتتراوح صفحاتها ما بين عشرين إلى ثلاثين صفحة.

وقد تولَّى (مصطفى صبري) رئاسة تحرير المجلة طوال المدة التي كانت تَصدر فيها، وبيَّنَ الخِطَّةَ والمسلك الذي سوفَ تَسيرُ عليهما في مقالةٍ له نشرها في افتتاحية العدد الأول تحت عنوان (مسلك بيان الحق)[2] قال فيها: «إنَّ رسالتنا منذُ البداية هي مخافةُ الله، والعِفَّة والاستقامة، والحَمِيَّة ومساعدة إخواننا المسلمين، وممارسة الحرية بالشكل المشروع، والنفور من الاستبداد والظلم، ومحبة العلوم والمعارف الحديثة.

وإنَّ مجلَّتنا سوف تسعى لرفع المستوى الفكري لمواطني هذه الأمة العثمانية المجيدة، وتعميم الفضائل والآداب السامية، وستثبتُ بعون الله وتوفيقه فسادَ الادِّعاء القائل بأنَّ الإسلامَ ضدّ التقدّم والمدنية.

---

(١) أمثال: إسماعيل حقي، ومصطفى عاصم، وكوجك حمدي، ومحمد عاطف بك الأسكليبي، وابن الأمين محمود كمال، وطاهر المَوْلَوي، وحسين حازم، وخليل أديب.

(٢) هذه هي الترجمة الحرفية لعنوان المقالة الذي ورد باللغة التركية، ونصه (بيان الحق ك مسلكي).

وستجيبُ ـ بالأدلة المُقْنِعَة ـ على كلِّ ما يُوجَّه إلى الدين الإسلامي من اعتراضات، وستعملُ على إزالة كلِّ الشكوك والشبهات، التي يمكنُ أن تخطرَ عل البالِ بخصوصِ أيّ مسألةٍ دينيةٍ أو علميةٍ، وستصرفُ الجهدَ لبيانِ أنَّ الإسلامَ هو الدين الحق، وستُوضِّحُ للعيان منافعَه الكثيرة، التي تكفلُ للإنسان السعادةَ الحقيقيةَ في الدنيا والآخرة.

ولن تتوانى عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث ستقومُ بنقدِ وتفنيدِ كلِّ النَّشْرِيَّات التي تبدو مخالفةً للأحكام الشرعية، أو متنافيةً مع الآداب المَرْعِيَّة، ولن تتوانى أيضاً عن تحقيقِ أهدافِ ومطالبِ هذا الدين الإسلامي الحنيف»[1].

وكان آخرُ عدد صدر منها هو رقم (١٨٢) الصادر في ٢٤ من ذي القعدة سنة (١٣٣٠هـ) الموافق ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩١٢م).

وقد حرَّر مصطفى صبري في هذه المجلة الكثيرَ من المقالات في مختلف القضايا والمسائل، ونظراً لطول تلك المقالات وكثرتها، فإنّي سأكتفي بذكر أسمائها مترجمةً إلى اللغة العربية فيما يلي:

١ ـ مسلك بيان الحق.

٢ ـ المسائل التي جَرَت عليها المناقشةُ وهي الهدفُ في الإسلام[2].

---

(١) انظر: مجلة (بيان الحق)، الصفحة الأولى من العدد الأول.

(٢) نشر مصطفى صبري تحت هذا العنوان سلسلة من المقالات الكثيرة تَحدَّث =

٣ ـ دروس الحضور .

٤ ـ عيد فطر سعيد .

٥ ـ الدفاع عن الحقيقة .

٦ ـ القبّعة والطربوش .

٧ ـ أدب الكتابة والتأليف .

٨ ـ القوة التشريعية .

٩ ـ الردّ على ما جاء في جريدة (صباح) .

١٠ ـ قطعةٌ من مقامات الحريري .

١١ ـ منَاقِبُنا ومَثالِبُنا .

١٢ ـ ملاحظةٌ حول مقال نُشِرَ في جريدة (طنين) بعنوان (دين) .

١٣ ـ خطابٌ واحد .

١٤ ـ التبرّعات الوطنية .

= فيها عن موقف الإسلام من العديدِ من المسائل مثل : مسألة تعدُّد الزوجات، والطلاق، والحجاب، والإرث، والزكاة، والتأمين، والقمار، والخمر، والتصوير، والموسيقي والغناء، وغيرها من المسائل، وقد جُمِعَت هذه المقالات بعد وفاته وطُبِعَت في كتاب مستقلّ بالحروف اللاتينية. وللاطلاع على المزيد من التفاصيل ارجع إلى ص٢٤٠ وما بعدها من هذا الكتاب .

١٥ ـ العلماء في مجلس النوّاب وجريدة (يكي غزته)[١].

١٦ ـ اقتباس من خطبة أُلقيت في الخارج.

١٧ ـ (التبرعات الوطنية) دعوة موجَّهة إلى جمعية النساء.

١٨ ـ الحديث عن مشروع الميزانية في مجلس المبعوثان.

١٩ ـ حكم التبرّع بجلود الأضاحي لتقوية الأسطول.

٢٠ ـ بمناسبة ميزانية الأبحاث العلمية.

٢١ ـ الحدود الشرعية للحجاب الإسلامي.

٢٢ ـ مسألة (همزة الوصل).

٢٣ ـ التنبيه على نقطة مهمة في التقرير الذي قُدِّمَ إلى مجلس حزب (الاتحاد والترقي).

ثانياً ـ جريدة (يارين):

هي جريدة إسلامية فكرية مستقلّة، كانت تصدرُ مرَّتين في الشهر باللغة التركية العثمانية، أسسها (مصطفى صبري) ومعه ابنه (إبراهيم) في تراقية الغربية اليونانية، أثناء إقامتهما فيها، صدر العدد الأول منها يوم الجمعة ٢٢ المحرم سنة (١٣٤٦هـ) الموافق ٢٢ تموز (يوليو) (١٩٢٧م)[٢].

---

(١) أي: الجريدة الجديدة.

(٢) راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٩٧

و(يارين) كلمةٌ تركيـةٌ تعنـي الغد، وقـد أطلقَ (مصطفى صبري) هذا الاسم على جريدته استبشاراً وتفاؤلاً بغدٍ إسـلاميٍّ مُشـرقٍ، وبَيَّن مسـلكها ومنهجها الذي ستسير عليه في مقالة كتبها في صدر العدد الأول منها تحت عنوان (مسلكنا)[1]، قال فيها: «بعناية الله وتوفيقه تُولد اليومَ جريدةُ (يارين) في ساحةِ المطبوعاتِ لكلِّ فردٍ من أفراد العالم الإسلامي يَتطلَّع إلى المستقبل، وستعكِس هذه الجريدة آراء وأفكار أهل الحق والحقيقة، وستكونُ الصدى والتعبيرَ عمَّا يَبذله أولئك المخلصون من جهـودٍ كبيـرةٍ لخدمـة الإسـلام والمسلمين، وستبذلُ الجريدةُ جهدها لإقامة تيَّارات علمية في المحيط الذي تنتشر فيه، وسيكونُ لها برنامجها الخاص، الذي يساير النظريات المشروعة والمعقولة التي تقبلها الجريدةُ باقتناعِ مصدرُه ضميرها، تلك النظريات التي تتناول مختلف القضايا السياسية والاجتماعية، والدينية بوجهٍ خاص، وستشنّ الحرب على تيار الإلحاد واللادينية وعلى تسويلاتهما. كلُّ ذلك مع مراعاة المستوى العام للقُرَّاء بحيث لا يكونُ الأسلوبُ عالياً في مستوى الخواص فقط.

كما تستهدفُ الجريدةُ مجاهدةَ كلِّ الادّعاءات الباطلة الموجَّهة للإسلام، وتعريتها أمام الأنظار، وستكون ضدَّ الذين يُنادون بالخروج على أحكام الإسلام وتعاليمه تحت ستار التجديد والتطوير، كما ستحرِصُ على إيضاح أصول الترقّي والتكامل، حتى تكونَ أمام الناس صورةٌ واضحةٌ عن الانقلابات اللادينية التي تُقَدِّم وُعوداً خلاَّبة فـي المسـتقبل، ويقتضي الأمـرُ

---

(١) هذه هي الترجمة الحرفية لعنوان المقالة الذي ورد باللغة التركية، ونصه (مسلكمز).

بالتالي أن تتحدَّث الجريدةُ عن الأمس قليلاً، حتى تتمكَّن من إيضاحِ مسلكها جيداً، ولكي تُلقي الأضواءَ على الغد.

إنَّ الأمسَ مشحونٌ بالآلام، إنَّ الأمسَ عبارةٌ عن ليلةٍ طويلةٍ قانية الاحمرار، تمتدُّ إلى ربع قرن، ولكنَّ (يارين) تَعِدُ قُرَّاءَها بإظهارِ غدِ هذا الأمس، وبإبرازِ ذلك الصباح الهائلِ لتلك الليلة المُزعجة، وإننا عازمون على تحقيق هذا الوعد، ولهذا كانت جريدتُنا تحمِلُ اسم الغد كدلالةٍ على هذا الوعد، وكتعبيرٍ عن العزم على تحقيقه.

ستتناول أقلامُنا في هذه الجريدة أسبابَ انطلاقِ الشرارات التي أدَّت إلى الانقلاباتِ المُهِينَة التي حدثت في تركية، وستتناول هذا الموضوعَ وغيرَه من الموضوعاتِ التي سوفَ تُطرح في الجريدة في حضورٍ من عقلِ البشرِ. إنَّ تلك الموضوعات جُرْحٌ في جسدِ المجتمع الإسلامي، وإننا واثقون من أنَّ جريدتنا ستكونُ دواءً شافياً سيؤثِّرُ في التئام ذلك الجرح»[١].

وقد اتَّخذ مصطفى صبري هذه الجريدة منبراً لمجاهدة الملاحدة أعداء الدين، ولنقدِ النظام الكمالي في تركية، ووسيلةً للتعبير عن سخط المسلمين ـ المخلصين لدينهم ـ على ما حدث في تركية من أحداثٍ أليمة، وانقلابٍ على الدين الإسلامي وأهله.

وتتضمَّنُ جريدة (يارين) مادةً خصبةً لدراسة وجهات النظر المُعارِضةِ للكماليين من مقالاتٍ ومناقشاتٍ وتحليلاتٍ ودراساتٍ وفكرٍ وأدبٍ قام بها

---

(١) انظر: جريدة (يارين) في الصفحة الأولى في العدد الأول.

بالإضافة إلى الشيخ وابنه الكثيرُ من المحرّرين والكُتّاب المسلمين[1].

وكانت الجريدةُ تصدرُ في أربع صفحات كبيرة، وقد استمرَّت تصدر تحت اسم (يارين) إلى العدد (٧٠) الصادريوم الجمعة ١٠ ربيع الآخر سنة (١٣٤٩هـ) الموافق ٥ أيلول (سبتمبر) (١٩٣٠م)، ثم تغيَّر اسمُها في العدد الذي يليه مباشرة إلى (بيام إسلام)[2] حيث صدر العدد الأول منها بهذا الاسم في ٢٧ ربيع الآخر سنة (١٣٤٩هـ) الموافق ٢٢ أيلول (سبتمبر) (١٩٣٠م)[3]، وتلاه أربعة أعداد أخرى، ثم تَوقَّفَتِ الجريدةُ بأمرٍ من الحكومة اليونانية ـ آنذاك ـ بناءً على طلبٍ من الحكومة التركية كما ذكرنا سابقاً[4]، وكان آخرُ عددٍ منها صدر في ١٤ رجب سنة (١٣٤٩هـ) الموافق ٥ كانون الأول (ديسمبر) (١٩٣٠م)، ولقد جمعَ الشيخُ فيها العديدَ من إنتاجه الفكري، حيث كتبَ فيها الكثيرَ من مقالاته العلمية وتحليلاته السياسية، ونشر فيها بعضَ كتبه[5] وبعضَ أبحاثه ـ التي تكلَّمنا عنها آنفاً ـ كما نشرَ فيها بعض أشعاره[6].

ونظراً لكثرة مقالاته التي كتبها في هذه الجريدة، فإنه من المُتعذِّر حصرها جميعاً، ذلك أنَّ كلَّ عددٍ تقريباً من أعداد الجريدة ـ التي بلغت خمسة

---

(١) أمثال: حافظ علي رشاد، ويوسف ضياء الدين، وحسن فهمي، ورفيق خالد وغيرهم.
(٢) أي: بيان الإسلام.
(٣) راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٩٨
(٤) ص١٤٦.
(٥) وهي كتاب (الإمامة الكبرى في الإسلام) وكتاب (صوم رمضان).
(٦) سَيَرِد الحديث عنها ـ إن شاء الله ـ في فقرة (أشعاره)، ص٣٥٥.

وسبعين عدداً ـ لا يَخلو من مقالٍ للشيخِ أو تحليلٍ أو افتتاحيةٍ أو تعليقٍ، ولذا سأكتفي بذكر نماذج منها فيما يلي:

١ ـ مَسلكُنا:

وهي مقالةٌ افتتاحيةٌ نشرها في صدر العدد الأول ـ كما ذكرنا آنفاً ـ وبَيَّن فيها مسلكَ الجريدةِ ومنهجها.

٢ ـ عُلماء (كُوملجِنَة):

نشر الشيخ هذه المقالة في العدد (٥٤) الصادر في ١٩ جمادى الآخرة سنة (١٣٤٨هـ) الموافق ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٩٢٩م) في الصفحة الأولى والثانية، تحدَّث فيها عن العلماء المُفْتِين بمدينة (كوملجنة) بتراقية الغربية اليونانية، وعن بعض كتبهم وفتاواهم.

٣ ـ الدين والقومية:

وهي سلسلةُ مقالاتٍ طويلةٍ نشرها في ستٍّ حلقاتٍ مُفَرَّقة على ستة أعداد، وذلك ابتداءً من العدد(٦٢) الصادر في(١٥)ذي القعدة سنة (١٣٤٨هـ) الموافق ١٤ نيسان (أبريل) (١٩٣٠م)، انتقدَ فيها التيارات القومية، وردَّ على القوميين الذين خُدِعُوا بالدعايات المُضَلِّلة، فأحلُّوا قومياتهم الضَّيِّقة محلَّ العقيدة الإسلامية، وقدَّموا الأُخوَّة في التراب والوطن والمشاركة في اللسان، على الأخوَّة في الدين، خِلافاً لروح الإسلام؛ ومنطوق القرآن والسنّة.

وناقش فيها دُعاة القومية التركية والجركسية وامتدحَ اللغة العربيةَ كثيراً، ودعا المسلمينَ من غير العرب إلى تَعلُّمِها، والتحدّث بها، لأنّها لغة القرآن، ولأنَّ تعلّمها يؤدّي إلى التَّقرُّب إلى الدين الإسلامي، والمحافظة على أسسه التي يقوم عليها.

وشدَّد على بيانِ أخطار القومية والعنصرية، وذلك لإيقاظ المسلمين الغافلين من غفلتهم لكي يتدبَّروا ما يُحاك ضدّهم، وما يُدبَّرُ لدينهم، وضربَ لهم أمثلةً بنتائجها وأضرارها في الوقت الحاضر، حيث أُهملَ الإسلامُ وأُبعدَ بسببها عن الصدارة والقيادة، وأُلغي نظامُ الخلافةِ، الذي استمرَّ طَوَالَ ثلاثةَ عشر قرناً من الزمان على مرِّ التاريخ الإسلامي.

٤ ـ بمناسبة شرف الاسم الجديد:

نشر هذه المقالة في افتتاحية العدد الأول من التسمية الجديدة للجريدة (بيام إسلام) وقد كتبَها بمناسبةِ تَغيير اسم الجريدة، وتناول فيها مسألةَ الكتابة بالأحرف اللاتينية، وانتقدَ قيامَ الحكومة الكمالية بإلزام الشعب التركي الكتابةَ بها ونَبْذ الحروفِ العربية، مُبيّناً الأضرارَ الكبيرةَ الناجمة عن ذلك، وموضحاً تَفوُّقَ الحروفِ العربيةِ على الحروف اللاتينية.

٥ ـ مسألة اليمين الغموس:

نشر هذه المقالة في الصفحة الثالثة من العدد السابق، وقد فصَّلَ فيها القولَ في حكم اليمين الغموس من الناحية الشرعية، مبيّناً الفرقَ بين مذهب أهل السنّة والجماعة في تفاصيلِ هذه المسألة ومذهب المعتزلة.

ورَدَّ فيها على مَن انتقد الشيخ (حافظ نُوزَاد أفندي) مُفتي (كُومُلْجِنَة) في فتواه التي أصدرها في المسألة نفسها.

* * *

رابعًا: أشعاره

ذكرنا ـ فيما سبق ـ أنَّ مصطفى صبري انقطعَ في مقتبل عمره لطلب العلم، ثم شُغِلَ بالسياسة فترةً طويلةً، ثم توجَّه بعد ذلك إلى النواحي العلمية الشرعية.

إلاّ أنّه مع ذلك كلِّه قد أولى الأدبَ والشعرَ جانباً لا بأسَ به من عنايته واهتمامه، هذا بالإضافةِ إلى أنَّه كانت لديه موهبةٌ شعريةٌ، وحاسّةٌ أدبيةٌ، وتذوّقٌ للشعرِ كما كانت له محاولات شعرية، حيث نَظَمَ العديدَ من القصائد باللغتين العربية والتركية أثبتَ من خلالها أنَّه شاعرٌ قويٌّ، ولا سيّما في اللغة التركية لغته الأم، ولكن ربَّما لا نجدُ تلك القصائد وخاصة العربية على درجةٍ عاليةٍ من الإبداع والبلاغة، وعلى مستوى رفيع من البيان والفصاحة بحيث تَطرَبُ لها الأسماع، وتتأثّر بها القلوب، وتَهتزُّ لها المشاعر، إلاَّ أنَّها تُعَدُّ جيدةً بشكلٍ عام، ذلك أنه شَغَلَتهُ أحداثُ أمته السياسية، وقضاياها المصيرية عن الإبداع في النظم وإتقان صناعة الشعر.

وقد كان مصطفى صبري طويلَ النفس في أكثرِ قصائده التي كانت تتضمَّنُ اهتماماتٍ مختلفةً، وتدور حولَ أغراض شعرية متعدّدة؛ منها: الإسلاميات، والوجدانيات، والوصف، والمديح، والهجاء.

ومما لا شك فيه أنَّ الاطّلاع على تلك القصائد يُعطينا فكرةً ولو يسيرةً عن بعض مشكلاته واهتماماته، كما يُطلعنا على بعضِ أفكارِه، وحالاتِ نفسه، وأحداثِ عصرِه.

وسأعرضُ - فيما يلي - بعضَ أشعاره التي عَثرتُ عليها متفرقةً في الكتب والصحف والمجلاّت:

أ- أشعاره باللغة التركية:

كان شعر مصطفى صبري باللغة التركية أقوى من شعره باللغة العربية وأبلغ، وقد عَثرتُ على بعض قصائده التي نَظَمَها باللغة التركية، وعَمِلْتُ على ترجمتها إلى اللغة العربية ترجمةً حرفيةً على أيدي بعض الأساتذة العرب المُتقنين للغة التركية، والمُتخَصِّصين في الوقت نفسه بالأدب التركي العثماني، ولَمّا تَمَّت الترجمةُ وتَوفَّرت بين يديَّ تفحَّصتُها فرأيتُ أنّه من الأنسب الاكتفاء بإيضاحِ مضمونِ تلك القصائد، وعدم إثباتها بنصِّها وذلك لأمرين:

أحدهما: **لطولها.**

وثانيهما: **لركاكة أسلوبِ الترجمة،** ذلك أنّه من المعلومِ أنَّ الترجمةَ مهما كانت قويةً، فإنّها لن تقومَ مقامَ الأصل - ولاسيما في الشعر - ولن تُساويه في بلاغته وحُسن سَبْكِه واتزان ألفاظه وسلاسة بيانه.

وإليك أخي القارئ ما عَثرتُ عليه من أشعاره التركية:

١ ـ قصيدة (أشعاري الحقيقية)[١]:

هي قصيدةُ في المديح تَتكوَّن من أربعة وخمسين بيتاً، امتدحَ فيها كثيراً نبيَّنا محمداً ﷺ، وبيَّن فضائله وأوصافه ومزاياه، من خلال صورٍ أدبيةٍ رائعةٍ، وعبَّر فيها عن مدى اشتياقِه إليه، وعَمَّا تَجيشُ به نفسُه من مشاعرَ فَيَّاضة، وحبٍّ عميقٍ له ﷺ.

ونشر القصيدة في مجلة (بيان الحق) في العدد (٢٦) الصادر في ٧ من شهر ربيع الأول سنة (١٣٢٧هـ) الموافق ٢٩ آذار (مارس) (١٩٠٩م) في الصفحات (٦١١ ـ ٦١٢ ـ ٦١٣) من المجلد الأول.

٢ ـ قصيدة (الحشر):

هي قصيدةٌ وجدانيةٌ، تتكون من واحد وعشرين بيتاً؛ نظمها في ٢٠ صفر سنة (١٣٣٠هـ) الموافق ٩ شباط (فبراير) (١٩١٢م) عندما كان راكباً في باخرةٍ صغيرةٍ في تركية عبْر مضيق البسفور، وقد استوحى أفكارَها من مشاهد يوم القيامةِ الوارد ذكرُها في القرآن الكريم.

قد صَوَّر تلك المشاهد في هذه القصيدة تصويراً أدبياً دقيقاً، حيث أخذَ يتأمَّلُ موقف الخلائق يوم القيامة، ويَصِفُ أحوالَهم ومواقفهم خطوةً خطوةً، ابتداءً من خروجِهم من قبورِهم، وسوقهم إلى مكان الحساب، الذي يجتمعون

---

(١) هذه هي الترجمة الحرفية لاسم القصيدة الذي ورد باللغة التركية ونصه: (حقيقي شعرلرم).

فيه في يومٍ مهيبٍ، وموقفٍ عصيب، ثم وقوفهم بين يـدي قيّـوم السـموات والأرضين، على قدمٍ واحدةٍ، بكواهلَ مُنْحَنِية، وأعينٍ مَشْدوهة، وسطَ زحام شديد، وقد صهرتهم الشمس، واشتدَّ بهم الكرب، وتدافعوا لشدة الزحامِ، واختلافِ الأقدام، ثم إعطائهم كتبهم، وعرض صحائفهم، ووزن أعمالهم بالميزان، ومحاسبتهم عليها صغيرها وكبيرها حساباً عسيراً، وشهادة ألسنتهم عليهم وكذا أيديهم وأرجلهم وأسماعهم وأبصارهم وسائر أعضائهم، وسْط هلعٍ وذُعرٍ شديدين، وخوفٍ من الخزي والفضيحةِ، ثم مرورِهم على الصراطِ وَسْطَ دَوِيٍّ شديدٍ من الصراخِ والبكاءِ والعويلِ.

كما أخذَ يَتفكَّرُ في أحوالِ أهلِ النارِ ويُخاطِبُ نارَ جهنَّم فيقول: دُمْتِ لهؤلاء الكفرة الملحدين والطغاةِ الظالمين، فأنتِ مقرُّ هؤلاء، لولاكِ لما اهتدى أحدٌ إلى الطريق المستقيم، ولولاكِ لَهُضِمَتْ حقوقُ اليتامى، ولَدِيْسَتْ حقوقُ المظلومين بالأقدام. ثم يَبتهلُ إلى اللهِ الحيِّ القيومِ بأن يَحشرَه مع عبادِه المؤمنين الصالحين، الذين لطفَ بهم، ورضيَ عنهم، وأن يَمُنَّ عليه برؤيةِ أصحابِ النارِ، وهم يُعَذَّبونَ فيها، لكي يَشمَتَ بهم، ويقول لهم: كيف حالكم الآن؟! إنَّكم لم تؤمنوا في الحياة الدنيا، فآمنوا الآن إن شئتم!!.

وقد نشر هذه القصيدة في مجلة (بيان الحق) في العدد (١٤٧) الصادر في ٨ من شهر ربيع الأول سنة (١٣٣٠هـ) الموافق ٢٦ شباط (فبراير) (١٩١٢م) في صفحتي (٢٦٢٩ ـ ٢٦٣٠) من المجلَّد الثالث.

٣ ـ قصيدة (شيخوختي):

هي قصيدةٌ في الوصف تتكوَّنُ من عشرين بيتاً، نَظمها سنة (١٣٣٠هـ

١٩١٢م) لما اشتَعَلَ رأسُه ولحيتُه شيباً، وهو ما يزالُ في بدايةِ الأربعين من عمره.

وقد نَدبَ فيها حظَّهُ العاثر، واشتكى من الشيبِ المبكِّرِ، الذي علا شعرَه ومَفْرِقَ رأسه، وتندَّمَ كثيراً على شبابه، الذي ولَّى سريعاً، والذي لا يمكنُ أن يعودَ مرةً أخرى، كما أخذَ يتفكَّر في نفسِه ويَصفُها - عن طريق الاستعارة اللفظية - بصفاتٍ عديدةٍ، منها أنَّه وصفَ نفسَه بعدَ أن كساهُ الشعرُ الأبيضُ بصورةِ الشاب المُتدثِّر بالكفنِ، ومنها أنّه عَبَّرَ عن ابيضاضِ شعرِ رأسِه بالجليد الناصع البياض، الذي يُغطّي قِمَمَ الجبالِ في فصلِ الشتاءِ.

واستدلَّ من مَجيءِ مرحلةِ الشباب في عمر الإنسان؛ ثم ذهابها بسرعة؛ على زوالِ الحياةِ الدنيا وفنائها، واختتمَ القصيدةَ بالحضِّ على احترامِ الشيوخِ الهَرِمين وتوقيرهم.

وقد نُشِرَت القصيدةُ في كتاب (الشعراء الترك في القرن الأخير)[١] - SON ASIR TURK SAIRLERI (لابن الأمين محمود كمال ينال، في صفحتي (٢١٨٤ - ٢١٨٥) من الجزء التاسع.

٤ - قصيدة (دعاء المنفي)[٢]:

لما قَبَض الاتحاديون على مصطفى صبري سنة(١٣٣٤هـ= ١٩١٦م) في

---

(١) نشر مطبعة المعارف بإستانبول سنة (١٩٤٠م).

(٢) هذه هي الترجمة الحرفية لاسم القصيدة الذي وَرَدَ باللغة التركية ونصه: (منفي دعا).

رومانية أثناء الحرب العالمية الأولى، وأَوْدعُوه السجنَ بمدينة (بوخارست) نَظَم هذه القصيدة، وسمَّاها (دُعاء المنفي) سَطَّر فيها مُعاناته واضطرابه وهو في السجنِ، بعيداً عن الأهل والوطن، وعَبَّر فيها عن ألمه وحُرقتِه وعذابِه، وعن مدى اشتياقِه لبلادِه موطنِ الخلافة الإسلامية، وبَيَّن حقيقةَ ما يقاسيه ذلك البلد وأهلُه من ظلمٍ واضطهادٍ من رجال الاتحاد والترقي، الذين شنَّ هجومه الشديد عليهم وعلى حزبهم في هذه القصيدة، مبيّناً حقيقةَ موقفهم من الدين الإسلامي، وابتهلَ إلى الله العليِّ القدير، بأن يَخذُلهم ويُشَتِّتَ شملهم، وأن يجعلَ الخزيَ والهزيمةَ حليفهم، وأن يَنصرَ الأتراكَ المسلمين ـ الغيورين على دينهم، والجَادِّين في إسلامهم ـ عليهم.

وقد نُشرت سبعةُ أبياتٍ فقط من هذه القصيدة في كتاب (السائرون والمسوقون ـ Yürüyenler Ve Sürünenler) للكاتب والصحفي التركي صادق آل بيراق في صفحتي (٢٣ ـ ٢٤)[١].

٥ ـ قصيدة (الغد):

هي قصيدة في الوصفِ مُكوَّنةٌ من ستّة أبيات، نظمها في شهر المحرَّم سنة (١٣٤٦هـ) الموافق تموز (يوليو) (١٩٢٧م)، وذلك بمناسبة إصدار جريدة (يارين)، ثم نشرها في صدر العدد الأول منها وسمَّاها باسمها[٢].

والقصيدةُ بِمُجْمَلِها استعاراتٌ لفظيةٌ دلَّت على نوعية المنظارِ الذي كان

---

(١) من الطبعة الثالثة ـ نشر مطبعة شامل بإستانبول، سنة (١٩٨٤م).

(٢) راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٩٧.

يَنظرُ منه مصطفى صبري، ويُطِلُّ من خلاله على تلك الأحداثِ الجِسَامِ، التي حصلت في العصر الأخير من العالم الإسلامي عامةً، وفي تركية بوجهٍ خاص، من جرَّاء تكالب القوى المعادية على الإسلام لتدميره وإبادة أهله، حيث شَبَّه تلك الأحداث باحتراقِ الأُفُق، وتَهدُّد السماء في الأرضِ، ونزيف الغروب بالشعاع الدموي، واحمرار أشعة الشمس من شدّة الألم، ثم احتراق السماء بحلول الليل ذي الظلام الدامس.

ثم تفاءل كثيراً حيث رأى أنَّ هذا الليلَ الطويلَ سيَعقُبه حتماً صباحٌ مشرقٌ، وأنَّ ذلك الظلام الدامس سيَعقُبه نورٌ ساطعٌ، وأنَّ الغَلَبَةَ ستكونُ قريباً للمؤمنين المخلصين المُتَمسّكين بدينهم رغم ذلك الحريق الهائل، وتلك الظُّلمة الدامسة.

٦ ـ قصيدة (أنا أستقيل)[١]:

هي أطول قصائدِه حيث يَبلغُ عدد أبياتِها قرابة المئةِ وستين بيتاً نَظَمها في غرّة المحرم سنة(١٣٤٦هـ) الموافق ١ تموز (يوليو) (١٩٢٧م) على أثر سماعه خبرَ إسقاط الجنسية التركية عنه من قِبَل البرلمان التركي الجمهوري بأنقرة، ذلك أنَّه لمَّا كان يُقيم ـ لاجئاً ـ بتراقية الغربية اليونانية يُكابِدُ شدائدَ الغُربة والفاقةِ ومضايقةِ أعداءِ الدينِ هناك، جاءَه هذا الخبر، الذي آلمه كثيراً، وأهاج عواطفه وأحاسيسه، فقام وجَاشت نفسُه، ونَظَمَ هذه القصيدةَ الطويلةَ القويةَ[٢]، التي

---

(١) هذه هي الترجمة الحرفية لاسم القصيدة الذي ورد باللغة التركية ونصه: (استعفا ايدييورم).

(٢) حتى إنَّ الشاعرَ الكبيرَ محمد عاكف قال لمَّا اطَّلع عليها: «لم يستطع أحدٌ في تركية أن يكتبَ شعراً بهذه القوة». الملحق رقم (٤) ص٤٢٢.

صَدَرَت من قلبٍ مُلْتَهِبٍ، ومن نفسٍ أجهدَها العناءُ، وأضنتها الغُربةُ والتَّعبُ، وسمَّاها (أنا أستقيل) سطَّر فيها آلامه وأحزانه، وبكى مَجدَ المسلمين الزائل في تركية، وصَبَّ جامَ غضبِه على مصطفى كمال وأتباعه في أنقرة.

والقصيدةُ يَغلبُ عليها الطابع السياسي، حيث افتتحها بذكرِ محاسنِ الدولة العثمانية، وما كانت عليه من عزّةٍ للإسلامِ وقوّةٍ ومَنَعةٍ، وما آل إليه حالُها على يدِ مصطفى كمال وأعوانه وأتباعه، وانتقد ـ بشدةٍ ـ أعمالَ الحكومة الكمالية، مبيّناً مدى استخفافها بالأخلاق والعقائد الإسلامية، وعدَّدَ مساوئها في الاختلاط والسفور، وفي الظلم وَكَبْتِ الحريات، وفي الارتدادِ عن الدين، منبِّهاً على أنَّ مفهوم (الانقلاب) في نظر الكماليين هو قلبُ كلِّ شيءٍ يمسُّ الدينَ رأساً على عَقِب، وشَبَّه صرخاتِ الأمة التركية وهي تُغتالُ وتُخنَقُ بأيدي الحكومة الكمالية وسطَ الهتافِ والتصفيقِ والتعظيمِ الحاصلِ من قِبَلِ كثيرٍ من المغترِّين بتلك الحكومة بصوتِ طفلٍ صغيرٍ يصرخُ بشدّةٍ أثناء ختانِه وسطَ ضوضاء وتهريجٍ شديدين من أناسٍ يحتفلون بيومِ ختانِه.

وانتقدَ القوميةَ التركية (الطورانية) مبيّناً تناقضَ الكماليين مع أنفسِهم، حيث نبذوا التقاليد الإسلامية بدعوى أنَّها قديمةٌ باليةٌ، ودعوا إلى تقليدِ الغربِ ومحاكاتِه رغبةً في التقدّمِ والتطوّر، ثم نادوا في الوقتِ نفسِه بالرجوعِ إلى العقائد التركية القديمة الوثنية، واتخاذِ الذئب الأغبرِ شعاراً لهم. وعبَّرَ عن حُزنه العميق على ما حَلَّ بالأمةِ التركية من نكباتٍ، وعلى ما أصابها من أضرارٍ جسيمةٍ من قِبَلِ الحكومة الكمالية، التي كانت تعملُ ما تعملُه من إجراءاتٍ مُشينةٍ باسم الترك والأمة التركية، وتكلَّم عن الأتراك المسلمين المقيمين في تركية، الذين لا زالوا ـ آنذاك ـ متمسّكين بدينهم، وبَيَّن حالهم، وما هم فيه من

بؤسٍ وشقاء، كلُّ ذلك ضمن استعارات لفظيةٍ بديعة.

ثم سَخِرَ من الحكومة الكمالية، وتَهكَّم بقرارِ برلمانها الذي قضى بإسقاط الجنسية التركية عنه، وقال مخاطباً أعضاءَ البرلمان: «لقد كَلَّفتم أنفسكم بأمرٍ لا جدوى له ولا طائل من ورائه، لأنَّ الجنسيةَ بالنسبة لي شيءٌ زائدٌ لا قيمةَ له، ولأنِّي لا أُحبُّ أن أتَّبعَ حكومةً مرتدَّةً، ولا أن أنتسبَ إلى قومٍ خرجوا على الإسلام، فإذا كانت جنسيتي التركية ستحمِلُني على نَبْذِ عقيدتي وديني والانسلاخ من هويتي وأمتي الإسلامية؛ فأنا في غنًى عن هذه الجنسية أصلاً، وليشهدِ العالَمُ أَجَمَع بأنّي أستقيلُ بكلِّ عِزَّةٍ وشرفٍ وكرامةٍ من هذه الجنسية، وليشهدْ بأنِّي سأبقى مُسلِماً حُرّاً، ولن أتَّبعَ حكومةً مرتدّةً، بل أنا تابعٌ لحكومةِ اللهِ، ومنتسبٌ لملّة إبراهيم عليه السلام، وخاضعٌ لشريعةِ محمدٍ ﷺ وبهذا أفتخر».

ثم عـرَّضَ بمصطفى كمال وَوَجَّهَ إليه كلاماً قاسياً، وختـم القصيـدةَ بالابتهالِ والتضرّعِ إلى العليّ القدير قائـلاً: «ياإلـٰهي إنّي أتـوبُ إليك توبـةً نصوحاً من تركيّتي، يا ربِّ لا تجعلني مع هؤلاء القوم الظالمين».

ونشر الشيخ هذه القصيدة في صدر جريدته (يارين) في عددها الثاني الصادر يوم الجمعـة ٢٩ المحرم سـنة (١٣٤٦هـ) الموافق ٢٩ تموز (يوليو) (١٩٢٧م)[1].

---

(١) راجع: الملحق رقم (٧)، ص٤٩٩.

ب ـ أشعاره باللغة العربية:

للشيخ مصطفى صبري أيضاً أشعارٌ عديدةٌ باللغة العربية، وقد عَثرتُ منها على أربع قصائد فقط، اثنتان نَشرهما بنفسه، وواحدة نُشِرَتْ بعد وفاته، وأخرى لم تُنْشَر بعدُ، وهي جميعاً ما يلي:

الأولى:

قصيدةٌ نونيةٌ مكوَّنةٌ من سبعةِ أبياتٍ نظمها سنة (١٣٤٢هـ= ١٩٢٣م) ردّاً على (أحمد شوقي) الذي كان قد نَظمَ قصيدةً نونيةً امتدح فيها مصطفى كمال، وكَالَ الشتائمَ فيها للسلطان (محمد وحيد الدين) ونَشرها في جريدة (الأهرام)، يقول فيها مُوجِّهاً الخطابَ إلى والدة الخديوي عباس الثاني عند عودتها من الآستانة:

جَارةَ الإسلامِ في مِختَتِهِ ... عَلِّمي الجَاراتِ ممَّا تَعْلَمِينْ
ذكِّريهنَّ (فُرُوقاً) وَصِفي ... طَلْعَةَ الخَيْلِ عَلَيْهَا والسَّفِينْ
ووليًّا للطَّواغِيْتِ بِهَا ... كَانَ يُدْعَى بأَمِيْرِ المُؤْمِنِينْ
ألبسَ الإسْلامَ ذُلاً، وكَسَا ... خُلَفَاءَ اللهِ أثْوَابَ القَطِينْ
كَانَ (كالصَّيَّادِ) في دَوْلَتِهِ ... دَوْلَةِ الوَهْمِ ومُلْكِ الحَالِمِينْ
أَمْرُهُ في السِّجْنِ غَادٍ رَائِحٌ ... وَهوَ كالغَادَةِ في القَصْرِ سَجِينْ
حَمَلَ الأعْبَاءَ عَنْهُ عُصْبَةٌ ... مثَّلُوا في المَلْعَبِ المُسْتَوزِرِينْ
قَدْ أبَاحُوا دَمَ آسَادِ الشَّرَى ... فازْدَرَاهُمْ وَجَرَى يَحْمِي العَرِينْ
سَالَ دُونَ المُلْكِ حتَّى انْتَاشَهُ ... مِنْ إمامِ السُّوءِ والرَّهْطِ المَهِينْ
محقَ الفَرْدَ وألْغَى حُكْمَهُ ... إنَّ حُكْمَ الفَرْدِ مَرْذُولٌ لَعِينْ

وقد نَظمَ الشيخُ قصيدتهُ بقافيةٍ ووزنٍ من نفس القافية والوزن التي نظم بها شوقي قصيدته، وهاجمَهُ فيها هجوماً عنيفاً، ووَجَّهَ إليه كلاماً قاسياً، حيث قال:

قُلْتُمُ في رَجُلٍ ذَكَّرَنَا ... حَسَنَاتِ الظَّالِمِينَ الأوَّلِينْ
«مَحَقَ الفَرْدَ وألْغَى حُكْمَهُ ... إنَّ حُكْمَ الفَرْدِ مَرْذُولٌ لَعِينْ»
وَيقُولُ العَبْدُ تَعْقِيباً لَكُم: ... لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْكُم كَاذِبِينْ
أيْنَ مَحْقُ الفَرْدِ بَلْ مِنْ عَدَم ... أوْجَدُوهُ وَهْوَ كَالقِرْدِ مَهِينْ
لَيْسَ مَا ألْغَاهُ حُكْمَ الفَرْدِ بَلْ ... حُكْمَ شَرْعِ [الله] رَبِّ العَالَمِينْ
وَضَحَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ يَا ... حَاطِبَ اللَّيلِ فَذَا الخَبْطُ يَشِينْ
وَكَفَى ذَا الهُزْءِ بالحَقِّ عَلَى ... رَغْمِ أنْفِ المُسْلِمينَ الْغَافِلِينْ[1]

وقد نَشر مصطفى صبري هذه القصيدة في الصفحة الأولى من جريدة (المقْطَم) في العدد (١٠٥٣٣) الصادر في ١٧من شهر ربيع الأول سنة (١٣٤٢هـ) الموافق ٢٧ تشرين الأول (أكتوبر) (١٩٢٣م)، كما نَشرها في كتابه (النكير على منكري النعمة) في هامش صفحتي (١٨٥ ـ ١٨٦).

الثانية:

قصيدةٌ ضاديةٌ طويلةٌ مُكَوَّنةٌ من ثلاثة وسبعين بيتاً، نَظَمها سنة (١٣٤٢هـ = ١٩٢٤م)، وتُعَدُّ هذه القصيدة التي اشتكى فيها من مصرَ والمصريين أطول

---

(١) سبق الحديث عن هذه القصيدة وقصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي في الفصل الثاني من هذا الكتاب، ص١٤٣.

قصائده باللغة العربية.

ولقد كانت المضايقاتُ الكثيرةُ التي تعرَّضَ لها بمصرَ عندما انتقل إليها هو وعائلته سنة (١٣٤٠هـ = ١٩٢٢م) والعدَاءُ السافر الذي لَقِيَهُ فيها وصُنوفُ الأذى[١] التي لَحِقَتْ به من قِبَلِ كثيرٍ من المُغْتَرِّين ـ آنذاك ـ بمصطفى كمال وحكومته الجديدة هي التي حَدَتْ به إلى كتابةِ هذه القصيدة التي ضمَّنَها كلَّ ما في نفسِه من تَذَمُّرٍ وسُخْطٍ على مصرَ وعلى مَن آذوه فيها، وقارَنَ فيها بينَ موقف كلٍّ من مصر وتركية من الدين الإسلامي.

وقد نشرها في كتابه (النكير على منكري النعمة)[٢] وقدَّمَ لها بمقدّمةٍ صغيرةٍ اعتذرَ فيها من أهلِ مصر على ما جاءَ في قصيدته من شِدَّةٍ وغِلْظَةٍ في القول، مبيّناً الأسبابَ التي دَعَتْهُ إلى ذلك[٣].

ومما قاله في ذلك ما نصّه: «عَذِيري من أهل مصرَ على ما شَددتُ فيهم الكَلِم، وإنَّ اللهَ لا يُحبُّ الجهرَ بالسوءِ من القول إلاَّ من ظُلِم، فإنِّي عزمت على أن لا أنسى ما وَصلَ إليَّ في مدّةِ مجاهدتي من الإساءة والإحسان لاتّصالِ ذلك الإحسان والإساءة بمبدئي، وتَمثّلْتُ بقولِ ابنِ الرومي[٤]:

---

(١) للاطّلاع على تفاصيل ما لحق به من أذى في مصر ارجع إلى الصفحات: ١٣٨ ـ ١٤٤ من هذا الكتاب.

(٢) وذلك في هامش الصفحات: ١٩٠ ـ ١٩٥.

(٣) النكير على منكري النعمة، هامش ص١٨٩ ـ ١٩٠.

(٤) ديوانه: ٤/ ١٣٨٠.

وما الحِقْدُ إلا تَوْأَمُ الشُّكْرِ في الفَتَى ... وبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبْنَ إلى بَعْضِ
فَحَيْثُ تَرَى بُغْضاً عَلَى ذِي إسَاءَةٍ ... فَثَمَّ ترى شُكْراً عَلَى حَسَنِ القَرْضِ

وقول لبيد رضي الله عنه: «إنَّما يُجزى الفتى ليس الجمل»، **وأستغفر الله من أن [آخذ] عامتهم بذنوب من تعدَّى علينا منهم**، ولكنا شاهدنا بهم الغلبة في شأننا لأصوات المُتَسافهين. وكان ممن أراد نُصرتَنا مَن كَتَب بأنَّه ما كان يَنبغي تلك المقابلة السيئة التي لقيناها بمصر ولو كُنَّا خَوَنَةَ الوطن، فأضْحَى بنا الحَالُ كقولِ مَن قال:

ويلاهُ إنْ نَظَرَتْ وإنْ هي أَعْرَضَتْ ... وَقْـعُ السِّهَـامِ ونَـزْعُهُـنَّ أَلِيْـمُ

وعلى كلٍّ فرأيت أهل مصر قَصَّروا في الإنكار على مُجرميهم الذي رأوهم يَعتدون علينا ويقولون مُنكراً من القولِ وزوراً، ولم يتَّقوا فتنةً لا تُصيبنَّ الذين ظَلَموا منهم خاصةً، سنَّةُ الله التي قد خَلَتْ في عباده، ولن تجد لسنَّة الله تبديلاً».

وسأورد ـ فيما يلي ـ القصيدةَ بنصّها مقرونةً بما ذكرهُ الشيخ معها من تفسيرٍ لبعضِ كلماتها ومعانيها التي قد تَخفى على القارئين، وسأعلِّقُ على بعض ما يَحتاجُ منها إلى تعليق. يقول رحمه الله:

يَـا مِصْـرُ! كَـمْ مَسَسْتِنِي بِـالمَـضِّ ... راحَ فَـأبْقَـى معـرضـاً للمَعَـضِّ[1]
فَيْضُـكِ أَعْـدَى مَـدْمَعِـي فَلَيْتَـهُ ... غَـاضَ وَعَـدْواهُ أَتَـتْ مِـنْ غَيْـضِ

---

(١) المَض: الهم والحزن، ويقال: مضّه الهم، أي أحرقه. والمعض: الغضب. وقد جاء في الأصل (أروح)، والصواب ما أثبت.

يَـــا دَارَ عُبَّـــادِ الطُّغَـــاةِ لا تَبَجْـ ـجَجِي وَغُضِّي الصَّوتَ هَوْناً غُضِّي
وأنـتِ يَـا عَيْنِي دَعِـي الفَيْـضَ بِهَـا ونَهْنِهِي بَعْضَ البُكا بِالغَمْضِ[1]
لا تَهْلَكِـي أَسَـى فَمَـا تَـرَيْنَـهُ رَيْـبَ الـزَّمَـانِ، والـزَّمَـانُ يَمْضِـي
فَـرَزْتُ مِـنْ حُكُـومَـةٍ تَحَـوَّلَـتْ عَنْ دِينِهَا، وأَوْغَلَتْ في النَّقْضِ[2]
وأعْلَنَتْ[3] حَرْباً على[4] جميعِ مَنْ يَـأْبَـونَ بَيْـعَ عِـرْضهـم بـالعِـرْضِ
حُكُـومَـةِ المُخَنَّثِيـنَ السُّفَهَـا[5] مِنْ كُلِّ عِضٍّ لَيْسَ بِالمُرْفَضِّ[6]
وَخِلْـتُ مِصْـرَ دَار إسْـلامٍ بِهَـا لِمِثْلِـيَ المُقَـامُ رَحْـبٌ يُـرْضِـي
إذَا بِهَـا قَـوْمٌ مـلاقِيْهِـم عَلَـى إنْ كَـانَ إنْسَـانـاً حيـاءً يُغْضِـي
قَـدْ خَتَـمَ اللهُ عَلَـى قُلُـوبِهِـمْ وسَـمْعِهِم، والطَّـرْفُ كـالمُبْيَضِّ[7]
وَلَنْ تَرَى في غَيْرِ مِصْرَ مَنْ تَرَى بِهَا مِنَ العُمْيَانِ مِن ذي عَوْضِ[8]
وإنَّ فـي عَمَـى العُيُـونِ نِسْبَـةً إلَى عَمَى القَلْبِ كَقَيْضِ البَيْضِ[9]

---

(١) الغمض: النوم.
(٢) يقال: نَقَضَه، إذا أفسده.
(٣) في الأصل (علنت) وهو تصحيف مطبعي. (الناشر)
(٤) في الأصل (إلى) وهو تصحيف مطبعي.
(٥) يقصد الشيخُ بها الحكومة التي وصفها بتلك الأوصاف في هذا البيت والبيتين اللذين قبله الحكومة الكمالية. (الباحث)
(٦) العض: الخبيث. والمرفضّ: من إذا رآك مظلوماً رَقَّ لك.
(٧) أي: كالأعمى، قال تعالى في يعقوب عليه السلام: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾ [يوسف: ٨٤].
(٨) تأكيد للنفي، تقول: لا أفعله من ذي عوض، أي: لا أفعله أبداً.
(٩) قيضُ البيض: قشره، يعني يُستدلُّ بنضارةِ ظاهرِه على طَراوةِ باطنه، وبضدّه=

لا خَلَّـــةٌ ولاَ شَفَـــاعـــةٌ ولاَ … عَـدْلٌ لَهُـم فِيْمَـنْ أَتَـى يَسْتَقْضِـي

قَـوْمٌ هُـمُ وَمَـنْ فَـرَرْنَـا مِنْهُـمُ[1] … كَـالْخُلَطَـاءِ بَعْضُهُـمْ مِـنْ بَعْـضِ

لَـوْلا حِمَـى لِسَـانِهِـمْ لَسَـابَقُـو … هُـمُ إلـى الكُفْـرِ بِكُـلِّ الـوَفْـضِ[2]

إنْ فَـاتَهُـم سِنَـانُهُـم لِقَتْلِنَـا[3] … فَفِـي سِبَـابِهِـم مَـزِيْـدُ الـوَخْـضِ[4]

لاَ وَزْنَ لِكَـلامِهِـمْ عِنْـدَ الهِجَـا … ءِ والمَـدِيْـح غَيْـرَ وَزْنِ القَـرْضِ[5]

عَـوَوْا وَعَضُّـوْنَـا وَمَـا أدْرَاهُـمُ … أنْ يَـأمَـنَ الكَلْـبُ قِصَـاصَ العَـضِّ

صَـارُوا عَلَيْنـا مُـدَدَ الفَـاقَـةِ والـ … ـعِلَّـةِ والغُـرْبَـةِ ذاتِ الأضِّ[6]

مِـنْ لُـؤْمِهِـمْ خِفْـتُ عَلَـى مَحَبَّتـي … وَحُرْمَتِي لِلعُرْبِ طَرْأَ الغرْضِ[7]

فَـالحَمْـدُ للهِ عَلَـى أنَّهُـمُ … أسْبَـاطُ أَقْبَـاطٍ بِـدُونِ الأَمْـضِ[8]

مَا إنْ تَرَى في الْعُرْبِ مِثْلَهُم قِبَا … حَ مَنْظَـرٍ وَمخَبَـرٍ فِـي خَفْـضِ[9]

= على ضدّه.

(١) يقصدُ الشيخُ بالقوم الذين فرَّ منهم: الكماليين الذين طلبوه للقتل. (الباحث).

(٢) الوَفْض: العدو والإسراع.

(٣) تعبيرُ الشيخ بـ(القتل) هنا إشارةٌ إلى شِدَّةِ أذِيَّتِهم له، إلى حدٍّ أنَّهم أرادوا قتله. (الباحث).

(٤) الوخض: الطعن.

(٥) القرض: من قَرْض الشِّعْر.

(٦) الأض: المشقة.

(٧) الغرض: النقص والهُزال بعد السُّمانة.

(٨) الأمض: الشك.

(٩) الخفض: الدعة.

أيْـنَ هُـدَاهُـمْ وَنَـدَاهُـم وَوَفَـا ... هُـمْ وَحَيَـاهُـم فـي مُحيًّا غَـضِّ؟
وُجُـوْهُهُـمْ كَمَـا مُسِخْـنَ أَوْ كَمَـا ... ضَـرَبْـتَ حَـائِطـاً بِهَـا مِـنْ عَـرْضِ
آذَوْا ضُيُـوفـاً مُسْتَجِيْـرِيْـنَ بِهِـم ... وَقَصَّـرُوا فـي نَفْلِهِـم والفَـرْضِ
شَـاعِـرُهُـمْ أَثْنَـى لِجَـرٍّ مَغْنَـم ... عَلَـى عَجُـوزٍ مِـنْ بَنَـاتِ الأرضِ
فـي ضِمْنِـهِ شَتْـمُ خَلِيْفَـةٍ لَـهُ ... فِـي بَيْتِهَـا حَـقُّ الـوَلا والْفَـرْضِ[1]
فَقُلْتُ: ذا خَبْطٌ وخَلْطٌ لَيْسَ في الـ ... آدَاب والشِّعْـرِ بشـيءٍ مـرْضِـي[2]
لَـوْ عَقَلَـتْ عَجُـوزُهُـمْ مَـا قَبِلَـتْ ... مَـدْحـاً كَـذَا، وَقَـابَلَـتْ بـالـرَّفْضِ
لَكِنَّهَــا مَــا عَقلَــتْ، وإنَّهُــم ... مَـا قَـدَّرُوا قَـدْرَ الـوَفَـا وَالْعِـرْضِ
قَالُوا: رُوَيْداً أنت مِنْ شِعْرِ أَمِيْـ ... ـرِ الشُّعَـرَاءِ فـي مَكَـانٍ غَمْـضِ[3]
يَــا لِتَــرَبٍّ وتَعَصُّــبٍ لَهُــم ... مُسْتَوْقفٍ أَفْكَارَهِم فِي الرُّبْضِ[4]
شَتْـمُ أَمِيْـرِ المُـؤْمِنِيـن مِـنْ هُـدًى ... لَـؤْمُ أمِيـر الشُّعَـرَا مِـنْ دَحْـضِ[5]

---

(١) يُشير الشيخُ في هذا البيت والذي قبله إلى قصيدة أحمد شوقي النونية التي تَحدَّثنا عنها أكثر من مرة والتي يقول في مطلعها:
جَـارةَ الإسْـلامِ في مِحْنَتِـهِ ... عَلّمِي الجَاراتِ ممَّـا تَعْلَميـن. (الباحث).

(٢) ويُشير أيضاً في هذا البيت إلى القصيدة النونية التي تحدَّثنا عنها آنفاً، والتي ردَّ بها على أحمد شوقي، والعجوز: هي والدة الخديوي عباس الثاني. (الباحث).

(٣) الغمض: من المكان المُطْمَئِن. والشيخ يُشيرُ بهذا البيت إلى قيام كثير من الكتَّاب المُعجَبين بشوقي بالهجوم عليه، والنيل منه على صفحات الجرائد والمجلاَّت المصرية. (الباحث).

(٤) الربض: البروك.

(٥) الدَّحْض: الزلَق.

كَـأَنَّنـي لَـمْ أَرَ قَـطُّ شَـاعِـراً ... يَتْبَعُـهُ الْغَـاوونَ أَهْـلُ النَّـوْضِ

وَعَصْـرُنَـا يُعِيْـبُ مَـدَّاحِيْـهِ ... قَـدْ عَـابَهَـا نَبِـيُّ دِيْـنِ النَّهْـضِ

يُحْثَى التُّرَابُ فـي فَـمِ المَدَّاحِ لا ... فِـي فَـمِ نَـاقِـدٍ عَلَيْـهِ مُغْـضِ[1]

لَـمْ أَدْرِنِـي فِـي غُـرْبَـةٍ وَقَعَـتْ أَوْ ... غَـرَابَـةٍ فِيْهِـمْ وَحُمْـقٍ مُفْـضِ[2]

كَـمْ عَـالِـمٍ أَضَلَّـهُ اللهُ عَلَـى ... عِلْـمٍ يُـرِيْكَ الْغَيْـضَ عِنْدَ الفَيْضِ

آرَاؤُهُـمْ تَقْفُـو الهَـوَى، وَعِلْمُهُـمْ ... بلاَ نُهًى، وَمِنْ قَبِيْلِ الخَوْضِ[3]

لَـمْ يُبْـقِ مُصْطَفَـى كَمَـالُ فِيْهِـمُ ... عَقْـلاً وَلا دِيْنـاً سَلِيْـمَ النَّبْـضِ

فَـضَّ بِـأَزْمِيْـرَ عُـرَى عُقُـولِهِـمْ ... كَجَيْـشٍ يُـونَـانَ بِهَـا مُنْفَـضِّ[4]

وَمَـا جَـدَى عَقْـلٍ وَدِيْـنٍ عُلِّقَـا ... بِبَلْـدَةٍ بِـدَيْـلَ أَصْـلٍ مَحْـضِ

فَحَبَّـذُوهُ فِـي جَمِيْـعِ مَـا قَضَـى ... بِـهِ عَلَـى الـدِّيْـنِ وَمَـا سَيَقْضِـي[5]

ذَلِـكَ غَـازٍ وَغَـزِيَّـةٌ لَهُـمُ ... يَجْزُونَ مَنْ يَنْحَضُه بِالنَّحْضِ[6]

---

(١) المغضي: الكاره. وفي البيت تلميحٌ إلى الحديث النبوي الشريف: «احثوا الترابَ في أفواه المدَّاحين».

(٢) المُفْضي: الواسع.

(٣) الخوض: اللبس من الكلام، وما فيه كذبٌ وباطلٌ.

(٤) العروة: ما يُوثق به ويُعوَّل عليه، يقال: «الصحابة عرى الإسلام» والعرى أيضاً: قادةُ الجيش.

(٥) يُشير الشيخُ في هذا البيت والثلاثة أبيات التي قَبْلَه إلى مَبْلَغِ اغترارِهم بمصطفى كمال، وثقتهم به. (الباحث).

(٦) النحض: اللوم. وغَزْية: اسم قبيلة. وفي البيت تلميحٌ إلى قولِ شاعرهم:

وَمَا أَنَـا إلاَّ مِنْ غَزِيَّـةَ إِنْ غَـوَتْ ... غَـوَيْتُ وإِنْ تَرْشُـدْ غَزِيَّـةُ أَرْشُدِ

فَصَـــارَ كُفْــرًا الْتِـــزَامُ كُفْــرِهِ ... جَرَى لَدَى الأفْكَارِ مَجْرَى الحَضِّ

وَكُفْــرُهُــمْ بِــرَبِّهِــمْ كَكُفْــرِهِــمْ ... بِسَابِقِ النِّعْمَةِ مِنْ ذِي الفَرْضِ[1]

هُنَـــاكَ إلْحَـــادٌ مُحَبَّـــبٌ وَلاَ ... يُفْــرَقُ حُبَّــهُ هُنَـــا مِـــنْ بُغْــضِ

هُنَـــاكَ يَكْفُـــرُونَ بِـــاللهِ وَهَـــا ... هُنَـا يُـرَى حَتْمـاً وأَمْـراً مَقْضِـي[2]

يُقَـالُ: «هُـم أَبْطَـالُكُـمْ فَلْيَنْهَجُـوا ... مَا رَاقَهُمْ مِنْ نَهْجِ عَصْرِ النَّهْضِ

وَقَــدْ أَبَــادُوا الْفَــرْدَ وَاسْتِبْــدَادَهُ» ... كَـأَنَّ تُـرْكِيَـا غَـدَتْ كَـالـرَّوْضِ

وَمَادَرَى المَصْرِيُّ مَافِي الاسْمِوالشْـ ... ـشَكْلِ لِرَفْعِ الشَّعْبِ أَوْ لِلْخَفْضِ

وأَنَّ ذَا التَّبْدِيْـلَ فـي الشَّكْـلِ لأجْـ ... ـلِ الأكْلِ مِنْ ظَهْرِ الوَرَى المُنْقَضِّ

هَــلْ هُــوَ إلاَّ رَجُــلٌ[3] مُقَــامِــرٌ ... بِمَـــالِ غَيْـــرِهِ جَــرِيءُ الــرَّكْــضِ

أَرَادَ سُلْطَــــــةً لِنَفْســــــهِ وأنْ ... يُفَـرْنِـجَ الْكُـلَّ بِجَهْـضِ البَعْـضِ[4]

فَهَــدَّمَ البَيْــتَ العَتِيْــقَ المَلَكِــي ... [دار] الْخِـلافَـةِ الـوَسِيْـعِ الحَـوْضِ

وَسَــرَّتِ الــدَّوْلاتِ خُطَّــةٌ كَــذِي ... فَسَـــوَّلُـــوا لَـــهُ لِهَـــذَا النَّقْــضِ

فَهَـــذِهِ مَـــاهِيَّـــةُ انْقِـــلابِنَـــا ... وَمَا عَدَاهَا اسْمَعْ كَفَاكَ[5] مَحْضِ

وَسَـائِـلُ التُّـرْكِ تُجِبْـكَ أنْ جَـدَيْـ ... ـدَ الفَرْدِ ذي البَطْشِ الشَّدِيْدِ القَبْضِ

---

(١) الفرض: الهبة والعطية.

(٢) يقصدُ الشيخُ بقوله: (هناك) في الشطر الأول من هذا البيت والذي قبله: بلدهِ تركية، ويقصد بقوله: (هنا) في الشطر الثاني من هذا البيت والذي قبله: مصر. (الباحث).

(٣) يقصد بالرجل هنا مصطفى كمال أتاتورك. (الباحث).

(٤) الجهض: الغلبة.

(٥) في الأصل (كافك) وهو تصحيف. (الناشر).

وأنَّهَــا لَــوْ حُــرِّرَتْ لافتقَــدَتْ ... قَــدِيمَــهُ فــي خُلَّــبٍ مِــنْ وَمْــضِ
وَشَــاعِــرٌ[1] يَعْبَــثُ هَــاتِفــاً بِمَــا ... حَــلَّ بِتَــرْكِيــا كَــوَخْــزِ الأَرْضِ[2]
يُطْــرِي نَبَّــاشِــيٌّ قُبُــورِهَــا الَّتــي ... عَمَّتْ بِقَتْلاَهُم فَسِيْحَ الرَّبْضِ[3]
يَقُــولُ مَــا لَــمْ يَفْعَلُــوا جَهَــالَــةً ... وَيَنْعَــتُ المسْــوَدَّ كَــالْمبْيَــضِّ
فَهُــوَ أَمِيْــرُ شِعْــرِهِــم وَالشُّعَــرَا ... ءُ أملئــاءٌ بِــالْكَــلامِ الأَمْــضِ[4]
يُلِــحُّ فــي ضَــلالِــهِ مُحَــاوِلاً ... رَغْمِــي لِيَسْلَــمْ فَمُــهُ مِــنْ فَــضِّ
يَضْحَــكُ فــي مُــزَخْــرَفَــاتِ شِعْــرِهِ ... وَتُــرْكِيَــا تَبْكِــي دَمــاً مِــنْ مَــضِّ
بَــلاغَــةٌ يَــزِيْــدُهَــا تُــزِيْــدُهُ ... حَمَــاقَــةً وَرَمْيَــةً فــي الحَبْــضِ[5]
يَبْحَثُ[6] عَنْ شُوْرَى وَلا شُوْرَى إذَا ... أَعْضَاؤُهَا [كُوِّنُوا] بِالْمُعَضِّي[7]

---

(١) يقصد بالشاعر هنا أحمد شوقي. (الباحث).

(٢) الأرض: خبلٌ من الجن.

(٣) الرَّبْضُ: أساس المدينة وما حولها.

(٤) الأمض: الباطل.

(٥) الحبض: انتزاع السهم من القوس انتزاعاً بين يدي الرامي ولم يَستقم.

(٦) فاعل (يبحث) هنا: ضمير عائدٌ إلى أميرِ الشعراء أحمد شوقي. والمعنى: إنَّ شوقي يَبحَثُ عن تطبيق مبدأ الشورى الإسلامي في (المجلس الوطني) الذي أسَّسَه مصطفى كمال بأنقرة. ولا شورى في مجلس كُوِّنَ أعضاؤه بالإرهاب والبطش. (الباحث).

(٧) المُعضِّي: أي المُجَزِّئ عضواً عضواً وهو السيف، فكأنَّه لتجزئته الشيءَ أجزاءً وأعضاءً يُنشئ الأعضاءَ، وكأنَّ أعضاءَ المجلس الوطني مُكَوَّنينَ بالسيفِ لكونه الفاعلُ في انتخابهم.

وَهَــانَ لَــوْ مُلكــنَ آراءُ بِهَــا فَضَاعَفَ المؤتَضَّ بالمؤتَضِّ[1]

ذَلِكَ حُكْمُ السَّيْفِ إنْ لَمْ تَرْضَهُ فَثَغْــرُهُ مُبْتَسِــمٌ كَــالْمُــرْضِــي

وَقَبْـلَ ذَا مـا حَكَـمَ (الـرَّشَـادُ) بـل (أَنورُ) كَانَ في القَضَايَا يُمْضِي[2]

هَــامَــتْ بِــهِ مصْــرُ كَهَــذَا فَمَحَـا بِــلادَنَــا فــي طُــوْلِهَــا وَالْعَــرْضِ

وَمصْــرُ لا غَــرْوَ إذَا مــا أُوْلِعَــتْ بِكُــلِّ فِــرْعَــوْنَ عَــلا فــي الأَرْضِ

الثالثة:

قصيدة في المديح مكوَّنةٌ من تسعةِ أبياتٍ، أنشدها في شهر رمضان سنة (١٣٤٤هـ) الموافق آذار (مارس) (١٩٢٦م)، ذلك أنَّه لمَّا قرأ مقالاتِ صديقه (شكيب أرسلان) التي كتبها في جريدة (كوكب الشرق) تحت عنوان «التاريخ لا يكونُ بالافتراضِ ولا بالتحكّم»، والتي ردَّ فيها على طه حسين (١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م) فيما ذهبَ إليه في مسألةِ الشعرِ الجاهلي[3] أُعجِبَ بها غايةَ الإعجابِ،

---

(١) المؤتض: المضطر.

(٢) بعد أن تحدَّث الشيخ في الأبيات السابقة عن مصطفى كمال وبَيَّن حقيقته وحقيقةَ حكومته، عاد في هذا البيت والذي بعده إلى الحديث عن حكم الاتحاديين، فقال: إنَّه لم يكن الحكمُ المتقدِّمُ على حكم مصطفى كمال في تركية حكماً راشداً، بل كان حكماً طائشاً، حيث أهلك الاتحاديون بقيادة أنور باشا بلادَنا تركية، وأضاعوا ثرواتها وأملاكها. ولم يكن (رشاد) الخليفة إلا صورة للخلافة، لا يملك من أمره شيئاً. ومع هذا فقد امتدحت مصرُ أنور باشا في بادئ الأمر وأطرَتْه، وأعلت من شأنه، كما تفعل الآن مع مصطفى كمال. (الباحث)

(٣) وذلك في كتابه ـ أعني طه حسين ـ الذي ألَّفه سنة ١٩٢٦م، وسمَّاه (في الشعر=

فجادت قريحتُه بهذه الأبيات، التي امتدحَ فيها شكيب أرسلان، وأثنى على مقالاته، والتي قال فيها:

لِلَّـــهِ مَــا أَمْــلاهُ كَــاتِــبُ شَــرْقِنَـا ... فِي (كَوْكَبِ الشَّرْقِ) المُعَلَّى جَاهَا
أَمْلَـى فَـأَنْـزَلَ مِـنْ خِـلالِ سُطُـورِهِ ... مِـنْ كُـلِّ شَيْطَـانٍ حَـدِيْـثٍ فَـاهَـا
قَـدْ بَـرَّأَ الشِّعْـرَ القَـدِيْـمَ وَذَبَّ عَـنْ ... أَنْسَـابِهِ كالشَّـمْـسِ حِيْـنَ ضُحَاهَا
بَلْ ذَبَّ عَنْ أَسْمَى (اللُّغَاتِ وَعِفَّة الـ ... إِسْـلامِ مَــنْ إنْ كَـانَ قَـدْ دَسَّـاهـا

= الجاهلي) وضمَّنه أخطاءً كبيرةً، تجرَّأ بها على الدين، ونال من القرآن، ومن أخطرِها: قوله: «إنَّه يجب عند البحث في الأدب العربي أن ننسى ديننا وعقائدنا، وكلَّ مُشَخِّصاتنا، ويجب ألاَّ نَتقيَّد بأيِّ شيءٍ من ذلك»، وقوله: «إنَّ ورودَ اسم إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام في التوراة والقرآن الكريم لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي»، وزعمه «أنَّ قرابة إبراهيم وإسماعيل للعرب ليست إلا أسطورةً لقيت رواجاً عند القُرَشيين، لأنَّها تَدعمُ مركزَهم فيما كان بينهم وبين نجران وصنعاء من منافسة دينية»، وإنكاره أيضاً قصةَ بناء إبراهيم وإسماعيل الكعبة المُشرَّفة، وزعمه أنَّها خرافةٌ ظهرت قُبيل الإسلام، ثم استغلها الإسلامُ لسببٍ ديني، وقَبِلَتْها مكة لسببٍ ديني وسياسي أيضاً.
وقد أحدث هذا الكتابُ ضجَّةً كبيرةً في الصحفِ والمجلس النيابي المصري، وأهاجَ الرأيَ العام بمصر، وأثار الأزهرَ ومعاهده المختلفة، التي أرسلت برقياتٍ عديدةً إلى الحكومة يُطالبون بمحاكمةِ مُؤلِّفه، وطرده من الجامعة المصرية. وللاستزادة في ذلك ارجع إلى كتاب (المعركة بين القديم والجديد) لمصطفى صادق الرافعي، وكتاب (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) للدكتور محمد محمد حسين في أول الفصل الرابع من الجزء الثاني.

فَـأَتَـى كَحَـدِّ الْقَـذْفِ فِـي تَـأْثِيْـرِهِ فِـي نَفْـسِ أَفَّـاكٍ يُسَمَّـى (طَـهَ)
تِلْكَ الصَّحَائِفُ دَامَ كَاتِبُهَا الَّذي أَرْضَـى القَـدِيْـمَ وَدِيْنَنَـا واللهَ
تَبْقَـى لَـهُ حَتَّـى تَكُـونَ صَحِيْفَـةً لِمَعَـادِهِ بِيَمِيْنِـهِ يُـؤْتَـاهَـا
غَشِيَ الفَرَاعِنَةَ الحَدِيْثَةَ يَمٌّ[1] مَنْـطِقِـهِ وأَطْبَـقَ مِنْهُـمُ أَفْـوَاهَـا
أَمْلَـى فَكَـمْ عَيْنـاً أَقَـرَّ بَيَـانُـهُ الـ أَوْفَـى، وَكَـمْ أَفْئِـدَةٍ أَعَـادَ هُـدَاهَـا

والجدير بالذكر أنَّ هذه القصيدة لم تُنشر من قَبْل، وقد عثرتُ عليها بينَ أوراقِ الشيخ وكتبِه لدى حفيداته بمصر[2].

الرابعة:

قصيدةٌ في الوصف، مكوَّنةٌ من ثمانية أبيات، نَظَمَها بعد استقراره في مصر سنة (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م)، ذلك أنَّه لمَّا خرجَ من تركيـة فراراً بدينـه وحياته، وترامت به البلادُ، ثم استقرَّت به النوى في مصر على فاقةٍ وإملاقٍ شديدين، مع التَّجمُّلِ في الظاهر، والتَّجَلُّدِ للشدائد. نَشَرت الصحفُ العالمية خبرَ صيام الزعيم الهندي غاندي الهندوسي (١٨٦٩ ـ ١٩٤٨م) احتجاجاً على سياسةِ الإنكليز في بلاده، فارتجَّت لهذا النبأ أرجـاءُ العالم، واستُعْظِمَ كلَّ الاستعظام، عندئذٍ تأجَّجَت عواطفُ مصطفى صبري، فعبَّر عمَّا في نفسِه من أحاسيس بهذه القصيدة، التي قارنَ فيها بين جوعه الدائم الصامت، وجوع غاندي العابر الصاخب، حيث قال:

---

(١) اليَم هنا بمعنى: البحر، ويَمُّ منطقه أي: بحر منطقه.
(٢) راجع: الملحق رقم (٧) ص٥٠٠.

صَامَ شَيْخُ الهِنْدِ الحَدِيْثَةِ عَنْدِي ... صَـوْمَـةَ المُسْتَمِيـتِ وَالمُتَحَـدِّي

وأَرَانِـي عَلَـى شَفَـا المَـوْتِ أُدْعَـى ... شَيْـخَ الاسْـلامِ بَلْـهَ هِنْـدٍ وَسِنْـدِ

غَيْـرَ أنَّ الصَّـوْمَيْـن بَيْنَهُمَـا فَـرْ ... قٌ عَجِيْـبٌ أُبْـدِيْـهِ مِـنْ غَيْـرِ رَدِّ

صَـامَ مَـع وَجْـدِهِ وَصُمْـتُ لِعُـدْم ... دَامَ مُذْ ضِفْتُ مِصْرَ كالضَّيْفِ عِنْدِي

وَغَدَا صَوْمُهُ حَدِيْثَ جَمِيْعِ النَّا ... سِ، أمَّا صَوْمِي فَأدْرِيْه وَحْدِي

فِـي سَبِيْـلِ الإسْـلامِ مَـا أنَـا لاَقٍ ... وَلَئِـن مِـتُّ فَلْيَعِـشْ هُـوَ بَعْـدِي

فَلْيَعِشْ رَغْمَ مُسْلِمِي العَصْرِ دِيْنٌ ... ضَيَّعُـوهُ وَلَـمْ يَفُـوه بِعَهْـدِ

كَـانَ مِثْلِـي يَمُـوتُ جُـوْعـاً ولا يُعْـ ... ـرَفُ لَوْ كَانَ شَيْخُهُم شَيْخَ هِنْدِ

وقد نشر هذه القصيدة ـ مؤخَّراً ـ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في كتابه (صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل)[1].

* * *

(١) ص(٦١) من الطبعة الأولى سنة (١٣٩١هـ=١٩٧١م)، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية.

الخاتمة

الحمدُ لله الذي بنعمتِه تتمُّ الصالحات، وأصلّي وأسلِّم على خاتم الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد المبعوث رحمةً للعالمين، وبعد:

إلى هنا ينتهي بنا المطاف إلى الختام، بعد أن استعرضنا ـ بالتفصيل ـ عصرَ الشيخ مصطفى صبري، وحياته، وإنتاجه الفكري باللغتين العربية والتركية، ولم يبقَ علينا إلا الوفاء بحقِّ ثلاث نقاط مهمة هي:

أولاً ـ بيان أبرز نتائج البحث:

توصلتُ من خلال استعراضي لحياة الشيخ مصطفى صبري في مختلف مراحلها من ولادته وحتى وفاته، ومن خلال دراستي لآثاره الفكرية المتعدّدة الجوانب إلى نتائج كثيرة، أبرزها ما يلي:

١ ـ أن مصطفى صبري وُلد في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر للميلاد في مدينة (توقاد) إحدى مدن الأناضول بتركية، وبها نشأ، وتلقَّى مبادئ العلوم الشرعية، ثم تتلمذَ على كبار العلماء في (توقاد) و(قيصرية) و(الآستانة).

٢ ـ أنَّ الطابع السياسي هو الطابع العام المميز لتلك الفترة التي ولد فيها مصطفى صبري ونشأ وترعرع، حيثُ حفلت بالكثير من الوقائع والأحداث، وشهدت تحوُّلاً خطيراً في الفكر والسياسة.

٣ ـ أنَّ مصطفى صبري جلسَ على كرسيٍّ التدريس في جامع السلطان محمد الفاتح بالآستانة ـ بعد تفوّقه في امتحان التخرُّج المسمَّى (رؤوس) ـ ولَمَّا يُجاوز الثانية والعشرين من عمره.

٤ ـ أنَّه تقلَّدَ مناصبَ كبيرة وعديدة في الدولة العثمانية علمية وسياسية، وأنَّه سَخَّر جميعَ تلك المناصب لخدمة الإسلام والمسلمين ومجاهدة أعداء الدين.

٥ ـ أنَّه بذلَ قُصارى جهده من أجل الدفاع عن الدولة العثمانية ومقام الخلافة الإسلامية، وعملَ كلَّ ما في وسعه لإنقاذِهما من الانهيار والسقوط.

٦ ـ أنَّه جاهد الاتحاديين والكماليين وأعوانهم، وناضلهم بكلِّ ما يستطيع، وشَدَّدَ في النقدِ عليهم في أوانه، ليُسمِعَ المسلمين المُغْتَرِّين بهم، فيتداركوا الخطرَ قبل تمامه، ولكنَّهم لم يستجيبوا له، ولم يُصَدِّقوه، بل نبذوه واتّهموه بالخيانة والمروق من الدين، كما أنَّه حذَّر عالَمَ الإسلام من النتائج السيئة للثورة الكمالية، ومن خطرها على الأمة الإسلامية.

٧ ـ أنَّه بسبب هذا الجهاد وتلك المناضلة لاقى الأمَرَّين من حُكَّامِ تركية الجُدد، وعانى ألواناً من الشدائد والمصائب في وطنه ومهاجره.

٨ ـ أنَّه احتاجَ إلى جهدٍ كبيرٍ للمحافظة على ثقته بنفسه ودينه وأمته وسْطَ تيَّارٍ قويٍّ جدّاً، مخدوع بالثورة الكمالية في تركية من ناحية، ومجموعة كُتَّاب مستغربين، سَخَّروا أقلامهم لتزوير الحقائق ومهاجمة عقائد الإسلام وأحكامه، ونشر أفكار الغرب ونظرياته من ناحية أخرى.

٩ ـ كانت شخصيتُه شخصيةً سياسيةً مهمةً بجانبِ كونها شخصيةً علميةً فكريةً.

١٠ ـ أنَّه بعد استقراره في مصر اعتزل الجهاد السياسي وتَفرَّغ للجهادِ العلمي الشرعي.

١١ ـ أنَّه كان لأسرته ـ في مرحلتي الصبا والشباب ـ أثرٌ واضحٌ في تنشئته النشأة الدينية، وفي تحديدِ اتّجاهه العلمي، وطبع فكره بالطابع الإسلامي، وأنَّ تأثيرَ أسرته عليه ينحصِرُ في جانبين: الجانب السلوكي، وجانب التوجيه العلمي.

١٢ ـ أنَّ دراسته وتحصيله العلمي مصدرٌ مهمٌّ من مصادر تكوينه الفكري، وأنَّ لأساتذته وشيوخه الذين درس عليهم أثراً كبيراً في إغناء عقليته وتكوين شخصيته، وفي تحديد اتجاهه ومساره العلمي.

١٣ ـ أنَّه تأثّر تأثّراً كبيراً ببيئته من نواحيها الدينية، والعلمية، والسياسية.

١٤ ـ أنَّه استمدَّ كثيراً من ثقافته وفكره من القراءة المستمرّة، والاطّلاع الدائم على كثير من الكتب والمنشورات في مختلف المجلاّت والتخصّصات.

١٥ ـ أنَّه استفادَ من أسفارِه وتنقّلاته فوائدَ عديدة، أسهمت في تكوينه الفكري.

١٦ ـ أنَّه أمضى في الكتابة والتأليف أكثرَ من نصف قرن من الزمان، أسفر عن آثار فكرية متنوّعة، ومؤلَّفات قيّمة، أسْدَت خدماتٍ جليلة للإسلام والمسلمين، وسَدَّت فراغاً في المكتبة الإسلامية.

١٧ ـ بلغت مؤلَّفاتُه سبعة عشر كتاباً؛ منها المطبوع، ومنها المخطوط، ومنها المكتوب باللغة العربية، ومنها المكتوب باللغة التركية.

١٨ ـ أنَّه اشتغلَ ـ طوال عمره ـ بالصحافة الإسلامية بصفتها رسالةً ومنبراً للإصلاح، ووسيلةً لتوعية الجماهير المسلمة بأهداف أمتها وقضاياها الأساسية، فحرَّرَ عشراتِ المقالات العلمية في الصحف والمجلاّت التركية والعربية، ورأسَ تحريرَ مجلة (بيان الحق) بالآستانة، وأسّسَ جريدةَ (يارين) بمدينة (كوملجنة) بتراقية الغربية اليونانية.

١٩ ـ أنَّه أوْلَىٰ الأدبَ والشعرَ جانباً لا بأسَ به من عنايته واهتمامه، ونظمَ العديدَ من القصائد باللغتين العربية والتركية أثبتَ من خلالها أنه شاعرٌ قوي، ولا سيما في اللغة التركية لغته الأصلية.

٢٠ ـ أنَّه كان على معرفةٍ ودرايةٍ فائقتين بعلم الفقه، وله باعٌ في المجال الفقهي، حيث أصدر فتاوى شرعية كثيرة في مسائل فقهية عديدة، منها ما هو في العبادات، ومنها ما هو في المعاملات والأحوال الشخصية، وأنَّه باشرَ الإفتاءَ بشكلٍ رسمي عندما كان شيخاً للإسلام بالدولة العثمانية.

ثانياً ـ مكانة الشيخ وآرائه في مواجهة الفكر الغربي بالفكر الإسلامي المعاصر:

بعد كلِّ ما سبق يمكِنُ القول بأنَّ مصطفى صبري ـ رحمه الله ـ يُعتبَرُ عَلَماً من أعلامِ الفكر الإسلامي المعاصر، الذين قاوموا التبعية الفكرية الذليلة للغرب وثقافته، وتَصدَّوا لتيارات التحلّل والكفر والإلحاد، فقد دافعَ الرجلُ عن الدين الإسلامي بالحكمة والموعظة الحسنة، وأسهمَ بجهوده البنَّاءة في

خدمة الإسلام والمسلمين، وسَخَّر فكرَه وقلمَه لتحقيق تلك الرسالة السامية، التي عاشَ وناضل من أجلها، ألا وهي رفع راية الإسـلام، وإعـادة مجده وسلطانه، وتثبيت عقائده في نفوس معتنقيه، وإقامة شِرعة الله في الأرض، وتحكيمها في كلِّ شؤون الحياة، وضَحَّى في سبيل ذلك بكلِّ ما يملك، وعمل على تحقيقه بكلِّ ما أُوتي من قوة، فأُوذي في نفسه وأهله وماله، وسُجِنَ ونُفيَ وشُرِّد، واستُوليَ على كتبه وأمواله، وأُسقطت عنه الجنسية التركية، ولم يأبه بكلِّ ذلك، فقد ظلَّ مُتمسِّكاً بمبادئه، معتزّاً بإسلامه حتى لقي ربَّه.

والشيخ يُمثِّلُ مدرسةً فكريةً قائمةً بذاتها، مُتَميِّزةً بنظرتها لقضايا الإسلام المُعاصرة، وبمواقفها الفكرية والعقدية القوية من الحضارة الغربية، كما أنَّها تُشكِّلُ نمطاً خاصّاً من التفكير والتفاعل مع المحيط والظروف، يقومُ على التصدي للفكر الغربي بمختلف صوره وأساليبه، والدعوة إلى تخليص الفكر الإسلامي من آثاره السيئة.

والشيخُ يتمتَّعُ بشخصيةٍ قويةٍ مستقلّةٍ، وكيانٍ علمي بارز، وعُمقٍ في التفكير، وجُرأةٍ في الإفصاح والتعبير، كما أنَّ آثاره الفكرية لم تكن مجرَّدَ صدًى لأفكارِ غيره من الكُتَّاب المسلمين، بل كانت متميزةً، تحمِلُ طابعَ الجِدَّة، ويتجلَّى فيها روحُ الابتكار والأصالة، كما تظهرُ فيها آثار استقلال الشخصية واضحة المعالم، عميقةَ الجذور، وخاصّة في كتابه الكبير (موقف العقل)[1].

---

(١) من ذلك على سبيل المثال: تحوّله من مذهب الماتريدية في مسألة أفعال العباد إلى مذهب الأشاعرة لَمَّا تبيَّن له ـ بعد الدراسة والتمحيص ـ رُجحانُ مذهبهم=

ويتميّزُ من ناحيةٍ أخرى بتشخيصه الدقيق للأدواء التي يُعاني منها العالم عامةً والعالم الإسلامي بوجه خاص، ويتجلَّى ذلك في تشخيصه لأزمات الحضارة الغربية، وإثباته إخفاقَ نظرياتها في مجال التطبيق، وتحليله لمكامن الضعفِ ومواضع التناقض والاضطراب في الفلسفة الغربية، ولا سيما الحديثة منها، بمختلف مناهجها ومدارسها المتعدّدة. وتشخيصه وتحليله كذلك للقضايا والمشكلات المعاصرة، التي يعاني منها العالم الإسلامي، ثم وصف الدواءَ الناجعَ لها، المُتمثّل في العودة إلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وترك التقليدِ في العقلية الدينية، والاستقلال في العقيدة، التي هي ـ في نظره ـ أساسُ الأعمال الصالحة، والتي يتقدَّم استقلالها على الاستقلال السياسي للأمم الإسلامية.

= في تلك المسألة، مع أنّه أمضى جُلَّ عمره يَتَّبعُ مذهب الماتريدية، ومع أنَّ معظم علماءِ بلده كانوا ماتريديين. ثم إنّه بعد اتّباعه لمذهب الأشاعرة في تلك المسألة لم يَنْقَد لكلٍّ ما ذهبوا إليه، بل إنّه اختلفَ معهم في بعض الجزئيات الدقيقة وردّ عليهم فيها.

ومن ذلك أيضاً: أنّه عاب على بعض المحقّقين المتكلّمين أمثال: العلاّمة التفتازاني، والشريف الجرجاني، والمحقق الدواني، والفاضل السيالكوتي، والكلنبوي، عاب عليهم اختيارهم لمذهب الفلاسفة في مسألة وجود الله القائل بأن: (وجود الله عين ذاته، وأن حقيقة الله هي الوجود المجرّد عن الماهية). وانتقد جميع مساعيهم المبذولة لمناصرته وتخليصه من الإشكالات الواردة عليه، وناقش أقوالهم في ذلك نقاشاً طويلاً وردَّ عليهم، مع أنه كان مُعجباً جدّاً بهم، وكان يمتدحهم ويعتبرهم أساتذته المعنويين.

ويتميَّز كذلك بأنَّه يُمثِّلُ الاتجاه الذي يذهب إلى رفض تطبيق المنهج التجريبي على المباحث العقدية، لِمَا يترتَّبُ عليه من اندفاع السائرين على نهجه إلى تأويل الغيبيات، وبعض العقائد والمفاهيم الإسلامية إلى غير مقصودِ الشارعِ منها.

إنَّ هذه الميزات للشيخ ـ وغيرها كثير ـ ليؤكّد المكانةَ البارزةَ التي يتبوَّؤها في الفكر الإسلامي المعاصر، كما يؤكّد قدرةَ المفكّرين المسلمين المعاصرين على التصدّي لما تحمله الحضارة الغربية من سموم فكرية، وعلى الدفاع عن الكيان الإسلامي، والاعتزاز بالحضارة الإسلامية، ويُثبتُ أنَّ الاستعمار الغربي على الرغم من سيطرته ـ في الماضي القريب ـ على معظم أجزاء العالم الإسلامي سيطرةً عسكريةً، وعلى الرغم من شنّه الحملات الفكرية القوية، إلا أنّه لم يستطع الانفراد بالتوجيه والسيطرة على الأفكار، بل ظلّت الشريعةُ الإسلاميةُ لا تعدمُ من يُؤمن بها، ويحملها بحقّ، ويُدافع عنها، مهما تَحمَّلَ في سبيل ذلك من مشاقّ، ومهما تعرَّضَ له من صنوف الأذى.

أمَّا آراؤه في مواجهة الفكر الغربي فلا شكّ أنَّ لها قيمتها الفكرية وأهميتها وجدواها الثقافية، ويتَّضحُ لنا ذلك من خلال الاطّلاع على سِماتها التي يمكن إجمال أبرزها في النقاط التالية:

١ ـ **الشمول في النظرة**: فالشيخ عند معالجته للقضايا والمشكلات التي أثيرت في العالم الإسلامي نتيجةً للغزو الفكري ينظرُ إليها نظرةً شموليةً، ويدرسها من جميع جوانبها، ويُمحّصها ويُقلّبها على جميع وجوهها وملابساتها، ويُجيبُ على جميع الاعتراضات المُوجَّهة إلى ما ارتآه فيها، ولا

يترك فيها مقولةً لقائل إلا رَدَّ عليها، بل إنَّه كثيراً ما يُوردُ على نفسِه بعض الاعتراضاتِ والافتراضاتِ التي يُمكنُ أن يُعترض عليه بها، ثم يُجيبُ عنها إجابة تفصيلية.

٢ ـ **التحليل المنطقي**: فهو دائماً ما يُلزم نفسَه بتحليل الأقوال والأفكار التي يدرسها، وذلك بإرجاعها إلى أصولها التي نشأت عنها، وبيان تطوّراتها، وما يُمكنُ أن تنتهي إليه أو تُسفِرَ عنه، وكذلك تحليل عقليات أصحابها تحليلاً دقيقاً، مبيناً المنطلقات التي تنطلق منها والغايات والأهداف التي تسعى إليها.

٣ ـ **الواقعية**: فهو إنَّما يُعالجُ القضايا والمشكلات كما هي في أرض الحقيقة والواقع، ويدرسُها كما هي واقعة فعلاً، لا كما ينبغي أن تكون أو يمكن أن تكون، ويُعالجُ مشكلاتٍ لمسها بيده، وتَحسَّسها بنفسه، وعانى كثيراً من عواقبها وآثارها، ولم تكن الحلول التي قَدَّمها خيالية ولا مُغالًى فيها، بل كانت معقولةً ممكنةَ التطبيقِ سهلةَ التنفيذِ.

٤ ـ **الأمانة والموضوعية**: فهو قد التزمَ في مواجهته للفكر الغربي الأمانةَ العلمية، والدقة في نقل أقوال من تَصدَّى لمناقشتهم والردِّ عليهم، كما أنَّه يعزو الحقَّ لأصحابه، ويُبيّن ما لهم من الحقّ الذي يُشكرون عليه، ويذكر الحقائق والوقائع كما هي، ولا يغفلها أثناء تقريره للمسائل، حتى وإن كانت في صالح مناظريه وخصومه.

والتزمَ كذلك الموضوعيةَ تجاه الأشخاص الذين يُناقشهم أو ينقل عنهم في كتبه، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

٥ ـ **الجرأة في إصدار الأحكام**: سواء فيما يتعلَّقُ بالقضايا أو فيما يتعلَّق

بأشخاص مثيريها، والمُجاهرة فيما يرى أنَّه الحق، والدفاع عنه جهدَ الاستطاعة.

٦ ـ **التزام المبادئ الإسلامية**: والتمسّك بالقيم الخُلُقية، والتشبّث بأهداب الدين الإسلامي الحنيف في مواجهة الفكر الدخيل، وعدم التزحزح عنها قيد شعرة، رغم أنّه عاش في أوج مراحل الانبهار بالحضارة الغربية، وفي عصرِ رواجِ الافتتان بالعلم الغربي الحديث، وطُغيان فلسفته المادية على معظم المناهج والنظم والمطبوعات من كتب وصحف ومجلاّت.

٧ ـ **التعمّقُ في معالجة قضايا الفكر الغربي وآثارِه في العالم الإسلامي**، مع الحرص على إبراز محاسن الدين الإسلامي وغاياته النبيلة وأهدافه السامية في عقائده ونظمه وشرائعه.

٨ ـ **التدرّج في النقد**: فهو عندما يقوم بنقدِ أقوالِ أحدِ خصومه يبدأُ أولاً بنقل نصوص أقواله التي يرى فيها أخطاء ومخالفات يسيرة للإسلام، ثم يردُّ عليها، ثم ينقلُ أقوالاً أخرى للشخص نفسه أشدّ مخالفة من التي قبلها، ثم يردّ عليها، ثم ينقل أقوالاً ثالثةً أشد مخالفةً من التي قبلها، ويردّ عليها... وهكذا دواليك، فلا يكادُ يفرغُ من النقد حتى يظهر للقارئ شدّة بطلانِ أقوال خصمه، ومدى تفاهتها وبُعدها عن المنهج الحق والصراط السوي[1].

---

(١) والأمثلة على ذلك كثيرة. راجع على سبيل المثال كتابه (موقف العقل): ٤/ ١٤٢ وما بعدها، وذلك عند نقده للدكتور زكي مبارك في ما ذهب إليه في أمر نبوة رسولنا محمد ﷺ.

٩ ـ الاستشهاد بأقوال الفلاسفة الغربيين وخاصة في المباحث والمطالب الفلسفية، وذلك انطلاقاً من المبدأ القائل: (الفضلُ ما شهدتْ به الأعداءُ) مع ملاحظةِ أنّه لا يلزمُ من الاستشهاد بتلك الأقوال أن تكون ملتزَمةً بتمامها عنده، بل إنَّ نظره يكونُ مُتَوجِّهاً إلى موضع الشاهد منها فقط، كما أنّه لا يأخذُها على إطلاقها، بل إنّه يزِنُها بميزانين من دينه وعقله، فما وافق منها أخذ، وما خالف منها ردّ ورفض.

١٠ ـ نقل نصوص المخالفين كاملةً ـ وإن طالت ـ قبل الرد عليها، وذلك من أجل عرض المسألة المخُتلفِ فيها أمامَ الأنظار بكل أمانة ووضوح، ولكي يَطَّلِعَ القارئ على أقوال كلا الطرفين، ويُلمّ بأطراف المسألة من جميع جوانبها، فيكونُ حَكَماً عدلاً في المقارنة بين الشيخ ومخالفيه وخصومه، وأخيراً لكي يَقضي القارئ حاجته الذهنية ويُشبعَ نهمه في الوصول إلى الحقيقة في أوانه.

ثالثاً ـ المآخذ والسلبيات:

بما أنَّ كلَّ عملٍ بشريٍّ لا يخلو من النقص والتقصير، وبما أنَّ كلَّ إنسانٍ يُخطئ ويصيب، فلا يسلمُ من الملاحظات، ولا يرتفعُ عن النقد، فإنَّ هناك بعضَ المآخذ والسلبيات التي أخذتها على الشيخ، وقد ذكرتُ جانباً منها في صلب البحث، وأودُّ هنا أن أسجّلها جميعاً ـ بإيجاز ـ في النقاط التالية:

١ ـ انحيازُه إلى مذهب الأشاعرة في مسألة أفعال العباد، وإن كان يختلِفُ معهم في تفصيل وجزئيات ما ذهبوا إليه في تلك المسألة.

٢ ـ دفاعه الحار عن علم الكلام على ظنٍّ أنَّه المنهج السليم والوسيلة الناجعة للدفاع عن الإسلام ضدّ اعتداءات المعتدين، لصيانة عقائده من تيّارات الزيغ والكفر والإلحاد الوافدة على العالم الإسلامي من الغرب بقسميه العلماني والإلحادي.

وقد ذكرنا أنَّ ذلك عائدٌ إلى سببين رئيسين:

أحدهما: تأثّره بنوعية دراسته وبيئته العلمية، التي كانت تُجلُّ علمَ الكلامِ، وتَعتزُّ به.

الثاني: سيطرة مناهج علم الكلام في وقته على كتب الثقافة الإسلامية.

٣ ـ إسرافه في إطراء العقل والمنطق، ومبالغته في الدفاع عنهما، في تمجيد الدليل القائم عليهما.

وقد ذكرنا أنَّ ذلك عائدٌ أيضاً إلى سببين رئيسين:

أحدهما: حرصُه على إيضاح تَميُّزِ الإسلامِ من المسيحية المُحرَّفة التي هي دينُ الغربيين اليوم، من حيث إنَّ الإسلامَ كرَّم العقلَ، ودعا إلى إعماله في المجال الذي يُدركه، ولم يأتِ في عقائده وأحكامه بشيء يُنافيه أو يُناقض مبادئه الأولى، كما هو حاصل في المسيحية المُحرَّفة، التي لا تتفق مع العقل، بل تقفُ عقائدُها معه على طرفي نقيض.

الثاني: اتجاه الملاحدة أصحاب الفلسفة الوضعية في الغرب ومقلّديهم في الشرق إلى استصغار منزلة الاستدلال العقلي في أعين الناس، واحتقاره، والحطّ من قيمة المسائل المُثبتة به، بدعوى عدم إثباتها إثباتاً علمياً، وتشبُّثهم

بأذيال العلم المادي الحديث، وإكبارِهم الدليل الحسي التجريبي، وحصرِ اليقين العلمي فيما ثبتَ به.

٤ ـ عُنفُه وشِدَّتُه مع خصومه المُتأثِّرين بالفكر الغربي، وقسوته في نقدهم ومناقشة أقوالهم، وكان الأنسبُ ـ في نظري ـ هو التخفيف من حِدَّةِ العنف، وتلك الشدّة حتى تُؤتي تلك المناقشات والردود ثِمارها على أكملِ وجه، ذلك أنَّ التأثير في القول عند المُلاينة يكونُ وقعه على النفوس والعقول أقوى وأبلغ، كما يؤدي إلى التقليل من حدّة التحامل على الشيخ، وعلى جهوده الكبيرة في الذود عن الإسلام عقيدةً وشريعة، تلك الحدة في التحامل التي عانى منها الشيخ في حياته، والموجودة الآن بين بعض الأوساط العلمية.

هذا مع العلم بأنَّ للشيخ وجهةَ نظرِه في هذه المسألة، حيث يرى ضرورة الشدّة مع أولئك الخصوم بقدر جرأتهم على عقائد الإسلام ومبادئه ونظمه، وأنَّ الغاية التي يسعى إليها من تلك الشدة هي مكافحة الشبهات التي أثاروها عن طريق مكافحة أشخاصهم ومكافحة المكامن التي يستترون خلفها، حتى يتزعزعَ مكانُ تلك الشبهات في قلوب الناس ومكان مثيريها مهما كانوا، وتسلمَ عقائدُ المسلمين من شرورهم.

٥ ـ عدم التبويب والتقسيم في الكتابة والتأليف[1]، ويَتركَّز ذلك في

---

(١) هذا يشبه حال عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) فقد وصفه الأستاذ محمود محمد شاكر رحمه الله بأنه: «كان في عمله مشوباً بحمية جارفةٍ لا تعرف الأناة في التبويب والتقسيم والتصنيف، وكأنه كان في عجلة من أمره، وكأنّ منازعاً كان ينازعه عند كل فكرة يريد أن يجلّيها ببراعته وذكائه =

النقاط التالية:

أ ـ أنَّه في الغالب لم يُقسِّم كتبَه إلى أبوابٍ أو فصولٍ كما درج عليه الباحثون المُعاصرون، وإنما سلك فيها طريقة بعض العلماء القدامى، المُتمثِّلة في سرد مباحث الكتّاب سرداً متوالياً دون تقسيم أو تبويب ممّا يؤدّي إلى تداخل المسائل بعضها مع بعض.

ب ـ ثم إنَّه إذا اتَّبع طريقةَ التبويب أو التقسيم، فإنَّ البابَ أو الفصل الذي عقده لدراسة قضية من القضايا لا يَتمحَّض لها وحدَها، وإنَّما يتكلّم فيه عن العديدِ من القضايا الأُخرى التي ربَّما عقدَ لها أيضاً باباً أو فصلاً مستقلاً في الكتاب نفسه.

جـ ـ أنَّه كثيراً ما يستطردُ استطراداتٍ طويلة بعيدة عن أصل الموضوع الذي يتحدَّثُ فيه مما يؤدِّي إلى صعوبةِ التركيزِ والفهمِ والإحاطة بموقفه من ذلك الموضوع، كما أنّه كثيراً ما يُردّدُ الكلامَ أكثر من مرة، وفي أكثر من موضع، ويُطيلُ كثيراً عند معالجته لقضية ما من القضايا التي تولَّى معالجتَها، وإن كانت له وجهة نظر في هذا المأخذ، حيث يرى أنَّه يضطر دائماً إلى ذلك لشدّة اتّصال مباحثِ الكتابِ بعضها ببعض، وأنَّه قلَّما يخلو ترديدُه من تجديدٍ، وإطالتُه من طائلٍ، ذلك أنَّه لا يتخيّرُ في كتبه إلا صعاب المسائل، التي اختلط فيها الحابل بالنابل، وكثرت فيها المزالق.

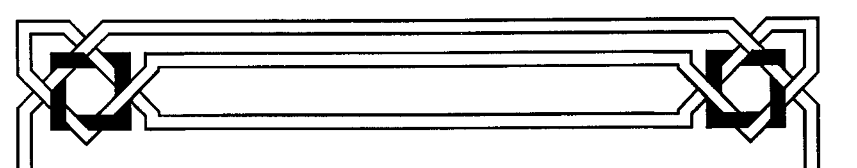
= وسرعة لمحه، وبقوة حجّته، ومضاء رأيه. دلائل الإعجاز، المقدّمة، ص(أ)، مطبعة المدني. (الناشر).

وأنَّه كان يحرص كلَّ الحرص في دراسته لتلك المسائل العميقة على أن ينتهي قُرَّاءُ كتبه منها إلى نتائجَ مُحصلة، فيتجاذبه هذا الحرص وما به من العُجْمَة وضعفِ اللغةِ العربية إلى الترديد والإطالة.

هذا ـ بإيجاز ـ أهمُّ ما توصَّلت إليه في هذا البحث، الذي أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلَه خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعلنا هداةً مهتدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.







ملاحق الكتاب

الملحق الأول: ترجمة حياة الشيخ بقلم ابنه (إبراهيم صبري).

الملحق الثاني: المقابلة مع ابنة الشيخ (نزاهت هانم).

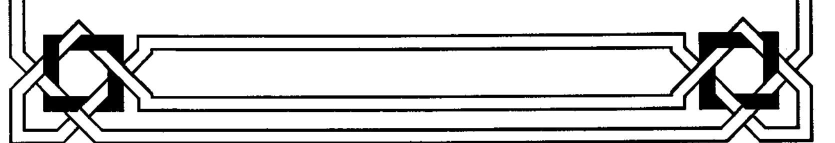
الملحق الثالث: المقابلة مع الشيخ (علي يعقوب).

الملحق الرابع: المقابلة مع الشيخ (أمين سراج).

الملحق الخامس: المقابلة مع الشيخ (علي علوي).

الملحق السادس: نماذج من فتواه.

الملحق السابع: الوثائق.





الملحق رقم (١)

ترجمة حياة الشيخ مصطفى صبري

بقلم

ابنه إبراهيم صبري[(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، أحمده استتماماً لنعمته، واستسلاماً لعزّته، واستعصاماً من معصيته، وأشهدُ ألاّ إلـه إلا الله وحدَه شهادةً نتمسَّكُ بها أبداً ما أبقانا، وندَّخِرُها لأهاويل ما يلقانا، فإنَّها عزيمةُ الإيمانِ وفاتحةُ الإحسانِ. . .

أمَّا بعدُ: فإنَّه من الدأب الجاري عند الأمم منذ فجر التاريخ العنايةُ بتخليدِ حياةِ الرجالِ العِظَامِ الماضين، الذين عاشوا بين ظهرانيها، فقد جرى الدأبُ بضبطِ شؤون حياةِ هؤلاء الرجال العامّة والخاصّةِ، وجمع ما خَلَّفُوا وراءَهم من آثار، بغيةَ وضعِ شخصياتهم في إطارٍ مُحدَّدٍ، وحَيِّزٍ مُعيَّنٍ، طي ضمائر أبناء الأمة.

---

(١) هذه الترجمةُ كتبها الأستاذ إبراهيم صبري ـ في أواخر عمره ـ عن حياة والده بعد أن طُلبت منه، وقد عثرتُ عليها بين أوراقه في الإسكندرية، وأنشرُها هنا بنصِّها كما جاءت.

ففي ميادين التاريخ نُصبٌ أُقيمت ليس من الرخام، ولا من صنع نَحّات، بل من رسالات دُوِّنَت بقلم الباحثين في آياتٍ علميةٍ أو أدبيةٍ أو سياسيةٍ، حول حياةِ رجالهم، إنَّها ركائزُ تُبيِّنُ معالمَ الطريق للحضارات بدلاً من أن تكونَ سِجلاًّ للتراجم، تُحفَظُ في أدراج المكتبات.

وهذه الترجمةُ التي أقدِّمها بين أيديكم هي عن حياةِ رجلٍ من أبطال الأُمّةِ الإسلامية، حياة رجلٍ من كبار علماءِ دار الخلافة، شغلَ مقام المشيخةِ الإسلاميةِ فيها أكثر من مرّةٍ، وخرجَ منها مهاجراً إلى الله ورسوله قبل نصف قرن أو أكثره، وقبل عامٍ سبقَ إلغاء الخلافة الإسلامية.

إنّه كشف النقابَ لأوّلِ مرة عن المؤامرة الصهيونية التي دُبِّرت للقضاء على كيان الدولة العثمانية، ونُفِّذت قبل نصف قرن بأيدي رجال (جمعية الاتحاد والترقّي) وحكومةِ حزبها في دست الحكم المُنتمي أكثرهم إلى طائفة (الدونمة) اليهودية من رعايا الدولة العثمانية، وذلك بإلقاء الدولة في الحرب العالمية الأولى، وتصفيتها في نهاية الحرب، كَشَفَ هذا النقابَ قبل التصفية بمدّة طويلة، وهو نائبٌ في المجلس النيابي العثماني المُنعقد بعد إعلان الدستور الثاني عام (١٩٠٨م)حيث رأسَ المعارضين من نوّاب الترك والعرب، إلى أن التجأَ للمرّة الأولى إلى مصر في سنة (١٩١٣م)، وذلك حين حاولت حكومةُ الاتحاديين القبضَ عليه عقب تعطيلها المجلس، ولا بدَّ هنا من القول ـ إنصافاً للتاريخ ـ إنَّه عارضَ أثناء هذا الالتجاء قرارَ زملائه العرب في المجلس، الذين عقدوا لهم مؤتمراً في القاهرة لإعلان فصل البلاد العربية من الدولة، منبِّهاً إلى مدى ما في هذا الفصل من أخطار على مستقبل تلك البلاد، ودعاهم إلى ضمّ معاول صفوفهم إلى صف نضال إخوانهم الترك، لإسقاطِ حكومة

(الاتحاد والترقي) بدلاً من القيام بمحاولة هدم الدولة، التي لا يُوجد ـ إن تهدَّمت ـ بديلٌ لها في شكيمتها للدفاعِ عن ثغور المسلمين في الشرق الأوسط.

بيدَ أنَّ لصاحب الترجمة المغفورِ له مؤلَّفاتٍ علميةً باللغة التركية والعربية، تتضمَّن في حواشيها شواهد تاريخية نادرة، كادت تضيعُ في حومة الأحداث المعاصرة، تهمُّ العالم الإسلاميَّ عامةً، والعالمَ العربيَّ خاصةً في ماضيها القريب وحاضرها الرهيب.

وقد خاضَ المؤلِّفُ غِمارَ تلك الأحداث، وناضل بقلمه، وبذلَ مجهوداً جبّاراً لإيقاظِ الأمة من غفلتها عما يُحاكُ حولها للقضاء عليها.

أمَّا نضاله بعد هجرته الثانية عام (١٩٢٢م) والثالثة عام (١٩٣٢م) إلى مصر، فإنَّه ناقش فيها على صفحات صحف مصرَ ومجلاَّتها مثل: جريدتي (الأهرام) و(المقطم)، وجريدة (الأخبار) لأمين الرافعي رحمه الله، ومجلة (الفتح)، ومجلة (جمعية الهداية الإسلامية)، ومجلة (الجامعة الزيتونية)، وعلى صفحات كتب عديدة ألَّفها فيها، أقولُ: ناقشَ العلماء والأدباء المُتجدِّدين المُسايرين مذهب العلم الحديث الغربي، المُدَّعي أنَّ العلمَ لا يثقُ بالعقلِ المحضِ المُجرَّدِ عن التجربة، والحاصر اليقينَ العلميَّ في المحسوساتِ فقط، ناقشهم للذودِ عن الكتاب والسنّة وأصول الدين والفقه وأصول الفقه للأئمة المجتهدين، مبيناً لهم (موقفَ العقلِ والعلمِ والعالَمِ من ربِّ العالمين وعبادِه المرسلين).

هذا وأمَّا ما يتعلَّق بهويّة صاحب الترجمة، فهو ابن المغفور له الأستاذ أحمد التوقادي.

ولد بمدينة (توقاد) من توابع ولاية (سيواس) في (الأناضول) في ١٢ ربيع الأول (١٢٨٦هـ).

أتمَّ دراسته الابتدائية في مسقط رأسه، وحفظ القرآن الكريم في البلدة نفسها.

ثم واصل دراسته الشرعية بعد ذلك لدى الأستاذ (أمين أفندي) في مدينة (قيصرية) من توابع ولاية (سيواس) كذلك.

ثم انتقل إلى الآستانة، حيث أتمَّ دراسته المترتبة لعلوم الشريعة لدى الشيخ (أحمد عاصم الكملجنوي) وكيل الدرس في المشيخة الإسلامية، وتزوّج كريمته.

دخل في امتحان التخرّج المُسمّى (رؤوس) للأستاذية، وشَرع بعد نجاحِه في التدريس بدرجة (مدرِّس عام) في جامع السلطان (محمد الفاتح).

انتُخبَ نائباً عن مدينة (توقاد) إلى (مجلس المبعوثان) بعد إعلان الدستور العثماني عام (١٩٠٨م)، ورئيساً للتحرير في مجلة (بيان الحق) التابعة للجمعية العلمية الإسلامية.

وأقام بقرار حكومة (الاتحاد والترقي) إقامة جبرية في مدينة (بيله جك) في الأناضول أثناء الحرب العالمية الأولى، ولمّا أُلغي قرار الإقامة بانتهاء الحرب عاد إلى العاصمة، حيث عُيِّنَ عضواً في (دار الحكمة الإسلامية).

كما صدرت إرادة الخليفة لتولّيه المشيخة الإسلامية عام (١٩١٩م) في

وزارة الداماد (فريد باشا) الأولى، وظلَّ محتفظاً بمنصبه في وزارتي الداماد المتعاقبتين.

ثم صدرت الإرادة السلطانية لتوليه الصدارة العظمى بالنيابة حين سافر الصدر الأعظم الداماد (فريد باشا) إلى أوروبة للاشتراك في مؤتمر الصلح بباريس.

وتولى المشيخة الإسلامية للمرة الأخيرة، وعُيِّنَ عضواً على قيد الحياة في (مجلس الشيوخ) في وزارة الداماد (فريد باشا) الأخيرة، ثم استقال منها لمَّا سارت الوزارةُ في سياستها الداخلية في اتجاه لم يُوافق عليه.

وفي سنة (١٩٢٢م) غادر إستانبول، يُرافقه جميعُ أفراد أسرته، ووصل إلى مصرَ، ولم يلبث أن استجابَ لدعوة الملك (الشريف حسين) للنزول في ضيافته بمكة المكرمة، كما وصل إليها بدعوةٍ من الملك أيضاً السلطان (محمد وحيد الدين) بعدَ مغادرته البلاد، وكَتَبَ هناك للسلطان بيانه التاريخي المتعلِّق بالانقلاب الذي وقعَ في الأناضول ضدّه.

غادر الشيخ مكة المكرمة بعد الإقامة فيها عدَّةَ أشهرٍ مع أسرته، وعاد إلى مصر، وبعد قليلٍ سافرَ منها إلى لبنان، حيثُ نشر تأليفه: (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة)، وذلك استكمالاً لمناقشاته علماء وأدباء مصر وصحافتها في موقفه من الانقلاب الواقع في الأناضول.

ثم تنقَّلَ بين بلادٍ عديدةٍ إلى أن عادَ إلى مصر سنةَ (١٩٣٢م) بعد إقامته في تراقية الغربية المسلمة في اليونان، ونشر فيها جريدته باسم (يارين) أي: الغد.

وتوفي إلى رحمة الله في القاهرة في ٧ رجب (١٣٧٣هـ) الموافق ١٢ مارس (١٩٥٤م) بعد حياةٍ حافلةٍ بالنضال للدفاع عن قضايا الإسلام بالكتب، وبنشر المقالات في الصحف والمجلات الدينية والعلمية والسياسية.

وكُتب على شاهدِ قبره في شارع الملك (أشرف إينال) بشارع الأتابكي (أوزبك) بقرافة الخضير الأبيات الآتية باللغة التركية، وما ترجمته باللغة العربية على صفحتي نصب:

أيُّهــا الــزائــرُ، هنــا المثــوى
لبطــلٍ عظيــمٍ مُضَــرَّجٍ بــدمــائِــهِ
اسْتَشْهَــدَ مــن أجْــلِ ليْلَــىٰ الحــقِّ
أفتُتِـــنَ بِهَـــا مُنْـــذُ الأزلِ..
إنَّــهُ افتَـدَى العِشْـقَ الإلٰهـيَّ بِـرُوحِـهِ
وإنْ تكُــنِ الــدُّنيَا دَنِيئَــةً فــي وَفَـائِهَـا
فَقَـدْ خَـاضَ لـلإسْـلامِ حَـومَـةَ الـوَغَـى
وَبِثَبَـاتِــهِ فِيْهَــا بَهَــرَ نصْــفَ قَــرْنٍ
عِلْمُـــهُ الغَـــزِيْـــرُ إلْهَـــامٌ مِـــنَ اللهِ
كَـأنَّــه يَفِيْـضُ فِيْــهِ العِلْـمُ اللَّـدُنِّــيُّ
إنْ ظَلَّ اسمُ المُسْلِمِ في دِيَارِ التُّرْكِ بَاقِياً
فَــإنَّ الإســلامَ مَــدِيــنٌ لَــهُ فِيْهَــا
إنَّــهُ شيــخُ الإســلامِ مُصْطَفَــى صَبْــري

قَضَـى نَحْبَـهُ جـذْلانَ فـي سبيـلِ رَأيِـهِ
فَمَـا أَخْلَـقَ الهَـاتِـفَ لَـوْ خَـاطَـبَ التُّـرْكَ
قَـائِـلاً: حـدادُكَ هـذا أَكْبَـرُ مَـآتِمِـكَ
وأمَّا الشَّاعِرُ فإنَّه أَنْشَدَ تاريخَ وَفَاتِهِ
وَقَـالَ لِـوَطَنِـهِ: إنَّـهُ أَنْجَـبُ أَبْنَـائِـكَ . .

(١٣٧٣هـ)

بولكي - رمل الإسكندرية

٨ جمادى الأولى ١٤٠١هـ - ١٤ مارس ١٩٨١م

إبراهيم صبري

الملحق رقم (٢)

المقابلة مع ابنة الشيخ مصطفى صبري نزاهت هانم[١]

أُجريت هذه المقابلة في مقرٍّ إقامة ابنة الشيخ في منطقة (قريت تپه) بإستانبول، وذلك في ١٢ جمادى الأولى من عام (١٤٠٦هـ)[٢].

س ـ ما اسمُ والدكِ بالكامل؟.

ج ـ اسم والدي بالكامل هو: مصطفى صبري بن أحمد بن محمد

---

(١) امرأة فاضلة متدينة، كانت مسنَّةً، وتقيم مع ابنتها في ضاحية من ضواحي إستانبول، استطعتُ ـ بعد جهدٍ كبيرٍ ـ أنْ أصلَ إليها، وأن أُجري معها هذه المقابلة بواسطة مترجم كان بصحبتي، حيث كانت لا تعرف اللغة العربية، وعلمتُ أنها توفيت بعد ذلك بعدّة أشهر، وصُلِّيَ عليها في (جامع الفاتح).

(٢) وقد استخدمتُ في هذه المقابلة وكذا جميع المقابلات التي ستأتي ـ إن شاء الله ـ في الملاحق التالية، استخدمتُ طريقةَ التسجيلِ الصوتي، حيث قمتُ بتسجيلِ جميعِ المقابلاتِ على أشرطةِ كاسيت بواسطة جهاز تسجيل كنتُ أحمِلُهُ معي باستمرارٍ في رحلاتي العلمية، ثم قمتُ بتفريغ تلك الأشرطة على الورق، ونشرتُ ما جاء فيها من معلوماتٍ ـ تهمُّ البحثَ ـ على شكل سؤال وجواب في هذه الملاحق، مع العلم بأنِّي لم أتصرَّف في تلك المعلومات بشيء، إلا أنني قمتُ بصياغتها ـ بأسلوبي ـ صياغةً علميةً لتعذّر نشرِها بنصِّها.

القازابادي التوقادي. فوالدي اسمه مركَّب من مصطفى، وصبري، أما جدي فهو أحمد.

س ـ أين وُلِدَ والدُكِ؟ وأينَ تلقَّى تعليمَه؟

ج ـ وُلِد في مدينة (توقاد) إحدى مدن الأناضول، وهي التي يُنسَبُ إليها، وتلقَّى العلمَ بها في صغره، وحفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرةَ من عمره، وكان يَتَّقِدُ ذكاءً وفطنةً منذ صغره، ولذا فإنَّ أساتذته في (توقاد) قالوا لجدِّي أحمد: إنَّ ابنَكَ هذا ذو عقلٍ نيِّرٍ وصاحبُ موهبةٍ فَذَّةٍ، فلا بدَّ أن ترسلَه إلى (قيصرية) كي يُكْمِلَ تعليمَه على أيدي علمائها الكبار.

وقد سافر والدي إلى (قيصرية) بالأناضول، ودرس على أيدي علمائها، وبها تعلَّم اللغة العربية.

ثم انتقل إلى (الآستانة)، وبها أصَّلَ تعليمه، حيث درس على أيدي كبار علمائها أمثال: الشيخ أحمد عاصم الكملجنوي، الذي أُعجبَ كثيراً به فزوَّجَه ابنتَه (والدتي)، وذلك بعد نجاحه في امتحان التخرّج، وحصوله على إجازة التدريس في جامع الفاتح.

س ـ ماذا تعرفين عن مؤلَّفات والدكِ؟

ج ـ والدي له مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ لا أذكرها كلّها، ولكن أذكرُ منها كتاب (موقف البشر تحت سلطان القدر) باللغة العربية، و(رسالة في الصوم) باللغة التركية، وكتابه الكبير (موقف العقل والعلم والعالم من ربّ العالمين وعباده المرسلين) وهو آخر كتاب أَلَّفه في حياته.

س ـ من المعلوم أنَّ والدكِ ـ رحمه الله ـ خرج من تركية قبلَ إلغاء الخلافة الإسلامية بسنةٍ خروجاً نهائياً، وتنقَّلَ بين بلادٍ عديدة، فما تلك البلاد؟.

ج ـ خرج والدي من تركية يصحبه جميع أفراد عائلته، وانتقلَ إلى الإسكندرية في مصر، وبقيَ فيها مدةً قليلةً، ثم تلقَّى دعوةً من الشريف حسين آنذاك للنزول في ضيافته بمكة المكرَّمة، فانتقلنا بالباخرة إلى الحجاز، ووصلنا إلى مدينة (جدة)، واستُقبلنا فيها استقبالاً رسمياً حافلاً، ومكثنا في مكة المكرمة خمسةَ أشهرٍ، فلم نتلاءم مع الجوِّ الحارِّ هناك، حيث إنَّ بعضَ أفراد العائلة وخاصةً الأطفال أُصيبوا ببعضِ الأمراض، فسافرنا إلى مصرَ مرَّةً أخرى، ولبثنا فيها قليلاً، ثم انتقلنا إلى (بيروت) بلبنان وبقينا فيها مدةً، ثم سافرنا إلى (رومانية) وبقينا فيها مدةً ليست بالقصيرة، كان والدي خلالها يُدرِّسُ علومَ الدين الإسلامي واللغة العربية للطلاب المسلمين هناك، ثم انتقلنا إلى تراقية الغربية اليونانية، وبقينا عدَّة سنوات في مدينة (كوملجنة) ثم انتقلنا إلى (باتراس) ومكثنا فيها عدة أشهر، وأخيراً عُدنا إلى مصر وبقينا فيها.

س ـ كيف قوبلتم في مصرَ لمَّا نزلتم فيها للمرة الأولى عام (١٩٢٢م)؟.

ج ـ لمَّا جِئنا إلى مصرَ في تلك السنة كُنَّا أغراباً لا نعرفُ أحداً هناك، ونزلنا في أحدِ الفنادق بالإسكندرية، وقد قُوبلنا مقابلةً سيئةً جداً، حيث صاحَ المصريون في وجوهنا، واعتدوا علينا بالسبِّ والإهانة والشتم، ورمونا بالطماطم الفاسد، وأخذت جرائدُهم تُشنِّع على والدي، وتكيل له الشتائمَ، وقد حصلَ ذلك أيضاً معنا ونحنُ في طريقنا إلى الحجاز.

س ـ هل حصل لكم مثل ذلك لمَّا جِئتم إلى مصر في المرة الثانية عام (١٩٣٢م)؟.

ج ـ لم يحصل لنا شيءٌ من ذلك لما جئنا في المرة الثانية، بل تغيَّرَت معاملتُهم لوالدي، حيث تبيَّنَ كلُّ شيءٍ، وصار لأدباء مصرَ ومفكِّريها علاقةٌ جيدةٌ مع والدي، حيث كانوا يزورونه دائماً في بيته، كما أنَّ الحكومة المصرية كانت لها علاقة جيدة معه، فقد كان الملك فاروق ملك مصر يُجري له راتباً شهرياً.

س ـ هل أقام والدكِ في القاهرة أم في الإسكندرية؟

ج ـ كانت أغلبُ إقامة والدي في القاهرة، ولكن لما انتقلَ أخي الأستاذ (إبراهيم صبري) إلى الإسكندرية بعد تعيينه أستاذاً للغات الشرقية بجامعة الإسكندرية، انتقلَ إليها والدي أيضاً، وأقامَ ـ تصحبه والدتي ـ في منزل اشتراه في حي (سيدي بشر)، ومكثَ هناك حوالي السنتين، ولمَّا توفيت والدتي عاد إلى القاهرة، وأقام عند أختي التي تكبرني (صبيحة هانم) في مصر الجديدة شارع طنطا.

س ـ كيف استطاع والدُكِ شراء ذلك المنزل في الإسكندرية، مع أنَّه اشتُهر عنه أنه كان فقيراً يعيشُ عيشةَ الكفاف؟.

ج ـ كان لوالدي منزل في إستانبول في حي (يشيل كوي)، وقد باعه، ثم اشترى بثمنه ذلك المنزل في الإسكندرية.

س ـ كم كان عددُ أولادِ الشيخ؟

ج ـ لوالدي ثلاثةُ أولادٍ فقط، أكبرُنا (إبراهيم)، ثم أختي (صبيحة)، ثم أنا (نزاهت).

س ـ سمعتُ أنَّ أخاك الأستاذ (إبراهيم صبري) قام بترجمة كتاب (موقف العقل) إلى اللغة التركية العثمانية، فهل هذا صحيح؟

ج ـ نعم، فقد أوصى والدي قبل وفاته أخي إبراهيم بأن يقومَ بترجمةِ كتابه (موقف العقل) إلى اللغةِ التركية العثمانية، لكي يستفيدَ منه الأتراك المسلمون، وقد حرصَ أخي على إنفاذِ هذه الوصية، حيث عكفَ على الكتاب حتى أتمَّ ترجمته، وما لبث أنْ مرضَ مرضاً شديداً، فاضطر إلى السفر إلى (لندن) لتلقّي العلاج، وأخذَ معه الكتاب المُتَرْجَم. ولمّا شعرَ وهو في المستشفى هناك بقرب موعد أجله أوصى أولادَه بإيداعه بالمكتبة المركزية بلندن، لكي يُحفَظَ ذلك المجهودُ الكبيرُ الذي قامَ بهِ من التلف أو الضياع.

ولمَّا توفي تمَّ إيداعُ الكتاب حَسْبَ الوصية، وتمَّ تصويره على أفلام المايكروفيلم، وهو الآن لا يزالُ محفوظاً في قسم التراث الإسلامي بالمكتبة المركزية هناك.

س ـ كيف كانت سيرةُ والدكِ الشيخ؟ وكيفَ كان تعامُلُه مع أهلِ بيته؟

ج ـ كان والدي دائمَ الكتابةِ والقراءةِ والاطّلاع، حيث كانت تأخذُ منه معظمَ وقته، حتى إنني أحياناً أُشفقُ عليه من كثرة القَراءة، فآخذُ نظارتَهُ لكي أضطرَّه إلى التوقّف والاستراحة.

وكانت سيرتُه عطرةً جداً، فقد كان رحمه الله رجلاً متديناً تقياً، وكان يُحبُّ القرآن الكريم كثيراً، ويَخشعُ عند تلاوته، وإذا مرَّت به آيةٌ فيها وعيدٌ أو تحذيرٌ من النار وسعيرِها، أو تذكيرٌ بالجنّة ونعيمِها، فإنَّه يبكي بُكاءً شديداً كالطفل؛ حتى إننا أحياناً نستيقظُ في منتصف الليل على صوتِ بكائه. وكان في غاية الطيبة، ويتعامل مع أهل بيته باللطف واللِّين والتواضع مع الصغير والكبير، وقد ربَّانا على الأخلاق الحميدة والتعاليم الإسلامية الصحيحة.

س ـ قرأتُ أنَّ الحكومة الكمالية قد أوردت اسم والدكِ ضمنَ قائمة الأشخاص غيرِ المرغوبِ فيهم، فهل هذا صحيح؟

ج ـ نعم صحيح، فقد وردَ اسمُه ضمنَ قائمةِ الأشخاص غير المرغوب فيهم والممنوعين من دخول تركية، والذين بلغَ عددهم مئة وخمسين شخصاً، وقد عفا عنهم مصطفى كمال وهو على فراش موته، وبلَّغَ السفارات في كلِّ الدول بقرار العفو، وسمحَ لهم بدخول تركية، إلا أنَّ والدي لم يُرِد الرجوع إلى تركية، لأنَّه كان غيرَ راضٍ عن الوضع السائد فيها.

س ـ قرأتُ في بعض كتب التراجم التركية أنَّ والدكِ لمَّا استقرَّ بمصرَ عملَ مدرّساً في جامعة الأزهر، فهل هذا صحيح؟

ج ـ لا، هذا غير صحيح، ذلك أنَّ والدي لم يتقلَّد أيَّ عملٍ أو منصبٍ في مصرَ، بل إنَّه تفرَّغ للكتابة في الصحفِ ولتأليف الكتب، وكان يُمْضِي جُلَّ وقته في القراءة والكتابة، وفي استقبال الزوّار من الأساتذة والعلماء والمفكّرين وطلاّب الأزهر الذين كثيراً ما يزورونه ويُمضي معهم أوقاتاً طويلةً للبحث في كثيرٍ من المسائل الدينية.

س ـ مَنْ كان يزورُ والدكِ من الأساتذة والعلماء؟

ج ـ لقد فتح والدي بيتَه لكلّ زائر، وكان يزوره أُناس كثيرون جداً لا أعرفُ أسماءهم، ولكن كان ممن يزوره: الشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ حسن البنا، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ محمود شاكر، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ علي يعقوب، والأمير محمد علي، ومحمد عاكف (شاعر تركية).

س ـ هل حصل والدكِ على الجنسية المصرية؟

ج ـ لا، لم يحصل عليها، وإنَّما الذي حصل عليها هو أخي الأستاذ إبراهيم صبري.

س ـ كم كان عمر والدكِ حين توفي، وما سبب وفاته؟

ج ـ توفي وله من العمر ستٌّ وثمانون سنة، أمَّا سببُ وفاته فهو: أنه أُصيبَ بالتهابٍ حادٍّ في المسالك البولية، فأُدخل مستشفى (المواساة) بالإسكندرية، وأُجريت له عملية جراحية في (البروستات)، ثم أُدخلَ مستشفى (قدسكه) وأُجريت له عمليةٌ أخرى، ثم تحسَّنتْ صحّتُه قليلاً، ولكنّه ما لبثَ أن عاوده المرضُ، وحصل عنده نزيفٌ، فأُدخلَ مرةً ثالثةً مستشفى (الدكتور مورو) بالقاهرة، وفيه توفِّي في صباح يوم الجمعة ٧ رجب ١٣٧٣ هـ.

وقد أُعلن في الإذاعة المصرية خبرُ وفاته، وأرسلَ رئيسُ الجمهورية المصرية آنذاك مَنْ ينوبُ عنه لتشييع الجنازة وتقديم التعازي.

* * *

الملحق رقم (٣)

المقابلة مع الشيخ علي يعقوب[1]

أُجريت هذه المقابلة في منزل الشيخ علي يعقوب الكائن في حي الفاتح بإستانبول، وكانت ضمن لقاءات عديدة تمّت في زمنين متفاوتين؛ الأول: في شهر جمادى الأولى عام (١٤٠٦هـ)، والثاني: في شهر صفر عام (١٤٠٧هـ).

س ـ ما علاقتكم بالشيخ مصطفى صبري؟

ج ـ علاقتي به أنّي لازمتُه أكثرَ من ثمانية عشر عاماً بمصر، وكنتُ أحضرُ مجالسَه، وأمكثُ عنده أحياناً من الظهر وحتى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة ليلاً، وكان يصطحبني عند قيامه بزيارة أحد العلماء بمصر، وكان يُحبُّني

---

(١) علي حسين يعقوب: عالم جليل من أصل ألباني يوغسلافي، ومن المشايخ الأتراك الذين هاجروا من تركية الكمالية إلى مصر، تخرَّجَ في الأزهر، وعمل موظفاً بمكتبة جامعة فؤاد في ذلك الوقت، لازمَ الشيخ مصطفى صبري طوال مدّة إقامته بمصر، وله معرفةٌ جيّدةٌ به، حيث كان من المقرَّبين جداً إليه، ويُعتبرُ من تلاميذه وبمثابة ابنه، مكثَ في مصر أكثر من ثمانية عشر عاماً، ثم عاد إلى تركية، واستقرَّ في إستانبول، وصار له طلاب علم من مختلف الأجناس، يدرسون على يديه في منزله، الذي أصبحَ لا يبرحه لإصابته بمرض الفالج، انتقل إلى رحمة الله بعد لقائي الأخير معه بسنة ونصف تقريباً.

حبَّ الوالدِ لولدِه، ويُسِرُّ لي كلَّ شيءٍ، وأنا أُحبُّه كثيراً، وأقرأُ له، ولا أزال أتذكَّره دائماً، وكانت صحبتُه جميلةً جداً، حيث كان خفيفَ الظِّلِّ، سَمْحَ النفس، وقد استفدتُ من علمه كثيراً، وكنتُ بفضلِه ـ بعدَ الله ـ أعرفُ المخلصين للإسلام من أعدائه، حيث كان يتعرَّضُ لأدقِّ الخفايا.

س ـ ماذا تعرفون عن دراسة الشيخ مصطفى صبري وتلقّيه العلم؟

ج ـ الذي أعرفه أنَّ الشيخَ بعدما حفظَ القرآنَ الكريمَ في بلده (توقاد) واصل تعليمه في مدينة (قيصرية) التي كانت في ذلك الوقت مركزاً من مراكز العلوم الإسلامية في الدولة العثمانية، ثم أتمَّ دراسته الشرعية على يدِ شيخه أحمد عاصم في (الآستانة)، وما لبثَ أن تبوَّأ كرسيَّ التدريس ـ وهو ما يزال في الثانية والعشرين من عمره ـ في جامع السلطان محمد الفاتح، الذي كان حينذاك أكبر معهد إسلامي لتدريس العلوم الشرعية.

س ـ هل اشتغل بالتدريس في غير هذا المعهد؟

ج ـ نعم اشتغل بالتدريس في مدرسة (التخصص) أو (المتخصصين) هكذا كان يُطلَقُ عليها، حيثُ كان يُدرِّس (صحيح الإمام مسلم)، ولكنَّه لم يدم في هذه المدرسة طويلاً.

س ـ ما الذي اكتسبه مصطفى صبري من شيخه أحمد عاصم؟

ج ـ اكتسب منه الشيءَ الكثيرَ، فقد أصَّلَ دراساته الشرعية السابقة على يديه، واقتبسَ منه الكثيرَ من أساليبه في التدريس وخططه المُحكمة في تربيةِ النَّشْءِ. هذا بالإضافة إلى أنَّ شيخَه قد ربَّى عقلَه، وفتَّحَ ذهنَه، وأنارَه في الاطّلاع على كثيرٍ من المسائل الآفاقية والقضايا الاجتماعية الإسلامية، ونمَّى

فيه الطموحَ وحبَّ العلم، والصبر على بحث مُعضلات المسائل الشرعية، فكان له بحقّ خيرَ المُوجِّه، ونِعْمَ المُربِّي.

س ـ ما علاقة الشيخ بالسلطان عبد الحميد الثاني؟ وكيف كانت؟

ج ـ كانت علاقةُ الشيخ بالسلطان عبد الحميد الثاني علاقةً جيدةً، مع أنَّ الشيخ كان في ذلك الوقت لا يزالُ شابّاً في مقتبلِ العمرِ، وهذه العلاقةُ تتمثَّل في أنَّ الشيخَ كان أحدَ أعضاء (درس الحضور) لدى السلطان عبد الحميد، وقد أُعجِبَ السلطانُ به وبذكائه، فجعله قيِّماً عاماً على مكتبته الخاصة، وهي مكتبة (السراي) بقصر يلْدِز، وقد انتقلتْ مؤخّراً إلى مكتبة (بايزيد) الموجودة الآن بجانب جامع بايزيد بإستانبول.

س ـ ما المراد بـ (درس الحضور)؟

ج ـ هي دروسٌ في علوم الدين الإسلامي من تفسيرٍ وحديثٍ وفقهٍ وأصولِ فقهٍ وعقيدةٍ وما إلى ذلك، كانت تُعقَدُ بحضرة السلطان، ولذا تُسمّى (دروس الحضور)، وقد جَرى العرفُ على ذلك عند السلاطين العثمانيين منذ القِدَم.

وكان لا يشتركُ في هذه الدروس إلا كبارُ العلماء ومشاهيرُهم، يجتمعون عند السلطان، ويكونُ واحدٌ منهم مقرِّراً ـ وهو الأكثر علماً والأطول باعاً في هذا المجال ـ والبقية مستمعين، ويقرأ المقرّرُ الآيةَ أو الحديثَ، ثم يبدأُ بالشرح، وبعدَ ذلك تبدأُ الأسئلةُ والمناقشات من جانبِ الحضورِ إلا السلطان، فإنَّه يبقى مستمعاً فقط. وإذا مرَّ المقرّرُ ـ أثناء تقريره بعض المسائل ـ

بنقطةٍ أو مسألةٍ فقهيةٍ، وأرادَ السلطانُ التوسُّعَ فيها، فإنَّه يقومُ بتكليفِ أحدِ العلماءِ الحضور للقيام ببحثها.

س ـ بحكم علاقتكم بالشيخ وملازمتكم له، أودُّ أن تحدّثونا عن نشاطه السياسي بالدولة العثمانية؟

ج ـ كانت للشيخ أنشطةٌ سياسيةٌ مُتعدِّدةٌ بالدولة العثمانية، منها: أنّه لما أُعلن الدستور العثماني الثاني عام(١٩٠٨م) انتخبه أهالي مدينته (توقاد) لينوبَ عنهم في المجلس النيابي في البرلمان العثماني، وكانت الحكومةُ في ذلك الوقت بأيدي الاتحاديين، الذين كوَّنوا حزب (الاتحاد والترقّي)، وقد دافعَ في هذا المجلس ـ بكلٍّ ما أُوتيَ من قوةٍ ـ عن الإسلام وعن المسلمين، وكان حريصاً على إظهار حقائق الإسلام وأحكامه، حتى إنّه ألقى في هذا المجلس خطاباً طويلاً مشهوراً استمرَّ في إلقائه ثلاثة أيام[1]، تكلَّم فيه عن مفهوم الحرية في الإسلام، وكان مما قال فيه: إنَّ القوانينَ الشرعية أحسن وأفضل بكثيرٍ من القوانين الوضعية حتى للغربيين أنفسهم. وكان هذا الخطابُ مَثارَ إعجاب الجميع، حتى إنَّ النوّاب النصارى في البرلمان تَعجَّبُوا من قُوَّتِه وقالوا: «ما كُنَّا نعلمُ أنَّه كان يُوجدُ تحت هذه العمامة هذا المقدار من العلم والعقلية الفذّة».

ومنها: أنّه أنشأ مع غيره من النوّاب الترك والعرب حِزْباً جديداً لمجابهة حزب (الاتحاد والترقّي) أسموه حزب (الحرية والائتلاف)، وكان من أعضاء

---

(١) المقصود هنا: أنَّه استمرَّ في إلقاء هذا الخطاب ثلاثة أيام؛ كان كلَّ يومٍ يُلقي جزءاً أثناء ساعات انعقادِ جلساتِ ذلك المجلس.

هذا الحزب البارزين، بل كان لسانَ الحزب الناطق.

وقد قاد المعارضةَ ضدَّ الاتحاديين حرصاً منه على أن يكون النظام والحكم الإسلاميُّ هو السائد في الدولة، وانتقدَ سياستهم، وشنَّ هجوماً قوياً ضدّهم، ولذا حاولوا القبضَ عليه، ولكنّه استطاعَ أن يفرَّ منهم وأن يغادرَ البلاد.

س - إلى أين ذهب الشيخ حين فرَّ من الاتحاديين؟

ج - سافر في البداية إلى (البوسنة والهرسك) اللتين كانتا آنذاك تحت حكم النمسة، أمّا الآن فهما ضمن الجمهوريات اليوغسلافية، ثم انتقل منها إلى باريس بفرنسة، ثم إلى رومانية، حيث اشترى له بيتاً في مدينة (بوخارست) ووَكَّلَ عليه مُحامياً ألبانياً، فاستولى هذا المحامي على البيت لكونه من أنصارِ حزب (الاتحاد والترقي).

ولما دخلت الجيوش التركية (بوخارست) - أثناء الحرب العالمية الأولى - قبض الاتحاديون على الشيخ، ثم أتوا به إلى تركية، ونفاه طلعت باشا إلى مدينة (بيله جك).

س - هذا عن هجرة الشيخ الأولى، فماذا عن هجرته الثانية؟

ج - لمَّا خرج الشيخ من تركية للمرة الثانية في عهد الكماليين واجه متاعبَ كثيرة وصعوباتٍ جمَّة، ولكنَّه واجه تلك المتاعب والصعوبات وقاومها بكلّ قوة كالجبل، وتنقَّلَ بين بلادٍ عديدةٍ منها: رومانية، وتراقية الغربية اليونانية، حيث أقامَ عدَّةَ سنوات في مدينة (كوملجنة) التي كانت تسكنُ بها الأقليات التركية المسلمة، ثم استقرَّ أخيراً في مصر.

س ـ كيف تمَّ إخراج الشيخ من تراقية الغربية اليونانية؟

ج ـ لما تمَّ عقد اتفاقية بين تركية واليونان، زار أنقرة ـ بدعوة من الحكومة التركية ـ (فنيزيلوس) رئيس الوزارة في الحكومة اليونانية في ذلك الوقت، ولما اجتمع بأتاتورك طلبَ منه إبعاد مصطفى صبري من تراقية الغربية اليونانية. وفعلاً أمر (فنيزيلوس) بإبعاده منها، فجاء والي مدينة (كوملجنة) إلى الشيخ، وطلب منه بكل أدب وتقدير واحترام أن ينتقلَ إلى (بولوبنس) بناءً على طلب الحكومة اليونانية.

ولما شاع خبرُ إخراج الشيخ قامت في البرلمان اليوناني ـ حينذاك ـ ضجةٌ واحتجاجٌ من قِبَل النوّاب، وقالوا: نحنُ لسنا أسارى حكومة تركية حتى ننصاعَ لأمرها، ثم إنَّ شيخَ الإسلام نزل عندنا ضيفاً فكيف نُخرجه ونُزعجه؟!.

ولكنَّ الشيخَ خرج من (كوملجنة) ومعه عائلته إلى (باتراس) مركز (بولوبنس)، ولما وصل إلى (باتراس) فُوجئ بأنَّ جميعَ رجال الدين النصراني من بطارقة ورهبان وقُسس قد خرجوا لاستقباله مرحّبين، وانحنوا أمامه احتراماً له وتقديراً لعلمه وفضله. ومكث الشيخُ هناك بضعةَ أشهرٍ قَلِقاً مُضطرباً، حيثُ كان يتألَّمُ كثيراً من إقامته بين النصارى، وكان يخشى أن يتوفّى هناك، فلا يُواري جثمانه إلا القساوسة، ولا يُدفن إلا في مقابرهم؛ حيث لا يُوجَدُ مسلمون هناك، فتكتبُ عنه الصحف وتقول: هذا هو شيخ الإسلام، وهذه أعمالُه، فيشمت به الأعداء. ولذا كان حريصاً كلَّ الحرص على الخروج من هذا البلد إلى أيّ بلدٍ مسلم، فأخذَ يكتبُ إلى جميع أصدقائه من العرب والمسلمين، الذين كانوا زملاء له في البرلمان العثماني، طالباً منهم المساعدة في الدخول إلى أيِّ بلدٍ مسلم، ولكن مع الأسف لم يستجبْ له أحدٌ، خوفاً من

حكومة أتاتورك، مع أنَّه كان يُدافِعُ عنهم وعن البلاد العربية الإسلامية دفاعاً مجيداً في البرلمان العثماني، ومع أنَّ أكثرهم تقلَّد مراكزَ كبيرة في بلادهم فبعضهم أصبحَ وزيراً، وبعضُهم أصبحَ رئيسَ وزراء أو رئيس جمهورية.

ومع ذلك لم ييأس الشيخ، بل بذل كل جهده، فلم يترك باباً إلا وطرقه، وأخيراً ترك عائلته مع صهره (علي وصفي) في (باتراس) وسافرَ معه ابنُه إبراهيم إلى (أثينة)، وأخذا يبحثان بين سفارات وقنصليات الدول العربية والإسلامية عَلَّهُما يجدانِ من يعطيهما تأشيرةَ دخول إلى أحدِ البلاد الإسلامية، ولكن دون جدوى، ومرَّا مصادفةً على السفارة المصرية، فدخلا على السفير المصري الذي استقبلهما استقبالاً طيباً، وعرفَ منهما جَلِيَّةَ الأمر، ثم قَدَّمَ لهما تأشيرةَ الدخولِ إلى مصر، فأخذاها فرحين، ورجعا إلى أهلهما في (باتراس)، ثم انتقلوا جميعاً إلى مصر عام (١٣٥٠هـ = ١٩٣٢م).

س ـ كم أولاد الشيخ؟ وهل له أولاد ذكور غير إبراهيم الذي ذكرتموه قبل قليل؟

ج ـ للشيخ ثلاثة أولاد فقط، ابن وبنتان.

أما الابن فهو (إبراهيم)، وهو أكبرُهم، وقد توفي قبل ثلاث سنين تقريباً[1]، وله من الأولاد: (محمد) الذي توفي قبل وفاة والده إبراهيم بعدَّة سنوات، و(عُلْيا)، و(بشرى)، و(شيماء).

وأما البنتان، الكبرى منهما (صبيحة هانم)، وقد تزوَّجت من أكبر

---

(١) سنة ١٩٨٤م.

خَطَّاط ونقَّاش بمصر، لا تزالُ نقوشُه موجودةً على التقاويم المصرية إلى الآن، ويُدعى محمد علي، وقد توفي بالقاهرة في حادث ترام، واسمح لي أن أُعلِّق على هذه الحادثة، ذلك أنني زرتُ الشيخ في اليوم الذي توفي فيه صهرُه هذا من أجل تعزيته، فتعجَّبتُ من تَجلُّده وقوة صبره، مع أنّي كنتُ أعرفه رقيقاً جداً، إلى حدِّ أنّه إذا قرأ القرآن يبكي أحياناً بكاءً شديداً كالطفل الصغير، ولكنَّه في ذلك اليوم كان مُتَجلِّداً وَجَلَدُهُ غريبٌ في هذه المحنة، وذلك لأنَّه فَقَدَ شخصاً عزيزاً على نفسِه، ولأنّه أيضاً سيكونُ العائلَ الوحيدَ لعائلته مع ما هو فيه من فقر وشدّة فاقة.

وأما الابنة الصغرى فهي (نزاهت هانم)، وقد تزوّجت من رجل يُدعى (علي وصفي).

س ـ ماذا تعرفون عن عمله في المجال الصحفي؟

ج ـ أمضى الشيخُ جُلَّ عمره وهو يشتغلُ في المجال الصحفي، وله مقالاتٌ كثيرةٌ، نشرَها في العديد من الصحف التركية والعربية، وقد سَخَّرَ تلك المقالات لخدمة الدين الإسلامي، والدفاع عن مبادئه وأحكامه، وله جهودٌ كبيرةٌ في هذا المجال منذ أن كان شاباً، ذلك أنّه رأس تحرير مجلة (بيان الحق)، وهي مجلة إسلامية كانت تصدر في الآستانة، وكان يكتبُ فيها الفطاحلُ من العلماء والمفكّرين. وأسس جريدة (يارين) في تراقية الغربية اليونانية، وأخذ يصدرها عدة سنوات، ويكتب فيها المقالات الطويلة والمهمة. وكان في الفترة التي تنقَّل فيها بين مهاجره من عام (١٩٢٤م) إلى عام (١٩٣٠م)، وكان يُحرِّر المقالات العلمية ويرسلها إلى جريدة (الأخبار) المصرية، التي كانت تقومُ بنشرها.

ولمَّا استقرَّ في مصر حرَّرَ عشرات المقالات ونشرها في الصحف والمجلات المصرية.

س ـ علمتُ أنَّ الحكومةَ المصريةَ أكرمَتْ وفادةَ الشيخ لمَّا جاء إلى مصر في المرة الأخيرة، فهل هذا صحيح؟

ج ـ نعم، هذا صحيح، فلقد أكرمته الحكومة المصرية ورحَّبت به، وكانت وزارة الأوقاف المصرية تصرِفُ له مساعدةً ماليةً مقدارها اثنا عشر جنيهاً مصرياً كلَّ شهر. هذا بالإضافة إلى أنَّه قد توطَّدت العلاقةُ بينه وبين كثيرٍ من العلماء والمشايخ الأزهريين، حيث كانوا يزورونه في بيته باستمرار.

س ـ كم عدد مؤلفات الشيخ؟ وما هي؟

ج ـ للشيخ مؤلَّفات كثيرة باللغتين التركية والعربية، ولكنِّي لا أعرفُها كلها، نظراً لأنّه قد ألَّفَ بعضها أيامَ شبابه في ظل الدولة العثمانية، كما أنَّ بعضَها لا يزالُ مخطوطاً لم يُطبعْ بعدُ، ويمكن أن تتصلوا بالشيخ أمين سراج، فهو يعرفُ عن الشيخ مصطفى صبري الشيءَ الكثير، ولا بدَّ أنّه سيُفيدكم في هذا المجال؛ وعلى كلِّ حالٍ أذكر لكم ما أعرفه من تلك المؤلَّفات التي منها:

كتاب **(القيمة العلمية للمجتهدين المسلمين الجدد)**: وهو باللغة التركية، ألَّفه مصطفى صبري ردّاً على العالم الروسي المسلم موسى جار الله، الذي كانت لديه ميول عصرية، وقد كتبَ الشيخ هذا الكتاب بحروفٍ صغيرةٍ جدّاً في (رومانية)، ولم يكن لديه في ذلك الوقت أي مرجع، وأخفاه معه حين قبض عليه الاتحاديون هناك، ونفوه إلى (بيله جك) بتركية.

وكتاب (**رَدِّي على ما في القولِ الجيِّدِ من الرَّدي**): وهو باللغة التركية أيضاً، كتبه ردّاً على ما جاء في كتاب (القول الجيد) لمحمد ذهني أفندي أحد العلماء الكبار المتخصصين بالأدب العربي وباللغة العربية، الذي انتقدَ في كتابه المذكور بعضَ العلماء القدامى أمثال: العلامة التفتازاني، والسيد الشريف الجرجاني، وعابَ منهجهم بأنه صعبٌ وغيرُ مفهوم، وكتبهم في البلاغة والأدب العربي بأنها لا تتضمَّنُ أيَّ قيمةٍ علميةٍ. وإن كان الكتاب في مضمونه جيداً، حيث ترجمَ الكثير من الأبيات الشعرية إلى اللغة التركية وشرحها شرحاً وافياً.

وقد نشر مصطفى صبري كتابه ـ مُفرَّقاً ـ في مجلّة (بيان الحق)، واطّلع عليه محمد ذهني أفندي، ولم يرد عليه، بل امتدحه، وقال: إنّ صاحبه يتمتَّعُ بتفكيرٍ علميٍّ ومنطقٍ سليمٍ.

وكتاب (**مختارات من الشعر العربي**): وهو باللغة العربية جمع فيه الشيخُ منتخباتٍ من الأشعار الجيدة لبعضِ الأدباء العرب القدامى، ولكنّه لم يُطبَع.

وكتب ـ في شبابه ـ (**حاشيةً على كتاب نتائج الأفكار**) للأطه لي في النحو العربي، ولكنّها لم تُطبَع، وقد قرأ عليَّ الشيخُ مقدّمتها، وهي لا شكّ موجودةٌ الآن في مكتبته وبين أوراقه.

هذا بالإضافة إلى كتبه المطبوعة باللغة العربية، والتي تعرفونها، وكان آخرُ كتاب ألّفه في حياته كتابَه الكبير (**موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**) والذي قام بترجمته إلى اللغة التركية نجلُه الأستاذ إبراهيم صبري.

وقد علمتُ من الشيخ أنّه كانت لديه كتبٌ أخرى غير هذه، ولكنّه لم يتمكّن من طباعتها، وهي لا بد أن تكون موجودة لدى حفيداته بمصر.

س ـ هل كانت للشيخ أبحاث علمية؟

ج ـ نعم فقد قام بترجمة كتابٍ من أصعبِ الكتب في أصول الفقه من العربية إلى التركية، مع إضافة بعض التعليقات عليه، وهو كتاب (مرآة الأصول) لملاخسرو، وهو من كبار العلماء في الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الفاتح. ولكنَّ هذه الترجمة لم تُطبع أيضاً.

س ـ لاحظتُ من حديثكم السابق أنَّ للشيخ ثلاثةَ كتب متخصصة باللغة العربية وآدابها، وهي (ردي على ما في القول الجيد من الردي) و(مختارات من الشعر العربي) وحاشية على كتاب (نتائج الأفكار)، فهل كان لديه اهتمامٌ باللغة العربية؟

ج ـ نعم، كان لديه اهتمامٌ كبيرٌ باللغة العربية، ولذا كان أسلوبه العربي في كتبه أسلوباً علمياً، ويعتبر ـ في نظري ـ حجة في اللغة العربية، وأستاذاً في النحو والصرف. وكان مُعجَباً جداً بالأدب العربي، ويحفظُ الكثير من الأشعار العربية، وكان ذوقُه الأدبي جميلاً جداً، وأذكر أنّه كان مُعجباً بديوان (الحماسة) لأبي تمام، ويحفظُ منه الشيء الكثير، ومُعجَباً أيضاً بشعر أحمد شوقي الذي كان يحترمه ويُقدِّرُ فيه شاعريته، ويقول عنه: «إنه شاعرٌ عظيم» على الرغم من أنه ردّ عليه حينما أنشد يُطري أتاتورك، ويشتم السلطان محمد وحيد الدين.

س ـ كم كان عمر الشيخ حين توفي؟ وهل حضرتم تشييع جنازته؟

ج ـ توفّي الشيخ عن ستٍّ وثمانين سنةً كانت حافلةً بالجهادِ والنضالِ في

سبيل الإسلام، وقد حضرتُ تشييعَ جنازته كما حضرَها خلقٌ كثيرٌ من الناس، من بينهم الشيخ محمد الخضر حسين، ومحمود شوكت حفيد السلطان عبد العزيز، وكثير من الأتراك المُقيمين يومئذٍ بمصر، وقد شَيَّعنا جنازته من ميدان التحرير إلى مسجد (الكخيا)، حيث صلَّينا عليه هناك بإمامة شيخ الأزهر، ثم سِرْنا به إلى (الدرَّاسة) حيث وارينا جثمانَه بالمقبرة العباسية، وأذكرُ أنّي والأمير العثماني محمود شوكت نزلنا القبر أثناء الدفن وقَبَّلنا قدمه، رحمه الله رحمةً واسعةً، وأسكنه فسيح جناته.

س ـ كيف ترون الشيخ من خلال صحبتكم الطويلة له؟

ج ـ تبيَّن لي من خلال صحبتي له أنَّه كان يتَّصفُ بصفات ومزايا عديدة، ولا أُبالغُ إذا قلتُ بأنّه كان مثالياً في علمه وجهاده، وفي تواضعِه ووقارِه، وفي إخلاصِه ووفائه.

وقد نذرَ نفسَه لخدمة الإسلامِ طوالَ حياته، وخرجَ من بلادِه ـ في سبيل الدفاع عنه ـ مرتين؛ تَغرَّبَ خلالهما في بلادٍ عديدةٍ، ولم يخشَ في اللهِ لومةَ لائمٍ، وكان مخلصاً جداً، تفيضُ كتاباته إخلاصاً للدين، وغَيرةً على مبادئه وأحكامه.

وكان رجلاً متديّناً عفيفاً، عاش طيلة حياته عيشة فقرٍ وفاقةٍ، وكان في منتهى التسامح والطيبة، وجلساؤه يتكلَّمون معه بكلِّ حرية، وكان الكلُّ يحترمه، ولكن لا يتكلَّف في الحديث معه، وكان يُعطي جليسَه كلَّ الحرية في الكلام، بحيث يُشعِرُه بأنَّه كان صديقاً له منذ الصغر، وكنتُ أرى في مجلسِه أُناساً عظماء وأصحاب مناصب كبيرة، وآخرين بُسطاء، فكان يستقبلهم جميعاً

بالسرورِ والبشاشةِ والتَّرحابِ، ولا يُفرِّقُ بينهم في ذلك. وكان الكلّ يعترف بعلمه وفضله وقوة منطقه حتى أعداؤه، وفي ظنّي أنه لن يجودَ الزمانُ بمثله ـ مستقبلاً ـ من حيث الإخلاص والعقلية الفذَّة.

* * *

الملحق رقم (٤)

المقابلة مع الشيخ أمين سراج[1]

أُجريت هذه المقابلة في كلٍّ من جامع الفاتح بإستانبول، ومنزل الشيخ أمين سراج الكائن بقرب الجامع، وكانت ضمنَ لقاءاتٍ عدة تمّت في زمنين متفاوتين؛ الأول: في جمادى الأولى عام (١٤٠٦هـ)، والثاني: في صفر (١٤٠٧هـ).

س ـ ما علاقتكم بالشيخ مصطفى صبري؟

ج ـ علاقتي به أنّي لازمتُه في مصر أربع سنوات حتى وفاته، كنت خلالها أحضرُ دروسَه العلمية وندواته الفكرية، التي كان يعقدها في بيته، مع الكثير من العلماء والمفكّرين، وكنتُ ـ آنذاك ـ في ريعان الشباب، فكان يحبُّني كثيراً، ويعطِفُ عليّ، ويفرحُ بي عند مجيئي إليه، وأنا كذلك أحبُّه كثيراً، وكان يرى فِيَّ شبابه، ويحكي لي عن ذكرياته في بلده أيامَ الصغر، لأنِّي أيضاً من البلد نفسه (توقاد).

---

(١) أمين سراج الدين: عالم تركي، ولد في مدينة (توقاد) بتركية، قَدِمَ إلى مصر عام (١٩٥٠م)، والتحقَ بالأزهر، وتخرَّج فيه، لازم مصطفى صبري في السنوات الأربع الأخيرة من عمره، وله معه ذكريات كثيرة، ويقيمُ حالياً في إستانبول، وله دروس يومية في التفسير والحديث في جامع الفاتح، يدرسُ عليه فيها الكثير من الطلبة الأتراك.

س ـ بما أنَّ الشيخ كان يحكي لكم عن ذكرياته في بلده أيام الصغر ، فأريد أن أسأل : هل كان لأسرته دورٌ في نشأته نشأةً دينيةً علميةً؟

ج ـ نعم، ذلك أنه نشأ في بيتِ علمٍ وفضلٍ، أما والدته فقد أغرقته بعطفها وحنانها بحكم أنّه الابن الأصغر، وحرصت ـ بدرايتها وحكمتها ـ على تربيته وتوجيهه الوجهةَ الإسلاميةَ الصحيحةَ.

وأما والده فقد كان رجلاً متديّناً، ولذا تعهَّده منذُ نعومةِ أظفارِه، فربَّاهُ تربيةً دينيةً حسنةً، حيث غرسَ في نفسِه العقيدةَ الصحيحةَ، وعوَّدَه على التأدّبِ بآدابِ القرآن، والتقيد بقواعد الدين وأحكامه. كما كان محبّاً للعلم والعلماء، ولذا نمَّى فيه حُبَّ العلم، حيث كان دائماً يُكرِمُ علماء (توقاد) وفقهاءها، ويدعوهم إلى الاجتماع في منزله لعقد الندوات والمجالس العلمية، ودائماً ما يُسلِّطُهم عليه، لكي يمتحنوه ويناقشوه فيما تعلَّمه في الكُتَّاب من العلوم الإسلامية.

س ـ ماذا تعرفون عن تعلّمه؟ ومن هم أساتذته الذين درس على أيديهم؟

ج ـ بدأ الشيخ طلبَ العلم في بلده (توقاد)، حيث تتلمذَ على يد أستاذه في الكُتَّاب وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، وهو لم يتجاوز العاشرةَ من عمره، ثم واصلَ تعليمَه في (قيصرية)، ثم انتقلَ إلى (الآستانة) وتتلمذَ على يدِ الشيخ أحمد عاصم، الذي كان في زمن السلطان عبد الحميد مُشرِفاً عامّاً على جميع المدارس التي كانت تُعنى بتدريس العلوم الإسلامية، وقد لازمه مصطفى صبري حتى أجازه، ثم زوَّجه ابنته.

ثم وجد الشيخُ من نفسِه الرغبةَ في الاستزادة من العلم، فتتلمذَ على يد الشيخ (محمد عاطف بك الإستانبولي) شارح مجلة (الأحكام العدلية)، فكان يذهبُ يومياً منذ الصباح الباكر ـ مشياً على الأقدام ـ من حي الفاتح الذي كان يقيم فيه، إلى جامع (عتيق علي) بحي السلطان أحمد الثالث، لكي يحضرَ حلقاتِ دروسه هناك.

س ـ عرفتُ من الشيخ علي يعقوب ما اكتسبه مصطفى صبري من أستاذه أحمد عاصم، فهل لكم أن تحدّثونا عما اكتسبه من أساتذته الآخرين؟

ج ـ لا شك أن الشيخ استفادَ الشيء الكثير من أساتذته الذين درس عليهم بوجه عام، ويأتي في مقدّمة تلك الفوائد أنه اكتسب منهم العلمَ الشرعيَّ، الذي هو أشرفُ العلومِ، وهذه الفائدةُ كافيةٌ بحدّ ذاتها، إلا أنه استفاد أموراً أخرى عديدة من أساتذته:

فبالنسبةِ لأستاذه في (توقاد) الذي لا أتذكَّرُ اسمه، ولكني عَلِمْتُ أنّه كان تقياً زاهداً؛ فقد كان له تأثيرٌ قوي في تلاميذه، ولذا فقد أثَّر في مصطفى صبري وفي أترابه، الذين كانوا يدرسون معه في الكُتَّاب تأثيراً جيداً، حيث غرسَ في نفوسهم حُبَّ القرآن واحترامه، والإنصات والخشوع عند تلاوته، وقوَّمَ ألسنتهم بحسن التلاوة واجتناب اللحن، وعوَّدَهم على التَّحلي بأخلاقِ القرآن، وربَّى عقولهم على التفكُّر في آيات الله والتأمّل في مخلوقاته.

وأمَّا بالنسبةِ لأستاذه (محمد عاطف بك) فقد نمّى فيه حُبَّ القراءة، وتذوق المطالعة، ووجهه الوجهة السليمة، وفتحَ له مغاليق ما خفي عليه من أسباب الإصابة في الرأي، وأكسبَه بعض المزايا الفكرية التي كان من أهمّها

التعوّدَ على التزامِ المنهجِ العلمي في حياته ومسيرته العلمية.

س ـ ما الذي تعرفونه من ذكريات الشيخ في صباه وشبابه؟

ج ـ الذكرياتُ التي حَدَّثَني الشيخ عنها كثيرة، ولكن الذي يحضرني الآن قصة ظريفة حصلت له في شبابه، وهي تدلُّ على نبوغه المُبكِّر ومقدرته الخطابية منذ الصغر.

فقد حكى لي أنَّه لمَّا كان في أول شبابه وفي بداية تحصيله العلمي زار قضاء (نيقصار) التابع لمحافظة (توقاد)، وكان ذلك في شهر رمضان، ونزل ضيفاً عند قاضي هذا البلد، وفي ليلة السابع والعشرين دَعاهُ القاضي أن يَعِظَ الناسَ في المسجد بعد صلاتي التراويح والقيام، فقام على الكرسي، وبدأ يخطبُ في الناس، ويَعِظَهم، واستمرَّ في ذلك، ولم يتنبَّه إلا والقاضي يستوقفه قائلاً: «يا بني! هل تسمحُ للحاضرين أن يذهبوا إلى بيوتهم لكي يتسحَّروا ثم يعودوا مرةً أخرى، فقد حان موعد السحور»، ويعلِّقُ الشيخُ على هذه القصة قائلاً: «كنتُ آنذاك لا أعرفُ الوقتَ، ولا أدري كم ساعةً بقيتُ أتكلَّم، ولكنِّي لا شكَّ استغرقتُ في الخطبة».

س ـ ما هي أنشطته العلمية التي قام بها في الدولة العثمانية؟

ج ـ أنشطته العلمية في الدولة العثمانية متعددة منها: أنه كان أحد أعضاء (دروس الحضور)، التي كانت تُلقى في حضرة السلطان عبد الحميد الثاني، والتي كانت تتكوَّن من مقرِّر واحد ومخاطبين لا يقلُّ عددُهم عن خمسة عشر عضواً.

وبالمناسبة فقد حَدَّثني الشيخ أنَّه في أحد الدروس التي حضرها أمام السلطان عبد الحميد؛ تطرَّق المُقرِّرُ إلى مسألة فقهية تتعلَّق بمسألة اليمين الغموس، ثم انتقل إلى مسألةٍ أُخرى دون أن يُعطيَ تلك المسألة ما تستحقّه من البحث والتفصيل، كما أنَّ المخاطبين لم يتعمَّقوا في مناقشتها وتحليلها، وتبيَّن للشيخ ـ آنذاك ـ أنَّ هناك أموراً وتفصيلات في المسألة لم يتطرَّقوا إليها، ولكنّه خجلَ ـ لصغر سنّه ـ أن يستدرك عليهم، ولما انفضَّ المجلسُ انصرفَ إلى بيته ليلاً، وأخذَ يبحثُ في تلك المسألة حتى طلوع الفجر، وانتهى إلى تأليف رسالة في (**مسألة اليمين الغموس**)، واستكتبها خطاطاً جيداً، ثم ذهب في اليوم الثاني إلى قصر السلطان، وسلَّمها إلى (الياوران)[1] وقال له: هذه رسالة بحثتُ فيها مسألةَ اليمين الغموس، وكانت هذه المسألة قد طُرِحَت في (درس الحضور)، وسنحت ببالي بعضُ التفصيلات التي لم يتطرَّق إليها أصحابُ الفضيلة الأعضاء، ولكنِّي كنتُ أصغرُهم سنّاً، فلم أتجاسر أن أستدركَ عليهم بحضرة سلطاننا حفظه الله، فأعطها إيّاه لكي يطَّلِعَ عليها، فأخذ (الياوران) الرسالة، وسلَّمها إلى السلطان، الذي اطَّلعَ عليها، وأُعجب كثيراً بها، ثم قال: «هذا الشابُّ العالِمُ لديه نبوغٌ ونباهةٌ فلا بدَّ أن يُشجَّع»، فأصدرَ أمره بأن يُعيَّن قيِّماً عاماً على مكتبته الخاصة الغنية بأمهات الكتب النفيسة والقيّمة، وذلك لكي يكونَ قريباً من تلك الكتب.

ومن أنشطته العلمية: أنَّه اشتغلَ بالتدريس في جامع الفاتح سنوات طويلة، أجاز خلالها خمسينَ طالباً من طلبة العلم الذين تتلمذوا على يديه،

---

(١) الياوران: هو كاتب السلطان الخاص، ويُسمَّى (باش كاتب السلطان).

وقد أُقيمَ لهم بهذه المناسبة احتفالٌ كبير في جامع الفاتح سنة (١٣٢١هـ = ١٩٠٣م) حضره كبار العلماء، كما حضره وفدٌ من قِبَلِ السلطان عبد الحميد نيابةً عنه، وقدَّموا لهم الهدايا الثمينة باسم السلطان تكريماً وتشجيعاً لهم.

وكان من بين هؤلاء الطلاب طالبُ علمٍ اسمه (سعيد أفندي)، درس على الشيخ سنين عديدة حتى نال منه الإجازة العلمية، ثم عملَ مفتياً لقضاء (نيقصار) إلى أن توفي سنة (١٣٨٢هـ= ١٩٦٢م).

ومن أنشطته العلمية أيضاً: أنَّه كان عضواً مهمّاً في (الجمعية العلمية الإسلامية) بالآستانة، ورئيس تحرير لمجلّتها الصادرة عنها (بيان الحق)، وعضواً في (دار الحكمة الإسلامية) التي تضمُّ نخبة من العلماء الأفذاذ، والتي كان من مهامها رد موجات الإلحاد، وصد هجمات الأعداء عن الإسلام والمسلمين، وتنشئة العلماء نشأةً دينيةً جيدةً.

س ـ لا شكَّ أنَّ الشيخَ رجع من عضويته في كلٍّ من (الجمعية العلمية الإسلامية) و(دار الحكمة الإسلامية) بفوائد كثيرة، فهل لكم أن تذكروا لنا بعضاً منها؟

ج ـ نعم، فقد اكتسب سلامة الاتجاه، والحرص على الصدق، ونصرة الحق، وأُتيحت له الفرصةُ لمعايشة أجواء المشكلات في البلاد الإسلامية والإحساس بقضايا الإسلام المُعاصرة، والتنبُّه إلى الأفكار والاتجاهات المُغرضة، التي كانت تعمل للنيل من الإسلام وأهله. وهذا ما جعل منه شخصيةً إسلاميةً مرموقة في تركية.

س ـ ماذا تعرفون عن نشاطه السياسي في الدولة العثمانية؟

ج ـ الذي أعرفه أنّه لما أُعلن الدستور العثماني الثاني عام (١٩٠٨م) انتُخب نائباً عن بلدة (توقاد) في المجلس النيابي في البرلمان العثماني، وكان له نشاط جيد في هذا المجلس، حيث ألقى فيه خطاباً طويلاً عن مفهوم الحرية في الإسلام استمرَّ في إلقائه ثلاثة أيام[1]، وقد لمع نجمه في البرلمان بسبب هذا الخطاب.

وعُيِّنَ بعد ذلك عضواً في مجلس الشيوخ العثماني، وقد أخبرني أنّه اقترحَ على الحكومة بُعيد إعلان الدستور أن تبتدئ جلسات هذين المجلسين (النواب، والشيوخ) بتلاوةِ آياتٍ من القرآن الكريم، وقد أخذوا باقتراحه هذا، وعملوا به إلى أن أُلغي نظام هذين المجلسين.

وعارض سياسة الاتحاديين فحاولوا القبض عليه، ولكنه استطاع أن يفرَّ منهم، إلا أنّهم قبضوا عليه في (رومانية)، ثم أحضروه إلى تركية، وأرادوا قتله، ولكنَّ طلعت باشا استطاعَ تخليصه، ونفاه إلى (بيله جك).

كما عارضَ سياسة الكماليين وقاومهم، فحاولوا بالتالي القبض عليه أيضاً، ففرَّ منهم، وأقامَ في مدينة (كوملجنة) بتراقية الغربية اليونانية.

س ـ ما قصة إخراجه من تراقية الغربية اليونانية؟

ج ـ قصة إخراجه من تراقية الغربية اليونانية طويلة، ولكنّي أذكرها

---

(١) راجع هامش ص٤١٢ من الملحق رقم (٣).

باختصار فأقول: لمَّا مكث الشيخ بضعَ سنين في مدينة (كوملجنة) أخرجته منها الحكومة اليونانية بناءً على طلب من أتاتورك، وأبعدته إلى الجزر البعيدة التي يُقيمُ فيها النصارى، وذلك في (باتراس) التابعة لمركز (بولوبنس).

ولمَّا وصل ومعه عائلته إلى (باتراس) رحَّبَ به النصارى كثيراً واستقبلوه استقبالاً حافلاً، ولكنَّه لم تَطِب له الإقامة فيها، بل كان قَلِقاً حزيناً، وذلك خشيةَ أن يموتَ هناك، فلا يقومُ بتشييعه ودفنه إلا الرهبان والقُسس، فيشمت به الأعداء، ولذا بذل كل جهده لكي يخرج من تلك البلاد، فقام بمراسلة جميع أصدقائه في الدول العربية، طالباً منهم المساعدة في الدخول إلى أيِّ بلدٍ مسلمٍ، ولكن مع الأسف لم يُساعدْهُ أحدٌ، حيث اعتذر بعضهم، ولم يُجِب الآخرون خوفاً من حكومة مصطفى كمال.

وأخيراً سافر ومعه ابنه إبراهيم إلى (أثينة) وبحثا بين سفارات وقنصليات الدول العربية والإسلامية للحصول على تأشيرة دخول إلى أي بلد مسلم، ولم تستجب لهما إلا السفارة المصرية، حيث أعطاهم السفير المصري هناك تأشيرة دخول إلى مصر، فأخذاها فرحين، ثم انتقل الشيخُ ومعه جميعُ عائلته إلى مصر.

س ـ كيف كانت علاقة الشيخ برجال مصر ومفكّريها بعد انتقاله إليها واستقراره فيها؟

ج ـ كانت علاقةً جيدةً، فقد تبوَّأ مكانةً كبيرةً؛ ومنزلةً رفيعةً بين العلماء والمفكّرين، وكذا رجال الحكم والسياسة، وأصبحَ مرجعاً للاستشارة للكثيرين منهم، وأذكر أنَّ وزارةَ الأوقاف المصرية اختارته عضواً في (لجنة

النهوض بالمساجد) المؤلَّفة من كبار العلماء تحت رئاسة وزير الأوقاف، وكانت اللجنةُ تأتي إليه، وتعقدُ اجتماعاتها عنده، وذلك لكبر سنّه وعلوّ مكانته.

وكان بينه وبين الشيخ (محمد الخضر حسين) محبة ومودّة، ويزور كل منهما الآخر، كما كانت له علاقة جيدة بالشيخ حسن البنا، الذي كان يزوره باستمرار، والذي أسهمَ في طباعة وتسمية كتابه (**القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون**) بعد الاطّلاع عليه.

س ـ ماذا تعرفون عن كتب الشيخ باللغة التركية؟

ج ـ كان لمصطفى صبري كتبٌ عديدةٌ باللغة التركية، منها: رسالة تتعلّق بالإيمان والصوم والصلاة، كتبها ـ بصورة سهلة مُيسَّرة ـ أيام إقامته بمدينة (كوملجنة)، ثم طُبِعَتْ وقُرِّرَت على طلاب المرحلة المتوسطة بتلك المدينة، وقد اطَّلعْتُ عليها بنفسي أكثر من مرة.

ومنها: كتاب قيِّم جداً اسمه (يكي إسلام مجتهد لرينك قيمت علمية سي)؛ أي: (**القيمة العلمية للمجتهدين المسلمين الجدد**)كتبه ردّاً على شطحات (موسى جار الله) وشذوذه في مسألة خلود الكفار في نار جهنم، وناقش فيه أقوال ابن عربي التي اعتمد عليها موسى جار الله في تلك المسألة.

وقد ألَّف الشيخ هذا الكتاب أيام محنته في (رومانية)، وكتبه على ضوء شمعة، وهذا مما يدلُّ على أنَّه تولّى الدفاع عن الإسلام طوال حياته وفي كلّ الأحوال، في السرّاء والضرّاء.

س ـ هل كان له كتب مخطوطة؟

ج ـ نعم، للشيخ كتب وكذلك أبحاث مخطوطة كانت تحت يده، وكان ـ رحمه الله ـ يريدُ طباعتها ونشرَها، ولكنّه لم يستطع ذلك لعجزه عن تكاليف الطباعة.

ومن تلك الكتب المخطوطة كتاب في الأدب العربي اسمه (**مختارات من الشعر العربي**) جمع فيه منتخبات من الأشعار العربية الجيِّدة لكبار الشعراء العرب القدامى.

س ـ هل تتذكّرون شيئاً من أبحاثه المخطوطة؟

ج ـ أتذكَّر أنَّه قام بترجمة كتاب مهم في علم أصول الفقه من اللغة العربية إلى اللغة التركية، وهو كتاب (**مرآة الأصول**) للعلاّمة الملاخسرو. هذا بالإضافة إلى البحث الذي كتبه في (**مسألة اليمين الغموس**)، والذي ذكرته لك فيما سبق.

س ـ هل كان للشيخ اهتمام بالشعر؟

ج ـ نعم، كان له اهتمام كبير بالشعر التركي والعربي، ولديه قابلية واستعداد للشعر، وكان يحفظ الكثير من الأشعار والمنظومات في مختلف المجالات، ومن ذلك: أنَّه كان يحفظُ ألف بيت من كتاب (الطَّيِّبة)، الذي هو من أهمِّ الكتب في علم القراءات، وكثيراً ما كان يحتجُّ بها عند نقده ومناقشته بعض القُرَّاء المعاصرين له.

س ـ وهل نظم الشعر؟

ج ـ نعم، فله قصيدة قوية طويلة نظمها باللغة التركية بمناسبة إسقاط الجنسية التركية عنه من قِبَل البرلمان التركي الجمهوري في أنقرة، وذلك أثناء إقامته بتراقية الغربية اليونانية، وسمّاها (أنا أستقيل) ونشرها في جريدة (يارين).

وقد أثبتَ بهذه القصيدة الطويلة أنَّه شاعر قوي، وذلك بشهادة شاعر تراقية الكبير (محمد عاكف)، الذي قال حينما اطّلع عليها: «لم يستطع أحدٌ في تركية أن يكتب شعراً بهذه القوة».

س ـ هل تعرفون تاريخ وفاته بالضبط؟ وهل حضرتم تشييع جنازته؟

ج ـ نعم فقد انتقل إلى رحمة الله في الساعة الثامنة من صباح يوم الجمعة ٧ رجب سنة (١٣٧٣) الموافق ١٢ مارس (١٩٥٤م)، وقد أخبرني بذلك ابنه المرحوم إبراهيم صبري، وسجَّلْتُه عندي في ورقة مستقلّة وحفظتها بين أوراقي.

وقد حضرتُ تشييعَ جنازته التي كانت حافلة جداً، حيث حضرها أناس كثيرون، وأرسل محمد نجيب رئيس الجمهورية المصرية ـ آنذاك ـ نائباً عنه لكي يُمثّله في تشييع الجنازة، التي سار موكبها من ميدان التحرير، وانتهى إلى المقبرة العباسية بالدَّرَّاسة، حيث دُفن الفقيد هناك.

س ـ كيف كنتم ترون الشيخ من خلال ملازمتكم له وحضوركم مجالسه؟

ج ـ كنت أرى فيه الطيبة والتواضع، وحُسن الخُلق، والترحيب

بالضيوف، والبشاشة في وجوههم، وكنتُ أرى فيه قوةَ العزيمة، والثباتَ على المبدأ، والاعتزازَ بالإسلام. ولذا كان يغيظُه ما شاعَ على ألسنة كثيرٍ من الناس في الآونة الأخيرة من أنَّ الإسلامَ هو سبب تأخّر المسلمين، وتخلّفهم عن ركب الحضارة، وكان يقول: كيف يكون الإسلام سببَ التأخّر؟! وإذا كان التقدّم بترك الإسلام فنحن المسلمينَ لا نريدُه، وأرجو الله سبحانه ألاّ يكونَ هناك أيَّ تقدّم بعد ترك الإسلام، وكان يُؤكِّدُ أننا نطلبُ التقدّم والرقيّ في الإسلام وفي البلادِ الإسلامية، ولكن بشرط أن نتمسّك بعقيدتنا، وأن يكونَ دينُنا بعصمتنا، ولكن ـ لا سمح الله ـ لو كان هناك أيَّ رقي وتقدّم للمسلمين من دون الإسلام، فإنَّا نقول: هؤلاء ليسوا منّا ولسنا منهم، لأنَّ الصلةَ بيننا وبينهم قد انقطعت.

وكنتُ أرى فيه قوّةَ التَّديُّن، ولذا كان يعتزُّ ويفتخرُ بحفظه للقرآن الكريم، وكان يقرأُ منه كلَّ يومٍ جزءاً على سريره قبل أن ينام.

س ـ هل كان لكم علاقة واتصال بأولاده بعد وفاته؟

ج ـ كان لي علاقة بابنه إبراهيم إلى أن توفي، وقد اقترحتُ عليه أكثر من مرة أن يكتبَ عن حياة والده، لأنه أفضل من يقوم بذلك، ولا أدري هل كتبَ أم لا؟ وقد علمتُ منه أنّه أكملَ ترجمةَ كتاب (موقف العقل) إلى اللغة التركية.

أما ابنة الشيخ الصغرى فقد كانت تُقيمُ هنا في إستانبول، ولم يكن لي اتصال بها، وقد توفيت في صيف العام الماضي (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) وصلَّيْنا عليها في جامع الفاتح.

* * *

الملحق رقم (٥)

المقابلة مع الشيخ علي علوي[1]

أُجريت هذه المقابلة في منزل الشيخ علي علوي بالمدينة المنورة، وكانت ضمن لقاءين تمَّا في يومي ٧ ـ ٨ شعبان عام (١٤٠٦هـ).

س ـ ما علاقتكم بالشيخ مصطفى صبري؟

ج ـ علاقتي به أنِّي لازمتُه في مصر أكثر من سِتِّ سنوات، كنتُ خلالها أقومُ بخدمته، وأحضرُ مجالسه ودروسه العلمية في منزله، كما أنّي من المُعجبين به، ومن المُكثرين لقراءة كتبه.

س ـ هل كان هناك إخوة لمصطفى صبري؟

ج ـ كان له أخٌ واحدٌ أكبر منه سنّاً، وكان يحبُّه كثيراً، ويُوجّهه باستمرار،

---

(١) علي علوي بن إبراهيم قوريجي: مفكّر وأديب تركي، خرج من تركية الكمالية عام (١٩٣٩م)، وقَدِمَ إلى مصر، ثم التحق بالأزهر، وتخرّج فيه، لازم مصطفى صبري، وعمل في خدمته أكثر من ستّ سنوات، وله معه ذكريات كثيرة، انتقل إلى المدينة المنوّرة في أواخر عام (١٩٥٥م) واستقرَّ بها، أصدر عدّة دواوين شعرية، وعملَ أميناً عاماً لمكتبة (عارف حكمت) بجواز الحرم المدني الشريف، إلى أن أُحيل للتقاعد مؤخَّراً.

وقد أخبرني الشيخ أنَّه لمَّا أنهى دراسته بالآستانة، طُلب منه الدخول في امتحان التخرّج ـ الذي كان يعادل امتحان العالمية بالأزهر، والذي كان يُسمى في بلادنا بـ(امتحان الرؤوس) ـ فتردَّدَ الشيخُ بعض الشيء، فشجَّعه أخوه على دخول ذلك الامتحان، وأصرَّ عليه في ذلك قائلاً: أنتَ طالبٌ ذكيٌّ، وقد تحصَّلتَ على نصيبٍ وافرٍ من العلوم الإسلامية، فلا بدَّ أن تتقدَّم وتُمتحَن، وستنجحُ بإذن الله، فدخل الشيخ الامتحان، ونجح فيه بتفوّق، وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره بعدُ، وقد توفي ذلك الأخ قبل خروج الشيخ من تركية.

س ـ من هم أساتذة الشيخ بالآستانة؟

ج ـ درس الشيخ بالآستانة على الشيخ أحمد عاصم الكملجنوي، وعلى الشيخ عاطف بك، الذي كان يُدرِّس علم العقائد وأصول الفقه، والذي كان الشيخ مُعجباً بعلمه وبدرايته.

س ـ سمعتُ أنَّ الشيخ كان يُجيدُ علم القراءات، فهل هذا صحيح؟

ج ـ نعم كان الشيخ ـ رحمه الله ـ حافظاً للقرآن الكريم ومرتّلاً ومُجَوِّداً، وقد تعلَّمَ علمَ القراءات وأتقنه لمَّا كان موظَّفاً في مكتبة السلطان عبد الحميد الثاني في قصر (يلدز)، حيث تتلمذَ على شيخ القُرَّاء في ذلك الوقت وهو الشيخ (كوسه نيازي أفندي)، وأخذ منه الإجازة في علم القراءات.

س ـ ما النشاط الذي قام به الشيخ في تركية قبل خروجه منها؟

ج ـ لقد كان للشيخ نشاطٌ بارزٌ في تركية، حيث اشتركَ في (دروس

الحضور) التي كانت تُلقى في حضرة السلطان عبد الحميد، واشترك في (الجمعية العلمية الإسلامية)، وعُيِّنَ عضواً في (دار الحكمة الإسلامية). هذا بالإضافة إلى اشتغاله بالتدريس، حيث عَمِل مُدرِّساً في (جامع الفاتح) الذي كانت الدروس تجري فيه على طريقة الجامع الأزهر القديم، وكان الشيخ يُدرِّس في هذا الجامع العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وسيرة، وكذا اللغة العربية وآدابها، حيث كان يُدرِّس طلاّبه كتاب (المُطَوَّل) للعلاَّمة سعد الدين التفتازاني.

س ـ هل تعرفون أحداً من تلاميذه الذين درسوا عليه في جامع الفاتح؟

ج ـ نعم أعرفُ عالماً جليلاً قام بشرح صحيح الإمام البخاري اسمه كامل ميراث، قمتُ بزيارته في بيته بإستانبول عام (١٩٥٥م)، وكان شيخاً كبيراً في السن، وسألته: هل تعرفون الشيخ مصطفى صبري؟ فقال: نعم أعرفه جيداً فهو شيخي وأُستاذي، فقلت له: وكيف ذاك؟ فقال: لما تخرَّجتُ في بلدتي (أفيون قره حصار) انتقلتُ إلى (الآستانة) لمواصلة تعليمي فيها، ولمَّا وصلتُ هناك أمضيتُ بضعة أيام، تنقَّلتُ خلالها بين حلقات العلم في جامع الفاتح، وجامع بايزيد، وجامع أيا صوفية، وذلك بحثاً عن الأستاذ الأنسب لكي أتتلمذ على يديه، وفي اليوم السابع حضرتُ حلقةَ درسٍ في البلاغة في جامع الفاتح لشيخٍ فاضلٍ شاب في الخامسة والعشرين من عمره تقريباً، فاستمعتُ إليه، فإذا به يُدرِّس كتابَ (المُطوَّل) في البلاغة للعلاّمة سعد الدين التفتازاني، يَشرحُ أبيات الكتاب ويُفسِّرها تفسيراً رائعاً، سحرني وملك عليَّ عقلي وفكري، فسألتُ من حولي عن هذا الشيخ، فقيل لي: هو الشيخ مصطفى صبري التوقادي، فلازمتُه مدةَ عشر سنين، أتلقَّى منه العلم حتى نِلْتُ منه الإجازةَ العلمية.

س ـ من المعلوم أنَّ الشيخ كان عضواً في البرلمان العثماني، فما أبرز أعماله فيه؟

ج ـ مِنْ أبرزِ أعمالِه في البرلمان العثماني مقاومتُه للاتحاديين، وقد ألقى فيه خطاباً طويلاً، عارضَ فيه مشروعهم الساعي إلى تعديل المادة الخامسة والثلاثين من الدستور، والذي قصدوا منه جعل تلك المادة لصالحهم، تُخَوِّلُهم حلَّ البرلمان، وخَلْعَ السلطان متى أرادوا، وتخوّلهم التلاعبَ بالقوانين وتغييرها. وكان مما قاله في هذا الخطاب قوله: «إنَّ السلطان يستمدُّ سلطتَه من الله (الكتاب والسنّة)، فإنْ زاغَ عن الحقّ فشريعةُ الإسلامِ تُوجِبُ خلعَه، ولكنَّه ما دامَ يتَّبعُ هَدْيَ الإسلام، فالبرلمانُ ليس له الحقّ في خلعه، ومن المعلوم أنَّ الإسلامَ يكونُ دائماً متبوعاً، ولكنّكم أيها الاتحاديون تُريدون أن تجعلوه تابعاً، وتريدون أن تُبدِّلوا في القوانين بحسب أهوائكم، إنكم تُخطئون في تحديدِ الثباتِ والتطور، وتظنّون أنَّ القوانين لا بدَّ أن تتغيَّرَ وتتطوَّرَ تَبَعاً لتغيّر الإنسان وتطوّره، وهذا غيرُ صحيح، ذلك أنَّ في الكون حقائق ثابتة ومُتَغيِّرة، فالإنسانُ يتطوَّرُ فعلاً، ولكنَّ أحكام الله وقوانينه وسنّة رسوله ﷺ ثابتةٌ لا تتغيَّر أبداً، وأنتم بتحديدكم سلطةَ الخليفة تُريدون أن تُشرِّعوا بحسب أهوائكم، فتجعلوا الحلال حراماً والحرام حلالاً، وهذا لا يجوز».

س ـ وما أبرز أعماله في المشيخة الإسلامية؟

ج ـ كان من أبرز أعماله في المشيخة الإسلامية اهتمامُه بانتقاء الأشخاص السليمي العقيدة والنيّة، وتعيينهم في المراكز المهمة، وإبعاد الأشخاص المُتورّطين بالغش والرشوة، والمُولعين بالتفرنج ومُحاكاة الغرب، واهتمامه

كذلك بإصلاح الأجهزة الحكومية، ولا سيّما في مجالي التعليم والقضاء.

س ـ علمتُ أنَّ الاتحاديين سعوا للقبض على الشيخ، ولكنّه استطاع أن يفرَّ منهم، فكيف تمَّ ذلك؟

ج ـ كان مصطفى صبري أثناء عضويته في البرلمان العثماني يُقيمُ في حي الفاتح بالآستانة، ولمَّا قام الاتحاديون بِحَلِّ البرلمان والقبض على المُعارضين لهم، جاؤوا إلى منزله في ساعة متأخرة من الليل لاقتحامه، ولما شعر بهم هرب من إحدى نوافذ المنزل، واختفى بضعة أيام في الآستانة، ثم استطاع أن يهربَ ـ خِفْيَةً ـ على ظهر إحدى البواخر إلى رومانية، ومكث مدة في مدينة (بوخارست)، واشترى فيها بيتاً، ووكَّل عليه محامياً ألبانياً اسمه (إبراهيم تيمو) ليقوم بإصلاحه والعناية به. ونظراً لكون هذا المحامي من أنصار الاتحاديين[1] فقد استولى على البيت.

س ـ كيف تنقَّل الشيخُ لمَّا خرج من تركية خروجاً نهائياً في عهد الكماليين؟

ج ـ لما خرجَ من الآستانة ذهب أولاً إلى مصر، ونزل في الإسكندرية، فأُوذي من قِبَل المصريين، ورُمي بالطماطم والبيض الفاسد، وتعرَّض للسب والشتم، وكان ذلك بإيعاز من القنصلية التركية في مصر. ولم يلبث أن دعاه الشريف حسين إلى الإقامة في ضيافته بالحجاز، كما دعا كلاً من السلطان محمد وحيد الدين وبعض الوزراء السابقين في الدولة العثمانية، الذين خرجوا

---

(١) قلت: بل هو من رؤوسهم. (ن).

منها، وقد أقلّتهم الباخرةُ إلى مدينة جدة، واستقبلهم الشريف حسين استقبالاً حافلاً، وفرش لهم الميناء كله بالسجاد. ومكث الشيخ هناك عدّة أشهر، ثم رجع مرة أخرى إلى مصر، ومنها سافر إلى بيروت.

ثم انتقل منها إلى رومانية لوجود الكثير من المسلمين هناك، ولوجود بعض أصحابه هناك أمثال الشيخ خليل القازاني مُفتي رومانية، وكذلك لوجود بيته هناك الذي فُوجئ بأنه قد استُولي عليه.

ثم انتقل إلى اليونان، وأقام في مدينة (كوملجنة)، وأصدر فيها مع ابنه إبراهيم جريدةً إسلاميةً اسمها (يارين)، التي أخذت تُوزَّع في كثيرٍ من بلاد العالم الإسلامي، وأخذت تدخلُ تركية أيضاً، ولما عُقِدَت المعاهدة بين تركية واليونان مُمَثَّلَةً في رئيس وزرائها (فنيزيلوس)، كان أول بند من بنودها إيقاف صدور جريدة (يارين)، وإخراج الشيخ مصطفى صبري من بلاد اليونان. وفعلاً أُقفلت الجريدة، وأُخرج الشيخ إلى منطقة تقع في أقاصي اليونان، لا يسكنها إلا النصارى. وعندها حصل له اضطراب وقلق شديدان، وذلك خشيةَ أن يموتَ هناك فلا يُواري جثمانه إلا النصارى، ويُدفن في مقابرهم، ولذا عَمِلَ على الخروج إلى أي بلد من البلاد الإسلامية، فأخذَ يكتبُ إلى رؤساء الدول الإسلامية لكي يقبلوه لاجئاً عندهم، فلم يُجبْهُ أحدٌ. وأخيراً ذهب مع ابنه إبراهيم إلى (أثينة) وأخذا يتنقلان بين سفارات الدول الإسلامية، ثم دخلا على القنصل المصري ـ وكان رجلاً طيباً ـ وعرضا عليه الأمر، فأعطاهما تأشيرة الدخول إلى مصر، فأخذاها، ثم رجعا إلى أهلهما، وسافروا جميعاً إلى مصر. وقبل أن يسافروا عرضَ رجال الدين النصراني على الشيخ أن يمكث عندهم، وأن يرفعَ دعوى ضد الحكومة اليونانية لإخراجها إياه، وهو لاجىءٌ إليها،

وقالوا له: امضِ في الدعوى ونحن معك والكنيسة بكلٍّ بطارقتها وقسسها وراءك. ولكنَّ الشيخَ لم يرضَ بذلك.

س ـ ألم يكتب الشيخ مذكّرات شخصية يتحدَّث فيها عن نفسه كما يفعل كثير من الكُتَّاب اليوم؟

ج ـ كان الشيخ متواضعاً جداً، ولم يكن يُحب الشهرة، ولا التحدّث عن نفسه، غير أنَّه كتبَ مذكّرات سياسية في أكثر من ثمانين صفحة سمّاها (صيد **الخاطر**) تكلَّم فيها عن أسرار الانقلاب الذي قام به مصطفى كمال في بلاد الأناضول، وانتقدَ فيها السلطان محمد وحيد الدين لثقته المُفرطة به، ولإرساله إياه مفتّشاً عاماً على الجيوش في الأناضول. ولمّا انتهى من كتابتها قام بزيارة السلطان محمد وحيد الدين في مقرّ إقامته في مكة المكرّمة، وأخذ معه تلك المذكّرات، وخَبَّأها في جُبَّتِهِ، ولما جلس قال له السلطان: يا فضيلة الشيخ أنا أعرف أنَّك لا تجلسُ هكذا دون كتابة فهل كتبتَ شيئاً هذه الأيام؟ فقال: نعم كتبتُ بعضَ الخواطر، فقال السلطان: أَطلِعني عليها، فأعطاه إياها ثم انصرف، وبعد أسبوعٍ جاء إليه ليأخذها منه، وسأله قائلاً: كيف وجدتم المذكّرات يا حضرة السلطان؟ فقال السلطان: «كلامُ الصديق يُؤثِّر في الإنسان أكثر وأبلغ، فأنت صديقي تحبُّني وأنا أحبُّكم، والطعن في هذه المذكرات فيَّ أنا، ولكنَّ الطعنَ لله».

س ـ يظهر لنا مما سبق آنفاً أنَّ الشيخ كان على علمٍ بتحرّكات مصطفى كمال قبل إرساله إلى الأناضول، فكيف تمَّ له ذلك؟

ج ـ كان الشيخ يعرف كلَّ شيء عن مصطفى كمال، ويعرف كلَّ تحركاته

واتصالاته منذ أن كان ضابطاً في الجيش، ذلك أنَّ العقيدَ الأمير آلاي صادق صبري بك ـ أحد كبار الضباط بالجيش التركي ـ كانت له عيون تتجوَّل في الليل في أنحاء العاصمة (الآستانة)، وكانت ترى مصطفى كمال يأتي دائماً إلى حي (تقسيم) في أنصاف الليالي ويتّصل بالإنكليز، وكان العقيد يُخبر الشيخ بكل ما يرى. ولذا كان الشيخ يُحذِّرُ السلطان محمد وحيد الدين من مصطفى كمال، ويرجوه ويتوسَّل إليه بألاَّ يُرسله إلى الأناضول، لعلمه بوجود مخطط رهيب كان يُحبَكُ ويُنسَجُ للقضاء على الخلافة الإسلامية وعلى أمّة الترك المسلمة. ولما سافر مصطفى كمال استمرَّ الشيخ في تحذير السلطان منه، ولكنّ السلطان كان مُغترّاً كل الاغترار بمصطفى كمال، ولذا لم يأبه لكلام الشيخ، وكان يقول له: «يا سماحة الشيخ إذا كنتَ تخافُ على سلطنتي فاتركها تذهب في سبيل الله وإنقاذ الوطن».

س ـ سمعتُ أن الحكومة المصرية أكرمت وفادة الشيخ حين استقرّ بمصر، فهل هذا صحيح؟

ج ـ نعم صحيح، فقد كانت ـ ممثَّلَةً بوزارة الأوقاف ـ تصرِفُ له معونةً شهريةً مقدارها اثنا عشر جنيهاً مصرياً.

ولما صدر كتابه (**القول الفصل**) وانتشر في مصر رآه في مكتبة الثقافة مختار بك ـ وزير التموين لقصر ولي العهد محمد علي باشا ـ فاشترى نسخةً منه، ولما قرأه أُعجبَ به، فاشترى نسخةً أخرى، وأهداها إلى ولي العهد، الذي علمَ بعد اطّلاعه على الكتاب بوجودِ الشيخ في مصر، فطلبَ من مختار بك أن يبحثَ عنه، فأخذ يبحث ويُنَقِّب، حتى وصل إلى رواق الأتراك

بالأزهر، وسأل عن الشيخ، فدلُّوه على منزلي لصلتي به، فأعطيتُه عنوانَ منزله، فذهبَ إليه، وأبلغه تحيات ولي العهد، وقال له: إنَّ ولي العهد محمد علي باشا يُريد أن يراكم، ولكنّه لا يستطيعُ زيارتكم، لأنَّ الوضع السياسي في البلد وظروف الاستعمار وجيوشه لا تسمحُ له بذلك، ولو فعل لربّما أدَّى ذلك إلى إزعاجكم من قِبَلِ السلطات الأجنبية المُسيطرة على البلد، ولذا أرسلني إليكم لأذهب بكم إليه، فوافق الشيخ، وفي الغد جاءه مختار بك وأخذه بالسيارة إلى القصر في المنيل، ولـمَّا وصل الشيخ استقبله الباشا استقبالاً طيِّباً، ورحَّبَ به كثيراً، ثم تناولا طعام الغداء سوياً، وعند انصراف الشيخ قال له الباشا ـ وكان مُجيداً للغة التركية ـ يا فضيلة الشيخ لا بدّ أن تقبلوا واجباً تأخّرتُ به عليكم، وهو صرفُ معونة شهرية لفضيلتكم مقدارها اثنا عشر جنيهاً مصرياً، فاعتذرَ الشيخُ، ولـمَّا ألحَّ عليه في ذلك قَبِلَ، وصارت تُصرَف له تلك المعونة طيلةَ حياة الباشا، وهي بالطبع غير تلك التي كانت تصرفها له وزارة الأوقاف.

س ـ سمعتُ أنَّ لطباعة كتاب (القول الفصل) ونشره قصة مهمة، فهل لكم أن تُحدِّثونا عنها؟

ج ـ قصة طباعة هذا الكتاب هي: أنَّه لـمَّا ألَّفَ الدكتور محمد حسين هيكل كتابه (حياة محمد)، لَقِيَ رواجاً كبيراً في العالم الإسلامي عامةً وفي مصر خاصةً، فجاء بعضُ علماء الأزهر إلى الشيخ مصطفى صبري ومعهم نسخة من الكتاب، وشَكَوا إليه ما فيه من إنكار معجزات نبيّنا محمد ﷺ وما تضمَّنه من الطعن في كتب الحديث والسيرة، وفي أمانة رُواتها ومُؤلّفيها،

اعتماداً على أقوال المستشرقين، كما شكوا إليه قيام الشيخ محمد مصطفى المراغي بالثناء على المؤلف والكتاب في التقريظ الذي كتبه له، وطلبوا منه الرد عليه ونقده، فأخذ الشيخ الكتاب واطّلع عليه.

وفي تلك الأثناء نشر الشيخ محمود شلتوت مقالةً أو مقالتين في مجلة (الرسالة) أنكرَ فيهما رفع عيسى عليه السلام المنصوص عليه في القرآن الكريم ونزوله في آخر الزمان المعدود من علامات الساعة، فكتب مصطفى صبري مقالةً يَردُّ بها عليه، وأرسلها إلى مجلة (الثقافة) لكي تنشرَها، فلم تفعل ذلك بل أخفتها عن أعين القرّاء. فقال الشيخ: ما دامَ الأمرُ وصلَ إلى هذا الحدِّ فلن نسكتَ، لأنَّ الساكتَ عن الحق شيطانٌ أخرس، ثم عمدَ إلى كتابه الكبير (موقف العقل) وأخذ منه الباب الثالث الخاصّ بدراسة مسائل النبوة والمعجزات، وعقدَ العزم على طباعته في كتاب مستقلّ.

ولكنْ واجهتنا ـ أنا والشيخ وابنه وبعض المُقرَّبين إليه ـ مشكلة الورق والطباعة، حيث كُنَّا لا نملك تكاليفها، فذهبتُ إلى الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ وأخبرتُه بكلِّ ما حصل، فتأثَّرَ كثيراً بذلك، وفي اليوم التالي قمتُ أنا وإياهُ بزيارة مصطفى صبري ـ الذي كانت تربطه به علاقة حميمة ـ فتباحثا المسألة فيما بينهما، واتفقا على نشر الكتاب، الذي اقترح الشيخ حسن البنا تسميته بـ(القول الفصل بين إيمانين: إيمان الذين يؤمنون بالغيب وإيمان الذين لا يؤمنون)، واشترى ـ رحمه الله ـ مِئَتي نسخة، ودفع ثمنها مقدَّماً، إسهاماً منه في تغطية نفقات الطباعة، ونشرنا في الصحف إعلاناً عن الكتاب، وذلك لجمع الاشتراكات، حيث كانت قيمة الاشتراك عشرة قروش مصرية. وبعد نشر الإعلان وقع في نفس الشيخ مصطفى صبري بعض الحرج من اسم الكتاب

الذي اقترحه الشيخ حسن البنا، ذلك أن الذين يُنكرون المعجزات والمُغيَّبات عموماً لا يُعتبرون مؤمنين بها، ومن هنا لا تصح إضافة صفة (الإيمان) إليهم، ولذا جرى تعديل اسم الكتاب إلى **(القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون)**.

ولمّا جمعنا تكاليف الطباعة اشترينا الورق، ثم ذهبنا - مصطحبين الكتاب معنا - إلى مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، وأطْلَعنَا أصحابها عليه، فاعتذروا عن طباعته لصعوبة قراءة خط الشيخ، لأنه - رحمه الله - كتبه وله من العمر قرابة الثمانين عاماً، وكانت يده - يومئذٍ - ترتعش عند الكتابة، فتأثَّر الشيخُ من ردِّهم كتابه الذي لا بدَّ له من نشره، وعندئذٍ تطوَّعتُ بنفسي ونسختُ الكتابَ كلَّه بخطّ يدي، ثم أرسلناه إلى المطبعة وتمَّت طباعته.

س - هل تعرفون كتب الشيخ باللغة التركية؟

ج - أعرف له كتابين باللغة التركية، أحدهما: اسمه **(رَدِّي على ما في القول الجيِّد من الرَّدِي)** كتبه ردّاً على كتاب مهم في النحو العربي والصرف والبلاغة، وهو كتاب (القول الجيد) لعالم تركي جليل اسمه محمد ذهني أفندي، ونشره في مجلة (بيان الحق).

وقد نال هذا الكتاب إعجابَ كثيرٍ من العلماء، كما نال إعجاب محمد ذهني نفسه، حيث قال عندما اطَّلع عليه: أنا فخور بمصطفى صبري، لأنَّه يعرف اللغة العربية وخصائصها ودقائقها معرفةً جيدة، ولأنَّ ردَّه كان ردّاً علمياً صحَّحَ لي أخطائي.

والآخر: هو (يكي إسلام مجتهد لرينك قيمت علمية سي)؛ أي: (**القيمة العلمية للمجتهدين المسلمين الجُدد أو العصريين**)، الذي كان لتأليفه قصة عجيبة تستحقُّ الذكر، أخبرني بها الشيخ نفسه، وهي: أنَّه ظهر في روسية قبيل الحرب العالمية الأولى رجلٌ مسلمٌ يُدعى (موسى جار الله) وهو عالمٌ مشهور، يُجيدُ اللغات العربية والتركية والفرنسية والروسية، كثير الاطِّلاع والتأليف، ولكنْ كان عنده زيغٌ في بعض المسائل الإيمانية، ألَّف كتاباً باللغة التركية بعنوان (رحمت إلـٰهية برهانلري) أي براهين الرحمة الإلـٰهية، مضمونه: أنَّ رحمةَ الله لا تَسع ولا ترضى بخلود الكفار في النار. ولقد لَقيَ هذا الكتاب رواجاً بين المسلمين في روسية وفي تركية أيضاً، وعجز مسلمو روسية في ذلك الوقت عن الردِّ عليه.

ولمَّا فرَّ الشيخ من الاتحاديين، وجاء إلى رومانية وبقي فيها ـ أثناء الحرب العالمية الأولى ـ جاءه الشيخ خليل القازاني مُفتي مسلمي رومانية حاملاً معه ذلك الكتاب، وأعطاه إياه، وقال له: يا سماحة الشيخ! هذا الكتاب مع الأسف الشديد أحدثَ بلبلةً فكريةً ونقاشاً طويلاً بين المسلمين، وأرجو من فضيلتكم الاطّلاع عليه، ونقده نقداً علمياً.

فأخذ الشيخ الكتاب، واطَّلع عليه، فتبيَّن له أنَّ نقدَه يحتاج إلى وقت ليس بالقصير، وذلك للتمعُّن فيه وتحليل محتوياته.

واتَّفق ـ آنذاك ـ أن دخلت الجيوشُ الألمانية والتركيةُ مدينة (بوخارست) برومانية، فقَبَضَ الاتحاديون على الشيخ وسجنوه هناك، فأخذ معه الكتاب داخل السجن، وقال: «هذا هو الوقت المناسب لقراءة الكتاب وتحليله ثم

نقده». وبالفعل قام ـ رحمه الله ـ بقراءته بتمعُّن، ثم كتب الردَّ عليه ـ تحت ضوء شمعة ـ بحروف صغيرة جداً في أوراقٍ كانت معه. ولما فرغ من الكتابة خشي أن تُؤخَذ منه تلك الأوراق وهو في السجن، فأخذ يُفكِّر في طريقة يضمن بها المُحافظة عليها، وأخيراً اهتدى إلى طريقة جيدة، حيث طلب من الشيخ خليل القازاني ـ الذي كان يزوره في السجن باستمرار ـ أن يأخذَ الأوراقَ، ويذهب إلى سمكري أمين يَثِقُ بـه لكي يصنع له إبريقاً للوضوء، ويجعل في أسـفله طابقين، ثم يضع الأوراق بينهما، ويُغطِّيها باللحام، ثم يُحضر له الإبريق، فأخذ الشيخ خليل الأوراق، وفعل كل ما أراده مصطفى صبري الذي أخذ الإبريق واحتفظ به طيلة المدة التي أمضاها في السجن والتي بلغت ستة أشهر.

ولما قرَّرت السلطات التركية إحضاره من رومانية إلى تركية، نُقِلَ إلى الآستانة ـ ومعه الإبريق ـ ثم نُفِيَ إلى مدينة (بيله جك)، وبقيَ في المنفى حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام (١٣٣٦هـ = ١٩١٨م)، ثم عاد إلى الآستانة، وفتح الإبريق، وأخرج الأوراق، ثم طبعها سنة (١٣٣٧هـ = ١٩١٩م) في هذا الكتاب الذي سمَّاهُ (يكي إسلام مجتهد لرينك قيمت علمية سي). أي **(القيمة العلمية للمجتهدين المسلمين الجدد)**.

س ـ وهل تعرفون شيئاً عن أبحاثه؟

ج ـ من أبحاثه: أنَّه لمَّا أصدر الأمير شكيب أرسلان ـ رحمه الله ـ كتابه القيِّم (لماذا تأخَّر المسلمون؟ ولماذا تقدَّم غيرهم؟)[1] طلبَ من مصطفى

---

(١) وقد نشرته دار القلم مؤخَّراً ضمن سلسلتها كتب قيمة. (ن).

صبري أن يُترجمه إلى اللغة التركية، لكي يستفيدَ منه المسلمون الأتراك، فقام الشيخ بترجمته كاملاً إلى اللغة التركية سنة (١٣٥٣هـ = ١٩٣٤م)، وأضافَ عليه في الهوامش تعليقات كثيرة وقيِّمة من عنده ناقش في بعضها شكيب أرسلان، ولكن الكتاب لم يُطبَع، بل لا يزالُ مخطوطاً.

س ـ ما الكتب التي رأيتم الشيخَ يحرصُ على قراءتها؟

ج ـ الكتب التي كان الشيخ يقرؤها ويُطالعُ فيها كثيرة، فمثلاً كان يقرأ في التفسير: (جامع البيان) للطبري، و(تفسير مفاتيح الغيب) للرازي، و(الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي، و(أنوار التنزيل) للقاضي البيضاوي، و(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير، و(تفسير روح المعاني) للآلوسي البغدادي.

ويقرأ في الحديث: الكتب الستة مع شروحها. ويقرأ في العقيدة وعلم الكلام: كتاب (المواقف) وشروحه وحواشيه، وكتاب (العقائد النسفية) وشروحه وحواشيه، و(المقاصد) للتفتازاني، و(المكتوبات) للإمام الربَّاني أحمد السرهندي. ويقرأ في الفقه: كتاب (المبسوط) للإمام السرخسي، و(بدائع الصنائع) للكاساني الحنفي، و(شرح الهداية) للكمال بن همام. ويقرأ في البلاغة: كتاب (دفاع عن البلاغة) لأحمد حسن الزيات.

وكان مولعاً بالأدب العربي، فقد كان يقرأ كتابات العقاد ويمتدح قلمه ويقول عنه: «ما أقدرَ هذا القلم! فهو قوي الحجّة».

ويقرأ كتابات مصطفى صادق الرافعي وأشعاره، وكان يقول عنه: «ما رأيتُ أديباً ينقلُ الإنسانَ من عالَمٍ إلى عالَمٍ آخر مثل مصطفى صادق الرافعي،

ولا سيّما في كتابه (وحي القلم) الذي أبدع فيه، وخاصةً مقاله (الإشراق الإلٰهيُّ وفلسفة الإسلام) الذي ينبغي على كلِّ مثقَّف مسلم أن يقرأه».

وكان دائماً يُطريه (أعني الرافعي) ويمتدحُ إيمانَه فيقول: «إنَّه لا يسمعُ ضجيجَ الدنيا[1]، بل كان يسمعُ إلهامَ قلبِه، ووحيَ ضميرِه، ونداءَ إيمانه».

وكان سيد قطب ـ في أواخر حياة الشيخ ـ قد بدأَ يكتبُ في الإسلاميات، فكان يقرأ له، ويدعو له بالهداية والثبات والتوفيق، وكان يقول عنه: «إنَّ أدبَه وأسلوبَه الرفيعَ قد نفعه، فلو لم يكن أديباً لَمَا ظهرت كتاباته بهذه القوة وبهذه الجاذبية والروحانية».

وكان الشيخ قبل هذا كله يُكثر من قراءة القرآن.

س ـ هل تتذكَّرون شيئاً من أقواله التي كان يتحدَّث بها في مجالسه؟

ج ـ نعم أتذكَّرُ جيداً أنّه كان يقول: «لو أنَّ اليهودَ رموا على العالم الإنساني خمسَ قنابلَ ذرية وهيدروجينية ما كانت ستؤثّر فيه مثل تأثير خمسةِ علماء يهود من أئمة الكفر والضلال، وهم: **ماركس الشيوعي، وداروِن الاستحالي، وفرويد النمساوي، وأوجست كونت الفرنسي الوضعي، ودوركهايم الاجتماعي**؛ هؤلاء أفسدوا، وفتكوا بعقول وأفهام وأخلاق العالم الإنساني، وقد أكْبَرَهم اليهود وعظَّموهم، وجعلوا منهم أئمةً أعلاماً، فعلينا اليوم أن نُقاتِلَهم ونُحارِبَهم، لأنَّ ديننا يأمُرنا بمقاتلةِ أئمةِ الكفر، وأنا على يقين

---

(١) وذلك بحكم أنه ـ رحمه الله ـ كان مصاباً بالصمم.

بأنه سيأتي يومٌ تنكشِفُ وتظهَرُ فيه الأخطاء والجنايات الفاحشة لهؤلاء، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

س ـ كيف وجدتم الشيخ طوال المدة التي لازمتموه فيها؟

ج ـ من خلال ملازمتي له أكثر من ستّ سنوات، ومن خلال قراءتي لكتبه، ومتابعتي لمقالاته التي كانت تُنشر في الصحف المصرية، وجدتُه رجلاً متواضعاً، ومُحِبّاً للعلم والعلماء، حتى إنّه كان يقول: «أنا لم أشبع من الدراسة والتحصيل، ولو تُقدَّر لي العودةُ إلى مرحلة الطفولة والصبا لبدأتُ الدراسة من جديد، لأنَّ مرحلة تَلَقِّي العلم هي أحلى المراحل في عمر الإنسان».

ووجدتُ أنه مع شدته وحِدَّة طبعه وعُنف قلمه كان لطيفاً جداً، ووجدتُه قويَّ العقيدة، شديدَ التمسُّك بالإسلام، لم يتوقَّف عن الكتابة في سبيل مناصرته حتى توفّاه الله، مع أنّه كان يَجِدُ صعوبةً في الكتابة في شيخوخته، لأنَّ يده كانت ترتعشُ، ووجدتُه لا يخشى في اللهِ لومةَ لائم، حتى إنّه كان يقول: «لو كَتَبَ ألفُ شخصٍ من أعداء الإسلامِ ومن المنحرفين عن سبيله ضِدِّي لما خشيتهم، لأنَّ اللهَ معي، ومنه أستمدُّ قوّتي».

ولفت نظري إيمانُه العجيبُ بقضاء الله وقدره، وفيه سِرُّ تَجلُّدِه وصبره، فمع أنَّه وصلَ إلى أعلى المناصب والمراكز العلمية والسياسية في تركية، ثم حصل له ما حصل من متاعب ومكاره جمَّة، واغتراب عن الأهل والمال والوطن، إلاّ أنِّي لم أسمع منه يوماً قطّ كلمةَ تذمُّرٍ أو تأفُّفٍ، بل ظلّ صابراً مُحتسباً.

وَوَجدتُ أنَّ لديه عاطفةً وجدانيةً قويةً إلى حدّ أنّه كان ـ أحياناً ـ يبكي إذا ذُكِرَ اسم الله عنده، وكان دائماً يُكرّر البيت التالي[1]:

أَقْبِـلْ عَلَـى النَّفْـسِ وَاسْتَكْمِـلْ فَضَـائِلَهَـا
فَـأَنْـتَ بِـالـرُّوْحِ لاَ بِـالْجِسْـمِ إِنْسَـانُ

والحقُّ يُقال: إنّه كان مُجاهداً كبيراً، أمضى حياته كلّها في الجهاد في سبيل الله، وكان جهادُه يُركِّزُ على أنَّ القرآنَ الكريمَ دستورُ البشريةِ في كلِّ ناحيةٍ من نواحي الحياة، وأنَّ الإسلامَ دينٌ ودولةٌ، ومنهاجٌ متكاملٌ، يكفلُ السعادةَ لجميع بني الإنسان في الدنيا والآخرة، وأنَّ الحكم بغير ما أنزل الله كفرٌ وخروجٌ عن المِلَّةِ، وتحدٍّ لله ولرسوله ﷺ.

* * *

(١) والبيت لأبي الفتح البستي من نونيته المشهورة التي أولها:
زيـادةُ المـرءِ في دُنيـاهُ نقصانُ ... وربحُـه غيـرَ محضِ الدِّيـنِ خُسـرانُ

الملحق رقم (٦)

نماذج من فتاويه

يحتلُّ مصطفى صبري مكانةً رفيعةً بين الفقهاء المسلمين الأتراك، ذلك أنَّه كانت له معرفةٌ بعلم الفقه، وباعٌ في المجال الفقهي، كما كانت له إسهاماتٌ في العديدِ من المسائل الفقهية الشرعية.

ولقد كان حنفيَّ المذهب شأنُه في ذلك شأنُ معظم العلماء الذين تعلَّموا على أيدي علماء الحنفية في البلاد التركية، وعاشوا في ظلّ الدولة العثمانية، التي كانت تسير في محاكمها الشرعية، وفي دُور فتياها، وفي مشيختها الإسلامية، وفي جميع شؤونها الدينية وفقَ المذهب الحنفي[1].

ولقد أصدر فتاوي كثيرة في مسائل شرعية عديدة، منها ما هو في جانب العبادات، ومنها ما هو في جانب المعاملات والأحوال الشخصية، وباشر الإفتاء بشكلٍ رسمي بالآستانة عندما كان شيخاً للإسلام بالدولة العثمانية،

(١) إلا أنه لم يكن متعصّباً لذلك المذهب، بل كان يهتمُّ بالمذاهب الثلاثة الأخرى وينصفها، ويدعو العلماء المُفتين في العصر الحديث إلى عدم التعصّب لمذاهب أئمتهم. وللاطّلاع على بعض ما قاله في هذا الجانب راجع كتاب (مسألة ترجمة القرآن)، ص٣٢.

حيثُ أصدرَ ـ حينذاك ـ فتاوى كثيرة في مسائل متعدّدة، كانت تَرِدُ إلى مقام المشيخة الإسلامية، فيُجيبُ عنها بصفته شيخاً للإسلام.

وله فتاوي أخرى خارج نطاق المشيخة، أصدرها في أوقات وأزمنة مُتفاوتة من حياته، نشرَ بعضَها في كتبه، وبعضها الآخر في الصحف والمجلاّت الإسلامية.

ولقد استحصلتُ على العديد من تلك الفتاوى[1] التي كان قد أصدرها باللغتين العربية والتركية، ولكنِّي أكتفي هنا بذكر نماذج منها، وهي ثلاث فتاوي شرعية، **إحداها** أصدرها باللغة التركية لمَّا كان شيخاً للإسلام، ونُشِرَتْ في مجلة (سبيل الرشاد) التركية، التي كانت تصدر بالآستانة في ظلّ الدولة العثمانية، وأما **الاثنتان الأُخريان** فقد أصدرهما باللغة العربية بمصر، ونَشر

---

(١) كان أكثر ما استحصلتُ عليه منها: فتاوي شرعية متنوّعة أصدرتها المشيخة الإسلامية ـ ممثّلةً بمصطفى صبري ـ باللغة التركية، ونشرتها جريدتها الرسمية الناطقة باسمها والمُسمّاة (جريدة علمية)، وذلك في العدد (٥٠) الصادر في صفر سنة (١٣٣٨هـ) الموافق نوفمبر (١٩١٩م)، في الصفحات: ١٥٧١ ـ ١٥٧٥. وفي العدد (٦٣) الصادر في المحرم سنة (١٣٣٩هـ) = الموافق سبتمبر (١٩٢٠م)، في الصفحات: ١٩٩٨ ـ ٢٠٠٠.
وقد عملتُ على ترجمتها كلها إلى اللغة العربية ترجمةً وافيةً، ولمَّا تمَّت الترجمة، وتوفَّرت بين يدي تفحّصتها، فرأيتُ أنّه من الأنسب عدم نشرها، وذلك لسببين، أحدهما: لكثرتها، حيث إنها تبلغ اثنتين وثلاثين فتوى، وثانيهما: لأنّه ليس فيها أيُّ تفصيلٍ أو دليلٍ أو تعليل، وإنّما تكون الإجابة فيها بـ(يجوز) أو (لا يجوز). راجع الملحق رقم (٧)، ص٥٠٢.

إحداهما في مجلة (الفتح)، والثانية في آخر الجزء الرابع من كتابه (موقف العقل)، وهي جميعاً ما يلي:

١ ـ في الصيام:

وَجَّهت وزارة الحربية العثمانية إلى مقام المشيخة الإسلامية في أواخر شعبان سنة (١٣٣٧هـ) الموافق أيار (مايو) (١٩١٩م) سؤالاً باللغة التركية مفاده: هل تُعَدُّ القواتُ المسلَّحة العثمانية في حالةِ سفر فيجوزُ لمنتسبيها من ضباط وأفراد الإفطار في شهر رمضان القادم أم لا يجوز لهم ذلك؟.

فأصدرت المشيخة الإسلامية ـ مُمَثَّلَةً بالشيخ مصطفى صبري ـ في ٢٨ شعبان سنة (١٣٣٧هـ) الموافق ٢٩ أيار (مايو) (١٩١٩م) الفتوى التالية: «فمع أنّه لم يَنعقد الصلحُ[1] حتى اليوم إلا أنَّه قد تمَّ عقد الاتفاق على وقفِ إطلاقِ النارِ من كلا الجانبين، ونظراً إلى هذا وإلى أنَّ قواتنا المسلَّحة في الوقتِ الحاضر ليست مُتأهِّبةً للخوضِ في أيِّ معركةٍ عسكرية، فإنَّها لا تُعتبرُ في حالةٍ طارئةٍ، وبالتالي لا تُعَدُّ في حالةِ سفرٍ، ولكننا في الوقتِ نفسِه لا نستطيعُ أن نَعُدَّها في حالةِ حضرٍ، ذلك أنَّه حتى الآن لم يتقرَّر الوضع السلمي، ولم يرجع النظام إلى قواتنا وجيشنا إلى وضعه الطبيعي كما هو في حالة الحضر، نظراً لوجود المشاكل والقلاقل في الدولة، ولحساسية موقفها العسكري وخطورته،

---

(١) مقصوده من الصلح هنا هو: عقد اتّفاق مع دول الحلفاء الذين كانوا ـ يومئذٍ ـ يحتلّون الآستانة عاصمة الخلافة، وقد تمَّ توقيعُ هذا الاتفاق في (مؤتمر الصلح) الذي انعقد في باريس بعد إصدار هذه الفتوى بمدةٍ وجيزة.

وقد لُوحظَ أنَّ بعض الفرق العسكرية تتعرَّضُ للعديد من المشاقّ، لقيامهم بالتحرّكات الكثيرة في المواقف العسكرية، وبالتنقلات الطويلة بين الثكنات والميادين القتالية. وبما أنَّ المسافرَ في نظر الدين الإسلامي هو مَنْ قطعَ في سفرِه مسافةَ ثماني عشرة ساعة فأكثر، ومكث أقلَّ من خمسة عشر يوماً، فإنَّه يجبُ على قوّاد تلك الفرق العسكرية تعيينُ مسافةِ تنقّلاتهم، ومدةِ مكثهم، فإنْ بلغت نفسَ المدة التي حدَّدها الشرع جاز لهم الإفطار، وإلا فلا، مع مراعاة عدم الأكل والشرب عَلَناً في الشوارع وبين الناس.

أما ما عدا هؤلاء من الضبَّاط والأفراد المُقيمين في المعسكرات، والمُتواجدين في المكاتب والدوائر الرسمية إذا لم تكن لهم معذرةٌ صحيّةٌ، فإنَّه لا يجوزُ لهم الإفطار، بل يجب عليهم الصيام كسائر المسلمين»[1].

٢ ـ في الختان والحجاب:

وكتب أحد الأساتذة في الهند[2] إلى مصر يسأل عن الختان والحجاب، هل يتوقف عليهما صحّة إسلام من يريدُ الدخولَ في الإسلامِ من المنبوذين؟.

فنشر مصطفى صبري فتوى باللغة العربية قال فيها: «لا يُشترط للدخول في الإسلام إلا قولُ: (لا إلـه إلا الله محمد رسول الله) مُصدِّقاً ذلك بقلبه،

---

(١) فتاوي مقام المشيخة ـ مجلة (سبيل الرشاد) التركية، العدد (٤١٩ ـ ٤٢٠) الصادر في ٦ من شهر رمضان سنة (١٣٣٧هـ) الموافق ٥ حزيران (يونيو) (١٩١٩م)، ص٢١.

(٢) هو الأستاذ خالد لطيف جابا.

ومؤمناً بكلّ ما جاء به النبيُّ الكريم ﷺ من الله تعالى .

والاختتانُ ليس من واجباتِ الإسلام، وإنما هو من السنن التي حَثَّ النبيُّ ﷺ أمّته على امتثالها، وهو من شعائرِ المسلمين، وفيه فوائد صحية، ونظافة مدنية، وكثير من الغربيين يُقلِّدون المسلمين في الاختتان، وليس فيه خطرٌ ولا صعوبةٌ، ولاسيّما للأطفال، ومع هذا فمن أسلمَ ولم يَختتن لِتوهُّم الخطر فيه، فلا يكونُ ذلك مانعاً من إسلامه .

واحتجابُ المرأةِ من واجبات الإسلام، وعلى المسلم والمسلمة الإيمان به واعتقاده حقّاً، وقد نطقَ به القرآن الكريم، إلا أنَّ المرأةَ المسلمةَ لو قصَّرت في واجب الاحتجاب، معترفةً على نفسها بالذنب، فلا تخرجُ من الإسلام، وتُعتبرُ مسلمةً مُقصِّرةً، فإذا أسلمَ المنبوذون والمنبوذات، ولم يُراعوا واجبَ حَجْبِ نسائهم، يكونون مسلمين على قدر إسلام نساء الطبقة الراقية العصرية، التي تركت الحجابَ، وتكون نساؤهم كنسائهم .

أمّا إنْ أسلموا بـ(المناقصة) أي بشرط ألاَّ يتعهَّدوا بالعمل ببعضِ أحكام الإسلام، فإنَّ الإسلامَ يُفسِدُه اشتراط (المناقصة) من طالبه، بل يفسد أيضاً دين المُفتي النازل على شروطِ الطالب، فلا يجوزُ أن يقولَ أحدٌ، ولا يجوزُ أن تقولَ جماعةٌ قليلةُ العددِ أو كثيرتُه : «أسلمنا بشرط ألاَّ نعملَ ببعض الواجبات الإسلامية». ولا يُفتِ مفتٍ بإعفائهم منه، وما مِنْ حقٍّ أحدٍ في الإسلام أن يتنازلَ عن حكمٍ من أحكامه»[١] .

---

(١) فتوى شيخ الإسلام في مسألتي الختان والحجاب للمنبوذين ـ مجلة (الفتح)=

٣ـ في مسألة تشريح الميت:

وجاء إلى الشيخ في الفترة المُتَخلِّلَة بين نشر الجزء الأول من كتابه (موقف العقل) ونشر الأجزاء الباقية منه خطابٌ طويلٌ من أحد القُرَّاء من بغداد، يُغدِقُ فيه الثناءَ عليه، ويُغالي فيه، فَيُلَقِّبه بفقيه الأمّة، ويسأله عن حكم تشريح الميت رغبةً في خدمته المشهودة لعلم الطب، ويَبسط فيه كثيراً من الأحاديث النبوية الدالَّة على وجوبِ احترامِ الميت، وصيانة أعضائه[١].

ويُجيبُ الشيخُ على سؤاله فيقول ما نصّه: «إنِّي أستكثرُ لنفسي لقب الفقيه بله فقيه الأمة، وإن كنتُ أميل في هذه المسألة إلى التجويز بشرط عدم الإسراف والاستهتارِ في العبثِ بأعضاءِ الميتِ، التي يُوجبُ الإسلامُ صيانتَها واحترامَها في الأحاديث النبوية المبسوطة في خطاب القارئ»[٢].

* * *

= العدد (٥١٠) الصادر في ٢٥ جمادى الأولى سنة (١٣٥٥هـ) الموافق ١٣ آب (أغسطس) (١٩٣٦م)، ص١١.
قلت: ما قاله شيخ الإسلام في مسألة الإسلام على شرط فيه نظر. انظر: عمدة التحقيق في التقليد والتلفيق للعلامة محمد سعيد الباني، ص٢٢٠. (الناشر).

(١) لم يُورد مصطفى صبري نصَّ خطاب السائل الذي بسطَ فيه تلك الأحاديث النبوية، وإنَّما أشار إليه فقط.

(٢) موقف العقل: ٤/ ٣٨٧.

الملحق رقم (٧)

الوثـائق

هذه بعض الوثائق والأوراق المهمة التي لها علاقة وثيقة الصلة بموضوع البحث، والتي حصلتُ عليها من خلال الرحلات العلمية، التي قمتُ بها إلى مصر وتركية، وأنشرها هنا مرتَّبةً بحسب ورود موضوعاتها في ثنايا البحث، ولكنّي قبل ذلك أذكر ـ فيما يلي ـ تعريفاً موجزاً بكلٍّ منها، مع بيان أرقام صفحاتها:

* * *

سایهٔ دیا ثوایهٔ حضرت پادشاهیده اون اوچ سنه دنبری فاتح جامع شریفنده تدریس ایتمکده اولدیغم علوم عالیه
وآلیه‌نك بو سنهٔ مبارکه‌ده بمنه الکریم واصل حد اختتام اولمسنه مبنی دعوات خیریهٔ حضرت خلافتپناهیلرینه
تردیفاً و دأب قدیم علمایه توفیقاً اجازت رسم متیمننك اجراسی علی الاصول مقام عائدینه عرض و استیذان
ایدیله‌جکی محقق ایسه‌ده عبد داعیلری درس وکالتنجه یالکز «فاتح درسعاملرندن» عنوانیله داخل دفتر ایدیلوب
بنده‌کان شاهانه‌لری عداد مفخرت نهادنده بولندیغمه دائر صراحت ویرلمدیکمی استخبار اولنمغله آریجه عرض
واستیذان ایدیلمکی جملهٔ وظائف عبودیت وصداقتدن بیلدیکم معروضدر. فرمان

عبد مملوکلری کتابی حضرت شهریاریلرندن
وفاتح درسعاملرندن. مصطفی صبری

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل مداد العلماء
افضل من دماء الشهداء
والصلوة والسلام على سيدنا
محمد اعلم الانبياء وعلى آله
واصحابه نجوم الاهتداء اما
بعد فان جماعة من اخواني في الدين
ورفقائي

ورفقائي في تحصيل اليقين
قد احسنوا ظنهم في حق هذا العاجز
اذ حضروا ناديه وارجو من الله
انه كان في هذا الشان هاديهم
وهاديه فكل واحد منهم قد
حظي عندي من العلوم ما هو له
مقسوم ثم اراد ان يصلح له
ويتبع سنن من قبله فان من لا
سند له كمن لا نسب له فاجزتهم
وقلت لهم اتقوا الله ويعلمكم الله
فهذا شرط المجازي لا غير نعم ولا ضير

ان لايبسوني من دعاء الخير خص
مولاء الاخوة الكرام فرغ عن المودة
والاحترام العالم اللبيب
والفاضل الاريب حاجي سليمان
سامي افندي ابن اسماعيل الولدغوئي
اسعده الله في الدارين واولاه
وجعل الخير خيرا من اولاه اجزته
كما اجازني استاذ الاساتذة
ومرجع الجهابذة من لا يدانيه
في ذاته مدان ولا يساويه
السعدان الحائز بمنتهى

الرتبة العلمية وكيل الدرس في
المشيخة الاسلامية احمد حمدي
افندي الكوملجنوي رفع الله
قدره وشانه وصانه عما شانه
حسبما اجازه الاستاذ العالم العلامة
والنحرير الفهامة عبد الرحمن القربن
آبادي ثم اني قد كنت في ريعان
عمري واوائل امري مغرما
بطلب العلوم بل ومبرما اليه
من قبل والدي المرحوم فما نظرت
في رياض الشباب الى خير افنان

مراد

الفنون واوراق الكتاب فاعددت من تلك الخزانة رأس مالي
وكأني غدوت من مجرامي الى حجر المدارس وقضيت أكثر آمالي وهو اندى سار
وتدوت في دكاب من هو في هذا الميدان بركات نشره الركبان وصار انسانا
فارس فقرأت الصرف والنحو عين الكمال وعين الانسان من
وشطرا من المنطق على العالم البارع لا استطيع بوصفه الحرى محمد
والكامل المتورع احمد افندي امين القيصري متع الله بحبانه
التوقادي الشهير بذونيه زاده الطالبين ان الزمان بمثله لضنين
جعل الله نوال رحمته ورضوانه رجعنا الى ما نحن بصدده
زاده ثم ارتحلت الى منبع هذا المنهل واخذ المولى عبد الرحمن القرين آبادي
واصله الثابت واختصصت بمجلس المار ذكره من اعلم العلماء وفريد دهره
نبضه اختصاص الناعت ووحيد عصره السيد

فاعددت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علمنا ما لم نعلم واسعدنا بتعليم
العلوم واكرم والصلاة والسلام على سيدنا
محمد المرشد للامم وعلى آله واصحابه القادة
السادة اولي الهمم وبعد فاعلم وفقك
الله تعالى وايانا لطاعته ان السبب لنيل الكرامات
العلية والمراتب البهية والمقامات السنية هو
العلم الشريف وقد ورد في فضله آيات
واحاديث كثيرة وحيث كانت انساب العلوم
اسانيدها رغب اهل السداد في تحصيل الاسناد
وممن رغب في وصل سنده باسانيد مشايخي
الفاضل المتفاضل والعالم الكامل الاستاذ
الجليل الشيخ محمد حسن [illegible]
[illegible] حفظه الله وجعل آخره

اولى من اراده ووفقه لجميع ما يرضاه فانه استجازني

في العلوم فاجزته بها اجازة عامة بالشرط المعتبر

عند اهل الاثر كما اجازني استاذ الاساتذة وعمدة

الجهابذة الشيخ احمد عاصم بن محمد الكوملجنوي وكيل الدرس

بالمشيخة الاسلامية حسب ما اجازه العالم المحقق

والفاضل الكامل المدقق الواقف على اسرار العبارات

والاشارات على اسلوب الحكيم عبد الرحمن بن الحسين

القرينا آبادي وكان ذلك الفاضل مجازا من

اعلم العلماء فريد دهره ووحيد عصره السيد علي

ابن عمر القوديني وكان ذلك الفاضل مجازا من قدوة

العلماء وبرهان الفضلاء ابراهيم بن محمد الاسيري الوردي

وكان المرحوم مجازا من العالم المحقق والحبر المدقق

الحاج عبد الرحيم بن يوسف الاكوي وكان هو مجازا

من اخيه الحكيم المحقق والفيلسوف المدقق محمد بن يوسف

— ۱۱۱۲

توجيهات عسكريه

محمد وحيد الدين

دار الحكمة الاسلاميه‌ده منحل اولان اعضالغه توقاد مبعوث سابقی مصطفی صبری افندی تعيين اولنمشدر .

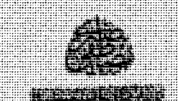
بو ارادهٔ سنيه‌نك اجراسنه مشيخت مأموردر .

۱۲ صفر ۱۳۳۷   ۱۲ تشرين ثانی ۱۳۳۴

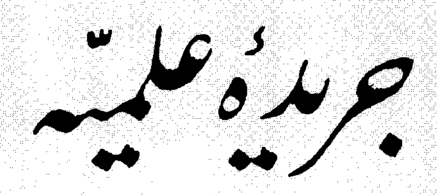
شيخ الاسلام

ابراهيم حيدری

* * *



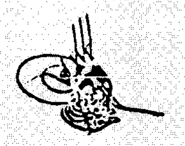
-۱۳۳۱-



مشیخت جلیلهٔ اسلامیه‌نك جریدهٔ رسمیه‌سیدر

رجب ۱۳۳۷

[illegible] سنه — آیده بر نشر اولنور — عدد ٤٥



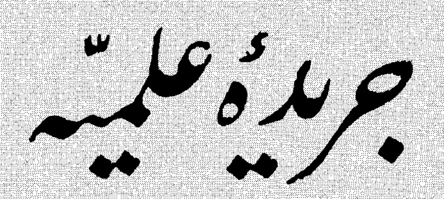
خط همایون

وزیر معالیسمیرم فرید پاشا

توفیق پاشانك وقوع استعفاسی و سزك دركار اولان اهلیت و درایتكزه بناءً مسند صدارت عهدهٔ كفایتكزه و مشیخت اسلامیه دخی دار الحكمة الاسلامیه اعضاسندن مصطفی صبری افندی عهده‌سنه توجیه قلنمشدر قانون اساسینك یكرمی یدنجی ماده‌سی موجبنجه تشكیل ایده‌جككز هیئت جدیدهٔ وكلانك تصدیقمزه عرضنی اراده ایلرم ،

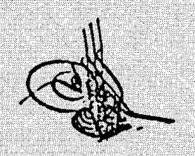
احوالك اهمیت فوق العاده‌سی دولتمزك تأمین سلامتی ایچون او نسبتده غیرت و فعالیت ابرازینی ایجاب ایتدیرمكده اولدیغندن رفقاكزله بالاتحاد بو اوغورده بذل جهود ایتمكز مطلوب قطعی شاهانه‌مزدر من الله التوفیق ۱ جمادی الآخر ۱۳۳۷ ٤ مارت ۱۳۳۵

محمد وحید الدین



مشیخت جلیلهٔ اسلامیه‌نك جریدهٔ رسمیه‌سیدر
رمضان ١٣٣٧

یدنجی سنه   آیده بر نشر اولنور   عدد ٤٦



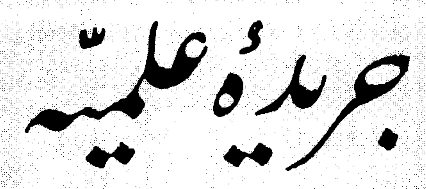
خط همایون

وزیر معالی‌شیمیم فرید پاشا

هیئت وکلانك استعفاسی قبول اولنه‌رق مسند صدارت تجدیداً عهده‌کزه توجیه ومشیخت اسلامیه دخی مصطفی صبری افندی عهده‌سنده ابقا ایدلمش وقانون اساسینك یکرمی یدنجی ماده‌سی موجبنجه تشکیل ایله‌دیککز هیئت وکلا لدی‌العرض اقتران ایتمشدر شوآن مهمده باشلرنده ملتك سینه‌سندن تحصل ایتمش التی بچوق عصرلق بر خاندانك رئیسی بولنان ونفسنجه هردرلو فداکارلغه آماده اولان خلیفه‌لری وپادشاهلری بولندیغی حالده بالعموم افراد ملتك امل یگانه‌سی حقوق دولت وملتك تمامیٔ محفوظیتندن عبارت اولدیغندن بو امل قدسیٔ ملتك تطمینی ایچون سوك درجه‌ده فداکارانه وعزمپرورانه صرف مساعی ایتمکزی صورت قطعیه‌ده اخطار ایله هر حال وکارده توفیقات الهیه‌یه استناد وروحانیت رسالتپناهیدن استمداد ایلرم .

١٨ شعبان سنه ١٣٣٧   ١٩ مایس سنه ١٣٣٥

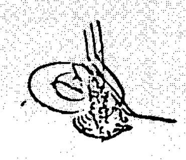
محمد وحید الدین



مشیخت جلیلهٔ اسلامیه‌نك جریدهٔ رسمیه‌سیدر

ذی القعده ۱۳۳۷

برنجی سنه   آیده بر نشر اولنور   عدد ۴۸



خط همایون

وزیر معالی‌سمیرم فرید پاشا

هیأت وکلانك استعفاسنی قبول اوله‌رق مسند صدارت تجدیداً عهده‌کزه احاله
ومشیخت اسلامیه‌یی دخی مصطفی صبری افندی عهده‌سنده ابقا ایلدم. حال و زمانك
درجهٔ معلوم اولان اهمیتی ایجابنجه معاملات دولتك سلامت و سرعت تمشیتی تأمین
ایچون هیأت وکلانك هیچ بر فرقه‌یه منسوب اولمیان بیطرف و متجانس ذواتدن تشکیلی
لزومنی گوردیکمدن وارسای جامع اوله‌رق قانون اساسینك یکرمی یدنجی ماده‌سنه توفیقاً
تشکیل ایتدیککز هیأت جدیده‌نك مأمورینلری تصدیقمزه اقتران ایتمشدر. شو آن مهمده
داخلاً و خارجاً حائز بولندیغمز مهالك و مشکلات وظیفه و مسئولیتی مدرك اولان
هیأتکزك پیش نظر دقته آله‌رق خارجه قارشو حقوق دولت و ملتك تمامی محافظه‌سی
و داخل مملکتده سکون و انتظامك تأمینیله هر طرفده نفوذ حکومتك احساس و بر
طاقم افراد ملت آره‌سنده دخی کمال تأسفله مشاهد اولان آثار شقاق و نفاقك کلیا
ازاله‌سیله بین الاهالی آهنك و وحدت و وفاقك اعاده‌سی امرنده لازم گلان تدابیر و اجراآتده
دقیقه فوت ایدلمامسی حب وطن و وطن‌پروراندن شدتله منتظردر. جناب قادر مطلق
وطنك سلامتی ایچون مصروف اوله‌جق مساعیکزده موفق بیورسون آمین

۲۲ شوال ۱۳۳۷   ۲۱ تموز ۱۳۳۵

محمد وحیدالدین

مشيخت مكتوبجيسى محمد امين بكه ترفيعاً حرمين محرميتى پايه‌سى توجيه اولنمشدر .
بو ارادهٔ سنيه‌نك اجراسنه مشيخت مأموردر
فى ٦ جمادى الآخره سنه ١٣٣٧ وفى ٩ مارت سنه ١٣٣٥
شيخ الاسلام
مصطفى صبرى

* * *

محمد وحيد الدين

منحل بولنان دار الحكمة الاسلاميه اعضالغنه درسعادتده دار الخلافة العليه ... مدرسه‌سى مدرسلرندن راسم افندى تعيين اولنمشدر .
بو ارادهٔ سنيه‌نك اجراسنه مشيخت مأموردر .
فى ١٠ جمادى الآخره سنه ١٣٣٧ وفى ١٣ مارت ١٣٣٥
شيخ الاسلام
مصطفى صبرى

* * *

محمد وحيد الدين

منحل بولنان دار الخلافة العليه سليمانيه مدرسه‌سى حديث شريف مدرسلكنه طبقات قرا و مفسرين مدرسى عبد الفتاح افندى نقل و آنك يرينه درسعادتده ... زاهد افندى تعيين اولنمشدر .
بو ارادهٔ سنيه‌نك اجراسنه مشيخت مأموردر .
فى ١٠ جمادى الآخره ١٣٣٧ وفى ١٣ مارت ١٣٣٥
شيخ الاسلام
مصطفى صبرى

* * *

محمد وحيد الدين

الآى مفتيلكندن متقاعد حسن فهمى و عسكريه محكمه‌سى ... خلفلرندن
يوسف شاكر افنديه ترفيعاً مخرج پايه‌سى و بالباده محكمهٔ شرعيه‌سى ... عمره

خدانی وحاجی یونس افندی برادر زاده‌سی مصطفی بهجت ودارالخلافةالعلیه مدرسه‌سی مفتش معاونلرندن حسن معروف افندیلره ازمیر پایهٔ مجردی توجیه اولنمشدر .

بو ارادهٔ سنیه‌نك اجراسنه مشیخت مأموردر .

فی ٢٢ جمادی‌الاخره ١٣٣٧ وفی ٢٥ مارت ١٣٣٥

شیخ‌الاسلام
مصطفی صبری

* * *

محمد وحیدالدین

مدرسةالقضاة مدیری بحری افندی عزل وبرینه مدرسهٔ مذکوره مأذونلرندن ومعلمین سابقه‌سندن کاپیلی منیر افندی تعیین اولنمشدر .

بو ارادهٔ سنیه‌نك اجراسنه مشیخت مأموردر .

فی ٢٢ جمادی‌الاخره ١٣٣٧ وفی ٢٥ مارت ١٣٣٥

شیخ‌الاسلام
مصطفی صبری

* * *

محمد وحیدالدین

دارالحکمةالاسلامیه اعضاسندن رغمولی جودت ومجلس مشایخ اعضاسندن یانیه‌لی جودت افندیلر مأموریتلرندن عفو ودارالحکمةالاسلامیه اعضالغنه مدرسهٔ سلیمانیه فقه مالکی مدرسی محمدزیتی ومجلس مشایخ اعضالغنه الحاج مصطفی خاکی افندیلر تعیین اولنمشدر.

بو ارادهٔ سنیه‌نك اجراسنه مشیخت مأموردر .

فی ٢٣ جمادی‌الاخره ١٣٣٧ وفی ٢٦ مارت ١٣٣٧

شیخ‌الاسلام
مصطفی صبری

* * *

محمد وحیدالدین

بابا اسکیل مصاقی خوبه‌لی حسین حسنی تزانلی حسن افندیلره استانبول مدرسلکی رؤسی توجیه اولنمشدر .

Osmanlı Meclisi Mebusanı

S. No. 234

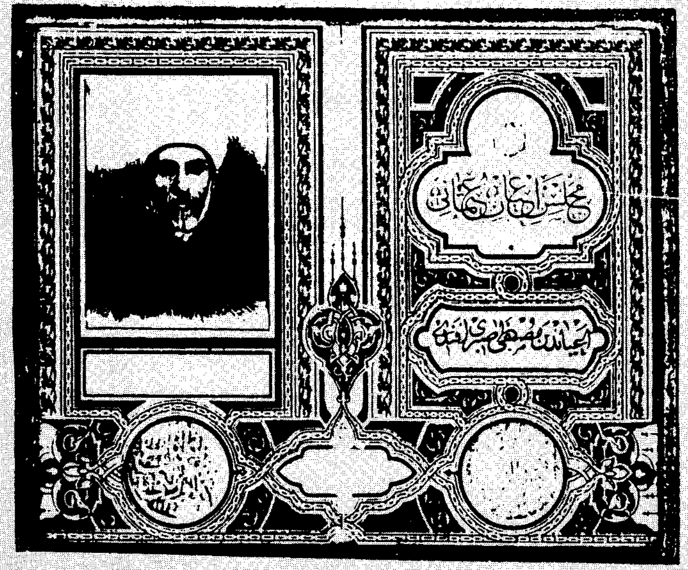
Devre :		1
İntihap dairesi		Tokad
Mebusun ismi		Mustafa Sabri Efendi
Babasının adı		—
Doğduğu yer ve tarihi		—
Tahsil durumu		—
İntihaptan evvel bulunduğu iş veya memuriyeti		—
Mazbatasının	Rey adedi	17
	Tarihi	30 Teşrinievvel 1324
	Mecliste tasdik tarihi	— Kânunuevvel —
	Ayrılış tarihi	5 Kânunusani 1327

Ülkeye bu iyiliği yapmıştır

مجلس مبعوثان عثمانی

توقاد مبعوثی مصطفی صبری افندی

١٣٢٤-١٣٢٧



مجلس اعیان

اعیان کرامندن مصطفی صبری افندی حضرتلرینه

١٥١

عهدنامهٔ منعقدهٔ سیاسیه قونفرانسنک صلح جوابی دیوان ریاستنه اعطاسیله حضور پادشاهیده عقدی

تقرر ایدن اجتماع مخصوصده حاضر بولنمق اوزره یارین یکشنبه

پنجشنبه کونی ساعت ایکی بچقده یلدیز سرای همایونه عزیمت بیورلمسی باخصوص

رجا اولنور افندم ١٠ حزیران ١٣٣٦ [illegible]

[illegible]

باب عالی
صدارت عظمی

امور مهمه قلمی

١٢٥

شیخ الاسلام مصطفی صبری افندی حضرتلرینه

معروض چاکر کمینه‌لریدر

مدت غیبوبت شاهانه‌ده [illegible] افندی حضرتلرینک طرف عالی مشیختپناهیلرینه وکالتی ایفاسی خصوصنه دائر [illegible] اراده سنیه حضرت پادشاهینک ترجمه‌سی [illegible] اولباده امر و اراده حضرت من له الامرکدر. [illegible]

صدراعظم
داماد فرید

مصلحة التلغرافات المصرية EGYPTIAN STATE TELEGRAPHS

No. ١١٧٦

21 NOV 1922

To: الشيخ مصطفى صبري والعلماء بالولاية
كمالية بالاستانة

ليست حدودنا مأوى للحركة الانقلابية الذين خانوا الاسلام والمسلمين فهم الطغيان [illegible] كما
[illegible] ٥٤٠ [illegible] كل [illegible] الزعماء من قبلكم فلا بد
من البرهان ذلكم خير لكم [illegible] مدرسة العزة [illegible]

No. نمرة	Orig'l No. نمرة اصلية	Words كلمات	Date Stamp ختم المكتب
٨	٥٤	٤٣	19 11 22

Office of Origin مكتب الصدور	Date تاريخ	Time وقت
دمنهور		٥ق ٥٠

REMARKS ملحوظات

G. 14 EGYPTIAN STATE TELEGRAPHS مصلحة التلغرافات المصريه

To الى

مصطفى صبري افندي شيخ الاسلام السابق تركيا وعوانه

المرحوم جديد معه ٤ باللوكنده الكمالية باسكندريه

مصر تنكركم وتطالبكم بالرحيل العاجل لانها لا تتحمل وجودكم ولا تقبل ايوائكم

فاذهبوا فتشوا لديكم الا حيث لا يوجد الشعور ولا يعرفوا الوطنية

محمد يوسف النشار

بدمنهور

E.S.R.—1171—23-23—10 000×200

القاهرة في ٢٣ ربيع الثاني ١٣٤٦

سيدنا صاحب الفضيلة

مصطفى صبري افندي صاحب المشيخة ...

أيد عزيمتكم شكر المصريين لكم. وقد فرح بمقدمكم

[illegible] من وقفة الشهداء [illegible]. ورضاكم

[illegible] ومصر [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ١٣٤١ [illegible]

[illegible]

[illegible] عن أهل مصر

[illegible]

دولة الرئيس المعظم،

بعد أداء ما يليق بجنابكم السامي من أزكى التحيات وأخص التسليمات العاطرة فإني أبدي أني أصل إلى سورية لحاجة تتعلق بصحة أهلي وعيالي كما أني قدمت بيروت قبل أشهر قبل هذا بسبع سنين فاستفدت كثيراً في صحة أهلي. وقد سمعت أن قناصل سورية لا يعطون جواز السفر إليها لأحد إلا بإذن من حكومتها فالرجاء من فضل دولتكم أن تأمروا قنصل فرانسة بباريس بأن يعطي الجواز للذين تجيء أسماؤهم في طي الكتاب بسرعة وأشكركم بالامتنان المسؤول أن لم تعدوا حرباً بأمر كهذا في منع أعظم أركان الدولة العثمانية التي كانت ملاذاً للإسلام ستة قرون من الدخول إلى بلادكم المحروسة.

وبهذه المناسبة أرجو قبول احترامي الفائق هذا ودمتم سيدي الجليل ودامت دولتكم.

باريس في ٨ ربيع الأول ١٣٥٠ وفي ٢٣ يوليو ١٩٣١.

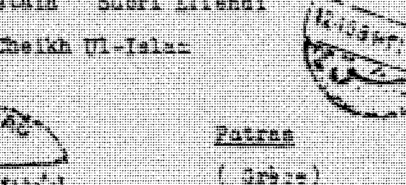
شيخ الإسلام السابق

الداعي لكم

مصطفى صبري

دولة سورية
رئيس الوزارة

سماحة الاستاذ الكبير مصطفى صبري افندي شيخ الاسلام السابق المعظم



M. Moustafa Sabri Effendi
Ex-Cheikh Ul-Islam

Patras
(Grèce)

دولة سورية
رئيس الوزارة

صاحب السماحة الاستاذ الكبير

بعد التحية والاجلال اعرض اني تشرفت بكتاب سماحتكم تاريخ ٨ ربيع الاول ١٣٥٠ فبادرت الى مراسلة المرجع الايجابي وشرحت له بالتزام كان ما يجب فاجاب بمزيد الاسف ان الظروف الحاضرة تحول دون اجابة ملتمس سماحتكم متخذا ماذكر وسيلة لتقديم احترامي وتأييد عواطفي لشخصكم الوقور

دمشق ١١ تشرين الاول ٩٣١

محمد تاج الدين

حضرة مولانا العلامة الاكبر صاحب السماحة السيد مصطفى
صبري شيخ الاسلام السابق الافخم زاد الله تعالى فضله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد رفعت لحضرتكم الجواب عن
كتابكم الكريم في ٢٦ جمادى الاولى الماضي ثم قدمت الى حضرة الاستاذ
الكبير رضا توفيق بك الكتاب الذي قدمتموه اليه وبعد فترة ايام زرت منزله
جونية وزارني ولدى المذاكرة معه في قضيتكم راينا ان السلطة
الافرنسية لاتسمح لاحد بدخول سوريه وغيرها الا اذا طلب منها
ذلك فوعدني البك المشار اليه بانه هو يخبركم بذلك لاجل ان
ترسلوا الطلب ضمن كتاب منكم الى حضرة المسيو بونسو المفوض السامي
وقد بلغني انه انجز وعده بتقديم الخبر لكم في جوابه على كتابكم .
ولكن طلبكم تأخر ونحن بانتظاره ولذلك توجهت في ١٦ رجب
الجاري الى مكتب المسيو بوشيد مدير الامن العام في بيروت وطلبت
منه بعد اعلامه برغبتكم في سكنى حلب ان يكتب الى قنصل فرانسا
في باتراس لاجل اجراء التأشير على جواز سفركم الى سوريه مع
اسرتكم الكريمة فاجاب بقوله يلزم سماحة شيخ الاسلام ان
يكتب طلبا ويقدمه للمفوض السامي وحينما يتحول الي اعطي الامر
لقنصل فرنسا باجراء التأشير على جواز السفر .
وبناء على ذلك نؤمل منكم ان ترسلوا الينا كتاب الطلب حالاً
حتى نقدمه لفخامة المفوض السامي وبالختام نقدم لسماحتكم تحية الاحترام
والسلام حرر يوم الاحد ١٩ رجب سنة ١٣٥٠
و ٢٩ ت ٢ سنة ١٩٣١

مفتي بيروت
مصطفى نجا

الجمهورية – ١١

فقيد العلم والاسلام المغفور له شيخ الاسلام مصطفى صبرى افندى

مصطفى صبرى افندى

الأهرام – ١٩٥٤/٣/١٨ – ١١

وهبة جرجس

مصطفى صبرى افندى

شيخ الاسلام تركيا السابق

الشيخ مصطفى صبرى

مصطفى صبرى افندى

– ١١

وفاة عالم مجاهد

ویردكلری زمان شائبهٔ التماس اولدیغندن قاضی رد سلام ایتمز. وحکم ایچون قاعدین اولان کسلره قاضیده اعطای سلام ایتمز. زیرا قاضی‌یه التزام مهابت، محافظهٔ حشمت لازمدر. بوش اولان خانه‌لره، جوامع ومساجد شریفه‌یه، دخولده (السلام علینا وعلی عبادالله الصالحین) دیمك لازمدر. سلام ویرمك سنت رد سلام فرض وواجبدر. لكن سنت اولان اعطانك واجب اولان رددن ثوابی اکثردر. چونکه معطیٔ سلام اولان کسه، رد سلام ایدن اخوانه بر واجبك اداسنه سبب اولمشدر. سلام ویره‌نك جهر ایتمسی لازمدر. رد ایدن ایچون اودرجه جهر ایتمامك عندالحنفیة ملتزمدر. خلاصهٔ کلام، شو تبشیرات ایله ختم مقال ایدرم که جنت اعلاده مؤمنه جناب حقك اعظم عطیه‌سی سلامدر. وسنة المسلمین اولان (سلام) اهل جنتك‌ده تحیه‌سیدر. شو آیات جلیله‌ده بونی مبیندر: سلام قولا من رب رحیم. دعواهم فیها سبحانك اللهم وتحیتهم فیها سلام.

بایزید جامع شریفی
درسعاملرندن
حاجی نجیب

دین اسلامده هدف مناقشه اولان مسائل

مقدمه

[طوغری بر دینك بعض احکامی یاکلش اوله‌ماز — دین اسلام نه ایله محاکمه ایدیلیر؟ — اسلامیتده استخدام اولنان علوم وفنوندن حکمت، منطق — مدارسده طرز تحصیل — علومده تعیین موضوع وغایت مسئله‌لری — قرآندن احکام فقهیه استخراجی — صوم وصلوة کبی عبادات موقوته‌ده حسابات تجربه ایله نیچون عمل ایدیلیور؟.]

چوق زمانلرده بعض انسانلره تصادف ایدیلیرکه بونلر کندی عقللرنجه، تعدد زوجات، تستر نسوان، طلاق، فائض، سیگورطه، قمار، چالغی، اصول وراثت، زکوة کبی بر طاقم مواد حقنده‌کی احکام اسلامیه‌یی شایان انتقاد کوره‌رك دیللرینه طوللامشلردر. بونلرك بر قسمی بتون احکام اسلامیه‌یه خصم اولدیغی حالده اینه بویله بعضیلرینی وسیله اعتراض اتخاذ ایتمشدر. ودیکر قسمی ایسه احکام اسلامیه‌دن برچوقلرینك قدر ومحاسننه واقف اعترافاتده بیله بولنه‌رق بالعکس. بو دین عالی‌یه بر نقیصه کبی تلقی ایتدیکی بعض احکامك تعدیلنی غریب بر خلوص نیتله آرزو ایدر، وبو خصوصده قباحتی دینه‌می یوقسه علماسنه‌می یوکلتمك لازم كله‌جکنی پك تعیین ایده‌مز.

اینه بز بوکبی مسائل شرعیه‌یی بیردربی موقع بحثه وضع ایله کوجمز یتدیکی قدر مدافعه‌ده بولنه‌جغز.

اولا شونی بیلمك اقتضا ایدرکه: بر دینك یوزلرجه، بیکلرجه، والحاصل بتون احکامنی بکه‌نوب تقدیس ایتمکله برابر بالعکس بر دانه‌سنی، اما اوده دیندن اولدیغی قطعیا ثابت اولان احکامدن بر دانه‌سنی فکرا قبول ایتمه‌مك اوله‌ماز. تعبیر آخرله بر دین، بالعکس بر مسئله‌سنده سقیم وغیر معقول اولدیغی حالده شو تصوریله برابر سائر بتون احکامنه نظرا عالی، سماوی، حق بر دین اولمق قابل دکلدر. بوکبی مسئله‌لرده پك آز علاقه‌دار اولدقلری حالده اك چوق تعقیبات اجرا ایدنلر، دین، بالعکس الهی وپیغمبری تصدیقدن عبارت اولوب پیغمبرك الله تعالی طرفندن کتیردیکی تحقق ایدن بالجمله احکامی تصدیقه متوقف اولدیغنی اونوتیورلر، یاخود هیچ بیلمیورلر.

برچوق انسانلرده واردر که جهت اجرائیه‌سنده قصور ایتدکلری بعض احکام دینیه‌یی — مجرد کندیلری رعایت ایده‌مدکلری ایچون بر فکر خودکامانه ایله — تأویل وانکار ایده‌رك تلافیٔ قصوره چالیشیرلر. حالبوکه شو حرکت اولکندن داها بیوك بر قصور، عفوی غیر قابل بر قباحتدر. چونکه بر متدینك، حسب البشریه بتون احکام دینیه‌یی اجرا ایتمسی ضروری اولمدیغی حالده هپسنی فکرا قبول ایتمك، حق بیلمك لازمدر. اینه بو دقیقه‌لری ادراك ایدیله‌مه‌سی محرومیت توفیق

قالير بر جاده يالڭز آب تاني
دكر بيك جاده بر قيمت ارزاني
بزلمز چكمسون آرتق عدواني
قوپه داملر عدو بو حرابي
وطن دوشمش فراق احتضاره
روامی اولمدن سوقی مزاره

§

بو ايش شيمدى عمومى زار وناچار
ايدركن بزى استقلاله ايثار
حياتدن بو گون اولسوق بيزار
نه انسانى ، نه بزرگى خونخوار
وطن دوشمش فراق احتضاره
روامی اولمدن سوقی مزاره

§

بو آرتق بر بو خواب غفلت
قالير خسرمى موسسون ضلالت
مرايا خيالمش ملكى سعادت
بوكا افسوس سباى عصمت
وطن دوشمش فراق احتضاره
روامی اولمدن سوقی مزاره

§

نه اولمق فكر ايتك ايتك ازلدن
كيتك ايچون شخصى وجهلدن
كفالى ايتك ياكى وكيكدن
مقدسدر وطن هر بر ايلدن
وطن دوشمش فراق احتضاره
روامی اولمدن سوقی مزاره

§

وطن خدمت ديرركن بكا لايه
قالمق بر خدمه باطله
دكر كر بكدى كشتى باطلانه
بولدى گوز عبرت اولمق هب جهالت

وطن دوشمش فراق احتضاره
روامی اولمدن سوقی مزاره

§

قوى كاهل ، تنبل وبحث كاهل
دوا بولمق كركمز دردمه شافى
حقوق ايتمكى هم حسن وكلاف
ايچون بر رهبر وفاق واتفاق
وطن بيچاره سن اقر سعد احيا
زى ثابت ايچر حقيقه دنيا

ملازه گوى : ١٠ مارت ٣٢٥

خليل اديب

التفاوت

ردى على مال القول الجيد من الردى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

مقدمه

اربابك معلومى اولديغى اوزره « القول الجيد » مؤلفى ... [illegible] ...
[illegible]

یکی اسلام مجتهدلرینک قیمت علمیه‌سی

قازانلی موسی بیکیف افندینک (رحمت الٰهیه برهانلری) نامنده‌کی اثری
حقنده انتقاداتی حاویدر .

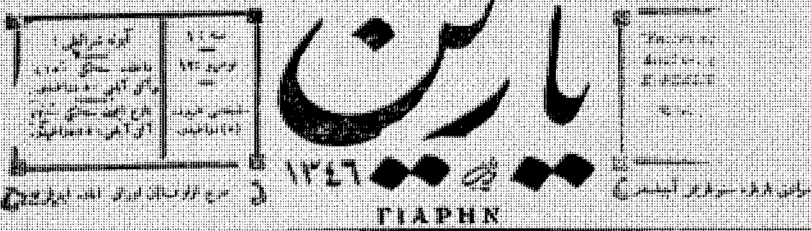


مصطفی صبری

دارالحوزة العاليه

شهزاده باشی : اوقاف اسلامیه مطبعه‌سی.

۱۳۳۷/۱۳۳۵



صوم رمضان

محرری : مصطفی صبری

فدیه ایله چکیشدیرله بیلیر ؟

اجراسنی وظیفه ایدینمه‌مش اولوپ دوزآنك شیمدیکی مساعیسنی بن کیف ایجین فتح میت عملیاتی یاپمغه بکزه‌تیورم . تشبیهده مبالغه بولوندیغنه ذاهب اولایکز . تورك ملتنك وظائف شرعیه‌سی وازجاه اوروجی ، کندیسنه (لاییك) حکومت قبول ایتدکدن وشریعتك حاکمیتنی طانیمامغه قرار ویردکدن صوکرا بر مبرم برمکافیت حاله گلش که سلیمان نظیف وعبدالله شیمدی بو مکافیتك بوکی تخفیفنه چاره آرامق لزومنی حس ایدیورلر ، بوقسه کندیلری شیمدی‌یه قادار هیچ اوروج طوتمامشلرده بودفعه مملکتده پك غریب قالدیغنی کوردکاری دین اسلامه ترحماً بوندن صوکرا اوروج طوتمغه قالقیشالری اوزرینه بومسئله ایله ذهناً مشغول اولدقلری اثناده‌می فدیه اصولنه دسترس اولمشلر ؛ یاخود شو صیراده بوبله بحثلری غزته‌لره درشوره‌رك تورکیاده دینه علاقه دارلق کوستریلدیکنی وقرآنه توفیق حرکت اولونمق اوزره آیتلرك معنالری حقنده تدقیقات اجراسندن کری قالینمادیغی فکر وظننی حصوله کتیرمکمی ایسته‌یورلر ؟

بکی کشافلرك اوروج حقنده‌کی نظریه‌سنی علمی برطرزده تنقید وتدقیق ایتمک کوزومه کسدیرمه‌دیکمدن ، مسئله‌یی ، اطرافنده دولاشارق اوزاقدن بالمطالعه جالیشدیغم وارد خاطر اولمق احتماله قارشی ؟ مسئله‌نك ایچنه‌ده کیره‌جکم وآیت کریمه‌نك دلالتی قطعیه نظرندنده . فکرلرینك نه درجه حائز قیمت اولدیغنی کوستره‌جکم . آل ویرکه قارئین کرام ، اوزونجه سوره‌جك برتفسیر بحثك بورایه صیقیشدیریلماسنه مساعده ایتسینلر ، وتوشه‌نه‌یوب دقتله اوقوسونلر . توشه‌نن (اعلالجیلق) دیوب بکر . چونکه نماکتمزده بوبله بر یکی خسته‌لق دها واردرکه بونکده منشای جهلدر . انسان بیلمدیکی شیئه دشمن اولمازمی یا ؟ حال بوکه او اعلالجیلق نامیله لزومسز

کورولن شیلر عرب لسانك تکامله عائد نظریه‌لردر . بولسانك متبعلری یعنی صرف ونحو علماسی بیك سنه‌دن زیاده برزماندن بری بونك ایچین کتبخانه‌لر دولوسی اثر یازمشلردر . شیمدی عربك قواعد لسانیه‌سنی اعلالجیلق فلان دیه‌رك بکنمه‌مکه حقمز وار ؟ حتی بوکه آیتلری ، حدیثلری تدقیق ایدرکن بز بونلره محتاجز . مع مافیه بزه یازاجغمز شو بحثده اعلال فلانده یوقدر ، آنجق هم قاچق ، هم داوول چالمق قبیلندن اولاق اوزره مسائل دینیه‌یه صورت حقدن اعتراض ایدن وهم‌ده بومسئله‌لری مأخذندن تدقیقه یاقلاشمایان ساخته مجتهدلرك معلومز اولان حالی سو... ایسته‌یورز . نهایه بز وظیفه‌مزه باقالم :

ابتدا صوم آیتلرینی تماماً یازالم :

(یا ایها الذین آمنوا کتب علیکم الصیام کما کتب علی الذین من قبلکم لعلکم تتقون ایاما معدودات فمن کان منکم مریضا او علی سفر فعدة من ایام اخر وعلی الذین یطیقونه فدیة طعام مسکین فمن تطوع خیراً فهو خیرله وان تصوموا خیر لکم ان کنتم تعلمون . شهر رمضان الذی انزل فیه القرآن هدی للناس وبینات من الهدی والفرقان فمن شهد منکم الشهر فلیصمه ومن کان مریضاً او علی سفر فعدة من ایام اخر یرید الله بکم الیسر ولا یرید بکم العسر ولتکملوا العدة ولتکبروا الله علی ماهداکم ولعلکم تشکرون .)

یکی مجتهدلرك نقطهٔ استناد واستشهادی : (وعلی الذین یطیقونه فدیة طعام مسکین) قول شریفندن عبارتدر . بناءً علیه بالکز بوجمله‌نك عباره‌سی ومعناسی تحلیل ایدیله‌جکدر . ماقبل ومابعد آیتلری ایسه بوجمله‌یی تحلیل اثناسنده کندیلرینه مراجعت ایجاب ایده‌جکندن صیراسیله یازیلمشدر . شیمدی بن مذکور جمله‌نك معناسنی تاقی ایدرکن نه عبدالله افندینك یاپدیغی کبی فرخ افندینك تورکجه تفسیرینی نه‌ده بوبولك عربجه تفسیرلری اساس اتخاذ ایتمه‌رك ، یعنی اونجه سویله‌مش سوزلرینه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا منتهى لجوده، ولا مبدأ لوجوده، ولا عن كنه ذاته خبر يعلم أفعال القلوب، وما استتر في ظروف الغيوب، وما على الكون ظهر حالات نتائج الأفكار في أطوار أسرار حكمته، وغايات غاية الأنظار بضوء مصابيح رحمته، محمد الذي هو الهادي إلى أوضح المسالك وأدق الأسباب، المتكلم بجوامع الكلم وفصل الخطاب، لب لباب الهداية ونموذج عباب الغاية، عليه صلاة الصلوة وغاية التحية، وعلى آله المجردين عن ملابسات الملبس آل الغير المنزهين عن نحو أثره بالعدل والمعرفة المتجردين عن دمامات المدارس بالإضافة إلى ذاته الشريفة، وأصحابه الذين أنجدوه وأكدوه بالنفس والعين، وجردوا سيوف جازمة، كانوا أسبابا لتعدية أفعاله وأقواله إلينا، فجنتهم لازمة. وبعد فيقول العبد المفتقر العادي إلى رحمة ربه الهادي مصطفى حسين بن أحمد الوقادي: هذه تعليقات وتحقيقات تقطع الوتين عن شبهات لهذا الشرح المتين، سلكت فيها مسلك الاستدلال، وصرت صيال التقليد فإنها أغلال، ولم آل فيها ما حضر لي من نص أو حديث، ومباحث ذات بال أوان خصها الاستعمال، إذ لو كان مهل الزمن لكثير السواد، وصرف المداد لحمدت مصباح الكلام كثير الرماد، وقاربت بيدائه طويل النجاد، ولكني اقتصرت على ما بقي في الزوايا من الخبايا التي لم يتعرض إليها من نظر قبلي من أرباب الحواشي، وضربت صفحا عن الكلمات المقولة المنقولة، اللهم إلا ما أوردته لأن أتكلم عليه، أو أحققه محققا لما بين يديه، أو لما فيه حجة التمسك، لا للاغتصاب والتملك، فإن وقع فيها ما يؤدي إلى فضاحة أو خجالة فليعذر العلماء الكرام فإنها عجالة اختلستها زمن المذاكرة في الغدو والآصال، مع تشتت البال من تحسر النضال على النضال، ومن الله التوفيق في الحال والاستقبال

لا يخفى ما في الديباجة من التلميح إلى أسماء الكتب النحوية الألفية، فإن لبس من نتائج الأفكار، وأطوار الأسرار، وكذا المصابيح النحو، وغاية الأنظار، معارضة لابن هشام وضوء، وأوضح المسالك لابن مالك في النحو، شرح الشذور، وشرح الأسباب، من المؤلفة، وأدق الأسباب، وكذا الأسباب لابن جماعة، وبسط الحاشية، للشيخ الرضي، وهداية الأنباب، وشرحه، ونموذج اللباب، وشرح التسهيل، ونصب وإن السيل في شرح الزمخشري، وفصل للعلامة ابن الحاجب، جوامع الكلم، ثم لا يخفى ما ابتدأ في الشرح من التلميح إلى الخطاب، أفعال القلوب، واستتر في المبتدأ والخبر، والمتكلم مع ظروف، والكون والعلة مع العلة، مع الظروف والفصل، وغاية العلة، والكلم، وفي غايات الاستدلال، في قول الزمخشري، من أعمال الزمخشري، وكذا العامة بعنوان الزمخشري، وغير والتي عليها بإضافة، مع الإضافة وغير والمنسوب، مع الإسلامات، والنحو والإتباع، مانع التجرد، المعرفة، والحازمة، المنصرف، مع العدل، والحروف، والأفعال، الزائدة، بالنصب، والمعنى، واللازمة، والأسباب، التعدية، وغير ذلك من الأقوال من الزاعات، والضائعات

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

جنيف في ١٢ ذي الحجة ١٣٥٢

حضرة سيدي ومولاي صاحب السماحة أطال الله عمره ونفع به

تشرفت بكتابكم الكريم ولا بأس بالتمهل في طبع الكتاب « لماذا تأخر المسلمون » بالتركية الى ما بعد الانتهاء من مهمة قضية أملاككم ولكن الكتاب بالتركي يجب ان يطبع وان أتلذذ به لأنه تركيتكم أبلغ مما هو بعربيتي مهما قيل عني أني أمير البيان — لعمري لا أعرف من أين أتوا به — وإني أريد ان يتوزع هذا الكتاب بالتركي في بلغارستان وتراقية ولا شك انه يدخل سرا الى نفس تركيا وان هذا الكتاب لأقل ما يجب بإزاء اولئك الأراذل الذين قضوا على عقيدة الأمة التركية الكريمة وعلى أخلاقها والذين هم ذاهبون بها الى التنصير حتما فقرارهم في الأول التظاهر باللادينية وبما يسمونه كذبا وبهتانا بفصل الدين عن السياسة وذلك حتى يهدموا الدين الاسلامي من تركيا ويصير هذا البلد عرصة فارغة لا بناء عليها وبعد ذلك يأتي المبشرون الافرنج فيبنون النصرانية. فكان الاسلام حينما يكون الاسلام قد ذهب تماما لأنه كما لا يخفى لا يوجد أمة على وجه الارض تقدر ان تعيش بلا دين وقد رأى هؤلاء الأراذل انهم لا يمكنهم إقامة النصرانية مقام الاسلام رأسا فجعلوها مراحل فالمرحلة الأولى هي محو الاسلام من تركيا بحجة اللادينية الطارئة والمرحلة الثانية ستكون إدخال المبشرين لأجل التنصير وهذا هم يضمرونه الآن عمدا لأن الدين في تركيا لا يزال متينا ولا شك انه ستطول مدة احتضاره فإلى الآن هم ينتظرون حتى يمضي عشر أو خمس عشرة سنة ويخرج جميع الشبان بدون دين ويضمحل الاسلام من الأصول فعند ذلك يعودون الى القول بأنه لا بد من دين وان النصرانية هي ديانة الأمم المتمدنة.

إني منزعج مستاء بالبداهة من هذه الحالة ومن محو الاسلام تدريجا من مملكة كانت هي سيف الاسلام منذ سبعة قرون ولكني معتقد انه لا بد ان يأتي يوم تتطهر فيه تركيا من

هذه التي [illegible] شبان عظيم [illegible] وأحمد حسن منكم [illegible]
[illegible] في فصول كثيرة [illegible] أن [illegible] وهذا العدد [illegible]
[illegible] الكلام من مصادر [illegible]
[illegible] ١٢ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الكلام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] إن شاء الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

بيان الحق   عدد — ١

فی ٩ رمضان سنه ٣٢٦   و فی ٢٢ ايلول سنه ٣٢٤

جمعيت علميهٔ اسلاميه‌نك ناشر افكاريدر .

صاحب امتياز	سرمحرری	مدير مسئول
شهری احمد افندی	**مصطفی صبری**	**محمد فطين افندی**

مندرجات :

آبونه اجرتی

سنه‌لكی ٩٥ التی ايلغی ٥٠ غروشدر

درج ايدلميان اوراق اعاده اولنماز .

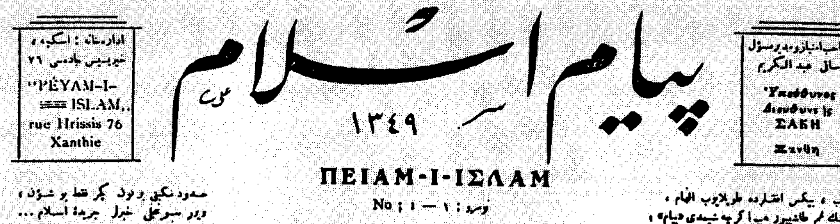
قارئلرمزه :

اكثر مقالاته آيات كريمه و احاديث نبويه درج ايدلمش بولندیغی نظر اعتباره آلنه‌رق رعايتسزلكده بولنلمامسی رجا اولنور .

یارین

ΓΙΑΡΗΝ

ادبیات



ادارەخانەسی : اسکجە ، خریسیس جادەسی ٧٦

"PEYAM-I-ISLAM,"
rue Hrissis 76
Xanthie

پیام اسلام

عربی ١٣٤٩ سنه

صاحب امتیازی و مدیر مسئول حافظ عبد الکریم

Υπεύθυνος Διευθυντής ΣΑΚΗ Ξάνθη

ΠΕΙΑΜ-Ι-ΙΣΛΑΜ

No: 1 — 1 : نومرو

حدود نکبی ورود یکر قطعه بو شوده ،
وپر سبزکل خبرلر جریدهٔ اسلام ...

غرب ، بیکس اقتارده طویلیوب الهام ،
سرشك کم طاشیور هپ اکرچه شیمدی پیام ،

بازار ایرتسی ٢٢ ایلول — ١٩٣٠ | (اون بش گونده بر نشر اولونور مستقل فکرلی مسلمان غزتەسیدر) | بازار ایرتسی ٢٧ ربیع الآخر — ١٣٤٩

یکی اسمك شرفنه

اسلام یازیسی ایله یکی تورك یازیسی آرەسنده بر مقایسه

آرەت ، غزتەمزك یکی اسمی هرفته ، رفتیه اسلامیت وحکمت مصلحت نامەکلی مضرتلرندن بحث ایلە اوزون مقالەلرده تنقید ایتدیکمز یکی تورك یازیسنه ، لاتین حرفی مسئلەسنه بر آز مودت ایدییورز .

لاتین حرفیلە یازیلان یکی تورك یازیسی ، اسلام یازیسی اولمادیغی کبی تورك یازیسی دە دکلدر . بالخود بو یازی تورك اولمایان تورك یازیسیدر . چونکه یکی تورك ، دینی وعادات وحسیاتی ترك ایدرکن تورکلکندن چوق شی غائب ایتمش اولدیغی کبی ، بو یازی ایلە ده خلقك یازیسنی غائب ایتمش ونهایت اله قالان لسانی ده تخریبه معروض براقمشدر . لاتین یازیسندن سوکره تورکك لسانی وشیوه تلفظی بوزولدیغنی ، استانبولدەکی تورك ادبلری اعتراف ایدییورلر .

دها دوغروسی لاتین حرفی نه اسکی تورکك ، نه ده یکی تورکك یازیسی دکلدر . بو کوکی مکرمەلك یازیسیدر . زور ایلە تورکە مال ایدیلمك ایستنیلیور . کوزی وکوکلی اولدیغی یازی ایلە اسلامی اولان تورك ، بونلرك نتایجی آلتنده لیورانیور . بو یازی‌یی نه قدر اوکرەنسه بیله اوکا کوزی آلیشامیور ، قلبی ایصینمیورلر . ایجرەدەکیلر جبر لرتبه اوکرەنیورلر . فقط اوکرەنلرك رغما اراوروب یازمقدن کیلیورلر . تورکیا مطبوعاتی افلاس ایدییور . حالك ایکی مختلف میلوتزلە ومیچ اوقلازده یوز بیکرلە سیتان غزتەلری بولونورکن اکثرەتلك اك مهم غزتەسی اولان (حاکمیت ملیه) اوتیوز الفی بیشدن زیادە صاتیلمیور . بو رقملری تورکیا غزتەلرندن آلهرق یازییورلر .

داخلەکیلر امر وجبر آلتنده لاتین یازیسی بوبرلبه کرکلمر اداته ایدییورلر . دیکی آدیم واستانبول خارجەکی ایرتل کرکلیلرده حالا ایکی جنسی یازی اولمامقدن اورتولامایەرق سنی کرکلمرلی ایچنده طابی کرکلمرلکمرینی امتانه مجبور اولییورلر . دعلتکی اوقلرده تزم یاپ بو

مغربدە ٧ میلیون مسلمانە سوء قصد

فرانسزلرك یدی میلیون (بربری) یی تنصیره ابتداری بوتون عالم اسلامی تهییج ایتدی ..

مصر غزتەلرنده اوقودیغمزه نظراً فرانسه حکومتی ، مغربده بولونان وظهور اسلامك رغمی عصرلردن بری مسلمان اولان یدی میلیونلق بربری قومنی جبراً تنصیر ایتدیرمك اوزره بالفعل تشبثاته کیریشمشدر . بونك ایچین فرانسه حکومتی اولا ذات سلطانه ، بربریلرك امورديني سنه نظارتندن کف ید ایتدیکنی مبین بر منشور یازدیرمرق حکومت علیه‌نك جریدهٔ رسمیه سنده نشر ایتدیرمش ، متعاقباً ، مدارس قرآنیه‌یی ومحاکم شرعیه‌یی وحتی جوامع شریفه‌یی قاپاتدیرمش ، اوقاف اسلامیه‌یی ماوضع لهلرینك ضدینه یعنی دین اسلام علیهنده‌کی مساعیه صرف اتمکه باشلامش . وایشتری بر حکومت اوزره تازه بر امتحان دوری کیچیرمکده اولدیغنی یازییورلر . بو ظلمانه وجنونانه تشبث اوزرینه بتون مغرب مسلمانلری هیجانه دوشمشلر ، حکومتك تهدیدات وتضییقاتنه رغماً مقدسات اسلامیه‌یە واقع اولان تجاوز عظیم علیهنده منبرلرده خطبه‌لر ایراد اولنیورمش ، عربلره مخصوص اولارق براقیلان جوامعده خلق جناب حقه : « اللهم یا لطیف اللطف بنا فیما جرت به المقادیر ولاتفرق بیننا وبین اخواننا البرابر » یعنی « یارب‌نا لطیف اسمك حرمته آلنزه یازدیغك مقدراتمزده بزه لطفکله معامله ایله و بزی دین قارداشلریمز اولان بربریلردن آییرمه » دیه‌رك تضرع ایدییورلرمش . بو حال



يارين

ΓΙΑΡΗΝ

(هفته‌لق مستقل تركلرك عثمانلى غزته‌سيدر)

جمعه ٢٩ محرم — ١٣٤٦

جمعه ٢٩ تموز — ١٩٢٧

ادبيات

استعفا ايديورم

سيدي الاستاذ العلامة

انشدت الابيات الآتية لما قرأت
مقالات صديقي العزيز كاتب الشرق
وامير المجاهدين شكيب ارسلان
عن الشعر الجاهلي على صفحات كوكب الشرق
الاغر واعجب بها ابلغ ما يكون به
من الاعجاب فان ترونها ادبيا
شيئا من جهة تاريخها فانشروها
في الفتح المبين بجانب الآثار الاخرى الحسنة
ودمتم سيدي ودام جهادكم وجهدكم

والابيات هذه :

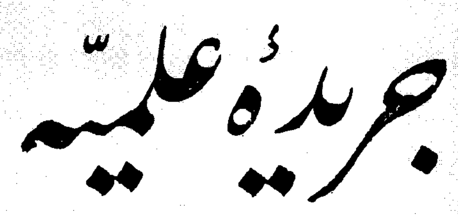
لله ما املاه كاتب شرقنا
المغلق بابها
في كوكب الشرق
فازلت من خلال سطوره
املى
من كل شبهات حديث فاها
فدبرا الشعر القديم وذب عنه
انسابه كالشمس جلية ضحاها
بل ذب عنه اسمى اللغات وعنه
الاسلام عن ادبه كان قد رساها
فابى لجد القذف في تاثيره
في نفس افاك يسمى طه
تلك الصحائف دام كاتبها الذي
ارضى القديم ودينا واللها
تتلى له حتى تكون صحيفة
لمعاده بيمينه يؤتاها
غشى الفراعنة الحديثة يوم —
منطقة رأيه منهم افواها
املى فكم عينا اقر بيانه —
الاولى وكم اقذرة اعاد هواها

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخ الإسلام مصطفى صبري

الحمد لله أحمده استتماماً لنعمته واستسلاماً لعزته واستعصاماً من معصيته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده شهادة نتمسك بها أبداً ما أبقانا وندّخرها لأهاويل ما يلقانا فإنها عزيمة الإيمان وفاتحة الإحسان..

أما بعد فإن الدأب جرى عند الأمم، منذ فجر التاريخ، بالعناية نحو تخليد حياة الرجال العظام الماضين الذين عاشوا بين ظهرانيها، جرى الدأب بضبط كل شئون حياة هؤلاء الرجال الخاصة منها والعامة، وجمع ما خلفوا وراءهم من آثار، بغية وضع شخصياتهم في إطار محدد وتقديمهم إلى ضمائر أبناء الأمة.



مشیخت جلیلۂ اسلامیه‌نك جریدۂ رسمیه‌سیدر

صفر ۱۳۳۸

ششنجی سنه | آیده بر نشر اولنور | عدد ٥٠

فتاوای شریفه

اولیاء

هند بالغه نفسنی ولی اقربی لابوین عمی اوغلی زیدك اذننسز کفوی اولمیان عمروه تزویج ایدوب لکن عمرودن ولد گتورمه‌سه زید راضی اولمیوب هندی عمرودن حاکمه تفریق ایتدیرمکه قادر اولورمی الجواب اولور.

* * *

نکاح

زید زوجه‌سی هندك رضاسیله قز قرنداشی زینبی تزوج ایدوب هند ایله جمع ایتمك جائز اولورمی الجواب اولماز.

* * *

عدت

زید ذات حیض اولان زوجۀ مدخول بهاسی هندی بایناً تطلیق ایتدکدنصکره آلتمش گون تمامنده هند نفسنی عمروه تزویج مراد ایتدکده اوچ حیض گوروب عدتم منقضیه اولدی دیسه عمرو هنده ایناجق هندی تزوج ایتمك جائز اولورمی الجواب اولور.

* * *

فتاوای شریفه

<u>اقامۀ جمعه وعیدین</u>

مقدما اقامۀ جمعه وعیدینه اذن سلطانی صادر اولان بر جامع شریفك خطیبی موجود اولمادیغی کبی اقامۀ مذکوره‌یه مأذون برکسنه دخی بولنمادیغی صورتده ضرورةً جمله جماعت بربری انتخاب ایده‌رك صلاة جمعه وعیدینی ادا ایتملری جائز اولورمی الجواب اولور .

⁂

<u>نکاح</u>

زیدك زوجه‌سی هنددن متولد اوغلی عمرو زیدك زوجۀ اخراسی زینبك زوج آخردن متولده قزی خدیجه‌یی تزوج ایتمك جائز اولورمی الجواب اولور .

⁂

<u>اختلاف الزوجین</u>

هند فوت اولوب زوجی زیدی وسائر ورثه‌سنی ترك ایتدكده هند ایله زیدك ساكن اولدقلری منزلده بولنوب رجال ونسایه صالحه اولان اشیا ایچون زید بنمدر دیوب وسائر ورثه هندكدر دیوب طرفینك بینه‌لری اولماسه قول زیدك اولورمی الجواب اولور .

⁂

<u>رضاع</u>

زید نسبا قز قرنداشی هندك رضاعا قزی زینبك نسبا قز قرنداشی خدیجه‌یی تزوج ایتمك جائز اولورمی الجواب اولور .

⁂

<u>طلاق</u>

زید زوجه‌سی هند مسلمه‌یه بره دین وایمانی فلان ایتدیکم دیو جماع لفظیله شتم ایلسه هند زیددن مبانه اولورمی الجواب اولور .

⁂

<u>حضانه</u>

زید صغیرك حق حضانه‌سی باباسی عمروك اولمیوب اناسنك لابوین خاله‌سی هندك اولورمی الجواب اولور .

⁂

نفقه

زوجی اولمیان هند وزینب وخدیجه صغیره‌لر اولوب انالرینك اناسی رقیه ایله لابوین ارقرنداشلری زیددن غیری کیمسه‌لری اولمیوب لکن زید معسر اولوب رقیه موسره اولسه مزبوره‌لرك نفقه‌لری یالکز رقیه اوزرینه لازمه اولورمی الجواب اولور .

⁂

مفقود

زید مفقودك حقیقة یا حکما موتی ثابت اولمدین ورثه‌سی مالنی اقتسامه قادر اولورلرمی الجواب اولمازلر .

⁂

کفالت

زیدك عمرو ذمتنده قرضدن اولان شوقدر آقچه‌سنه بکر بوکوندن شوقدر کون تمامنه‌دك موقتاً کفیل اولدقدنصکره زید مبلغ مزبوری بکردن طلب ایتدکده بکر بر قاچ کون تأخیر ایله دیو زیدی اغفال ایدوب اولقدر کون مرور ایتمکله بکر کفالتدن خلاص اولسه زید مجرد بنی اغفال ایلدك دیو مبلغ مزبوری بکردن آلمغه قادر اولورمی الجواب اولماز .

⁂

وکالت

زید زوجه‌سی هندك امریله کندی مالندن قدر معروف شوقدر آقچه صرف ایدوب هندك منزلنده هند ایچون بنا احداث ایتدکدنصکره مصروفنی آلمدین هند فوت اولسه زید مصروفنی هندك ترکهٔ وافیه‌سندن آلمغه قادر اولورمی الجواب اولور .

⁂

لمن ملك

زید صحتنده اوزرمده اولان آنوابمدن غیری یدمده اولان جمیع اموال وعقارات زوجه‌م هندکدر . بنم علاقه‌م یوقدر دیو حضور حاکمده اقرار ایتدکدنصکره زید فوت اولسه ورثه‌سی اقرار مزبوری طوتمیوب حین اقرارده زیدك یدنده اولان اموال وعقاراته مداخله‌یه قادر اولورلرمی الجواب اولمازلر .

⁂

اقرار بالنسب

زید مولدنده مجهول النسب اولوب یدنده اولان هند صغیره ایچون قزمدر دیو اقرار ایدوب لکن هند نفسندن تعبیره قادره اولمیوب تصدیقه اهل اولمامغله تصدیق ایتمیوب بعده زید فوت اولسه هندك نسبی زیددن ثابت اولوب زیده وارثه اولورمی الجواب اولور .

کتبه الفقیر
مصطفی صبری التوقادی
عفا عنه الهادی

المصادر والمراجع

أولاً ـ الكتب العربية:

١ ـ القرآن الكريم، وقد استعنتُ بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضع: محمد فؤاد عبد الباقي، دار القلم ـ بيروت، لبنان.

٢ ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، تأليف: د. محمد محمد حسين، الطبعة السابعة، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٣ ـ الأدب التركي الإسلامي، تأليف: د. محمد عبد اللطيف هريدي، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض.

٤ ـ أزمة العصر، تأليف: د. محمد محمد حسين، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، دار عكاظ للطباعة والنشر ـ جدة، الرياض.

٥ ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: عز الدين ابن الأثير، دار الفكر ـ بيروت.

٦ ـ أسرار الانقلاب العثماني، تأليف: مصطفى طوران، ترجمة: كمال خوجة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، دار السلام ـ القاهرة، حلب، بيروت.

٧ ـ الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، تأليف: د. مصطفى حلمي، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، دار الدعوة ـ الإسكندرية.

٨ ـ أسرار الماسونية، تأليف: جواد رفعت أتلخان، ترجمة وتعليق: نور الدين رضا الواعظ، وسليمان محمد القابلي، ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م، كركوك.

٩ ـ إظهار الأسرار، تأليف: محمد البركلي، ١٣٠٢هـ، مطبعة الجوائب ـ الآستانة.

١٠ ـ الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م، دار العلم للملايين ـ بيروت، لبنان.

١١ ـ الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشرة الهجرية، تأليف: زكي مجاهد، الطبعة الأولى، مكتبة مجاهد ـ القاهرة.

١٢ ـ الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، تأليف: عبد الله التل، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي ـ بيروت، دمشق.

١٣ ـ الإنسان والإيمان، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، مراجعة وتقديم: علي محيي الدين القره داغي، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، دار الاعتصام ـ القاهرة.

١٤ ـ بديع الزمان: نظرة عامة عن حياته وآثاره، تأليف: مصطفى زكي العاشور، ألمانية الغربية (دون ذكر الطبعة ولا الناشر).

١٥ ـ بغية الوعاة، تأليف: جلال الدين السيوطي، دار المعرفة ـ بيروت، لبنان.

١٦ ـ البلاد العربية والدولة العثمانية، تأليف: ساطع الحصري، الطبعة الثالثة ١٩٦٥م، دار العلم للملايين ـ بيروت.

١٧ ـ تاريخ الأدب التركي، تأليف: حسين مجيب المصري، الطبعة الأولى، ١٩٥١م، مطبعة الفكرة ـ القاهرة.

١٨ ـ التاريخ الإسلامي، تأليف: محمود شاكر، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م، المكتب الإسلامي ـ بيروت، دمشق.

١٩ ـ تاريخ الدولة العثمانية، تأليف: د. علي حسون، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، المكتب الإسلامي ـ بيروت، دمشق.

٢٠ ـ تاريخ الدولة العليّة العثمانية، تأليف: محمد فريد بك، تحقيق: د. إحسان حقي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، دار النفائس ـ بيروت

٢١ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية، تأليف: كارل بروكلمان، ترجمة: نبيه فارس، ومنير البعلبكي، الطبعة العاشرة ١٩٨٤م، دار العلم للملايين ـ بيروت.

٢٢ ـ تركية الجديدة، تأليف: جميل المعلوف، ١٩٠٨م ـ سان باولو.

٢٣ ـ تركية الحديثة، تأليف: محمد عزة دروزة، ١٩٤٦م، مطبعة الكشاف ـ بيروت.

٢٤ ـ تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨م، تأليف: د. أرنست أ. رامزور، ترجمة: د. صالح أحمد العلي، تقديم: د. نقولا زيادة، ١٩٦٠م، دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

٢٥ ـ التيارات القومية والدينية في تركية المعاصرة، تأليف: أحمد السعيد سليمان، الطبعة الأولى ١٩٦١م، دار المعرفة ـ القاهرة.

٢٦ ـ الجمهورية الحديثة، تأليف: محمد مصطفى صفوت، ١٩٥٨م، منشأة المعارف ـ الإسكندرية.

٢٧ ـ حاضر العالم الإسلامي، تأليف: لوثروب ستودارد، ترجمة: عجاج نويهض، تعليق: الأمير شكيب أرسلان، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ = ١٩٧٣م، دار الفكر ـ بيروت.

٢٨ ـ الحركة الإسلامية الحديثة في تركية، تأليف: مصطفى محمد، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، ألمانية الغربية.

٢٩ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، تأليف: محمد أمين بن فضل الله المحبي، طبعة مكتبة خياط ـ بيروت، لبنان.

٣٠ ـ الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي، تأليف: د. سمير رجب محمد، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، دار الهاني لطباعة الأوفست ـ القاهرة.

٣١ ـ دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: محمد ثابت الفندي، وأحمد الشنتناوي، وإبراهيم خورشيد، وعبد الحميد يونس، ١٣٥٢هـ = ١٩٣٣م، دار جهان ـ طهران.

٣٢ ـ الدعوة إلى الإسلام، تأليف: السير توماس أرنولد، ترجمة وتعليق: د. حسن إبراهيم وآخرين، الطبعة الثالثة ١٩٧٠م، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة.

٣٣ ـ الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، تأليف: د. عبد العزيز الشناوي، ١٩٨٠م، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة.

٣٤ ـ الذئب الأغبر مصطفى كمال، تأليف: هـ.س أرمسترونج، طبعة دار الهلال.

٣٥ ـ الرجل الصنم، تأليف: ضابط تركي سابق، ترجمة: عبد الله عبد الرحمن،

الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٣٦ ـ روح المعاني، تأليف : شهاب الدين محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٣٧ ـ السلطان عبد الحميد الثاني ـ مذكراتي السياسية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٣٨ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف : أبي الفلاح بن العماد الحنبلي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، دار المسيرة ـ بيروت .

٣٩ ـ الشعوب الإسلامية، تأليف : د. عبد العزيز نوار، ١٩٧٣م، دار النهضة العربية ـ بيروت .

٤٠ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، تأليف : أبي الحسن الندوي، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، دار القلم ـ الكويت .

٤١ ـ صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، تأليف : عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ = ١٩٧١م، مكتبة المطبوعات الإسلامية .

٤٢ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف : شمس الدين محمد السخاوي، دار مكتبة الحياة ـ بيروت، لبنان .

٤٣ ـ عبد الحميد ظل الله على الأرض، تأليف : د. آلماوتلين، ترجمة : راسم رشدي، ١٩٥٠م ـ القاهرة .

٤٤ ـ العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، تأليف : توفيق علي برو، ١٩٦٠م، معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية .

٤٥ ـ العلمانية، تأليف: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ـ مكة المكرمة.

٤٦ ـ العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركية، تأليف: عبد الكريم مشهداني، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، المكتبة الدولية ـ الرياض، ومكتبة الخافقين ـ دمشق.

٤٧ ـ فلسفة التاريخ العثماني، تأليف: محمد جميل بيهم، ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م، شركة فرج الله للمطبوعات، الطبعة التجارية ـ بيروت.

٤٨ ـ الفوائد البهية في طبقات الحنفية، تأليف: محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، الطبعة الأولى ١٣٢٤هـ، مطبعة السعادة ـ مصر.

٤٩ ـ في الشعر الجاهلي، تأليف: طه حسين، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ = ١٩٢٦م، مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة.

٥٠ ـ القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، تأليف: مصطفى صبري، ١٣٦١هـ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة.

٥١ ـ قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلّدة الغرب، تأليف: مصطفى صبري، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، دار الرائد العربي ـ بيروت، لبنان.

٥٢ ـ كمال أتاتورك، تأليف: محمد صبيح، دار الثقافة العامة ـ مصر.

٥٣ ـ لماذا تأخّر المسلمون؟ ولماذا تقدَّم غيرهم؟ تأليف: شكيب أرسلان، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ، مكتبة المنار.

٥٤ ـ الماسونية، تأليف: محمد صفوت السقا، وسعدي أبو جيب، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م، من منشورات رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة.

٥٥ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: نور الدين علي الهيثمي، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان.

٥٦ ـ مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة وتحقيق: محمد حرب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م، دار الوثائق ـ الكويت.

٥٧ ـ مسألة ترجمة القرآن، تأليف: مصطفى صبري، ١٣٥١هـ، المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة.

٥٨ ـ مصادر الدراسات الأدبية، تأليف: يوسف أسعد داغر، ١٩٧٢م، من منشورات الجامعة اللبنانية، مكتبة الشرقية ـ بيروت.

٥٩ ـ معالم التاريخ الإسلامي المعاصر، تأليف: أنور الجندي، ١٩٨١م، دار الإصلاح ـ القاهرة.

٦٠ ـ معجم الأدباء، تأليف: ياقوت الحموي، دار المأمون، وعيسى البابي الحلبي ـ القاهرة.

٦١ ـ المعجم الكبير، تأليف: أبي القاسم سليمان الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م، إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية.

٦٢ ـ المعركة بين القديم والجديد (تحت راية القرآن)، تأليف: مصطفى

صادق الرافعي، الطبعة السابعة ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م، دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان.

٦٣ ـ المعري وجوانب من اللزوميات، تأليف: محمد الحبيب حمادي، الدار التونسية للنشر.

٦٤ ـ الموسوعة العربية الميسَّرة، إشراف: محمد شفيق غربال، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، دار نهضة لبنان ـ بيروت.

٦٥ ـ موقف البشر تحت سلطان القدر، تأليف: مصطفى صبري، ١٣٥٢هـ، المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة.

٦٦ ـ موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، تأليف: حسان علي حلاق، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م، الدار الجامعية ـ بيروت.

٦٧ ـ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، تأليف: مصطفى صبري، الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، لبنان.

٦٨ ـ النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة، تأليف: مصطفى صبري، ١٣٤٢هـ، المطبعة العباسية ـ بيروت.

٦٩ ـ الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين الصفدي، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م، دار صادر ـ بيروت.

٧٠ ـ الوجه الآخر للاتحاد والترقي، تأليف: د. حسن كلشي، ترجمة: د. محمد الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م، دار قدسية ـ إربد، الأردن.

٧١ ـ يهود الدونمة، تأليف: د. محمد عمر، مؤسسة الدراسات التاريخية.

٧٢ ـ يوميات هرتزل، تأليف: أنيس صايغ، ترجمة: هلدا شعبان صايغ، ١٩٦٨م، مطبعة الغريب ـ بيروت، سلسلة كتب فلسطينية رقم (١٠).

ثانياً ـ الكتب التركية:

أ ـ الكتب التركية العثمانية:

٧٣ ـ إسلامده إمامت كبرى، تأليف: مصطفى صبري، جريدة (يارين) ابتداء من العدد (١٢) الصادر في ٢١ جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ = ١٦ ديسمبر ١٩٢٧م.

٧٤ ـ دين إسلامده هدف مناقشة أولان مسائل، تأليف: مصطفى صبري، مجلة (بيان الحق) ابتداءً من العدد (٣) الصادر في ٢٣ من شهر رمضان ١٣٢٦هـ = ١٩ أكتوبر ١٩٠٨م.

٧٥ ـ ردي على ما في القول الجيد من الردي، تأليف: مصطفى صبري، مجلة (بيان الحق) ابتداءً من العدد (٣١) الصادر في ٩ جمادى الآخرة ١٣٢٧هـ = ٢٨ يونيو ١٩٠٩م.

٧٦ ـ صوم رمضان، تأليف: مصطفى صبري، جريدة (يارين) ابتداءً من العدد الصادر في ٢٤ من شهر رمضان ١٣٤٦هـ = ١٦ مارس ١٩٢٨م.

٧٧ ـ القول الجيد، تأليف: محمد ذهني أفندي، الطبعة الثالثة ١٣٢٧هـ، دار الطباعة العامرة ـ الآستانة.

٧٨ ـ يكي إسلام مجتهد لرينك قيمت علمية سي، تأليف: مصطفى صبري،

١٣٣٥هـ = ١٣٣٧ رومية، دار الخلافة العلية، شهزاده باشي : أوقاف إسلامية مطبعة سي.

ب ـ الكتب التركية الحديثة :

79 - Dini Müceddditler.

Seyhlislâm Mustafa Sabri. Sebil Yayienevi - Istanbul, 1977.

80 - Edebiyatimizda Isimler Sözügü.

behcet Necatigil. Istanbul - 9 Baski, 1978.

81 - Huzür Dersleri.

Dr. Prof Ebü'ula Mardin. Ismail Akgün Matbaasi - Istanbul, 1966.

82 - Inönü Ansiklopedisi.

Ankara, 1950 - Milli Egitim Basimevi.

83 - Ittihad ve Terakki.

Feroz Ahmad. Istanbul, 1984.

84 - Izahli Osmanli Tarihi Kronolojisi.

Ismail Hami Danismend.

Istanbul, 1961 - 1971.

85 - Mes 'Eleler Hakkinda Cevaplar.

Seyhülislâm Mustafa Sabri.

Sebil Yayinevi - Istanbul, 1984.

86 - Meydan Larousse.

Meydan Yayinevi - Istanbul.

87 - Osmanli Seyhülislâmlri.

Dr. Abdülkadir Altunsu.

Ayyildiz Matbasi - Ankara, 1972.

88 - Rehaber Ansiklopedisi - Cild 12. Fasikü 22.

89 - Resimli Osmanli Tarihi Ansiklopedisi.

Midhat Sertoglu.

Is anbul Matbaasi, 1958.

90 - son Asir Türk Sairleri.

Ibnülemin Mahmud Kemal Inal.

Maarif Matbaasi - Istanbul, 1940.

91 - Son Devir Osmanli Ulewasi.

Sadik Al Bayrak,

Zefer Matbaasi - Istanbul, 1980 - 1981.

92 - Son Devrin Islâm Akademisi Dârül Hikmetil Islâmiye.

Sadik Al Bayrak.

Yeni Asya Yayinlari - Istanbul, 1973.

93 - Tokatli Osmanli Seyhul Islamlari.

Rahmi Serin.

94 - Tokatli Seyhulislâm Mustafa Sabri Efendi.

Dr. Yusuf Kilic.

95 - Türk Milliyetcilginin Dogusu.

Dadid Kushner.

Istanbul, 1979.

96 - Türk Ve Dünya Ünlüleri Ansiklopedisi.

Anadolu Yayincilik, 1983.

97 - Türkie' de Islamcilik Düsüncesi.

Ismail Kara.

Istanbul, 1986.

98 - Türkiye' De Siyasal Partiler, Tarik Zafer Tunaya.

Hürriyet Vakfi Yayinlari - Istanbul, 1986.

99 - Yeni Osmanlilar Tarihi.

Ebuzziya Tevfik.

Istanbul, 1973.

100 - Yürüyenler ve Sürünenler.

Sadik Al Bayrak.

Samil Yayinevi - Istanbul, 1984.

ثالثاً ـ الدوريات (الجرائد والمجلات):

أ ـ الجرائد والمجلات العربية:

١٠١ ـ جريدة (أخبار اليوم).

ـ العدد (٤٨٨) الصادر في ٨ رجب ١٣٧٣هـ = ١٣ مارس ١٩٥٤م.

١٠٢ ـ جريدة (الأهرام).

ـ العدد (١٣٩١٢) الصادر في ١٣ ربيع الآخر ١٣٤١هـ = ٢ ديسمبر ١٩٢٢م.

ـ العدد (١٣٩١٥) الصادر في ١٦ ربيع الآخر ١٣٤١هـ = ٥ ديسمبر ١٩٢٢م.

ـ العدد (١٣٩٢٣) الصادر في ٢٤ ربيع الآخر ١٣٤١هـ = ١٣ ديسمبر ١٩٢٢م.

ـ العدد (١٣٩٣٠) الصادر في ٢ جمادى الأولى ١٣٤١هـ = ٢٠ ديسمبر ١٩٢٢م.

ـ العدد الصادر في ٥ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ = ٢٦ أغسطس ١٩٣٣م.

ـ العدد الصادر في ٩ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ = ٣٠ أغسطس ١٩٣٣م.

ـ العدد الصادر في ١٥ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ = ٥ سبتمبر ١٩٣٣م.

ـ العدد الصادر في ١٦ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ = ٦ سبتمبر ١٩٣٣م.

ـ العدد الصادر في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ = ١٥ سبتمبر ١٩٣٣م.

ـ العدد (٢٤٥٨٥) الصادر في ٨ رجب ١٣٧٣هـ = ١٣ مارس ١٩٥٤م.

ـ العدد (٢٤٥٩٠) الصادر في ١٣ رجب ١٣٧٣هـ = ١٨ مارس ١٩٥٤م.

١٠٣ ـ جريدة **(الجمهورية)**.

ـ العدد (٩٧) الصادر في ٨ رجب ١٣٧٣هـ = ١٣ مارس ١٩٥٤م.

١٠٤ ـ مجلة **(الرسالة)**.

ـ العدد (٤٦٢) الصادر في ٢٥ ربيع الآخر ١٣٦١هـ = ١١ مايو ١٩٤٢م.

١٠٥ ـ مجلة (العربي) الكويتية .

ـ العدد (٢٤٤) الصادر في ربيع الآخر ١٣٩٩هـ = مارس ١٩٧٩م .

١٠٦ ـ مجلة (الفتح) .

ـ العدد (١٢١) الصادر في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٤٧هـ = ٨ نوفمبر ١٩٢٨م .

ـ العدد (١٥٥) الصادر في ٤ صفر ١٣٤٨هـ = ١١ يوليو ١٩٢٩م .

ـ العدد (١٩٧) الصادر في ٢ من ذي الحجة ١٣٤٨هـ = ٣٠ أبريل ١٩٣٠م .

ـ العدد (٢٨٦) الصادر في ٢٠ رمضان ١٣٥٠هـ = ٢٨ يناير ١٩٣٢م .

ـ العدد (٣٣٩) الصادر في ٨ من ذي الحجة ١٣٥١هـ = ٤ أبريل ١٩٣٣م .

ـ العدد (٣٤١) الصادر في ٢٥ من ذي الحجة ١٣٥١هـ = ٢١ أبريل ١٩٣٣م .

ـ العدد (٣٤٥) الصادر في ٢٣ محرم ١٣٦١هـ = ١٨ أبريل ١٩٣٣م .

ـ العدد (٣٦٣) الصادر في غرة جمادى الآخرة ١٣٥٢هـ = ٢١ سبتمبر ١٩٣٣م .

ـ العدد (٥١٠) الصادر في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٥هـ = ١٣ أغسطس ١٩٣٦م .

ـ العدد (٥٨٤) الصادر في ١١ من ذي القعدة ١٣٥٦هـ = ١٣ مايو ١٩٣٨م .

ـ العدد (٦٨٧) الصادر في ٢٤ من ذي القعدة ١٣٥٨هـ = ٥ يناير ١٩٤٤م .

١٠٧ ـ مجلة (فلسطين) .

ـ العدد (١٤٧) الصادر في جمادى الأولى ١٣٩٣هـ = يونيو ١٩٧٣م .

١٠٨ ـ مجلة (لواء الإسلام).

ـ العدد (١٢) الصادر في شعبان ١٣٧٣هـ = أبريل ١٩٥٤م.

١٠٩ ـ مجلة (المجتمع) الكويتية.

ـ العدد (٤٧٨) الصادر في ١٤ جمادى الآخرة، ١٤٠٠هـ = ٢٩ أبريل ١٩٨٠م.

ـ العدد (٥٠٢) الصادر في ١٩ من ذي الحجة ١٤٠٠هـ = ٢٨ أكتوبر ١٩٨٠م.

١١٠ ـ جريدة (المقطم).

ـ العدد (١٠٥٣٣) الصادر في ١٧ ربيع الأول ١٣٤٢هـ = ٢٧ أكتوبر ١٩٢٣م.

ـ العدد (١٠٥٣٥) الصادر في ٢٠ ربيع الأول ١٣٤٢هـ = ٣٠ أكتوبر ١٩٢٣م.

ـ العدد (١٠٥٣٦) الصادر في ٢١ ربيع الأول ١٣٤٢هـ = ٣١ أكتوبر ١٩٢٣م.

ـ العدد (١٠٥٤١) الصادر في ٢٥ ربيع الأول ١٣٤٢هـ = ٤ نوفمبر ١٩٢٣م.

ـ العدد (١٠٥٤٥) الصادر في ٢٩ ربيع الأول ١٣٤٢هـ = ٨ نوفمبر ١٩٢٣م.

١١١ ـ جريدة (منبر الشرق).

ـ العدد (٤٢٢) الصادر في ٢٦ رمضان ١٣٦٥هـ = ٢٣ أغسطس ١٩٤٦م.

ـ العدد الصادر في ١٤ رجب ١٣٧٣هـ = ١٩ مارس ١٩٥٤م.

١١٢ ـ مجلة (الهداية الإسلامية).

ـ العدد الصادر في محرم ١٣٥١هـ = مايو ١٩٣٢م، الجزء الثامن من المجلد الرابع.

ب ـ الجرائد والمجلات التركية :

١١٣ ـ جريدة (إقدام) .

ـ العدد (٦٦٢) الصادر في ٢٢ محرم ١٣٣٠هـ = ١٢ يناير ١٩١٢م .

ـ العدد (٦٦٤) الصادر في ٢٤ محرم ١٣٣٠هـ = ١٤ يناير ١٩١٢م .

ـ العدد (٦٩٩) الصادر في ٣٠ صفر ١٣٣٠هـ = ١٨ فبراير ١٩١٢م .

١١٤ ـ جريدة (بيام إسلام) .

ـ العدد (١) الصادر في ٢٧ جمادى الآخر ١٣٤٩هـ = ٢٢ سبتمبر ١٩٣٠م .

ـ العدد (٢) الصادر في ١٧ جمادى الأولى ١٣٤٩هـ = ١٠ أكتوبر ١٩٣٠م .

ـ العدد (٥) الصادر في ١٤ رجب ١٣٤٩هـ = ٥ ديسمبر ١٩٣٠م .

١١٥ ـ جريدة (بيام صباح) .

ـ العدد الصادر في ٣٠ جمادى الأولى ١٣٣٩هـ = ٩ فبراير ١٩٢١م .

ـ العدد الصادر في ١٩ رجب ١٣٤٠هـ = ١٨ مارس ١٩٢٢م .

١١٦ ـ مجلة (بيان الحق) .

ـ العدد (١) الصادر في ٩ رمضان ١٣٢٦هـ = أكتوبر ١٩٠٨م .

ـ العدد (٣) الصادر في ٢٣ رمضان ١٣٢٦هـ = ١٩ أكتوبر ١٩٠٨م .

ـ العدد (٢٦) الصادر في ٧ ربيع الأول ١٣٢٧هـ = ٢٩ مارس ١٩٠٩م .

ـ العدد (٣١) الصادر في ٩ جمادى الآخرة ١٣٢٧هـ = ٢٨ يونيو ١٩٠٩م.

ـ العدد (٤٣) الصادر في ٥ رمضان ١٣٢٧هـ = ٢٠ سبتمبر ١٩٠٩م.

ـ العدد (١٤٧) الصادر في ٨ ربيع الأول ١٣٣٠هـ = ٢٦ فبراير ١٩١٢م.

ـ العدد (١٨٢) الصادر في ٢٤ ذي القعدة ١٣٣٠هـ = ٤ نوفمبر ١٩١٢م.

١١٧ ـ مجلة (جريدة علمية).

ـ العدد (٤١) الصادر في ربيع الأول ١٣٣٧هـ = ديسمبر ١٩١٨م.

ـ العدد (٤٥) الصادر في رجب ١٣٣٧هـ = أبريل ١٩١٩م.

ـ العدد (٤٦) الصادر في رمضان ١٣٣٧هـ = يونيو ١٩١٩م.

ـ العدد (٤٨) الصادر في ذي القعدة ١٣٣٧هـ = أغسطس ١٩١٩م.

ـ العدد (٥٠) الصادر في صفر ١٣٣٨هـ = نوفمبر ١٩١٩م.

ـ العدد (٦٣) الصادر في محرم ١٣٣٩هـ = سبتمبر ١٩٢٠م.

١١٨ ـ مجلة (سبيل الرشاد).

ـ الأعداد الخمسة المتسلسلة ابتداء من العدد (٤١٧ ـ ٤١٨) الصادر في ٢٩ شعبان ١٣٣٧هـ = ٣٠ مايو ١٩١٩م، وحتى العدد (٤٢٧ ـ ٤٢٨) الصادر في ١١ شوال ١٣٣٧هـ = ١٠ يوليو ١٩١٩م.

ـ العدد (٤٣١ ـ ٤٣٢) الصادر في ٢٥ شوال ١٣٣٧هـ = ٢٤ يوليو ١٩١٩م.

١١٩ ـ جريدة (طريق).

ـ العدد الصادر في ٦ رجب ١٣١٦هـ = ٢٠ نوفمبر ١٨٩٨م.

١٢٠ ـ جريدة (**علمدار**).

ـ العدد الصادر في غرة جمادى الآخرة ١٣٣٨هـ = ٢١ فبراير ١٩٢٠م.

ـ العدد الصادر في غرة رجب ١٣٣٨هـ = ٢١ مارس ١٩٢٠م.

ـ العدد الصادر في ٤ رمضان ١٣٣٨هـ = ٢٢ مايو ١٩٢٠م.

ـ العدد الصادر في غرة جمادى الآخرة ١٣٣٩هـ = ١٠ فبراير ١٩٢١م.

١٢١ ـ مجلة (**معلومات**).

ـ العدد الصادر في رجب ١٣١٦هـ = ديسمبر ١٨٩٨م.

١٢٢ ـ جريدة (**يارين**).

ـ العدد (١) الصادر في ٢٢ محرم ١٣٤٦هـ = ٢٢ يوليو ١٩٢٧م.

ـ العدد (٢) الصادر في ٢٩ محرم ١٣٤٦هـ = ٢٩ يوليو ١٩٢٧م.

ـ العدد (١٢) الصادر في ٢١ جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ = ١٦ ديسمبر ١٩٢٧م.

ـ العدد الصادر في ٢٤ محرم ١٣٤٦هـ = ١٦ مارس ١٩٢٨م.

ـ العدد الصادر في ٧ ذي القعدة ١٣٤٦هـ = ٢٧ أبريل ١٩٢٨م.

ـ العدد الصادر في ١٢ رمضان ١٣٤٧هـ = ٢٢ فبراير ١٩٢٩م.

ـ العدد الصادر في ١٩ صفر ١٣٤٨هـ = ٢٦ يوليو ١٩٢٩م.

ـ العدد (٥٤) الصادر في ١٩ جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ = ٢٢ نوفمبر ١٩٢٩م.

ـ العدد الصادر في ٢٨ شوال ١٣٤٨هـ = ٢٩ مارس ١٩٣٠م.

ـ العدد (٦٢) الصادر في ١٥ ذي القعدة ١٣٤٨هـ = ١٤ أبريل ١٩٣٠م.

ـ العدد (٧٠) الصادر في ١٠ ربيع الآخر ١٣٤٩هـ = ٥ سبتمبر ١٩٣٠م.

ـ العدد الصادر في ١٧ جمادى الأولى ١٣٤٩هـ = ١٠ أكتوبر ١٩٣٠م.

ـ العدد الصادر في ٨ جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ = ٣١ أكتوبر ١٩٣٠م.

* * *

فهرس الموضوعات

* * *



مصطفى صبري

شيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقاً